

مَقَالَاتُ الْقَفَرِيِّ

تأليف

أ. د. بهر بن عبد الله القفاري

أستاذ العقيدة والمذاهب - جامعة القصيم



ح ناصر عبد الله علي القفاري، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري ، ناصر عبدالله علي
مقالات الفرق. / ناصر عبدالله علي القفاري -. الرياض، ١٤٣٨هـ -
ص. ص.؛ .سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٥١٠٧-٠

١- الفرق الإسلامية أ.العنوان
ديوي ٢٤٥ ١٤٣٨/١٠٠٩١

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١٠٠٩١
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٥١٠٧-٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م



٠٥٠٣٣١٠٠٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، محمد وآله ومن والاه، وبعد:

فهذه مادة لدروس علمية في الفرق بحسب المنهج المعتمد لدى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم، حاولت فيها تقديم مقالات الفرق المقررة في المنهج بأسلوب ميسر، ونقل موثق من مصادر الفرق نفسها -حسب الإمكان-، وفق منهج مختصر ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل.

وكان أصل المنهج المقرر مقتصرًا على مقدمات الافتراق، ودراسة الخوارج، والشيعة، والصوفية.

وقد رأيت من الضروري إدراج فرق (القدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة)؛ وذلك لعدة أسباب، منها:

أولاً: أن أصول الفرق عند أهل العلم أربع -على المشهور-، وهي: الخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، وبعضهم يضيف: الجهمية، ولا بد لطالب العلم من معرفة أصول الفرق كلها.

ثانياً: أن بعض الفرق كالقدرية والجهمية والمعتزلة والمرجئة وإن اختلفت أساؤها لا تزال عقائدها باقية ضمن بعض الفرق المعاصرة التي ورثت منهجها وتبنت اعتقادها إلى

يومنا هذا؛ فمثلاً: ما يسمى اليوم بالشيعة أصبحوا جهميّة معطلة في باب الأسماء والصفات، ومرجئة غلاة في باب الإيمان، وخوارجٍ وعيديّة في باب الأسماء والأحكام، كما أن الإباضية من الخوارج تأثروا بالمعتزلة في باب الأسماء والأحكام والصفات والقدر، فكان لا بد من دراسة هذه الفرق لفهم جذور الفرق الموجودة اليوم.

ثالثاً: أما فرقة المعتزلة، فهي وإن كانت غير مدرجة ضمن أصول الفرق - عند أكثر العلماء - إلا أنها قد جمعت كثيراً من عقائد من سبقها من الخوارج والجهمية والقدرية، وكان لها تأثير كبير على بعض الفرق التي ظهرت بعدها، كالزيدية والاثني عشرية والإباضية والأشعرية، فكان من المهم أيضاً دراستها.

وقد تعمّدت نقل كلام الأئمة بحروفه؛ ليعتاد عليه الطالب، كما قصدت النقل المتعدد لأقوال أهل العلم، وإن كانت في معنى واحد؛ ليستعين بذلك الطالب على فهم المراد من كلام الأئمة أنفسهم، وقد اكتفيت غالباً بعرض مقالات الفرق عن بيان بطلانها؛ لأن تصور الباطل كافٍ في رده وبيان فساده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً؛ فإن هذا لا يكون إلا للحق، فأما القول بالباطل، فإذا بيّن فيبانه يُظهر فساده، حتى يقال: كيف اشتبه هذا على أحد؟! ويُتعجب من اعتقادهم إياه، ولا ينبغي للإنسان أن يعجب، فما من شيء يُتخيل من أنواع الباطل إلا وقد ذهب إليه فريق من الناس»^(١)، ولذلك يقول ابن تيمية في بيان فساد مذهب الاتحادية: «اعلم - هداك الله وأرشدك - أن تصور مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده، لا

(١) مجموع الفتاوى (٢ / ١٤٥).

يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة؛ لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشاركة، بل وهم أيضًا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيرا في قولهم، وإنما يتحللون شيئًا ويقولونه أو يتبعونه^(١).

هذا، وقد سميت هذا الكتاب (مقالات الفرق)؛ لأن هذه التسمية أدق في الدلالة على موضوع الكتاب، واقتداء بمن سلف من الأئمة، كالأشعري وغيره.
والله تعالى أسأل أن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا.

أ.د/ ناصر بن عبد الله القفاري

مقدمات في الفرق

وفيه اثنا عشر مبحثاً:

المبحث الأول: تعريف علم مقالات الفرق.

المبحث الثاني: تعريف الافتراق، وضابطه، ونشأته.

المبحث الثالث: حديث الافتراق رواية ودراية.

المبحث الرابع: أسباب الافتراق.

المبحث الخامس: آثار الافتراق.

المبحث السادس: الفرق باعتبار بقائها وانقراضها.

المبحث السابع: أصول الفرق.

المبحث الثامن: أصول شبهات الفرق.

المبحث التاسع: أصول المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الفرق.

المبحث العاشر: الحكم على الفرق.

المبحث الحادي عشر: منهج أهل السنة في التعامل مع أهل الفرق.

المبحث الثاني عشر: مصادر الفرق.

المبحث الأول

تعريف علم مقالات الفرق

«كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه»^(١)، «ولم يختلف الصحابة - رضوان الله عليهم - في شيء من قواعد الإسلام، لا في الصفات، ولا في القدر، ولا مسائل الأسماء والأحكام، ولا مسائل الإمامة، لم يختلفوا في ذلك بالاختصاص بالأقوال، فضلاً عن الاقتتال بالسيف»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف؛ ولا يحل فيها الافتراق؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]»^(٣).

«وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم»^(٤).

ثم لما ظهرت البدع، ونشأ الافتراق أفرد العلماء الحديث عن مقالات الفرق والطوائف بعلم مستقل أسموه (علم مقالات الفرق).

(١) الفرق بين الفرق (ص: ١٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/ ٣٣٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٧٤)، (٢٧/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٥).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ٣٩).

■ يقول طاش كبري زاده: «علم مقالات الفرق»^(١): هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية، وهي - على ما أخبر به نبينا محمد ﷺ عن هذه الأمة - اثنتان وسبعون فرقة»^(٢).

وهذا التعريف حدد معالم هذا الفن من فنون العلم في ثلاثة معالم بارزة هي:
 أولاً: قوله عن هذا العلم إنه: «علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة»، أي: المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد.

ثانياً: قوله: «المتعلقة بالاعتقادات الإلهية»، أي: موضوع هذا العلم خاص بالخلاف العقدي بين الطوائف والفرق المنتسبة إلى الإسلام.

ثالثاً: قوله: «وهي - على ما أخبر به نبينا محمد ﷺ عن هذه الأمة - اثنتان وسبعون فرقة»، أي هو متعلق بفرق الأمة، دون الفرق الخارجة عن أمة الإسلام.
 وأما تسمية هذا العلم بـ «علم مقالات الفرق» فإن في هذا تمييزاً له عن «علم الأديان» الذي يعنى بمقالات الأمم الأخرى غير المسلمة، بينما اختص هذا العلم بمقالات الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

■ فالمقالات عموماً تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: المقالات الواقعة في هذه الأمة.

القسم الثاني: مقالات الأمم الأخرى.

ولذلك لما ألف أبو الحسن الأشعري في علم المقالات، ألف كتاباً سماه (مقالات الإسلاميين)، وكتاباً آخر سماه (مقالات غير الإسلاميين)، وكتاباً ثالثاً سماه (جمل مقالات

(١) وكذا سماه حاجي خليفة بـ «علم مقالات الفرق» (كشف الظنون ٢ / ١٧٨٢).

(٢) مفتاح السعادة (١ / ٢٩٨)، وانظر: أبجد العلوم، صديق حسن خان (٢ / ٥١٥).

الموحدين والملحدين)^(١).

ولكن الذي استقر عليه الحال في الوقت الحاضر هو الفصل الاصطلاحي بين هذين النوعين من المقالات، بتسمية مقالات غير الإسلاميين بـ (علم الأديان)، وتسمية مقالات الإسلاميين بـ (علم الفرق).

كما يدخل في علم مقالات الفرق أيضاً ما ليس من الفرق الثلاث والسبعين، كفرق الباطنية، والبابية والبهائية والرافضة الغلاة، ونحوها من الفرق التي أجمع المسلمون على كفرها، وذلك لانتسابها إلى الإسلام والمسلمين في الظاهر.

وفي عصرنا الحاضر نشأت بعض التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية، فنشأ علم جديد يسمى بعلم (المذاهب الفكرية المعاصرة)، فأصبحت العلوم الباحثة في المقالات ثلاثة:

- ١- علم الأديان.
- ٢- علم الفرق.
- ٣- علم المذاهب المعاصرة^(٢).

(١) الأول مطبوع، والثاني والثالث مفقودان.

(٢) انظر: مقدمات في علم مقالات الفرق، د. محمد خليفة التميمي (ص: ٧-٨).

المبحث الثاني تعريف الافتراق، وضابطه، ونشأته

تعريف الافتراق لغة واصطلاحاً:

- الافتراق لغة: الانقسام، وهو ضد الاجتماع، والتفرق والافتراق بمعنى واحد، والفرقة: الطائفة من الناس، والمفارقة: المباينة والمفاصلة، والفراق والفراق - بكسر الفاء وفتحها - : ضد الوصال، وهو التفريق بين الشئين والفصل بينهما^(١).
- وفي الاصطلاح: هو مخالفة السنة ومفارقة الجماعة في أصول الاعتقاد.
- والمراد بالسنة هنا: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الاعتقاد^(٢).
- والمراد بالجماعة: الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال ابن أبي العز الحنفي: «السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال»^(٣).
- والمراد بأصول الاعتقاد: أركان الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل جواباً

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٣)، المحكم (٦/ ٣٨٣-٣٨٤)، القاموس المحيط (ص: ٩١٦-٩١٧)، لسان العرب (١٠/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٢) وهو أحد معاني السنة في الاصطلاح، قال ابن رجب: «السنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل ابن عياض. وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم» (جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٠)، وانظر: مقدمات في الاعتقاد، المؤلف (ص: ٣٨-٣٩).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٤).

عن الإيمان، فقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

ليس كل اختلاف فرقة:

لا يُعدُّ كل اختلاف في الاعتقاد فرقة وخروجاً عن الجماعة، فقد اختلف الصحابة - رضوان الله عليهم - في بعض فروع الاعتقاد، كاختلافهم في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج، وسماع الأموات دعاء الأحياء، وكون المعراج بالروح فقط أم بالروح والجسد؟^(٢) كما اختلف أهل السنة في بعض دقيق مسائل الاعتقاد، كمسألة اللفظ، ونقصان الإيمان، وتفضيل عثمان رضي الله عنه، وبعض أحاديث الصفات، ونفي لفظ الجبر، وغير ذلك^(٣).

ولا يعدُّ من أخطأ في هذه المسائل الدقيقة مخالفاً للسنة ومفارقاً للجماعة، قال ابن تيمية: «مسائل الدق في الأصول لا يكاد يتفق عليها طائفة؛ إذ لو كان كذلك لما تنازع في بعضها السلف من الصحابة والتابعين، وقد يُنكر الشيء في حال دون حال، وعلى شخص دون شخص»^(٤).

كما أن مخالفة السنة ومفارقة الجماعة ليست على درجة واحدة، بل هي دركات متفاوتة، وإن كانت جميعاً يجمعها اسم البدعة، يبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «إن المبتدعة جنس تحته أنواع كثيرة، وليس حكم جميع المبتدعة سواء، ولا كل البدع سواء، ولا من ابتدع بدعة تخالف القرآن والحديث مخالفة بينة ظاهرة كمن ابتدع بدعة خفية لا يعلم خطؤه فيها إلا بعد نظير طويل، ولا من كثر اتباعه للسنة إذا غلط في مواضع كثيرة كمن كثر مخالفته للسنة

(١) أخرجه مسلم (ح ٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/٢٤ - ١٧٣).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى (٦ / ٦٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٦).

وقلّ متابعتها لها، ولا من كان مقصوده اتباع الرسول باطنًا وظاهرًا وهو مجتهد في ذلك، لكنه يخفى عليه بعض السنة أحيانًا، كمن هو معرض عن الكتاب والسنة طالب الهدى في طرق الملحدّين في آيات الله وأسمائه، المتبعين لطواغيتهم من أئمة الزندقة والإلحاد وشيوخ الضلال والأهواء، فقد جعل الله لكل شيء قدرًا^(١).

ويقول أيضًا: «وما ينبغي أيضًا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه؛ فيكون محمودًا فيما رده من الباطل وقاله من الحق؛ لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة بيدعة أخفّ منها؛ وردّ بالباطل باطلًا بباطلٍ أخفّ منه، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة^(٢)»، وقال أيضًا: «ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية^(٣) [أي الاعتقادية]، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة، وإذا كان الله تعالى يغفر لمن جهل وجوب الصلاة وتحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهلٍ مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم، بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه، إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه: هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذ به أخطأه، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»^(٤).

والخطأ في هذه المسائل العقدية الدقيقة لا يكاد يسلم منه أحد، ولا يوجب الهجر ولا

(١) المسائل والأجوبة (ص: ١٢٤-١٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٨).

(٣) في الأصل: العملية، وهو خطأ.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣١٥).

العداوة ولا البغضاء، قال الإمام الذهبي: «ولو أنا كلما أخطأ إماماً في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه، وبدّعناه، وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة»^(١).

وقال أيضاً: «إذا أخطأ إمام في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه، ونغطي معارفه، بل نستغفر له، ونعتذر عنه»^(٢).

ضابط التفرق:

بين شيخ الإسلام ابن تيمية الضابط الذي يعدُّ به الرجل من أهل الأهواء، بقوله: «البدعة التي يعدُّ بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة»^(٣)، وقال: «من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه؛ فهذا يعامل بها يعامل به أهل البدع»^(٤).

وذكر أن الحدَّ الفاصل بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدعة والفرقة هو مصادر التلقي، فقال: «شعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»^(٥).

ويقول الإمام الشاطبي: «هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٤٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٤١٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤ / ١٧٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٦).

في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية^(١).

ثم قال: «ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة...، ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصل بسببها تفرق في الغالب، ولا هدم للدين، بخلاف الكليات»^(٢).

والحاصل أنَّ ضابط التفرق ومفارقة الجماعة يكون بأحد أمور:

- ١ - البدعة المشهورة عند أهل العلم بمخالفة السنة.
- ٢ - مخالفة أهل السنة في مصادر التلقي، إما بابتداع مصادر أخرى، أو الإعراض عن مصادر أهل السنة المعتمدة.
- ٣ - أن تكون المخالفة في مسائل الاعتقاد الظاهرة الواضحة دون المسائل الدقيقة.
- ٤ - أن تكون المخالفة في أصل كلي من أصول الاعتقاد أو فروع جزئية كثيرة.

نشأة الافتراق:

أولاً: زمانُ النشأة: بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه (سنة ٣٥ هـ) نشأت

فرتان متضادتان في الاعتقاد:

الأولى: الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه.

الثانية: غلاة الشيعة (السبئية) الذين قالوا بعصمته ثم بألوهيته.

(١) الاعتصام (٣/ ١٣٩ - ١٤٠).

(٢) الاعتصام (٣/ ١٤٠).

وفي آخر عصر الصحابة ﷺ نشأت فرقتان: القدرية، والمرجئة.

وفي آخر خلافة بني أمية نشأت فرقتان: الجهمية والمجسمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والصحابه ﷺ كانوا أقل فتناً من سائر من بعدهم، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف، ولهذا لم تحدث في خلافة عثمان ﷺ بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج المكفرين لعلي ﷺ، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته، أو نبوته أو إلهيته.

ثم لما كان في آخر عصر الصحابة، في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، حدثت بدعة المرجئة والقدرية، ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية المعطلة والمشبهة الممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة ﷺ شيء من ذلك»^(١).

وقال الإمام الذهبي: «كان الناس أمة واحدة، ودينهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر، فلما استشهد قُفْلُ باب الفتنة عمر ﷺ وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان ﷺ حتى ذبح صبراً، وتفرقت الكلمة، وتمت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين، فظهرت الخوارج، وكفرت سادة الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب، وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة، والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المائتين»^(٢).

ثانياً: **مكاوُ النشأة:** خرجت الشيعة والمرجئة من الكوفة، وخرجت القدرية والمعتزلة والصوفية من البصرة، وخرج النواصب الذين ناصبوا أهل البيت العداء من الشام، وظهرت الجهمية من خراسان، وكان ظهور هذه البدع بعيداً عن دار النبوة ومهبط الوحي، حيث يقل العلم بآثار النبوة.

(١) منهاج السنة (٦ / ٢٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٣٦).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، وأما التجهم فإنما ظهر من ناحية خراسان، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية»^(١).

والأمر كما قرر ابن تيمية: «إنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخف، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة»^(٢).

وذلك لأن البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل، وغيبة أهل العلم والإيمان، ولذلك قال أيوب السخيتاني: «من سعادة الحدّث والأعجمي أن يوفقهما الله للعالم من أهل السنة»^(٣)؛ وذلك لسرعة تأثر هؤلاء بالبدعة وضعف قدرتهم على معرفة ضلالها، واكتشاف عوارها.

أول مسألة عقديّة وقع فيها الافتراق:

أول مسألة اعتقادية وقع فيها الافتراق بين الأمة هي ما اصطلاح أهل العلم على تسميته بمسألة (الأسماء والأحكام) أي: اسم صاحب الكبيرة في الدنيا، وحكمه في الآخرة، وتسمى بمسألة (الفاسق المَلِيّ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أول مسألة فرقت بين الأمة مسألة الفاسق المَلِيّ فأدرجته الخوراج في نصوص الوعيد والخلود في النَّار وحكموا بكفره، ووافقته المعتزلة على دخوله في نصوص الوعيد وخلوده في النار، لكن لم يحكموا بكفره»^(٤)، وقال أيضاً: «والخلاف فيه [أي:»

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٣٠٠).

(٢) التدمرية (ص: ١٩٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (١ / ٦٠).

(٤) الاستقامة (١ / ٤٣١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣ / ١٨٢).

في الفاسق الملى [أول خلاف ظهر في الإسلام في مسائل أصول الدين]^(١).

وقال أيضًا: «ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم»^(٢).

و«مذهب أهل السنة والجماعة أن الفاسق الملى له الثواب والعقاب إذا لم يعف الله عنه، وأنه لا بد أن يدخل النار من الفساق من شاء الله، وإن كان لا يخلد في النار أحد من أهل الإيوان، بل يخلد فيها المنافقون كما يخلد فيها المتظاهرون بالكفر»^(٣).

فهو - أي الفاسق الملى إذا مات من غير توبة - تحت المشيئة إن شاء الله جل وعلا عذبه بعدله، وإن شاء غفر له برحيمته وفضله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذا حكمه في الآخرة.

وأما اسمه في الدنيا فهو مؤمن بإيوانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيوان، فلا ينفى عنه مطلق الإيوان - يعني أصله -، ولا يعطى الإيوان المطلق - يعني كماله -.

(١) مجموع الفتاوى (٧/٤٧٩).

(٢) وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من زعم أن أول مسألة عقديّة اختلفت فيها الأمة مسألة كلام الله تعالى، وذكر أن الخلاف في مسألة الكلام ظهر في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية (انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٣١).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٧٨).

المبحث الثالث

حديث الافتراق رواية ودراية

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(١).

وفي رواية: «كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(٢).

وفي رواية: قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة»^(٣).

وفي رواية: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(٤).

وهذا الحديث - كما يقول الإمام الطرطوشي - «قد طاشت فيه أحلام الخلق»^(٥)، والكلام

عنه رواية ودراية على النحو التالي:

حديث الافتراق رواية:

جاءت روايات هذا الحديث على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ما لا نص فيه على الهالك، أي الاختصار على ذكر افتراق الأمة إلى ثلاث

(١) أخرجه أبو داود (ح ٤٥٩٦)، والترمذي (ح ٢٦٤٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (ح ٨٣٩٦)، والدارمي (٢/

٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والأجري في الشريعة (ص: ١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (ح ٣٩٩٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح ٣٩٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي (ح ٢٦٤١).

(٥) الحوادث والبدع (ص: ٣٣).

وسبعين فرقة، وهذه أخرجها أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وهذا الوجه صححه جمهور المحدثين. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه «صحيح مشهور في السنن والمسائيد»^(١).

الوجه الثاني: ما فيه بيان أن واحدة منها ناجية، والباقون هلكى، وهي رواية: «كلها في النار إلا واحدة»، وهذه لم يخرجها من أصحاب السنن إلا أبو داود، وأخرجها أحمد والدارمي والحاكم، وقد ضعفها جماعة من المحدثين، كالشوكاني حيث قال: «زيادة كلها في النار لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة»^(٢)، لكن قال الألباني: «لا أعلم أحدًا من المحدثين المتقدمين ضعف هذه الزيادة، بل إن الجماعة قد صححوها»^(٣).

الوجه الثالث: ما فيه بيان أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها ناجية إلا الزنادقة، وروايات هذا الوجه موضوعة لا تصح^(٤).

ومما ينبغي أن يعلم أن بعض أهل العلم لا يرى صحة الحديث بمختلف روايته، ومنهم ابن حزم الذي قال: «ذكروا حديثاً عن رسول الله ﷺ أن «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة»، وحديثاً آخر: «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة»، هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به؟!»^(٥).

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٩٤).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٨-١٩).

(٤) انظر: كشف الخفاء (١/ ٣٦٩). الأسرار المرفوعة (ص: ١٦١).

(٥) الفصل (٤/ ١٦).

حديث الافتراق دراية:

وأما الكلام عن الحديث دراية، فمن وجوه:

الوجه الأول: فسر جماهير الأئمة أحاديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة بفرق أمة الإسلام (أمة الإجابة) لا أمة الدعوة، ولذلك أخرج بعض الأئمة -كابن المبارك- الجهمية من فرق الأمة الثلاث والسبعين^(١)، وبناء على ذلك فلا يدخل في الفرق الثلاث والسبعين الفرق الخارجة عن الإسلام، مثل فرق الباطنية والقاديانية، والبابية، والبهائية، وغيرها، وإنما أدرجها بعض علماء الفرق والمقالات في كتبهم؛ لأنها تنتسب إلى الإسلام في الظاهر، وهي ليست منه في الباطن.

وقيل: المراد بـ (الأمة) في الحديث أمة الدعوة، فيدخل فيها كل ملل الكفر بمختلف أديانهم ونحلهم.

أما قوله في الحديث: «كلها في النار إلا واحدة»، فهذا من باب الوعيد - على القول بأن المراد بالأمة أمة الإجابة -، واستحقاق الدخول في النار لا يقتضي الخلود الأبدي الذي هو خاص بطوائف الكفر، بل المراد بقوله: «كلها في النار»: أنها مستحقة للدخول في النار دون الخلود، وهو من نصوص الوعيد.

وكان الإمام أحمد يتوقى الكلام في تفسير هذه النصوص تورعاً، ويُمَرُّها كما جاءت من غير تفسير؛ مع اعتقاده أن المعاصي لا تخرج عن الملة^(٢)، قال ابن تيمية: «وقد نُقل كراهة تأويل أحاديث الوعيد عن سفيان، وأحمد بن حنبل، وجماعة كثيرة من العلماء» وذكر أن الإمام أحمد

(١) انظر: الإبانة، ابن بطة (١/٣٨٠).

(٢) انظر: الفروع، ابن مفلح (١٠/٢١٣).

نصّ على أن مثل هذه الأحاديث لا تتأول تأويلاً يخرجها عن ظاهرها المقصود بها^(١).

الوجه الثاني: حصر الفرق بثلاث وسبعين:

يذهب بعض أهل العلم - كعبد القاهر البغدادي وأبي المظفر الإسفراييني - إلى حصر الفرق بثلاث وسبعين فرقة، ويذهب آخرون إلى أنه لا يمكن حصرها؛ لأن أصول الفرق لا تبلغ هذا العدد، وفروع الفرق لا حد لها، وأن العدد المذكور في الحديث لا مفهوم له، بل يراد به التكثير^(٢).

وظاهر الحديث يدل على الأول، حيث ذكر عدد فرق اليهود والنصارى وفرق هذه الأمة بالأرقام فلو لم يكن العدد مقصوداً لم يكن لهذا التفريق الدقيق وجه، لكن تعيين وتحديد أن هذه الفرقة أو تلك من الثلاث والسبعين يحتاج إلى دليل.

واختلف القائلون بحصر الفرق في ثلاث وسبعين، هل تكامل عددها أم لا؟ على قولين: الأول: أن هذه الفرق الثلاث والسبعين لم يتكامل وجودها بعد، وإنما وجد بعضها، وسيوجد بعدهم آخرون، ويستمر إلى يوم القيامة على ما أخبر به الرسول ﷺ^(٣).

الثاني: أن الفرق وجدت كلها وتكامل عددها^(٤).

والقول الأول هو الحق؛ لأن القول بأن التفرقة قد توقف عند زمن معين لا يؤيده عقل ولا نقل، والواقع يخالفه.

الوجه الثالث: تعيين الفرق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات وذكرهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٥).

(٢) انظر: مقدمة الفرق بين الفرق، محمد محيي الدين عبد الحميد (ص: ٧).

(٣) انظر: الحوادث والبدع، الطرطوشي (ص: ٣٤).

(٤) انظر: التبصير في الدين (ص: ١٦)، فيض القدير، المناوي (٢/ ٢٠).

الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل^(١)، ولا شك أن الميزان هو الكتاب والسنة والإجماع.

وصحح الإمام الشاطبي - رحمه الله - القول بـ «أن هذه الفرق لم تتعين بعد؛ لأن ذلك التعيين ليس عليه دليل، والعقل لا يقتضيه»^(٢).

ويرى أنه «لا ينبغي للراسخ في العلم أن يقول: هؤلاء الفرق هم بنو فلان وبنو فلان! وإن كان يعرفهم بعلامتهم بحسب اجتهاده، اللهم إلا في موطنين:

أحدهما: حيث نبه الشرع على تعيينهم كالخوارج؛ فإنه ظهر من استقرائه أنهم متمكنون في الدخول^(٣) تحت حديث الفرق، ويجري مجراهم من سلك سبيلهم.

والثاني: حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالها وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلا بد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذا قامت له الشهود على أنهم منهم»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٦).

(٢) الاعتصام (٢/٧٢٣).

(٣) قوله: «في الدخول» زيادة واردة في نسخة أخرى، والكلام غير مستقيم بدونها، والمثبت من طبعة ابن الجوزي.

(٤) الاعتصام (٢/٧٢٦-٧٣١).

المبحث الرابع أسباب الافتراق

للافتراق أسباب كثيرة؛ منها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي، وتفصيلها فيما يأتي:

أولاً: الأسباب الداخلية:

السبب الأول: التفريط في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «عامّة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا يَقْضُوا بَعْضَ آيَاتِ اللَّهِ تَكْفُورًا﴾ (١٣٢) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ [طه]»^(١).

ولذلك كان أصل كل بدعة ومنشؤها - هو كما يقول الشهرستاني - «الاستبداد بالرأي في مقابلة النص، واختيار الهوى في معارضة الأمر»^(٢).

السبب الثاني: تحريف النصوص الذي يسميه المبتدعة تأويلًا، قال الإمام ابن القيم: «افتراق أهل الكتابين، وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل، وإنما أريق دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة وفتنة ابن الزبير وهلم جرًا بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل؛ فإن محتته إما من المتأولين، وإما أن

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣١٤).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٤).

يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل وتعللوا بالأباطيل»^(١).

والمراد به التأويل الفاسد المردود، فإن التأويل نوعان: صحيح، وفاسد، فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطباقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد^(٢).

قال الإمام ابن أبي العز: «وقلّ من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد يسمى صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً، وإن لم يكن ثمّ قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد، فإذا سموه تأويلاً قبل وراج على من لا يهتدي إلى الفرق بينهما»^(٣).

ولذلك قال الغزالي عن تأويلات الباطنية التي لا تحتملها لغة العرب أصلاً بعد أن ذكر أمثلة لها: «فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبّر عنها بالتأويلات»^(٤)، وقال ابن الوزير: «وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخرى من البعث والقيامة والجنة والنار»^(٥).

وقال ابن حجر: «قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم»^(٦).

(١) إعلام الموقعين (٤ / ١٩٣).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١ / ١٨٧).

(٣) شرح الطحاوية (١ / ١٣).

(٤) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص: ٦٧).

(٥) إيثار الحق على الخلق (ص: ٣٧٧).

(٦) فتح الباري (١٢ / ٣٠٤).

السبب الثالث: الغلو، يقول سبحانه وتعالى في شأن أهل الكتاب ناهياً إياهم عن الغلو: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً^(١) أَنَّهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^(٢)﴾ [النساء]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ^(٣)﴾ [المائدة]، فالغلو سبب ضلال أهل الكتاب، وكذلك سبب لافتراق الفرق وظهور البدع، قال ابن أبي العز: «فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه! وأولئك غلوا في الوعيد، حتى خلدوا بعض المؤمنين، وأولئك غلوا في الوعد حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة! وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، وهؤلاء غلوا في الإثبات، حتى وقعوا في التشبيه! وصاروا يتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع»^(٤).

السبب الرابع: اتباع الهوى، قال الشاطبي: «ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك»^(٥). وقال أيضاً: «اتباع الهوى أصل الابتداع»^(٦).

ومنه قوله ﷺ: «سيخرج في أمتي أقوام تجازى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب»^(٧)

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٩).

(٢) الاعتصام (٢/ ٦٨٣).

(٣) الاعتصام (٢/ ٥٨٨).

(٤) الكلب - بالتحريك - : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب، فيصبيه شبه الجنون، فلا يعرض أحداً إلا كلب، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً (النهاية، ابن الأثير ٤/ ١٩٥).

لصاحبه - وفي رواية: الكلب بصاحبه - لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دخله»^(١).

ثانياً: الأسباب الخارجية، ومن أهمها:

السبب الأول: الكيد الفارسي المجوسي بعد ذهاب ملكهم على يد أهل الإسلام، يقول الإمام ابن حزم: «والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياذ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»^(٢).

السبب الثاني: الكيد اليهودي، فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأظهر الإسلام، وأراد فساد دين الإسلام كما أفسد بولص دين النصارى»^(٣)، ويرى سعيد الأفغاني أن ابن سبأ أحد أبطال جمعية سرية تلمودية غايتها تقويض الدولة الإسلامية، وأنها تعمل لحساب دولة الروم^(٤)، وكذلك بدعة تعطيل الصفات أخذها الجعد بن درهم عن اليهود، وأسس لمذهب الجهمية، كما سيأتي تفصيله.

السبب الثالث: تعريب كتب الفلسفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أظهر الله من

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨ / ١٣٥)، وأبو داود (ح ٤٥٩٧)، وإسناده حسن.

(٢) الفصل (٢ / ٩١)، وانظر: الخطط، المقرئزي (٢ / ٣٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٤ / ٥١٨).

(٤) عائشة والسياسة (ص ٦٠).

نور النبوة شمسًا طمست ضوء الكواكب، وعاش السلف فيها برهةً طويلة، ثم خفي بعض نور النبوة؛ فعرب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية، ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم، فعربت ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر^(١)، ويقول المقرئزي: «كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شغف بالعلوم القديمة، بعث إلى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة، وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجرت على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع، وزادتهم كفرًا إلى كفرهم»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٢ / ٨٤).

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤ / ١٩١).

المبحث الخامس آثار الاقتراق^(١)

آثار الاقتراق على المسلم:

أولاً: حرمان الهداية، والوعيد بدخول النار: يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبِئَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء) فاتباع غير سبيل المؤمنين سبب لحرمان الهداية واستحقاق العذاب.

ثانياً: اسوداد الوجوه يوم القيامة: يأتي أهل الفرقة يوم القيامة وقد اسودت وجوههم عقاباً لهم لما أحدثوه في دين الله وفرقوا به المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) [آل عمران].

قال ابن كثير في تفسيرها: «يعني: يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما»^(٢).

ثالثاً: براءة الرسول ﷺ من أهل الفرقة وأصحاب البدع: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) [الأنعام].

(١) انظر: الاعتصام (١/ ١٤١-١٧٥)، موقف الصحابة من التفرق والفرق (ص: ٣٠١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة يا عائشة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ﴾ هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وليس لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء»^(١).

قال ابن عطية: «وقوله: ﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ أي: لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق، وهذا على الإطلاق في الكفار، وعلى جهة المبالغة في العصاة والمتنطعين في الشرع، ولأنهم لهم حظٌّ من تفريق الدين»^(٢).

وابن عطاء: المبتدع يخشى عليه الفتنة: قال تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور]، وعن مالك بن أنس أن رجلاً أتاه يقول: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في هذا؟! إنها هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إني سمعت الله يقول: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾^(٣).

قال الإمام الشاطبي: «وهذه الفتنة التي ذكرها مالك - رحمه الله - تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنّه نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهتموا إليه بعقولهم»^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (ح ٥٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٣٧)، وقال الهيثمي: «إسناده جيد» (مجمع الزوائد ٧ / ٢٢).

(٢) المحرر الوجيز (٢ / ٣٦٧).

(٣) أخرج هذه القصة الإمام ابن العربي بسنده في: عارضة الأحوذى (٤ / ٣٥).

(٤) الاعتصام (١ / ١٧٤).

خامساً: الشذوذ عن الجماعة شذوذ إلى النار: هذا ما توعد به رسول الله ﷺ المفارق للجماعة، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار»^(١).

سادساً: المفارق يأتي يوم القيامة ولا حجة له: ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له»^(٢)، قال الإمام النووي: «أي لا حجة له في فعله، ولا عذر له ينفعه»^(٣).

سابعاً: الحرمان من الشرب من حوض رسول الله ﷺ: فيخشى على المبتدعة المفارقين لجماعة المسلمين أن يكونوا ممن يحال بينهم وبين الشرب من الحوض، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجالاً منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٤).

ثامناً: الموت ميتة جاهلية: إن هذا المفارق للجماعة لو مات وهذا حاله فميتته ميتة جاهلية قال رسول الله ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فهات، مات ميتة جاهلية»^(٥).

تاسعاً: البعد عن التوبة: من شؤم البدعة أن صاحبها قد لا يوفق للتوبة لتوهمه أنه على الحق، يقول رسول الله ﷺ: «إن الله حجز - أو قال: حجب - التوبة عن كل صاحب بدعة»^(٦).

(١) أخرجه أحمد (ح٢٧٢٢٤)، والترمذي (ح٢١٦٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (ح١٨٥١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٢٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٦)، ومسلم (ح٢٢٩٧).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٨٤٨).

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢١)، والطبراني في الأوسط (ح٤٢١٤)، وصححه الألباني (ظلال الجنة ١ / ٢١).

قال ابن تيمية: «ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم: (إن البدعة لا يتاب منها) أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب»^(١).

مباشراً: عدم قبول العمل المحدث: إن هذا المفارق للجماعة، المحدث في دين الله، المخالف لسنة رسول الله ﷺ عمله مردود عليه وإن ظن أنه حسن وصواب، أو كانت نيته حسنة فلا ينفعه ذلك ما دام أنه مخالف للسنة، يقول رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢).

جاء في عشر: الحرمان من شفاعة الرسول ﷺ: ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «رجلان ما تناهما شفاعتي، إمام ظلوم غشوم، وآخر غال في الدين مارق منه»^(٣).

ثاني عشر: البعد عن رحمة الله، والتعرض لعذابه تعالى: إن أهل الفرقة بعيدون عن رحمة الله تعالى، إذ الرحمة تكون لأهل الاتفاق والاتلاف من الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود]، فأهل الاختلاف المذكورين في الآية مباينون

(١) مجموع الفتاوى (٩ / ١٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح ١٧١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٣ / ١)، وصححه الألباني (ظلال الجنة / ١ / ٢٣).

لأهل الرحمة ، معرضون لعذاب الله، قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(١)، فالفرقة وأهلها بعيدون عن رحمة الله، معرضون أنفسهم لعقوبته تعالى.

ثالث عشر: تسلط الشيطان عليه وملازمته له: يقول الله ﷻ: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

رابع عشر: أن هذا المبتدع المرفق لجماعة المسلمين المفارق لصراط الله المستقيم عليه إثم من عمل ببدعته وسار على ضلالتة إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل].
وقال رسول الله ﷺ: «ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»^(٢).

خامس عشر: الوعيد باللعن والطرده من رحمة الله: عن علي ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف»^(٣).

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (ح ١٨٤٤٩)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٣١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (ح ١٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٣١٧٩)، ومسلم (ح ١٣٧٠).

آثار الافتراق على الأمة:

المجتمع يتكون من أفراد، والآثار السيئة التي تلحق أفراد المجتمع هو ضرر للمجتمع كله، ومع ذلك فهناك آثار كبرى تلحق الأمة الإسلامية كلها بسبب الافتراق، فضرر الفرقة على الأمة كبير، وأثرها خطير في دينها ودنياها، ومن ذلك:

أولاً: تسلط الأمة بعضها على بعض، حتى يهلك بعضهم بعضاً: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد إني إذ قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها، ويسبي بعضهم بعضاً»^(١).

ثانياً: الهزيمة والفشل: إن عاقبة الفرقة الفشل، وإن الأمة لن تقوم لها قائمة مع الفرقة والتنازع. يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُ فَفِكَةٌ فَاقْتَبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَفَاشِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال].

ثالثاً: الفرقة سبب لظهور البدع وطوائف الضلال: ما أن تتفرق الأمة، وتخالف أمر الله تعالى لها بالتزام الجماعة إلا وتظهر فرق الضلال مما يزيد الأمة وهناً على وهن، فقد أخبر رسول الله ﷺ عن الخوارج: «أنهم يخرجون في فرقة من الناس»^(٢).

وذلك لأن البدعة مقرونة بالفرقة والاختلاف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البدعة

(١) أخرجه مسلم (ح ٢٨٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٣٦١٠)، ومسلم (ح ١٠٦٤).

مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»^(١)، ذلك أن كل ما ليس من عند الله جل وعلا لا بد فيه من الاختلاف والتفرق والتناقض جزاء وفاقاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢) [النساء].

وكلما كانت البدعة أبعد عن الحق كانت أكثر افتراقاً واختلافاً. قال البغدادي: «وقد حكى أصحاب المقالات أن سبعة من زعماء القدرية اجتمعوا في مجلس ... وافترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم»^(٣).

وابتغياً: ذهاب المحبة والألفة، ووقوع العداوة والبغضاء: يقول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [الروم].

قال الإمام الشاطبي: «وأما أن البدع مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام؛ فلأنها تقتضي التفرق شيعاً»^(٥). فقد أخبر الله ﷻ عن حال أهل الفرقة والاختلاف وما يصيبهم بسبب الافتراق من التنازع والشقاق، وما يلقيه الشيطان بينهم من العداوة والبغضاء، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهَتُوا وَإِنْ نَوَّلُوا فَأَنَّمَاهُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦) [البقرة]. وقال ﷻ: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٧) [الحج].

(١) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ١٨٥).

(٣) الاعتصام (١/ ١٥٦).

المبحث السادس الفرق باعتبار بقائها وانقراضها

تنقسم الفرق من حيث بقاؤها وانقراضها إلى أربعة أقسام:

الأول: فرق انقرضت اسماً وبقيت عقيدة، كالسبئية فإنها وإن انقرض اسمها إلا أن الاثني عشرية الرافضة ورثت عقائدها الغالية، والمعتزلة فإنها - وإن اختفى اسمها - إلا أن عقائدها لا تزال باقية في بعض الفرق، فقد ورثت الزيدية والاثنا عشرية والإباضية كثيراً من عقائد المعتزلة، وكذلك المرجئة والجهمية والقدرية، فهذه الفرق وإن اختفت أسماؤها إلا أنه نشأت فرق أخرى ورثت عقائدها، وتبنت آراءها.

الثاني: فرق انقرضت عقيدة واسماً، مثل الكيسانية أتباع محمد ابن الحنفية، فقد ذكر ابن خلدون أن شيعة محمد ابن الحنفية كانت أكثر شيعة أهل البيت - أي: في عصره - ثم لم تلبث أن تقلص أتباعها حتى اختفت^(١)، وإن بقيت بعض عقائدها لدى الاثني عشرية كعقيدة البداء، وكذلك الفطحية أتباع عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق، وهو أكبر أولاد الصادق^(٢)، قال صاحب الزينة (أبو حاتم الرازي الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٢٢هـ): «وقد انقرضت هذه

(١) تاريخ ابن خلدون (٣/١٧٢).

(٢) وسموا الفطحية؛ لأن عبد الله كان أفتح الرأس، كما يدعون بالعمارية نسبة إلى رئيس لهم يعرف بعمار. وقد ذكر النوبختي أنه مال إلى هذه الفرقة جل مشايخ الشيعة وفقهائها، ولكن عبد الله لم يعيش بعد وفاة أبيه سوى سبعين يوماً، فرجعوا عن القول بإمامته (انظر: مسائل الإمامة ص: ٤٦، فرق الشيعة للنوبختي ص: ٧٧-٧٨، مقالات الإسلاميين ١/ ١٠٢، المحور العين ص: ١٦٣-١٦٤).

الفرقة فليس أحد يقول بهذا القول»^(١).

وكذلك الكاملية الذين كفروا علياً عليه السلام لأنه ترك منازعة الصحابة عليهم السلام ومنعهم من مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، وكفروا سائر الصحابة عليهم السلام؛ لأنهم لم يسلموا الإمامة لعلي عليه السلام، ومثلها الغرابية التي قالت: إن محمداً صلى الله عليه وآله كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وأن الله تعالى بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي عليه السلام فغلط جبريل عليه السلام وأنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وآله، وكاهشامية أتباع هشام بن الحكم القائلين بالتجسيم، وكغلاة القدرية نفاة العلم، فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنهم انقرضوا ولم يعد لهم وجود، ولا يعرف أحد ينسب إليها من المتأخرين^(٢).

الثالث: فرق انقرضت عقيدةً وبقيت اسماً، كالشيعة الأولى المفضلة الذين يفضلون علياً عليه السلام على عثمان رضي الله عنه، مع تقديمهم للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد اختفى الاسم المعبر عن هذه الطائفة، وأصبح لقب الشيعة إذا أطلق ينصرف إلى غلاة الرافضة، ذلك أن الشيعة

(١) الزينة (ص: ٢٨٧).

(٢) انظر: مسائل الإمامة (ص: ٤٥)، المقالات والفرق (ص: ١٤)، مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩)، الفرق بين الفرق (ص: ٥٤)، الملل والنحل (١ / ١٧٤).

(٣) انظر: الفصل (٥ / ٤٢)، الفرق بين الفرق (ص: ٢٥٠)، التبصير في الدين (ص: ٧٤)، المنية والأمل (ص: ٣٠)، التنبيه والرد (ص: ١٥٨)، وسماها (الجمهورية).

(٤) وربما جاء في كتب الاثني عشرية ما يعبر عن مذهبها بألفاظ مختلفة، فقد جاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل. ومن يتبعني علمه عند غير علي هلك» (وسائل الشيعة ١٨ / ١٣٨، وانظر: بحار الأنوار ٧ / ٣٠٢، ١٩ / ٢٣، بشارة المصطفى، للطبري (الرافضي) ص: ١٦، أمالي الصدوق ص: ٤٠). فما الفرق بين مقالة الغرابية، ونص الاثني عشرية؟! إن الاثني عشرية أعطوا علياً الرسالة بدون دعوى الغلط، وزعموا أن رسالة النبي صلى الله عليه وآله هي التعريف بعلي فقط.

(٥) انظر: فتح الباري (١ / ١١٩).

الأولى لما رأوا الغلاة قد انتحلوا هذا اللقب تركوه واكتفوا باسم السنة والجماعة، كما يشير صاحب التحفة الاثني عشرية إلى ذلك فيقول: «إن الشيعة الأولى تركوا اسم الشيعة لما صار لقبًا للروافض والإسماعيلية، ولقبوا أنفسهم بـ (أهل السنة والجماعة)»^(١). وأما عقيدتهم فقد اختلفت وانقرضت بعد أن استقر مذهب أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان على علي عليه السلام.

الرابع: فرق بقيت اسمًا وعقيدة، وذلك مثل الخوارج، والاثني عشرية، والإسماعيلية، والزيدية، وغيرها.

(١) التحفة الاثنا عشرية (ورقة: ٢٥-٢٦) (مخطوط).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٧٢٧).

المبحث السابع أصول الفرق

اختلف العلماء في تعيين أصول الفرق، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «يوسف بن أسباط (ت ١٩١ هـ تقريباً)»، وعبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)» - وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين - قالوا: أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، فقييل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب: بأن أولئك ليسوا من أمة محمد ﷺ، وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية، وهذا الذي قاله اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا: إن الجهمية كفار»، فلا يدخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام وهم الزنادقة.

وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم: بل الجهمية داخلون في الاثنتين والسبعين فرقة وجعلوا أصول البدع خمسة، فعلى قول هؤلاء: يكون كل طائفة من المبتدعة الخمسة اثنا

(١) انظر: السنة، لابن أبي عاصم (٢/ ٦٥٧)، الشريعة، للأجوري (١/ ٣٠٣).

(٢) انظر: شرح السنة، للبرهاري (ص: ١٢٨-١٢٩).

(٣) «وهذا أرادوا به التجهم المحض الذي كان عليه جهم نفسه ومتبعوه عليه، وهو نفي الأسماء مع نفي الصفات» (مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٤٧).

عشر فرقة^(١)، وعلى قول الأولين: يكون كل طائفة من المبتدعة الأربعة ثمانية عشر فرقة^(٢).

ويبين الطرطوشي مراد العلماء بأصول الفرق، فيقول: «اعلم أن علماءنا رضي الله عنهم قالوا: أصول البدع أربعة، وسائر الأصناف الثنتين وسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا وتشعبوا، وهم: الخوارج - وهي أول فرقة خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والروافض، والقدرية، والمرجئة. ولم يُرد علماؤنا أن أصل كل بدعة من هؤلاء الأربع تفرعت وتشعبت على مقتضى أصل البدع، حتى كملت ثلاثاً وسبعين فرقة؛ فإن ذلك لعله لم يدخل في الوجود إلى الآن، وإنما أرادوا أن كل بدعة وضلالة لا تكاد توجد إلا في هذه الأربع فرق، وإن لم تكن البدعة الثانية فرعاً للأولى وشعبة من شعبها، بل هي بدعة مستقلة بنفسها، ليست من الأولى بسبب. وبيان ذلك بالمثال: أن القدر أصل من أصول البدع، ثم اختلف أهله في مسائل من شعب القدر، وفي مسائل لا تعلق لها بالقدر...»^(٣).

وقال الشاطبي أيضاً: «وقال جماعة من العلماء: أصول البدع أربعة، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا، وهم: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة. قال يوسف بن أسباط: ثم تشعبت كل فرقة ثمان عشرة فرقة: فتلك ثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون هي الناجية»^(٤).

ويرى ابن حزم أن أصول الفرق خمسة، فيقول: «فرق المقرين بملة الإسلام خمسة، وهم:

(١) كذا بالأصل، وهو غير مستقيم؛ لأن المجموع حينئذ يكون ستين فرقة!

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠-٣٥١).

(٣) الحوادث والبدع (ص: ٣٣).

(٤) الاعتصام، للشاطبي (٣/ ١٥٠).

أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، ثم افرقت كل فرقة من هذه على فرق^(١).

وقال السفاريني: «قال بعض أهل العلم: أهل البدع خمسة - يعني: من جهة أصولها -، ثم كل فرقة تتشعب وتتفرق فرقاً شتى» ثم ذكرها، وهي: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة، والجبرية^(٢).

ويذهب الإمام ابن الجوزي إلى أن أصول الفرق ستة، فيقول: «وقد ظهر لنا من أصول الفرق: الحرورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية»^(٣).

ومنهم من بلغ بها أكثر من ذلك، قال الإمام الشاطبي: «فمنهم من عد أصولها ثمانية، فقال: كبار الفرق الإسلامية ثمانية: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة، والنجارية، والجبرية، والمشبهة، والناجية»^(٤).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٨٨).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١ / ٧٦).

(٣) تلييس إبليس (ص: ١٩).

(٤) الاعتصام للشاطبي (٣ / ١٤٦).

المبحث الثامن أصول شبهات الفرق

أولاً: أصل شبهة الخوارج:

الخوارج ومن اتبعهم من المعتزلة اعتمدوا على نصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد، فقالوا: مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا، ومخلد في النار في الآخرة.

والمراد بنصوص الوعيد: النصوص التي فيها توعدهم للعصاة بالعذاب والنكال.

ومنها: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١١﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝١٣﴾ [النساء]، ونحو قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(١)، وقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٢).

ولما تعلقوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد وضعوا أصلاً بدعيًا، وهو أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب جميعه، ولذا كفروا أصحاب الذنوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان، فذهب سائرهم، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (ح ٢٤٧٥)، ومسلم (ح ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٤٨)، ومسلم (ح ١١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٠).

وقال أيضاً: «وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان؛ فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء»^(١). وقال: «وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض»^(٢).

ثانياً: أصل شبهة المرجئة^(٣):

غلاة المرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد. والمراد بنصوص الوعد: النصوص المتضمنة وعد الله لأهل طاعته بالثواب والجزاء الحسن والنعيم المقيم.

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]، وقوله ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»^(٤). وقوله ﷺ في حديث أبي ذر رضى الله عنه: «من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الخوارج والحرورية والمعتزلة، قالوا: إن أهل الكبائر يخلدون فيها، ومن دخلها لم يخرج منها بشفاعة محمد ﷺ ولا غيره، وكذبوا.

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٥).

(٣) قدمنا ذكر شبهة المرجئة؛ لأنها في مقابلة بدعة الخوارج، ولم نراع هنا الترتيب الزمني.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٩)، ومسلم (١٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (١٥٣).

وعارض هؤلاء قوم من المرجئة: زعموا أن الإيمان حاصل من الخلق جميعهم، وأن إيمان الملائكة والأنبياء والصديقين كإيمان أهل الكبراء وكذبوا، وكل هؤلاء ضالون، فالطائفة الأولى: نظروا إلى نصوص الوعيد، والثانية: نظروا إلى نصوص الوعد. وأما أهل السنة: فأمنوا بكل ما جاء من عند الله ولم يضربوا بعض ذلك ببعض^(١).

ولما تعلقوا بنصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد وضعوا أصلاً بدعيًا يقوم على أن الإيمان لا يتجزأ، فلا تؤثر فيه معصية، ولا تنقصه الذنوب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل قول المرجئة وهو أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه؛ فلا يكون إلا شيئاً واحداً فلا يكون ذا عدد: اثنين أو ثلاثة فإنه إذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه بل لا يكون إلا شيئاً واحداً، ولهذا قالت الجهمية: إنه شيء واحد في القلب. وقالت الكرامية: إنه شيء واحد على اللسان كل ذلك فراراً من تبعض الإيمان وتعددته^(٢)».

قال ابن أبي العز الحنفي: «إذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى^(٣)».

فنصوص الوعد التي يحتج بها المرجئة تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها الخوارج^(٤)، فيحتج هؤلاء بنصوص الوعيد وعمومها، ويعارضهم هؤلاء بنصوص الوعد وعمومها^(٥). ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد

(١) مختصر الفتاوى المصرية (١/ ٢٥١-٢٥٢) بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٣).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٤).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٥).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٨٤).

وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها»^(١).

ثالثاً: أصل شبهة الرافضة:

أصل بدعة الرفض كان من إحداه الزنادقة وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ الذي أراد إفساد دين الإسلام كما أفسد بولس دين النصارى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصلهم ومادتهم منافقون، اختلقوا أكاذيب، وابتدعوا آراء فاسدة، ليفسدوا بها دين الإسلام، ويستزلوا بها من ليس من أولي الأحلام»^(٢).

وقال أيضاً: «فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له، وأصل من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الأول عبد الله بن سبأ»^(٣).

وأما أصلهم الذي وضعوه أساساً لزندقتهم وبدعتهم فهو دعوى النص والوصية بالإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل قول الرافضة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصّ على عليّ بن أبي طالب نصّاً قاطعاً للعدر؛ وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم؛ واتبعوا أهواءهم وبدّلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفراً قليلاً بضعة عشر أو أكثر»^(٤).

وقال عبد القاهر البغدادي: «كان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٤٩٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦ / ٣٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢ / ٣٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٦).

لكل نبيٍّ وصياً وأن علياً وصي محمد، وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء»^(١).
وقال الشهرستاني: «وكان [أي ابن سبأ] في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام مثل ما قال في علي عليه السلام، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي عليه السلام، ومنه انشعبت أصناف الغلاة»^(٢).

رابعاً: أصل شبهة القدرية:

مصطلح «القدرية» يطلق عند أصحاب المقالات ويراد به فرقتان:

الأولى: القدرية النفاة، وهم الذين يطلق عليهم أكثر العلماء اسم (القدرية)، وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد، وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره. فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردّها ولم يشأها منهم، بل هم الذين أرادوها وشأؤوها، وفعلوها استقلالاً بدون مشيئة الله^(٣).

وأصل مذهب القدرية النفاة - كما قال ابن تيمية - أن «أفعال الحيوان» تحدث بلا فاعل^(٤).

الثانية: القدرية المثبتة (المجبرة أو الجبرية)، وإنما أدخلوا في مسمى القدرية المذمومين لخوضهم في القدر بالباطل^(٥)، وهم غلاة الجهمية الذين يزعمون أن عموم مشيئة الله، وعموم

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٢٥).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٣) انظر: الدرّة البهية شرح القصيدة التائية، للسعدي (ص: ١٧).

(٤) أي: أفعال الأحياء.

(٥) منهاج السنة النبوية (٣/ ١٢٧).

(٦) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (١/ ١٤٩).

إرادته تقتضي أن العبد مجبور على أفعاله، مقسور مقهور على أقواله وأفعاله، ولا قدرة له على شيء من الطاعات، ولا على ترك المعاصي^(١).

فالجبرية عملوا بالنصوص الدالة على أن الله خالق كل شيء، وأن كل شيء بقدر الله وقضائه ومشئته وغلوا في إثبات القدر، وأغفلوا ما دل منها على أن للعبد فعلاً وقدرة وإرادة وأعرضوا عن الشرع.

والقدرية النفاة أخذوا بالنصوص الدالة على أن العبد هو الفاعل لفعله على الحقيقة، وأن له قدرة وإرادة، ومشئته، واختياراً، وغلوا في ذلك حتى جعلوا العبد خالقاً لفعله، وأهملوا ما دل منها على خلق الله لأفعال عبده وعموم قدرته عليها، ومشئته لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا افترق القدرية والجبرية على طرفي نقيض وكلاهما مصيب فيما أثبتته دون ما نفاه»^(٢).

قال ابن أبي العز: «فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مرید ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مرید له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشئته وقدرته.

فإذا ضمنت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل

(١) انظر: الدرر البهية شرح القصيدة الثانية (ص: ٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٧٥).

عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم^(١).

ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب الجبرية أشنع وأفح من مذهب القدرية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعتزلة ونحوهم - من القدرية الذين أنكروا القدر - هم في تعظيم الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من هؤلاء الجبرية القدرية الذين يعرضون عن الشرع والأمر والنهي^(٢)»، وقال أيضًا: «المعتزلة من القدرية أصلح من الجبرية والمرجئة ونحوهم في الشريعة علمها وعملها^(٣)».

وأصل شبهة القدرية مبني على التسوية بين المشيئة والمحبة، فيجعلون المشيئة والإرادة والمحبة والرضا نوعًا واحدًا، ويجعلون المحبة والرضا والغضب بمعنى الإرادة، وأما أهل السنة فيفرون بين الإرادة وبين المحبة والرضا، فيقولون: إنه وإن كان يريد المعاصي فهو لا يجبرها ولا يرضاها، بل يبغضها ويسخطها وينهى عنها، وهؤلاء يفرقون بين مشيئة الله وبين محبته. وهذا قول السلف قاطبة^(٤).

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٤٠)، وانظر: شفاء العليل (١/ ٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٤٢).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ١٤-١٥).

المبحث التاسع

أصول المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الفرق

الأصل الأول: أسماء الله وصفاته: فأهل التعطيل (الجهمية) ينكرون صفات الله، وأهل التمثيل (المجسمة) يثبتونها مع التمثيل، وأهل السنة وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، فيثبتونها لله تعالى على ما يليق بكماله وجلاله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

الأصل الثاني: القضاء والقدر أو أفعال الله: فالجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار، والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله، وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إن له قدرة واختياراً أو دعماً الله فيه متعلقين بقضاء الله.

الأصل الثالث: الوعيد بالعذاب: فالوعيدية (الخوارج والمعتزلة) يقولون: فاعل الكبيرة مخلد في النار، والمرجئة يقولون: لا يدخل النار ولا يستحق ذلك، وأهل السنة يقولون: مستحق لدخول النار دون الخلود فيها، وقد يعذب على قدر ذنوبه، وقد يعفو الله عنه، فهو تحت المشيئة.

الأصل الرابع: أسماء الإيوان والدين: فالمرجئة يسمون فاعل الكبيرة مؤمناً كامل الإيمان، والخوارج يسمونه كافراً، والمعتزلة يقولون: لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتين،

وأهل السنة يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

الإطل الخاص: أصحاب النبي ﷺ، فالروافض بالغوا في حب آل النبي ﷺ وغلوا فيهم حتى أنزلوهم فوق منزلتهم، والخوارج يبغضونهم ويسبونهم، وأهل السنة يجنون الصحابة جميعهم وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها من غير غلو ولا تقصير^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً وسطية أهل السنة بين هذه الفرق: «فهم وسط في: باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل (الجهمية)، وبين أهل التمثيل (المشبهة).

وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين (القدرية)، و(الجزرية).

وفي باب وعيد الله بين (المرجئة)، وبين (الوعيدية) من (القدرية) وغيرهم.

وفي باب الإيمان والدين بين (الحرورية) و(المعتزلة)، وبين (المرجئة) و(الجهمية).

وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين (الروافض)، وبين (الخوارج)^(٢).

(١) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز الرشيد (ص: ١٨٧-١٩١)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين

(٤/ ٢٩١-٢٩٢).

(٢) العقيدة الواسطية (ص: ٨٢).

المبحث العاشر الحكم على الفرق

لابد عند الحكم على الفرق المنتسبة إلى الإسلام من التفريق بين المقالة والقائل، فقد تكون المقالة كفرًا، أو بدعة أو فسقًا، والقائل لا يكون كافرًا، أو مبتدعًا، أو فاسقًا، إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع.

فإنما الحكم على مقالات الفرق، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو بدعة غير مكفرة، ومنها ما اختلف فيه، قال الإمام الشاطبي: «البدع إذا تؤمل معقولها وجدت رتبها متفاوتة، فمنها ما هو كفر صراح... ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر، أو يختلف: هل هي كفر أم لا! كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة»^(١).

وقال الشيخ حافظ الحكمي: «ضابطها [أي البدع المكفرة] من أنكر أمرًا مجتمعا عليه متواترا من الشرع معلوما من الدين بالضرورة؛ لأن ذلك تكذيب بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله ﷻ، والقول بخلق القرآن أو خلق أي صفة من صفات الله ﷻ، وإنكار أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم موسى تكليما وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه وغير ذلك من الأهواء، ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه، فهذا مقطوع بكفره، بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدو له،

(١) الاعتصام (٢) / ٣٥٤.

وآخرون مغرورون ملبس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها»^(١).

وقال عن البدع غير المكفرة: «هي ما لم تكن كذلك مما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسوله»^(٢).

وأما الحكم على الفرق، فمنها فرق خارجة عن الإسلام بالإجماع، وإن انتسبت إلى الإسلام في الظاهر، كغلاة الجهمية، وغلاة الرافضة^(٣)، والدروز، والنصيرية، والبابية، والبهائية، والقاديانية، وأمثالها، قال الإمام ابن القيم: «وأما غالبية الجهمية فكغلاة الرافضة، ليس للطائفتين في الإسلام نصيب»^(٤).

ومن انتسب منهم إلى الإسلام في الظاهر فحكمه حكم المنافقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء [يعني: القرامطة وأمثالهم] لا ريب أنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة، وإذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منافقين كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ»^(٥). ومنها فرق لم يخرجوا عن الإسلام بالإجماع، وإن وقعوا في شيء من البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما السلف والأئمة فلم يتنازعوا في عدم تكفير المرجئة والشيعة المفضلة ونحو ذلك، ولم تختلف نصوص أحمد في أنه لا يكفر هؤلاء»^(٦).

(١) أعلام السنة المنشورة (ص: ١٢١).

(٢) أعلام السنة المنشورة (ص: ١٢١-١٢٢)، وانظر: معارج القبول (٣/ ١٢٢٨-١٢٢٩).

(٣) كالإساعيلية والائثني عشرية في عصرنا.

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٦٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤٧).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥١-٣٥٢).

ومنها فرق اختلف في الحكم عليها، كالخوارج، قال الإمام الشاطبي: «وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء الفرق أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر وبحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم، والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم. ألا ترى إلى صنع علي بن أبي طالب عليه السلام في الخوارج؟ وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فإنه لما اجتمعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهيجهم علي ولا قاتلهم، ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم؛ لقوله عليه السلام: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١)، ولأن أبا بكر رضي الله عنه خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم، فدل ذلك على اختلاف ما بين المسألتين. وأيضا حين ظهر معبد الجهني وغيره من أهل القدر لم يكن لهم من السلف الصالح إلا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران، ولو كانوا خرجوا إلى كفر محض لأقاموا عليهم الحد بالقتل كالمرتدين، وعمر بن عبد العزيز أيضا لما خرج في زمانه الحرورية بالموصل أمر بالكف عنهم على ما أمر به علي عليه السلام ولم يعاملهم معاملة المرتدين»^(٢).

وقال ابن تيمية: «الناس مضطربون في هذه المسألة [أي: تكفير أهل الأهواء]، وقد حكى عن مالك فيها روايتان، وعن الشافعي فيها قولان، وعن الإمام أحمد أيضا فيها روايتان، وكذلك أهل الكلام، فذكروا للأشعري فيها قولين، وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل»^(٣).

ولكن عند التأمل في هذا الخلاف يتبين بأنه ليس بخلاف في الحقيقة؛ ذلك لأن من حكم

(١) أخرجه البخاري (ح ٣٠١٧).

(٢) الاعتصام (٣/ ١١٥-١١٧).

(٣) المسائل الماردينية (ص: ١٥٣-١٥٤).

بكفرهم أراد الحكم على المقالة، ومن لم يحكم بكفرهم أراد الحكم على القائل؛ لأنه لا يحكم بكفر المعين إلا بعد ثبوت شروط وانتفاء موانع^(١)، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية -بعد أن حكى الخلاف في تكفيرهم-: «وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرًا، فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»^(٢).

وعدم التفرقة في الحكم بين المقالة والقائل هو الموجب للنزاع بين من يطلق القول بكفر أهل الأهواء وبين من لا يكفرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وسبب هذا النزاع تعارض الأدلة؛ فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم، ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيذان ما يمتنع أن يكون كافرًا، فيتعارض عندهم الدليلان، وحقيقة الأمر: أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع»^(٣)، كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر اعتقد المستمع أن هذا

(١) وهي: ثبوت شرط العقل وانتفاء الجنون، وثبوت شرط القصد وانتفاء الخطأ والغفلة والسهو، وثبوت شرط العلم وانتفاء الجهل والتأويل السائغ بعذر، ولا بد مع ذلك من بلوغ الحجة وفهمها، وتفصيل ذلك في مسائل الإيذان من كتب الاعتقاد.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٥).

(٣) يقصد ابن تيمية بالأولين ما ذكره سابقًا من انحراف الوعيدية من الخوارج والمعتزلة حين تعلقوا بعموم نصوص الوعيد، وانحراف غلاة المرجئة في المقابل حين تعلقوا بعموم نصوص الوعد، والذي عليه أهل السنة أن كلا العمومين مخصوص، فعموم نصوص الوعيد مخصوصة بعدم التوبة، وعموم نصوص الوعد مخصوصة بالتوحيد وعدم الشرك، وبيان ذلك أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبذ للأعمال، ونصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة، فمثلاً: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا

﴿النساء﴾، على عمومها، لكن لا يشهد للمعين بأنه في النار؛ لأننا لا نعلم حقوق الوعيد له بعينه، لأن لحوق الوعيد

اللفظ شامل لكل من قاله، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتقي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة: الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه^(١).

فلا بد قبل وصف الرجل بالكفر أو البدعة منه قيام أصليه:

الأول: قيام الدليل الشرعي المقتضي للتكفير أو التبديع، بأن يكون عندنا من الله برهان بأن هذه المقالة كفر؛ لأن التكفير حكم شرعي يتلقى عن الله ورسوله، ولا مدخل للعقل أو الاجتهاد فيه.

الثاني: ثبوت شروط التكفير أو التبديع وانتفاء موانعها في حق المعين.

= ويرى ابن تيمية أن اختلاف الأئمة في فهم كلام السلف في الحكم على أهل الأهواء من جنس اختلاف الوعيدية وغلاة المرجئة في فهم نصوص الوعد والوعيد، وأن تحرير مذهبهم هو التفصيل المذكور. انظر للتفصيل: مجموع الفتاوى (١٢) / (٤٧٩) وما بعدها.

(١) مجموع الفتاوى (١٢) / (٤٨٧-٤٨٨).

المبحث الحادي عشر منهج أهل السنة في التعامل مع أهل الفرق

أولاً: أهل البدع لا يكفرون ما لم تكن البدعة مكفرة، فمن جاء ببدعة مكفرة قام الدليل الشرعي على أنها كفر وثبتت شروط التكفير في حقه، وانتفت موانعه، فهو كافر يعامل معاملة الكافرين، ومن أخفاها فهو منافق، ومن انتسب إليهم ولم يقل بمقالاتهم الكفرية فعليه إثم من كثر سواد البدعة.

ثانياً: يجب بيان الحق لهم بإبلاغهم السنة، وتبصيرهم بالبدعة، وتحذيرهم منها بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فإن ذلك من الجهاد في سبيل الله، وكلما جد أئمة السنة في ذلك ضعفت البدعة، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة^(١)، قال عبد الله بن المبارك: «إذا خفيت السنة ظهرت الأهواء»^(٢).

ثالثاً: وجوب العدل معهم وعدم ظلمهم، فإن الظلم حرام مطلقاً، والعدل واجب مطلقاً، وقد أخذ سلفنا الصالح بمبدأ العدل مع طوائف البدع وغيرها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء [يعني من طوائف البدع] خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا ما يعترفون به، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضاً»^(٣). وقد أقروا في كتبهم بأمانة أهل السنة

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٤).

(٢) الصواعق المرسله (٣/ ١٠٤٨).

(٣) منهاج السنة (٥/ ١٥٧-١٥٨).

ووفائهم وصدقهم، وكذب الرافضة وقلة وفائهم^(١)، وإقرار المخالف أشد وقعاً في النفس من تأييد الموافق، وقد قيل: الحق ما شهدت به الأعداء.

رابعاً: لا بد من بيان حالهم للأمة - حسب المصلحة الشرعية - بدون تقليل أو تهويل، فلا يتعدى الصدق، ولا يقلل من الواقع، ولا يفترى عليهم، ولا ينسب إليهم ما لم يقولوه، ولا يُرموا بما لم يفعلوه، كما لا يجوز أن تنسب إليهم لوازم أقوالهم ومآلات مذاهبهم على أنها أقوال ومذاهب لهم، فإن لازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يلتزمه صاحبه.

يقول الإمام القرافي: «أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يُشهر الناس فسادها وعيبتها، وأنهم على غير الصواب ليحذرهما الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها، وينفر عن تلك المفاسد ما أمكن، بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق، ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه، بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة، فلا يقال على المبتدع أنه يشرب الخمر ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه»^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك

(١) أما شهادتهم لأهل السنة بهذه الأوصاف فاستمع إلى بعضها منقولة من مصادرهم المعتمدة لديهم في أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٥٧) وما بعدها، وانظر اعترافهم بتبث أهل السنة في الرواية، وإقرارهم بأنهم يقدمون ويؤخرون ويزيدون وينقصون فيما يروون في: مسألة التقريب (١/ ٥٧-٥٨).

(٢) الفروق (٤/ ٢٠٧-٢٠٨).

واجب على الكفاية باتفاق المسلمين»^(١).

خامساً: تشرع مناظرتهم عند الحاجة مناظرة مناصحة لا مكايده كما يقول الإمام ابن بطة^(٢)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وُقِيَ بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»^(٣)، فالرأى على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد^(٤)، وقد ناظر ابن عباس الخوارج، فرجع منهم أربعة آلاف للسنة والجماعة^(٥).

سادساً: لا يجوز أن يتولى الرد على أهل البدع ومناظرتهم إلا صاحب علم وبصيرة وحجة ومعرفة للحق بأدلته، وإدراك للباطل وكيفية الرد على شبهاته، فمن لا علم عنده، ولا قدرة لديه على إقامة الحجة على المبتدع ورد ضلالاته، ودحض شبهاته لا يسوغ له الدخول في مجادلة المبتدع ومناظرته.

سابعاً: مشروعية الهجر الشرعي، وهو نوعان:

الأول: هجر البدعة.

والثاني: هجر المبتدع.

فالأول: داخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢١٣ - ٢٣٢).

(٢) انظر: الإبانة (٢ / ٥٤٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣٥٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤ / ١٣).

(٥) انظر: البداية والنهاية (٧ / ٣٠٧)، ومناظرة ابن عباس أخرجهما عبد الرزاق في المصنف (١٨٧٨)، وأحمد (١ / ٣٤٢)، وأبو

عبيد في الأموال (٤٤٤)، والحاكم (٢ / ١٥٠ - ١٥٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ٣١٨ - ٣٢٠)، والبيهقي في السنن

الكبرى (٨ / ١٧٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ١٠٣ - ١٠٤)، وغيرهم.

حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَامًا يُنْسِبُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام]. ومنه قوله ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(١)، ومنه النصوص المستفيضة عن السلف في النهي عن الاستماع إليهم ومحاورتهم.

والنوع الثاني: هجر المبتدع، وهو بمنزلة التعزير، والتعزير يكون لمن ظهر منه الابتداع، كالداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما إذا كانت البدعة ظاهرة - تعرف العامة أنها مخالفة للشريعة - كبدعة الخوارج، والروافض والقدرية والجهمية فهذه على السلطان إنكارها؛ لأن عملها عام، كما عليه الإنكار على من يستحل الفواحش، والخمر، وترك الصلاة، ونحو ذلك»^(٢).

كما يهجر المبتدع حتى ينتهي عن إظهار بدعته، ولا يؤخذ عنه العلم، ولا يستشهد ولا يقدم في الصلاة وتترك عيادته ولا تشيع جنازته، بل لا يكلم ولا يجالس، ولا يسلم عليه إلى آخر أنواع الهجر.

ولابد من مراعاة المصلحة الشرعية للهجر؛ فإن المقصود زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ودرء ضرره عن جلسائه، ولذلك فإنه ينظر في الهجر إلى المنافع والمفاسد، والقدرة والعجز، وهذا يختلف من بلد إلى آخر، ومن مبتدع إلى آخر، ومن بدعة إلى أخرى.

ثامناً: مشروعية مباهلة المخالف^(٣) إذا أصرَّ بعد البيان وإقامة الحججة، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى - عليه الصلاة والسلام - بعد ظهور البيان، قال

(١) أخرجه البخاري (ح ١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٩).

(٣) المباهلة هي الملاعبة والمقصود منها أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦٧).

تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وبذلك جاءت السنة فقد ثبت أن الرسول ﷺ أراد مباهلة نصارى نجران^(١).

وهو دليل على مشروعية مباهلة المخالف من يهودي، أو نصراني، أو مبتدع، أو غيرهم، قال ابن حجر: «وفي قصة أهل نجران من الفوائد... مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحججة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك، ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة، فلم يقم بعدها غير شهرين»^(٢).

وقد عزم شيخ الإسلام ابن تيمية على المباهلة لمن ادعى أن لديه أسراراً مخزونة وعلوماً مصونة؛ لأن ذلك كما يقول الشيخ متعلق بأصول الدين^(٣).

وشرطها:

- ١ - إقامة الحججة على المخالف قبل مباهلته.
- ٢ - إصراره على باطله بعدما تبين له الحق.
- ٣ - أن يكون خلافه في حق ثابت لا مرية فيه، وليس له في خلافه تأويل سائغ.

(١) قال المهايمي: «(الحق) أي: الثابت الذي لا يقبل التأويل جاء ﴿مَنْ رَدَّكَ﴾ [آل عمران: ٦٠] الذي رباك بالاطلاع على الحقائق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْتَهِينَ﴾ وإذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ أي جادلته فيه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ القطعي ﴿فَقُلْ﴾ لم يبق بيننا وبينكم مناظرة، ولكن نرفع عنادكم بطريق المباهلة" تفسير القرآن، للمهايمي (١/١١٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري. كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (ح ٤٣٨٠)، المسند (١/٤١٤)، سيرة ابن هشام (٢/٢٢٢ - ٢٢٣)، طبقات ابن سعد (١/٣٥٧)، زاد المعاد (٣/٦٢٩).

(٣) فتح الباري (٨/٩٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٨٢).

المبحث الثاني عشر مصادر الفرق

طريقة علماء المقالات في ترتيب الفرق:

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأئمة المتقدمين سلكوا في ترتيب الفرق إحدى

طريقتين:

الأولى: الترتيب التاريخي، وهو ترتيب الفرق حسب تاريخ نشأتهم وبداية ظهورهم،

فبدأوا بالخوارج باعتبار أنها أول فرقة خرجت عن الجماعة.

الثانية: الترتيب الموضوعي، وهو أن يرتبهم على حسب خفة بدعتهم وغلظها،

فيبدأون بالبدعة الصغرى ويختمون بالكبرى، فيبدأون - مثلاً - بالمرجئة ويختمون بالجهمية

كما فعله البخاري في صحيحه؛ فإنه بدأ بكتاب الإيمان والرد على المرجئة، وختمه بكتاب

التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، وفعله أيضًا كثير من أصحاب الإمام أحمد، كعبد الله

ابنه، والخلال، وأبي عبد الله بن بطة، وأمثالهما، كأبي الفرج المقدسي^(١).

أما المصنفون في الفرق والمقالات فلكلّ منهم في ترتيب الفرق منهجه الخاص في

التبويب والتقسيم وتعداد الفرق، فيذكر الشهرستاني أن لأصحاب كتب المقالات طريقتين في

الترتيب:

أحدهما: أنهم وضعوا المسائل أصولًا، ثم أوردوا في كل مسألة مذهب طائفة طائفة

وفرقة فرقة.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣ / ٤٩).

والثاني: أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم أوردوا مذاهبهم، في مسألة مسألة^(١). فلهم طريقتان: الترتيب على المسائل العقديّة، أو على الرجال الذين ابتدعوا تلك المسائل.

لكن الشهرستاني ينتقد طريقتهم في إيراد المذاهب، فيقول: «إنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر، وأصل مستمر»^(٢).

طريقة علماء المقالات في دراسة الفرق:

سارت المصادر في دراسة الفرق على إحدى الطريقتين التاليتين:

الأولى: تتمثل في مصادر تذكر الفرق دون الانتصار لمذهب على آخر، حيث تعرض المقالات دون نقدها، مثل: مقالات الإسلاميين للأشعري، والملل والنحل للشهرستاني.
الثانية: مصادر تذكر مقالات الفرق مع نقدها والرد عليها، مثل الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، والفرق بين الفرق، للبغدادى، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليميني.

أهم المصادر العامة في الفرق:

١ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:

للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ على المشهور)، وهو «أقدم كتاب وصل إلينا من المصنفات المفصلة بعض التفصيل في هذا الموضوع»^(٣).

وقد كشف الأشعري في مقدمة كتابه (المقالات) عن الباعث له على التأليف في هذا الموضوع، وقدم من خلال ذلك تقويماً إجمالياً عاماً للمصنفات الموجودة في عصره وقبله،

(١) الملل والنحل (١/ ١٤).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٤).

(٣) مقدمة مقالات الإسلاميين، محمد محيي الدين عبد الحميد (ص: ٤).

فقال: «رأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنفون في النحل والديانات، من بين مقصر فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفه، ومن بين معتمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمسست شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار»^(١).

وكتابه مؤلف من قسمين:

الأول: ذكر فيه الجليل من الكلام، فذكر الفرق ومقالاتها، وقد شغل ذكر مقالات المعتزلة نحو ثلث هذا الجزء، وذلك راجع إلى خبرته بمقالاتها من جهة؛ فقد كان على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وإلى قوة هذه الفرقة في عصره من جهة أخرى وانتشار مذهبها. وقد قسم الأشعري الفرق إلى عشرة أصناف، وهي: (الشيع، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والضرارية، والحسينية، والبكرية، والنسك أو الصوفية، وأصحاب الحديث، والكلابية أصحاب عبد الله بن كلاب القطان).

الثاني: ذكر فيه الدقيق من الكلام، وقد رتبته على المسائل والمقالات، حيث جعلها أصولاً، ثم أورد في كل مسألة مذهب طائفة طائفة، وعنونه بقوله: «هذا ذكر اختلاف الناس في الدقيق».

ومما تميز به كتاب الأشعري الدقة في النقل، فإذا كان عالماً بصحة المقالة أو خطئها جزم بذلك^(٢)، وإذا شك أو ظن ذكر ذلك دون جزم^(٣).

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٥٨٦).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٧٣، ٥٨٨، ٣٣٤).

وقد أثنى شيخ الإسلام على كتاب المقالات، ووصفه بأنه «أجمع الكتب التي رآها في مقالات الناس المختلفين في أصول الدين .. وقد ذكر فيه من المقالات وتفاصيلها ما لم يذكره غيره»^(١)، وقال في موضع آخر: «كتاب المقالات للأشعري أجمع هذه الكتب وأبسطها، وفيه من الأقوال وتحريرها ما لم يوجد في غيرها»^(٢).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية طريقة الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين)، فقال: «إنه ينقل مقالات الناس نقلًا مجردًا»^(٣)، أي دون انتصار لقول أو طائفة^(٤)، وهذا ما نراه في كتابه المطبوع.

ثم يشير ابن تيمية إلى الميزات التي يحظى بها كتاب المقالات للأشعري في حكاية مقالات الناس، فيذكر منها:

- أ - أنه ذكر في المقالات مقالة المعتزلة مفصلة وبين فضائهم وتناقض أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره؛ لأنه كان منهم، وكان قد درس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة، وكان ذكيًا، ثم رجع عنهم وصنف في الرد عليهم.
- ب - يذكر أيضًا مقالات الخوارج والروافض، لكن نقله لها من كتب أرباب المقالات لا عن مباشرة منه للقاتلين، ولا عن خبرة بكتبهم، ولكن فيها تفصيل عظيم.
- ج - يذكر مقالة ابن كلاب عن خبرة بها ونظر في كتبه.
- د - يذكر اختلاف الناس في القرآن من عدة كتب.
- هـ - يذكر مقالة أهل السنة والحديث ذكرا مجملًا تلقى أكثره عن زكريا بن يحيى

(١) منهاج السنة (٥/٢٧٥).

(٢) منهاج السنة (٦/٣٠٣).

(٣) منهاج السنة (٥/٢٦٨).

(٤) وإن كان قد انتصر في آخر كتابه لمذهب أهل الحديث - في الجملة -.

الساجي“، وبعضه عمن أخذ عنه من حنبلية بغداد ونحوهم، وأين العلم المفصل من العلم المجمل، وقد انتقد ابن تيمية الأشعري في نقله لمذهب أهل السنة، وقال بأنه ذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم، وليس في جنسه أقرب إليهم منه، ومع هذا نفس القول الذي جاء به الكتاب والسنة، وقال به الصحابة والتابعون لهم بإحسان في القرآن والرؤية والصفات، والقدر وغير ذلك من مسائل أصول الدين ليس في كتابه، وقد استقصى ما عرفه من كلام المتكلمين“.

٢ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع:

للإمام أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملقبي، المتوفى سنة (٣٧٧هـ). وهذا الكتاب يعدُّ من أقدم الكتب المصنفة في التعريف بالفرق، وقد جاء على فرق لم تذكر في كثير من كتب الملل والنحل، وتضمن ردودًا على بعض الفرق، لكن فيه آراء شاذة تخالف المشهور في كتب المقالات.

وقد رتب المؤلف كتابه على أربعة أجزاء، لكن لم يصلنا منها سوى الجزء الثالث، وموضوعه الفرق، أما الجزء الأول والثاني فموضوعهما الأديان، كاليهودية والنصرانية، كما يتبين ذلك من إحالات المؤلف فهما مفقودان، والجزء الرابع والأخير وفيه الحجاج على الجميع كما نص المؤلف هو مفقود أيضًا.

وقد شرح فيه أصول السنة، ثم أخذ يشرح أحوال ثماني عشرة فرقة من الشيعة الروافض، ثم انتقل إلى ذكر المعتزلة، فشرح الأصول الخمسة المعتبرة عندهم، وترجم لكثير من شيوخهم، حتى ذكر عشرين فرقة من المعتزلة، ثم ذكر المرجئة من غير خوض في أصول

(١) أحد فقهاء الشافعية، وهو من الحفاظ الثقات، توفي سنة (٣٠٧هـ). انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٣/ ٢٩٩-٣٠١).

(٢) انظر: منهاج السنة (٥/ ٢٧٧-٢٧٨).

هذه الطائفة، ثم ذكر الخوارج وبيّن بعض فرقها، وأخذ يذكرهم فرقة فرقة.
ثم ذكر أن الزنادقة خمس فرق، وهم: المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعبدية،
والروحانية.

وذكر أن الجهمية ثمانى فرق، وتوسع في الرد عليهم وعلى شبههم، ثم ذكر أن القدرية
سبع فرق، ثم ذكر أن المرجئة اثنتا عشرة فرقة، وذكر أدلتهم والرد عليهم، ثم الروافض ثمانى
عشرة فرقة، ثم ختم كتابه بذكر الخوارج، وذكر أنهم خمس وعشرون فرقة.

وقد انفرد المَلْطِي ببعض الآراء في هذا الكتاب، كقوله عن سبب تسمية المعتزلة بهذا
الاسم بأنهم سموا بذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم إليه الأمر، واعتزلوا الحسن
ومعاوية وجميع الناس - وكانوا من أصحاب علي- ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا:
نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة^(١)، مع أن المشهور أن سبب تسميتهم بالمعتزلة
اعتزالهم لمجلس الحسن البصري أو اعتزالهم الأمة والجماعة في مسألة الأسماء والأحكام،
وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

كما يؤخذ عليه اعتماده على بعض الأحاديث والآثار التي لا تثبت^(٢)، ومما يؤخذ عليه
أيضاً عدم دقته أحياناً في نسبة الفرق إلى زعمائها، كنسبة الصفرية إلى المهلب بن أبي صفرة^(٣)،
والصواب: زياد بن الأصفر، والإباضية إلى إباض بن عمرو^(٤)، والصواب: عبد الله بن إباض.
قلت: ومن ذلك أيضاً إطلاقه اسم الرافضة على جميع فرق الشيعة، ولم يستثن الزيدية،

(١) انظر: التنبيه والرد (ص: ٣٦).

(٢) فقد عقد - مثلاً - باباً بعنوان «باب لمن أراد أن يرى النبي ﷺ»، اعتمد فيه على أثر عن الزهري لا يصح، فهو منكر في منتهى،
كما أن في سنده كذاباً ومجهولاً، ومثل هذه الأمور من لوثات غلاة الصوفية (انظر: التنبيه والرد ص: ١٥).

(٣) انظر: التنبيه والرد (ص: ٥٢).

(٤) انظر: التنبيه والرد (ص: ٥٢).

والشيعة الأولى^(١).

٣ - الفرق بين الفرق:

لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني المتوفى سنة (٤٢٩هـ)، واختصره عبد الرزاق الرسعني في كتاب طبع باسم (مختصر الفرق بين الفرق)، ولم يتم المؤلف اختصاره، بل أغفل الباب الخامس (بيان أوصاف الفرقة الناجية، وتحقيق النجاة لها، وبيان محاسنها)، ولعبد القاهر كتاب آخر في الفرق مطبوع باسم (الملل والنحل)، لكن كتاب (الفرق بين الفرق) هو الأشهر.

تميز هذا الكتاب بحسن الترتيب والتنظيم لآراء الفرق، والتقسيمات المتعلقة بها، قال الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (محقق الكتاب) في مقدمة التحقيق: «ومما لا ريب فيه أن كتاب الفرق بين الفرق من خير ما ألف في هذا الموضوع: حسن ضبط، واستيعاب بحث، وإتقان تبويب، ودقة عرض»^(٢).

وقد ذكر في مقدمة كتابه أنه ألفه استجابةً لرغبة من سأله عن شرح حديث الافتراق، وقد اعتمد في تقسيم الفرق الإسلامية على حديث الافتراق، وسعى في تحديد الفرق على العدد المذكور، وطريقته في عرض الفرق هي جعل أصحاب الآراء وزعماء الفرق أصولاً، ثم إيراد آراء كل منهم في كل مسألة، وقدم قبل الخوض في آراء الفرق بمقدمات ضمّنها ذكر الخلافات الواقعة في أول الأمة، وكيف وقع الافتراق، والإشارة إلى فرق الأمة إجمالاً، وقد اتبع البغدادي في عدّه لأصول الفرق أبا الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين)؛ حيث جعل كلُّ منها أصول الفرق عشرة.

(١) وقد أشرت إلى ذلك في رسالتي «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة» (١/١٤٥).

(٢) مقدمة التحقيق (ص: ٨).

وقد اتبع منهج العرض والنقد، لا مجرد النقل لأراء الفرق، لكن انتقد الفخر الرازي كتاب البغدادي بأنه «كان شديد التعصب على المخالفين، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح»^(١).

٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل:

للإمام أبي محمد علي بن أحمد المشهور بابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ. وهو من أفضل مصادر الملل والنحل في الرد على معتقدات الضالين من أصحاب الأديان والملل والفرق ونقض شبهاتهم وبيان تناقضاتهم، وبحجج قوية، وبراهين جلية. وقد بين سبب تصنيفه الكتاب، فقال - رحمه الله - : «أما بعد: فإن كثيرًا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم، ومقالاتهم كتبًا كثيرة جدًا، فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب فكان ذلك شاغلًا عن الفهم قاطعًا دون العلم، وبعض حذف وقصر وقلل واختصر وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبين في الإبانة، وظالما لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخسًا حق من قرأ كتابه، إذ لم يغنه عن غيره، وكلهم - إلا تحلة القسم - عقد كلامه تعقيدًا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد حتى صار يُنسي آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم، فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله».

وقال أيضًا: «فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله ﷻ في جمعه، وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية، أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التي لا تحون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له وألا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط؛ إذ ليس الحق إلا ذلك، وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد، راجين من

(١) مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر (ص: ٣٩).

الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل، وهو تعالى ولي من تولاها، ومعطي من استعطاها، لا إله إلا هو، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

تميز منهج ابن حزم في كتابه (الفصل) بمميزات من أبرزها ما يلي^(٢):

- أ- فَصَّلَ القول عن أهل الكتاب، وأولاهم اهتمامًا ظاهرًا حتى استغرق ذلك جزءًا كبيرًا من الكتاب، بينما كان حديثه عن الفرق الإسلامية مختصرًا.
- ب- لم يعتمد في كتابه على حديث الافتراق؛ لأنه أنكر صحته.
- ج- سلك في طريقة عرضه لآراء الفرق الطريقتين المتبعيتين في ذلك، وهما: إما جعل المسائل أصولًا، ثم ذكر من قال بها من مختلف الطوائف، وإما جعل أصحاب المقالات وزعماء الفرق أصولًا، ثم ذكر قولهم في كل مسألة.
- د- سلك في كتابه منهج العرض والنقد لمختلف الآراء، ولم يكتف بمجرد العرض، بل نقد كل مذهب ومقالة عرضها تخالف ما يعتقده، وقد كان في نقده لتلك الآراء شديدًا في عباراته.

٥- الملل والنحل:

لأبي الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر المشهور بالشهرستاني، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.

والشهرستاني من أخبر وأعلم المتكلمين بالمقالات والاختلافات^(٣)، وكتابه (الملل والنحل) من أجمع الكتب المصنفة في المقالات وأجودها نقلًا^(٤).

(١) الفصل (١ / ٩).

(٢) انظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل (ص: ٢٦٩-٢٧٣).

(٣) منهاج السنة (٥ / ٢٩٩).

(٤) منهاج السنة (٦ / ٣٠٤).

وأما طريقته في كتابه (الملل والنحل)، فإنه يذكر مقالات الناس ذكرًا مجردًا دون انتصار لبعض الأقوال^(١)، وهذا ما صرح به الشهرستاني في مقدمة كتابه، فقال: «شرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأبين حقه من باطله^(٢)، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل^(٣)».

أما موارده في كتابه فإن أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة^(٤).

ويذكر ابن تيمية تقويًا دقيقًا لحكاية الشهرستاني للمقالات نلخصه فيما يلي:

أولاً: لما كان الشهرستاني خبيرًا بقول الأشعرية وقول ابن سينا ونحوه من الفلاسفة كان أجود ما نقله قول هاتين الطائفتين^(٥)، يعني الفلاسفة والأشاعرة.

ثانيًا: لا معرفة للشهرستاني بما قاله الصحابة والتابعون وأئمة السنة والحديث، فلا هو ولا أمثاله يعرفون أقوالهم، بل ولا سمعوها على وجهها بنقل أهل العلم لها بالأسانيد المعروفة، وإنما سمعوا جملًا تشتمل على حق وباطل، ولهذا إذا اعتبرت مقالاتهم الموجودة في مصنفاتهم الثابتة بالنقل عنهم وجد من ذلك ما يخالف تلك النقول عنهم، وهذا من جنس نقل التواريخ والسير ونحو ذلك من الرسائل والمقاطع وغيرها مما فيه صحيح وضعيف^(٦).

يقول ابن تيمية: «ما ينقله الشهرستاني وأمثاله من المصنفين في الملل والنحل، عامته مما ينقله بعضهم عن بعض، وكثير من ذلك لم يحرر فيه أقوال المنقول عنهم، ولم يذكر الإسناد في

(١) انظر: منهاج السنة (٥/٢٦٨).

(٢) ولا يخفى أن الواجب بيان الحق من الباطل، وتزييف مقالات أهل الضلال.

(٣) الملل والنحل (١/١٦).

(٤) منهاج السنة (٦/٣٠٧).

(٥) المصدر السابق (٦/٣٠٤).

(٦) المصدر السابق (٦/٣٠٤-٣٠٥).

عامة ما ينقله، بل هو ينقل من كتب من صنف المقالات قبله، مثل أبي عيسى الوراق، وهو من المصنفين للرافضة، المتهمين في كثير مما ينقلونه، ومثل أبي يحيى وغيرهما من الشيعة. وينقل أيضا من كتب بعض الزيدية والمعتزلة الطاعنين في كثير من الصحابة^(١).

ثالثاً: للشهرستاني ميل إلى الشيعة فهو يميل كثيراً إلى أشياء من أمورهم، بل يذكر أحياناً أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية منهم ويوجهه، ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك، وقد ذكر من اتهمه شواهد من كلامه وسيرته، وقد يقال هو مع الشيعة بوجه، ومع أصحاب الأشعري بوجه، وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه أو مداهنة لهم^(٢).

ويشير ابن تيمية إلى سبب تأليف الشهرستاني لكتابه الملل والنحل فيذكر أنه صنفه لرئيس من رؤساء الشيعة كانت له ولاية ديوانية، وكان للشهرستاني مقصود في استعطافه له، وهذا ما يرجح أن ميله للشيعة من باب المداهنة^(٣).

ولكن الشهرستاني في المقدمة يذكر سبباً عاماً للتأليف، فيقول: «فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي ما يدين به المتدينون، وانتحله المتحلون عبرة لمن استبصر واستبصاراً لمن اعتبر^(٤)»، ولا يشير إلى أنه صنفه لرئيس من رؤساء الشيعة كما ذكر شيخ الإسلام، لكن في كتابه المصارعة صرح

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٣٠٠-٣٠١).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٣٠٦)، وانظر للتفصيل: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، لمحمد بن ناصر السحبياني، وقد عرض بتفصيل أدلة الإدانة، وأدلة البراءة، وأدلة الإدانة حملها كتابه في التفسير، وأدلة البراءة حمل غالبها كتابه (الملل والنحل)، والأمر يحتاج إلى دراسة نقدية فاحصة للتفسير المنسوب للشهرستاني الذي حمل أدلة الاتهام.

(٤) الملل والنحل (١/ ٩).

بذلك^(١).

ثم إنني بعد كتابه هذا الكلام وقفت على النسخة المحققة من كتاب (الملل والنحل) فوجدت أن المحقق (محمد بن فتح الله بدران) يذكر أن بعض النسخ الخطية تفردت بمقدمة أخرى، وفي هذه المقدمة - كما نشرها بدران - التصريح بالإهداء لأمير آخر غير ما ذكر في المصارعة^(٢)، وربما أن ما في هذه النسخة هو الذي أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

هذا، وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية والتركية والألمانية، وطبع في أوروبا عدة طبعات وفي فارس والهند وتركيا، ومن أشهر طبعاته بالعربية طبعة الشيخ محمد فتح الله بدران، وطبعة كيورتن، وطبعة محمد سيد كيلاني^(٣).

هذه جملة من المصادر العامة في الملل والنحل، ولقد تتابع التأليف في هذا الباب، وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها فيما يلي:

- التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية من الهالكين: لأبي المظفر الإسفرائيني، المتوفى سنة ٤٧١هـ، وقد سار على طريقة البغدادي في (الفرق بين الفرق).

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: للرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، شرح فيه - كما يقول - أحوال مذاهب المسلمين والمشركين ورتبه على عشرة أبواب، وله أيضًا (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين)، واختصره ابن خلدون باسم (لباب المحصل).

- الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة: لعثمان بن عبد الله بن الحسن الحنفي من القرن

(١) فقال بعد إطراء ومديح للأمير الشيعي (علي بن جعفر الموسوي، والذي كان أميراً لخراسان): «انتدب أصغر خدمه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، لعرض بضاعته المزجاة على سوق كرمه فخدمه بكتاب صنفه في الملل والنحل، على تردد القلب بين الموجل والحنجل، فأنعم بالقبول، وأنعم النظر فيه» (مصارعة الفلاسفة ص: ١٤).

وانظر: مقالات في المذاهب والفرق، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص: ٣٦-٥٣)، وفيه دراسة موجزة عن الشهرستاني، وكتابه، ووقفه عند مسألة رمية بالتشيع، وانظر: منهج الشهرستاني (ص: ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر: مقدمة بدران.

(٣) وللتوسع انظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، للسحبياني.

السابع.

- البرهان في عقائد أهل الأديان: تأليف عباس منصور السكسكي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٨٣هـ.

- ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة: لليافعي المتوفى سنة ٧٦٨هـ، وقد اعتمد على كتاب السكسكي كثيرًا كما يقول المحقق^(١).

وقد كتب بعض المعاصرين في الفرق، ومن ذلك:

- خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان: تأليف محمد صديق خان، المتوفى سنة ١٣٠٧هـ.

- تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، المتوفى ١٣٩٤هـ.

- الديانات والعقائد في مختلف العصور: أحمد بن عبد الغفور عطار، المتوفى ١٤١١هـ.

- تاريخ الفرق الإسلامية: علي مصطفى الغرابي.

- مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي.

- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة: د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، ناصر

القفاري^(٢).

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

- دراسات في العقائد والفرق: د. عرفان عبد الحميد.

- دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية: د. محمد الأنور السنهوتي.

(١) موسى الدرويش في مقدمته ص (١٣).

(٢) قدم على الموسوعة في الذكر؛ لأنه أقدم تاريخيًا وأسبق تأليفًا.

المصادر الخاصة ببعض الفرق:

مصادر المعتزلة:

يذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المعتزلة هم أكثر الطوائف وأولها تصنيفاً في هذا الباب^(١)، ومما يؤيد هذا اعتماد كثير من أئمة هذا الفن على كتبهم، فالأشعري وهو من أقدم من وصلت إلينا آثاره في هذا التخصص كان معتزلياً قرابة أربعين سنة، وقد كتب ثلاثة مصنفات في المقالات والملل^(٢)، والشهرستاني على مكانته وعلو مقامه في معرفة الفرق والمقالات وشهرة كتابه (الملل والنحل) يعول كثيراً على مصادر المعتزلة، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة^(٣).

ومن أشهر مصنفات شيوخ المعتزلة في المقالات:

- ١- التحريش، لضرار بن عمرو المعتزلي (المتوفى ١٩٠ هـ تقريباً).
- ٢- المقالات في الإمامة، لأبي عيسى الوراق محمد بن هارون (المتوفى سنة ٢٤٧ هـ)، وأشار شيخ الإسلام إلى أنه يذكر - فيما يكتبه في الملل والنحل - الأقوال ذكراً مجرداً دون انتصار لقول على آخر مثل طريقة الأشعري، والشهرستاني^(٤).

(١) الفتاوى (٨/ ١١٥).

(٢) وهذه الكتب الثلاثة هي: مقالات الإسلاميين، ومقالات غير الإسلاميين، وجمال المقالات، ولم يصلنا منها إلا الأول. انظر: مقدمة تحقيق مقالات الإسلاميين، محمد محيي الدين عبد الحميد (١/ ٣٠)، وله مصنفات غير الثلاثة رد فيها على بعض أصناف من المعتزلة والخارجين عن الإسلام، مثل: الفصول في الرد على الملحدين، وكتب كثيرة في الرد على مسائل خالف فيها المعتزلة، وكتاب في الرد على المجسمة، الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل، وغيرها من الكتب التي ذكرها ابن عساكر. انظر: تبين كذب المقترين، ابن عساكر (ص: ١٢٨) وما بعدها.

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٠٧).

(٤) انظر: منهاج السنة (٥/ ٢٦٨).

٣- المقالات، لأبي القاسم البلخي (المتوفى سنة ٣١٩هـ)، وقد وصلت إلينا جملة من أقواله في الفرق والمذاهب بواسطة الحور العين^(١) لنشوان الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣هـ) الذي عوّل عليه كثيراً في حديثه عن فرق الشيعة، وكذا على سلفه الوراق^(٢). كما أن في بعض كتب المعتزلة المصنفة في المذهب والرد على خصومه مادة تتعلق بالمقالات والفرق، وإن كانت لم تؤلف ابتداءً في الفرق كما في الكتاب الكبير (المغني) للقاضي عبد الجبار، وهو يعتمد كثيراً في حديثه عن الفرق على أبي القاسم البلخي أيضاً حيث يصدر كلامه عنها بقوله: «حكى شيخنا أبو القاسم البلخي...»^(٣)، كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك مصنفات الزيدية؛ لأن الزيدية كما هو معلوم معتزلة في باب الاعتقاد، وتزيد الزيدية عليهم باعتقادها في الإمامة والصحابة، ولذلك قال الشهرستاني عن الزيدية: «أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة»^(٤).

مصادر الاثني عشرية:

من أقدم كتب هذه الطائفة التي وصلت إلينا:

١- الإيضاح في الرد على سائر الفرق، للفضل بن شاذان النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦٠هـ)، وهو مطبوع، وفيه جهالات كثيرة، منها: نسبته الجهمية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم من فرق الضلال إلى السنة والجماعة.

(١) انظر: الحور العين (ص: ١١١، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ١٧٠)، وقد صحف فيها اسم أبي عيسى الوراق إلى أبي عيسى الرزاق، هو خطأ ظاهر.

(٣) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٢٠ / ١٧٦، ١٨٥).

(٤) الملل والنحل (١ / ١٦٢).

٢- المقالات والفرق، سعد بن عبد الله القمي الأشعري (المتوفى سنة ٣٠١هـ)^(١).

٣- فرق الشيعة، للحسن بن موسى النوبختي (المتوفى سنة ٣١٠هـ)^(٢).

ومن يتصفح الكتابين الأخيرين يجد أن أحدهما صورة للآخر؛ إذ يتفقان حتى في الألفاظ نفسها مما يجزم القارئ أن أحدهما منقول عن الآخر، لكن شيخ الإسلام أشار إلى كتاب للنوبختي اسمه: (الآراء والديانات)^(٣)، ووصفه بأنه كتاب كبير، ومن قبل ذكره ابن النديم، وأشار إلى أنه لم يتمه^(٤)، وقال عنه شيخهم النجاشي: «إنه كتاب كبير حسن يحتوي على علوم كثيرة»^(٥)، ولكنه لم يصل إلينا حسب علمي.

٤- يمكن أن يضاف إلى مصادر الاثني عشرية في الفرق ما كتبه شيخهم المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) بعنوان: «أوائل المقالات في المذاهب المختارات»، حيث ذكر مقالات الفرق ضمن ذكره لعقائد طائفته^(٦).

٥- الطرائف في مذاهب الطوائف، لعلي بن طاووس الرافضي (المتوفى سنة ٦٦٤هـ).

٦- النكت البديعة في تحقيق الشيعة، لسليمان بن عبد الله البحراني (المتوفى سنة ١١٢١هـ).

(١) وقد طبع كتابه في طهران مرارًا مع تعليقات مشكور.

(٢) وطبع كتابه لأول مرة في النجف سنة (١٣٧٩هـ) مع مقدمة محمد صادق بحر العلوم.

(٣) انظر: منهاج السنة (١/٧٢)، (٢/١٠٤).

(٤) الفهرست (ص: ١٧٧).

(٥) رجال النجاشي (ص: ٥٠).

(٦) وقد طبع عدة مرات مع تعليقات لبعض شيوخهم وهما الزنجاني، والجرندابي.

مصادر الإسماعيلية:

وقد رأيت لهم في الفرق كتابين:

- ١- مسائل الإمامة: تأليف عبد الله الناشئ الأكبر (المتوفى سنة ٢٩٣هـ)، وهو مطبوع.
- ٢- الزينة^(١): للداعي الإسماعيلي أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (المتوفى سنة ٣٢٢هـ)، وقد وقفت على نسخة خطية منه في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، وصورت قسماً منه، وتم طبع جزء منه ضمن كتاب: (الغلو والفرق الغالية) للسامرائي.

مصادر الزيدية:

ومن أشهر ما كتبه في الفرق:

- ١- الحور العين، للقاضي نشوان بن سعيد الحميري، أحد علماء الزيدية المشهورين (المتوفى ٥٧٣هـ)، فقد ضمنه الحديث عن الملل والنحل والفرق، بل أوسع ما تعرض له من الموضوعات في هذا الكتاب هو بحث المذاهب والفرق والنحل^(٢).
- ٢- المنية والأمل في شرح الملل والنحل، لأحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني، وهو من أئمة الزيدية (توفي سنة ٨٤٠هـ).
- ٣- المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك، ليحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ١١٠٠هـ، وهو من علماء الزيدية الذين تأثروا بأهل السنة، وقد تكلم في هذا الكتاب عن الفرق الإسلامية، وبعض الديانات الأخرى، وهو مطبوع.

(١) وقد ذكره شيخ الإسلام بهذا الاسم في منهاج السنة (٢/ ١٠٥).

(٢) مقدمة الحور العين، للكوثري (ص: ٦).

مقالات الفرق

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: الخوارج.

المبحث الثاني: مدخل في تعريف الشيعة ونشأتهم وفرقهم.

المبحث الثالث: الزيدية.

المبحث الرابع: الحوذية.

المبحث الخامس: الإمامية الاثنا عشرية.

المبحث السادس: فرق تفرعت من الاثني عشرية (النصيرية، البابية، البهائية).

المبحث السابع: الإسماعيلية.

المبحث الثامن: فرق تفرعت من الإسماعيلية (الدروز، البهرة، الأغاخانية).

المبحث التاسع: فرق كلامية (القدرية، المرجئة، الجهمية، المعتزلة).

المبحث العاشر: الصوفية.

المبحث الأول الخوارج

تعريفهم:

الخوارج في اللغة: جمع خارجة، والتاء للتأنيث بمعنى طائفة أو فرقة خارجة، وليس مفردة خارجًا؛ لأن جمع خارج خارجون، ولم يسمع من العرب جمع خارج على خوارج، قال البعلي: «الخوارج واحده: خارجة، أي: طائفة خارجة، ولا يجوز أن يكون واحده خارجًا؛ لأنه ليس مما سمع جمعه على خوارج»^(١).

وهو مشتق من الخروج، والخروج من الشيء: ضد الدخول فيه، والنفاذ عن الشيء، والمخرج: موضع الخروج، والخوارج: قومٌ من أهل الأهواء، لهم مقالة على حدة^(٢).
وأما تعريف الخوارج اصطلاحًا، فيقول عبد القاهر البغدادي: «الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ما حكاه شيخنا أبو الحسن -رحمه الله- من تكفيرهم عليًا وعثمان وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن صوّبها، أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم»^(٣)، فيرى البغدادي أن الذي يجمع الخوارج كلها هو التكفير.

بينما يرى ابن حزم أن الذي يجمعهم خمسة أصول، فيقول: «ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما

(١) المطلع على ألفاظ المقتنع (ص: ٤٦١).

(٢) انظر: جهرة اللغة (١/ ٤٤٣)، تهذيب اللغة (٧/ ٢٧)، مقاييس اللغة (٢/ ١٧٥)، لسان العرب (٢/ ٢٤٩)، تاج العروس (٥/ ٥٠٨).

(٣) الفرق بين الفرق (ص: ٥٦).

اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً^(١). فابن حزم يتوسع في مفهوم الخوارج، ويجمعهم في خمسة أصول أساسية، وهي:

- ١- إنكار التحكيم.
- ٢- تكفير أصحاب الكبائر.
- ٣- الخروج على أئمة الجور.
- ٤- القول بأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار (يعني إذا ماتوا من غير توبة).
- ٥- أن الإمامة جائزة في غير قریش.

أما الشهرستاني فيقصر مصطلح (الخوارج) على أصل واحد، وهو الخروج على الإمام الحق، فيقول: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»^(٢).

ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن للخوارج تعريفين:

الأول: عام، ويراد به -كما قال الشهرستاني-: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»^(٣).

الثاني: خاص، ويراد به الذين خرجوا على علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة، يقول الحافظ ابن حجر: «الخوارج الذين أنكروا على علي عليه السلام التحكيم، وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته

(١) الفصل (٢/٩٠).

(٢) الملل والنحل (١/١١٤).

(٣) الملل والنحل (١/١١٤).

وقاتلوهم»^(١).

ولعل الأقرب في تعريف الخوارج الاقتصار على الأصل الذي يجمعهم على اختلاف فرقهم، وبه يتميزون عن غيرهم، وهو الغلو في التكفير، والخروج على الإمام الحق؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب - وإن كانت متواترة -، ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه - لارتداده عندهم - ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي»^(٢).

ويقول أيضاً: «ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بها جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة.

الثاني: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال

دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيوان»^(٣).

أما تعريفهم بأنهم الذين يخرجون على ولاة الأمور فقط، فلا ريب أن الخروج على الأئمة هو من أصولهم التي تميزوا بها، وبه سموا خوارج، لكن الاقتصار عليه وإغفال الأصل الآخر وهو الغلو في التكفير هو إغفال للأصل الذي نشأت منه الخوارج، وبه استحلوا الخروج على ولاة الأمر، كما أنه لا يمنع من دخول غيرهم معهم في التعريف، كالبغاة الذين يخرجون على ولاة الأمور، لكن لا يكفرون المسلمين، وفرق بين البغاة والخوارج؛ إذ ليس كل من خرج على الإمام الحق خارجياً، بل قد يكون باغياً له تأويل، أما الخوارج فهم الذين يخرجون على الإمام، ويكفرون من خالفهم، وليس لهم تأويل سائغ.

وبهذا يكون التعريف الجامع المانع للخوارج ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أنهم

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص: ٤٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٧٢-٧٣) باختصار.

الذين «يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنبًا ما ليس بذنب»^(١). ومن هذا الأصل تفرعت الأصول الأخرى التي أشار إليها أصحاب المقالات^(٢)، ومن أبرزها الخروج على ولاة الأمور.

ألقابهم:

- ١- الخوارج: لخروجهم على علي بن أبي طالب عليه السلام.
 - ٢- المحكمة: لإنكارهم حكم الحكمين في صفين، وقولهم: لا حكم إلا لله.
 - ٣- الحرورية: لنزولهم في أول أمرهم بموضع يسمى (حروراء).
 - ٤- الشراة: لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة^(٣).
 - ٥- أهل النهروان؛ لأن عليًا قاتلهم هناك^(٤).
 - ٦- المارقة: لمروقهم من الدين، أي: خروجهم عنه، كما جاء في الحديث، وسيأتي.
- قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة؛ فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٥).

نشأتهم:

«أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون»^(٦). لكن اختلف العلماء

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٥).

(٢) وقد شاركهم في هذا الأصل الرافضة الذين يلقبون في عصرنا بالشيعة، فهم أعظم الطوائف تكفيرًا المخالفينهم، واستحلالًا لدمائهم وأموالهم، وأيضًا فهم يستحلون الخروج على ولاة المسلمين لاعتقادهم أن ولايتهم طاغوتية غير شرعية، بل إن الخوارج على ضلالهم أصدق منهم قولًا، ومنشأ ضلالهم جهلهم بالإسلام، أما الرافضة فمنشأ دينهم الكيد للإسلام وأهله، وسيأتي تفصيل القول في ذلك.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٧)، الحور العين (ص: ٢٠٠-٢٠١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨١).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٧).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٩).

في تحديد زمن نشأتهم، على أقوال:

القول الأول: أن نشأة الخوارج كانت في زمن النبي ﷺ، وأن أول الخوارج هو ذو الخويصرة الذي اعترض على الرسول ﷺ في القسمة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: بعث علي بن أبي طالب ﷺ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها^(١)، قال: فقسما بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، مخلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «ويلك! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: «لا لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: «إنه يخرج من ضئضئ^(٢) هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود^(٣)».

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: «أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي

(١) الذهبية: تأنيث الذهب، وكأنه ذهب به إلى معنى القطعة، أو الجملة. والأديم: الجلد. والمقروظ: المدبوغ بالقرظ، وهو شجر يدبغ به المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٣ / ١١١).

وقوله: «لم تحصل من ترابها» أي لم تميز (شرح النووي على مسلم ٧ / ١٦٢).

(٢) الضئضئ: أصل الشيء (شرح النووي على مسلم ٧ / ١٦٢)، قال الخطابي: «يريد أنه يخرج من نسله الذي هو أصلهم، أو يخرج من أصحابه وأتباعه الذين يقتدون به ويبنون رأيهم ومذهبهم على أصل قوله» (معالم السنن ٤ / ٣٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٧٤٣٢)، ومسلم (ح ١٠٦٤).

... فهذا أول خارجي خرج في الإسلام»^(١).

وقال الشهرستاني: «وهم الذين أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الشدية»^(٢).

وقال ابن تيمية: «وهؤلاء الخوارج الحُرورية هم أول من ابتدَعَ في الدين وخرَج عن السنة والجماعة، حتى إنَّ أولهم خرج عن سنة رسول الله ﷺ في حياته، وأنكر على النبي ﷺ قِسمة المال»^(٣). وقال ابن القيم: «ومن اعترض على الكتاب والسنة بنوع تأويل من قياس أو ذوق أو عقل أو حال ففيه شبه من الخوارج، أتباع ذي الخويصرة»^(٤).

القول الثاني: أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان ؓ بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله ظلماً وعدواناً، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى. قال عبد الرحمن بن مهدي: وكان مالك يسمي الذين خرجوا على عثمان: الخوارج^(٥)، وقال ابن أبي العز: «فالخوارج والشيعه حدثوا في الفتنة الأولى»^(٦).

القول الثالث: أن نشأتهم ترجع إلى قصة التحكيم بين علي ومعاوية سنة سبع وثلاثين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان شيطان الخوارج مقموماً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة علي ؓ وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا علماً ومعاوية ومن والاهما، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب ؓ»^(٧).

(١) تلبس إبليس (ص: ٩٠).

(٢) الملل والنحل (١/ ١١٦).

(٣) جامع المسائل (٥/ ٢١٥).

(٤) الصواعق المرسله (١/ ٣٠٨).

(٥) القدر، للقرطبي (ص: ٢١٨).

(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٩).

(٧) مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٩).

والذي يظهر أن هذه الأقوال لا تعارض بينها، والأمر - كما يقول د/ عمار الطالبي -:
«بذرة الخوارج الأولى نبتت في عهد النبوة، ثم ترعرعت في خلافة عثمان، وبلغت أوجها في
زمن علي عليه السلام، في فتنه صفين، ثم النهروان»^(١)، لكنهم لم يكونوا فرقة مستقلة منفصلة عن جماعة
المسلمين إلا بعد وقعة صفين.

صفاتهم:

بينت السنة صفاتهم التي يتميزون بها، ومنها:

١- حديث ذي الخويصرة السابق، وفيه: أنهم «يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز
حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». والمروق هو الخروج، يقال: مرق
من الدين مروقًا، أي: خرج منه ببدعة أو ضلالة»^(٢).

٢- حديث علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي في آخر الزمان
قومٌ حُدثاءُ الأسنان، سفهاءُ الأحلام، يقولون من قولٍ خيرِ البريةِ، يمرقون من الإسلام كما
يمرقُ السهم من الرميَّةِ، لا يجاوزُ إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم
أجرًا لمن قتلهم يومَ القيامةِ»^(٣).

٣- حديث يُسَيْر بن عمرو، قلت لسهل بن حنيف: هل سمعتَ النبي صلى الله عليه وسلم يقولُ في
الخوارج شيئًا؟ قال: سمعته يقولُ - وأهوى بيده قبَل العراقِ -: «يخرُجُ منه قومٌ يقرأون
القرآنَ، لا يجاوزُ تراقيهم، يمرقون من الإسلامِ مروقَ السهمِ من الرميَّةِ»^(٤).

٤- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يخرُجُ فيكم قومٌ تحقرون

(١) آراء الخوارج (١/ ٤٥).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٨/ ٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٣٦١١).

(٤) أخرجه البخاري (ح ٦٩٣٤).

صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرأون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النِّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقَدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفَوْقِ^(١)»^(٢).

٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج ناسٌ من قِبَلِ المَشْرِقِ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ» قيل: ما سيّاهم؟ قال: «سيّاهم التَّحْلِيْقُ، أَوْ قَالَ: التَّسْيِيْدُ»^(٣). قال أبو داود: «التَّسْيِيْدُ اسْتِئْصَالُ الشَّعْرِ»^(٤).

٦- حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي (أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي) قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَلَاqِمِهِمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْحَلِيقَةِ»^(٥).

٧- حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يحقر أحدكم عمله من عملهم، يقتلون أهل الإسلام، فإذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم، فطوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قطعه الله عز وجل»، قال ابن عمر: فردد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) النصل: حديدة السهم. والقدرح: عوده، والفوق منه: موضع الوتر (شرح صحيح البخاري، لابن بطال ١٠ / ٢٨٤)، والمعنى: «لم يتعلق به شيء ولم يظهر أثره فيه، فكذلك قراءتهم لا تحصل لهم منها فائدة» (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠ / ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٥٠٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٧٥٦٢).

(٤) سنن أبي داود (٤ / ٢٤٤).

(٥) أخرجه مسلم (ح ١٠٦٧).

عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع^(١).

ومن خلال هذه الأحاديث يتبين لنا جملة من صفاتهم، ومن أهمها:

- أنهم (حدثاء الأسنان) أي صغار السن^(٢).
- أنهم (سفهاء الأحلام) أي ضعفاء العقول^(٣)؛ لأن الأحلام جمع حلم، وهو العقل، وهذا إشارة إلى خفة عقولهم، وقصور نظرهم، وضعف إدراكهم، وتدني مستوى التفكير عندهم، ولهذا قال القاضي عياض: «فيه أن التؤدة والتثب وقوة البصيرة مع الشيخ، وكمال السن؛ لقوة العقل، وصحة التجارب»^(٤).
- أنهم (يقرأون القرآن لا يُجاوِزُ تراقيهم) أي يقرأونه بلا تدبر لمعانيه، ولا معرفة بمقاصده، ولا فقه لأحكامه، ف«ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب»^(٥). وقد بلغ من جهلهم بالقرآن أنهم كما وصفهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين»^(٦).
- أنهم (يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان)، قال القرطبي: «وذلك: أنهم لما حكموا بكفر من خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم، وتركوا أهل الذمة، وقالوا: نفي لهم بذمتهم، وعدلوا عن قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين عن قتال المشركين،

(١) أخرجه أحمد (٩/ ٣٩٨)، وأخرجه ابن ماجه (ح١٧٤)، وصحح إسناده البوصيري (مصباح الزجاجة ١/ ٢٦)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٣٢٤٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٦١٩).

(٣) فتح الباري (٦/ ٦١٩).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٦٢٠).

(٥) شرح النووي على مسلم (٦/ ١٠٥).

(٦) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (٩/ ١٦)، وانظر: الاستذكار، ابن عبد البر (٨/ ٩٠). وقال ابن حجر: «سنده صحيح» (فتح الباري ١٢/ ٢٨٦).

وهذا كله من آثار عبادات الجهال، الذين لم يشرح الله صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق، ولا صحبتهم في حالهم ذلك توفيق^(١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أعظم ما ذم به النبي ﷺ الخوارج قوله فيهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»^(٢)، وذكر أنهم «قتلوا عبد الله بن خباب لما اجتاز بهم، فسألوه أن يحدثهم عن أبيه خباب بن الأرت، فحدثهم حديثاً في ترك الفتن، وكان قصده - رحمه الله - رجوعهم عن الفتنة، فقتلوه، وبقي دمه مثل الشراك في الدماء، فأرسل إليهم علي ﷺ يقول: سلموا إلينا قاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قتله»^(٣). ويذكر الحافظ ابن كثير أحداث هذه الجريمة بالتفصيل، فيقول: «وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، وأنتم قد روعتموني. فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك. فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي» فقادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم بسيفه فشق جلده، فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو لذمي؟ فذهب إلى ذلك الذمي فاستحله وأرضاه. وبينما هو معهم إذ سقطت ثمرة من نخلة، فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟ فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى ألا تتقون الله ﷻ! فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها»^(٤).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٣ / ١١٤)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر (١٢ / ٢٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٢٨).

(٣) منهاج السنة النبوية (٦ / ٣٣٢).

(٤) البداية والنهاية (١٠ / ٥٨٤)، وانظر: تاريخ الطبري (٥ / ٨١).

- أنه يستمر ظهورهم، وكلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج آخرهم مع الدجال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أخبر [النبي ﷺ]... أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال»^(١).

مصادرهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية والسلمية وأهل المذاهب الأربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء»^(٢). وقال ابن النديم: «الرؤساء من هؤلاء القوم كثر، وليس جميعهم صنف الكتب، ولعل من لا نعرف له كتاباً قد صنف ولم يصل إلينا؛ لأن كتبهم مستورة محفوظة»^(٣)، وقال أيضاً: «هؤلاء القوم كتبهم مستورة قل ما وقعت؛ لأن العالم تشنأهم وتتبعهم بالمكاره»^(٤)، ولهذا فالمعتمد في حكاية مقالاتهم على ما نقله الثقات كالأشعري وابن تيمية وغيرهما، أما الإباضية من الخوارج فكتبهم ومصادرهم موجودة، كما سيأتي.

عقائدهم^(٥):

١- قولهم في الإيمان:

قول الخوارج في الإيمان هو - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -: «أنهم جعلوا الإيمان

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ٤٨-٤٩).

(٣) الفهرست (ص: ٢٢٧).

(٤) الفهرست (ص: ٢٩١).

(٥) ترتيب عقائد الفرق على طريقتين:

الأولى: البدء بذكر أهم عقائد كل فرقة التي تميزوا واختصوا بها.

الثانية: ذكر عقائدهم وفق ترتيب موضوعي من خلال أركان الإيمان الستة.

وقد التزمنا هنا الطريقة الأولى.

شيئًا واحدًا إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه^(١). وقالوا: «من لم يكن برًا قائمًا بالواجبات تاركًا للمحرمات فهو كافر»^(٢). و«أن الإيمان لا يتبعّض، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعّض، وأنه ينقص، ولا يزول جميعه»^(٣).

٢- تكفير أصحاب الكبائر والقول بخلودهم في النار:

قال الأشعري: «وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجذات فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجذات أصحاب نجدة»^(٤)، وقال أيضًا: «وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد؛ لأنهم يقولون: إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدون غير أن الخوارج يقولون: إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، والمعتزلة يقولون: إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين»^(٥).

وقال الإسفراييني: «يزعمون أن كل من أذنب ذنبًا من أمة محمد ﷺ فهو كافر، ويكون في النار خالدًا مخلدًا، إلا النجذات منهم فإنهم قالوا: إن الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمة ربه»^(٦)، وقال الرازي: «سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافرًا بالذنب»^(٧).

لكن يرى عبد القاهر البغدادي أن نسبة ذلك إلى جميع الخوارج خطأ، ويعلل ذلك بـ «أن

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٠).

(٢) الرد على الشاذلي (ص: ١٢٩).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٩٧).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ٨٦).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٤).

(٦) التبصير في الدين (ص: ٤٥).

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٤٦).

النجدات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم^(١)، ويؤيد ذلك ما سبق نقله عن الأشعري من قوله: «وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات؛ فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات»^(٢).

٣- إنكار الشفاعة في أهل الكبائر:

وقال ابن حزم: «اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم، وهم المعتزلة والخوارج»^(٣). وقال ابن تيمية: «وأما الخوارج والمعتزلة: فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولإجماع خير القرون»^(٤)، وقال: «وأما الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين؛ وهؤلاء مبتدعة ضلال، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل»^(٥).

وقال: «وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع بعض الدرجات، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقًا»^(٦).

وقال ابن القيم: «رد الخوارج والمعتزلة النصوص المتواترة الدالة على خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة، فكذبوا بها وقالوا: لا سبيل لمن دخل النار إلى الخروج منها بشفاعة ولا غيرها، ولما بهرتهم نصوص الشفاعة، وصاح بهم أهل السنة وأئمة الإسلام من كل قطر وجانب ورموهم بسهام الرد عليهم، أحالوا بالشفاعة على زيادة الثواب فقط لا على الخروج من النار، فردوا السنة المتواترة قطعًا، وصاروا مضغة في أفواه الأمة وعارًا في فرقها»^(٧).

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٥٥).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٨٦).

(٣) الفصل (٤/٥٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (٣/٤٨).

(٥) مجموع الفتاوى (١/١٠٨).

(٦) مجموع الفتاوى (١/٣١٤).

(٧) طريق الحجرتين (ص: ٣٨٦).

٤- اعتقادهم أن فعل الكبيرة يحبط جميع الحسنات:

قال ابن تيمية: «بخلاف الخوارج والمعتزلة فإنهم يقولون: إن من فعل كبيرة أحبطت جميع حسناته، وأهل السنة والجماعة لا يقولون بهذا الإحباط، بل أهل الكبائر معهم حسنات وسيئات وأمرهم إلى الله»^(١).

وقال: «وإنما يقول بحبوط الحسنات كلها بالكبيرة الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر، وأنهم لا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها، وأن صاحب الكبيرة لا يبقى معه من الإيثار شيء، وهذه أقوال فاسدة مخالفة للكتاب، والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة»^(٢).

وقال: «المعتزلة مع الخوارج يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيثار»^(٣).

٥- تكفير الصحابة الذين رضوا بالتحكيم:

قال أبو الحسن الأشعري: «أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه- أن حَكَمَ»^(٤)، وقال الشاطبي: «هم أول من أفشوا لعن السلف الصالح، وتكفير الصحابة -رضي الله عن الصحابة-، ومثل هذا كله يورث العداوة والبغضاء»^(٥).

وقال الإسفراييني: «يزعمون أن علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم»^(٦). وقال الرازي: «وهم يكفرون عثمان وعلياً وطلحة والزبير

(١) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٥٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٣).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ١٦).

(٥) الاعتصام (١/ ٢١٠).

(٦) التبصير في الدين (ص: ٤٥).

وَعَائِشَةَ، وَيَعْظُمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما»^(١).

وقال ابن تيمية: «الخوارج ظهروا في الفتنة، وكفروا عثمان وعليًا ب، ومن والاهما، وباينوا المسلمين في الدار، وسموا دارهم دار الهجرة»^(٢).

٦- الخروج على ولاة أمر المسلمين بالسيف:

قال الأشعري: «وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراه، إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف»^(٣).

وقال الإسفراييني: «ومما يجمع جميعهم أيضًا تجويزهم الخروج على الإمام الجائر»^(٤).
وقال ابن القيم: «أخرجت الخوارج قتال الأئمة، والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(٥).

٧- قولهم في السنة:

قال ابن تيمية: «أما الخوارج فإنهم ادعوا اتباع القرآن، وأن ما خالفه من السنة لا يجوز العمل به»^(٦).

وذكر أنهم «لا يلتفتون إلى السنة المخالفة في رأيهم لظاهر القرآن وإن كانت متواترة، فلا يرجعون الزاني ويقطعون يد السارق فيما قل أو كثر زعمًا منهم على ما قيل أن لا حجة إلا القرآن، وأن السنة الصادرة عن الرسول ﷺ ليست حجة بناء على ذلك الأصل الفاسد، قال

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٤٦).

(٢) النبوات (١/ ٥٧١).

(٣) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٥).

(٤) التبصير في الدين (ص: ٤٥).

(٥) إغاثة اللفهان (٢/ ٨١).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٢).

من حكى ذلك عنهم: إنهم لا يطعنون في النقل لتواتر ذلك، وإنما يبنونه على هذا الأصل، ولهذا قال النبي ﷺ في صفتهم: إنهم «يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم» يتأولونه برأيهم من غير استدلال على معانيه بالسنة، وهم لا يفهمونه بقلوبهم، إنما يتلونه بألسنتهم. والتحقيق: أنهم أصناف مختلفة، فهذا رأي طائفة منهم، وطائفة قد يكذبون النقلة، وطائفة لم يسمعوا ذلك ولم يطلبوا علمه، وطائفة يزعمون أن ما ليس له ذكر في القرآن بصريحه ليس حجة على الخلق: إما لكونه منسوخاً أو مخصوصاً بالرسول أو غير ذلك»^(١).

٨- اعتقادهم في التوحيد والصفات:

قال الأشعري: «فأما التوحيد؛ فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل المقالات ذكروا أن قول الخوارج في الصفات هو قول الجهمية والمعتزلة، هذا ذكره الأشعري وغيره من المعتزلة، وهذا - والله أعلم - يكون قول من تأخر من الخوارج إلى أن حدث التجهم في أول المائة الثانية، وأما الخوارج الذين كانوا في زمن الصحابة وكبار التابعين فأولئك لم يكن قد ظهر في زمنهم التجهم أصلاً، ولا عرف في الأمة إذ ذاك من كان ينكر الصفات، أو ينكر أن يكون على العرش، أو يقول: إن القرآن مخلوق، أو ينكر رؤية الله تعالى، ونحو ذلك مما ابتدعته الجهمية من هذه الأمة»^(٣).

٩- القول بخلق القرآن:

قال الأشعري: «وكل الخوارج يقولون بخلق القرآن»^(٤)، «والخوارج جميعاً يقولون بخلق

(١) الصارم المسلول (ص: ١٨٤-١٨٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (١١ / ٣٣٩-٣٤٠). (١٣ / ٤٨-٤٩)، جامع المسائل

(٦ / ٣٢٥)، مختصر الصواعق المرسله (ص: ٥٨٦).

(٢) يراجع تعقيب ابن تيمية على ذلك في: الفتاوى الكبرى (٦ / ٣٥٩)، بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٢١١-٢١٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٢١١-٢١٢).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ١٠٨).

القرآن»^(١)، والتحقيق أنه قول متأخريهم ممن لحق بالمعتزلة منهم، ولا يصح نسبته إليهم جميعًا كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأن الخوارج الذين كانوا في زمن الصحابة والتابعين لم يعرف عنهم ذلك، بل لم يكن لهذه المقالة وجود في عصرهم.

١٠ - نفى رؤية الله في الآخرة:

قال الأشعري: «قالت المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الزيدية: إن الله لا يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة، ولا يجوز ذلك عليه»^(٢).
قال الإمام النووي: «زعمت طائفة من أهل البدع -المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة- أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً»^(٣).
وقال ابن أبي العز: «المخالف في الرؤية: الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية»^(٤). وهذا أيضًا قول متأخري الخوارج دون متقدميهم.

١١ - اعتقادهم في القدر:

قال الأشعري: «فأما القدر فقد ذكرنا من يذهب فيه إلى قول المعتزلة من الخوارج، وذكرنا من يميل إلى الإثبات منهم»^(٥). فعلى هذا هم في القدر طائفتان: طائفة تميل إلى إثبات القدر، وطائفة تنفي القدر كالمعتزلة.

١٢ - عصمة الأنبياء:

قال ابن تيمية: «وقد حكى أرباب المقالات عن الخوارج أنهم يجوزون على الأنبياء

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٤).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٢١٦).

(٣) شرح صحيح مسلم (٣/١٥).

(٤) شرح الطحاوية (١/٢٠٧).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٤).

الكبائر»، ثم قال: «ما ذكر من تجويزهم الكبائر فأظنه - والله أعلم - قول طائفة منهم»^(١)، وقال: «الخوارج يقولون: إن النبي ﷺ معصوم فيما يبلغه عن الله، لا فيما يأمر هو به وينهى عنه، وهؤلاء ضلال باتفاق أهل السنة والجماعة»^(٢).

١٣ - إنكار عذاب القبر:

وقال الأشعري: «والخوارج لا يقولون بعذاب القبر، ولا ترى أن أحدًا يعذب في قبره»^(٣)، وقال ابن حزم: «ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج»^(٤).

١٤ - نفي خلق الجنة والنار الآن:

قال ابن حزم: «ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلق بعد»^(٥).

١٥ - إنكار الدجال:

وقال ابن حزم: «فأما ضرار بن عمرو وسائر الخوارج؛ فإنهم ينفون أن يكون الدجال جملة»^(٦).

١٦ - قولهم في الإمامة:

قال الأشعري: «والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان - رضوان الله عليهم - في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ١٨٥).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٣٧٢).

(٣) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٧).

(٤) الفصل (٤/ ٥٦).

(٥) الفصل (٤/ ٦٨).

(٦) الفصل (١/ ٨٩).

يُحَكِّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، ويرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك، ولا يرون إمامة الجائر^(١).

وقال الشهرستاني: «جَوَّزُوا أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ قَرِيْشٍ، وَكُلِّ مَنْ نَصَبُوهُ بِرَأْيِهِمْ وَعَاشَرَ النَّاسَ عَلَى مَا مَثَلُوا لَهُ مِنَ الْعَدْلِ وَاجْتِنَابِ الْجَوْرِ كَانَ إِمَامًا، وَمَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ يَجِبُ نَصْبُ الْقِتَالِ مَعَهُ، وَإِنْ غَيَّرَ السَّيْرَةَ وَعَدَلَ عَنِ الْحَقِّ وَجَبَ عَزْلُهُ أَوْ قَتْلُهُ»^(٢).

وقال ابن حزم: «وذَهَبَ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا وَجُمْهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ إِلَى أَنَّهَا [أَيِ الْإِمَامَةَ] جَائِزَةٌ فِي كُلِّ مَنْ قَامَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَرَشِيًّا كَانَ أَوْ عَرَبِيًّا أَوْ ابْنَ عَبْدِ»^(٣).

فِرْقَتُهُمْ:

اختلف علماء الفرق والمقالات في عدد فرق الخوارج، يقول الشهرستاني: «كبار الفرق منهم: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفيرية، والباقون فروعهم»^(٤).

ويرى الملطي أن الخوارج عشر فرق^(٥)، بينما اعتبر البغدادي الخوارج عشرين فرقة^(٦)، وقسمهم الرازي إلى إحدى وعشرين فرقة^(٧)، ويرى الشاطبي أنهم سبع فرق^(٨).

ويقسمهم الأشعري بحسب أقوالهم إلى أربع فرق، فيقول: «وأصل قول الخوارج إنما

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٥).

(٢) الملل والنحل (١/ ١١٦).

(٣) الفصل (٤/ ٧٤).

(٤) الملل والنحل (١/ ١١٥).

(٥) انظر: التنبيه والرد (ص: ٤٧-٥٤).

(٦) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٧).

(٧) انظر: اعتقادات فرق المسلمين (ص: ٤٦-٥١).

(٨) انظر: الاعتصام (٢/ ٧١٩).

هو قول الأزارقة والإباضية والصفيرية والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنها تفرعوا من الصفيرية»^(١)، ولم يذكر المحكمة الأولى التي هي الأصل الذي تفرعت عنه فرق الخوارج، مع أنه يذكر (المحكمة الأولى) أثناء حديثه عن مقالات الخوارج، ولعله يرى أن المحكمة الأولى هم الخوارج قبل الافتراق؛ لأنه يقول: «وأول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي»^(٢).

أما ابن العربي فيقسم الخوارج حسب اعتقادهم إلى صنفين، قال الحافظ ابن حجر: «قال القاضي أبو بكر بن العربي: الخوارج صنفان: أحدهما: يزعم أن عثمان وعليًا وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كفار.

والآخر: يزعم أن كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبدًا، وقال غيره: بل الصنف الأول مفرع عن الصنف الثاني؛ لأن الحامل لهم على تكفير أولئك كونهم أذنبوا فيما فعلوه بزعمهم»^(٣).

وهم يختلفون من حيث البعد والقرب من أهل السنة، قال ابن حزم: «وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضي الفزازي الكوفي، وأبعدهم الأزارقة»^(٤)، وقد انقضت هذه الفرق التي ذكرها أصحاب المقالات، قال ابن حزم: «ولم يبق اليوم من فرق الخوارج إلا الإباضية والصفيرية فقط»^(٥)، وهذا في زمن ابن حزم، أما في عصرنا فقد انقضت الصفيرية، ولم يبق من هذه الفرق إلا الإباضية، كما أن وجود الخوارج لم ينقطع،

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ١٠١).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٨٦).

(٣) فتح الباري (١٢ / ٢٨٥).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٨٩)، وانظر: المواعظ والاعتبار (٤ / ١٧٠).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٤٥).

ففي الحديث: «كلما طلع منهم قرن قطعه الله ﷻ»،^(١) ونقتصر هنا على التعريف بأهم فرقهم، وهي:

أولاً: المحكمة الأولى:

وهم أساس الخوارج ونواتها، ويطلق اسم المحكمة الأولى على الذين خرجوا على الخليفة علي ابن أبي طالب ﷺ، ورفعوا شعار (لا حكم إلا لله)، وقد خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ حين جرى أمر الحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، ومن اعتقادهم تكفير علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحابه، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وتكفير كل ذي ذنب ومعصية^(٢).

ثانياً: الأزارقة:

وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد (ت ٦٥هـ)، وهم -كما يقول الملطي -: «أصعب الخوارج، وأشهرهم فعلاً، وأسوؤهم حالاً»^(٣)، ويقول البغدادي: «لم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددًا، ولا أشد منهم شوكة»^(٤).

ومن عقائدهم التي انفردوا بها: أن دار مخالفيهم دار كفر، ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء^(٥)، وأنكروا رجم الزاني، ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن، وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء، وأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم، وجوزوا أن يبعث الله

(١) أخرجه أحمد (٩ / ٣٩٨)، وأخرجه ابن ماجه (ح ١٧٤)، وصحح إسناده البوصيري (مصباح الزجاجاة ١ / ٢٦)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٣٢٤٦).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٥٦-٦١)، الملل والنحل (١ / ١١٥).

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٧٨).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ٦٢).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٨٧)، الفرق بين الفرق (ص: ٦٣-٦٤).

تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل البعثة^(١).

ثالثاً: النجديات:

وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي (ت ٦٩هـ)^(٢)، وكان السبب في انشاقهم أن نافع بن الأزرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه وإن كانوا على رأيه وسماهم مشركين، واستحل قتل أطفال مخالفه ونسائهم، فارقه جماعة من أتباعه، وذهبوا إلى اليمامة، فاستقبلهم نجدة بن عامر في جند من الخوارج يريدون للقوق بعسكر نافع، فأخبروهم بأحداث نافع وردوهم إلى اليمامة، وبايعوا بها نجدة بن عامر^(٣).

ومن عقائدهم التي انفردوا بها: الإعذار بالجهل، قال الأشعري: «وعذروا بالجهالات إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل، وقالوا: الدين أمران: أحدهما: معرفة الله ومعرفة رسله ﷺ، وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، وتحريم الغصب، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب، وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال فمن استحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما لعله محرم فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه»^(٤)، وقال عبد القاهر البغدادي: «النجديات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم»^(٥)، وقالوا: «إن صاحب الكبيرة من موافقتهم

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٢١-١٢٢).

(٢) قال المقرئ: «ولم يُقَلَّ فيهم: النجدية، ليفرق بينهم وبين من انتسب إلى بلاد نجد» (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٤/ ١٨٥)، لكن يستدرك عليه أن بعض علماء الفرق سموهم نجدية. انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٨٩، ٩٢، ١٠١)، التنبيه والرد (ص: ١٧٨، ٥٢).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٦٦).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ٩٠).

(٥) الفرق بين الفرق (ص: ٥٥).

كافر كفر نعمة، وليس فيه كفر دين»^(١)، ومن مقالاتهم: أنه لا حاجة للناس إلى إمام، فقد نقل الشهرستاني عن الكعبي قوله: «أجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه، جاز»^(٢).

رابعاً: الصفرية:

وهم أتباع زياد بن الأصفر.

ومن عقائدهم التي انفردوا بها وخالفوا بها غيرهم من الخوارج: أنهم لم يكفروا من قعد عن القتال والهجرة إذا كانوا موافقين لهم في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم^(٣)، ولا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم^(٤)، وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، وأن كل ذنب مغلظ كفر، وكل كفر شرك، وكل شرك عبادة للشيطان، وحكي عن قوم من الصفرية أنهم قالوا: كل من واقع ذنباً لا يشهد عليه بأنه كفر حتى يرفع إلى السلطان ويحد عليه، فإذا حد عليه فهو كافر، ولا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له كزان وسارق وقاذف وقاتل عمد، وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة، والفرار من الزحف، فإن صاحبه يكفر بذلك^(٥).

خامساً: الإباضية^(٦):

هم أتباع عبد الله بن إياض (ت ٨٦هـ)^(٧)، وهم أكثر فرق الخوارج اعتدالاً، وتأثر

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٥٦).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٢٤).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٣٧).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٧٠).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١١٨-١١٩)، الفصل (٤/ ١٤٥).

(٦) وسنفضل القول فيها؛ لأنها الفرقة الباقية من الخوارج.

متأخروهم بالمعتزلة.

ومن عقائدهم التي ذكرها أصحاب المقالات: أن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان، وأن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك، وأن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها^(١).

يقول عبد القاهر البغدادي: «يجمعها القول بأن كفر هذه الأمة يعنون بذلك مخالفهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين، ولكنهم كفار^(٢)، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية، وصححوا مناعتهم والتوارث منهم، وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ولرسوله، لا يدينون دين الحق، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض، والذي استحلوه الخيل والسلاح، فأما الذهب والفضة فإنهم يردونها على أصحابها عند الغنيمة^(٣)».

وقال ابن حزم: «قالت الإباضية: إن كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة، تحل موارثته ومناكحته وأكل ذبيحته، وليس مؤمناً ولا كافراً على الإطلاق^(٤)».

والإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من

(١) وقد اختلفوا في اسمه اختلافاً كثيراً، فسماه الأشعري عبد الله بن إياض، وكذلك الشهرستاني والبغدادي والمقرئزي، والطبري وابن الأثير من المؤرخين. انظر للتفصيل: آراء الخوارج (ص: ٢٠٦ وما بعدها).

وكذلك اختلف في ضبط همزة (إياض) والأكثر يضبطونها بالكسر، ومنهم ابن منظور في لسان العرب، وذكر أنه اسم رجل، وضبطها المقرئزي بالضم، وذكر أنه منسوب إلى قرية، وضبطها آخرون بالفتح. انظر: لسان العرب (٧/ ١١٠)، الأعلام، الزركلي (٤/ ٦٢)، موجز دائرة المعارف (١/ ٥٥).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١١٠).

(٣) يعني كفر نعمة، كما سبق.

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ٨٢-٨٣).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٢٨).

أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف^(١).

وقال الشهرستاني: «وقالوا: إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر

السلطان فإنه دار بغية^(٢)».

هذا ما ذكرته كتب الفرق والمقالات من معتقدات الإباضية، ومن أبرزها كما ترى:

١- أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة.

٢- أن صاحب الكبيرة مخلد في النار.

٣- أباحوا ذبائح مخالفيهم، وأجازوا شهاداتهم، وصححوا مناكحتهم، والتوارث

بينهم؛ لأنهم عندهم كفار نعمة لا كفار ملة.

٤- قالوا: إن دار مخالفيهم دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغية.

وبالرجوع إلى كتب الإباضية ومصادرها نرى أنهم ينكرون أن يكونوا طائفة من

الخوارج، ويقولون: إنهم «لا تجمعهم بالخوارج جامعة، ولا يمتون إليهم بصلة^(٣)»، وأن

إطلاق القول بأنهم من الخوارج من الدعايات الفاجرة التي نشأت عن التعصب السياسي

أولاً، ثم المذهبي ثانياً^(٤)، بل يعلنون البراءة من الخوارج ورئسهم نافع بن الأزرق^(٥).

وهذا غير صحيح؛ لأن الواقع التاريخي يثبت أن عبد الله بن إياض كان من الخوارج،

وأن الإباضية منبثقة منهم، كما أن الإباضية يعتبرون الخوارج أسلافاً لهم، كما ورد في الرسالة

المنسوبة إلى عبد الله بن إياض أنه قال: «هذا خبر الخوارج، يشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٥).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٣٤).

(٣) أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج (ص: ١٧)، وانظر: أضواء على المقولة القائلة بأن الإباضية خوارج، عوشت

بكير بن سعد.

(٤) انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي يحيى معمر (ص: ٧).

(٥) انظر: أضواء على المقولة القائلة بأن الإباضية خوارج (ص: ١٨-١٩).

أعداء، ولمن والاهم أولياء بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، على ذلك نعيش ما عشنا، ونموت على ذلك إذا متنا»^(١).

ويؤيد هذا أنهم وافقوا الخوارج في الحكم على صاحب الكبيرة بالخلود في النار، وإنكار الشفاعة لأهل الكبائر، وإن خالفوهم في تسميته في الدنيا، فقالوا بأنه كافر كفر نعمة، بينما الخوارج ترى أنه كافر كفر ملة.

مؤسس مذهبهم:

يزعم الإباضية أن إمامهم ومؤسس مذهبهم هو جابر بن زيد الأزدي، وأن عبد الله بن إباض كان يصدر في كل أحواله وأفعاله عن شيخه جابر بن زيد، وأن الأمويين هم الذين أطلقوا عليهم هذه النسبة^(٢).

وهذا من الافتراء على جابر، فقد ثبت عنه أنه تبرأ منهم، كما جاء عن ثابت البناني قال: دخلت على جابر بن زيد وقد ثقل قال: فقلت له: ما تشتهي؟ قال: «نظرة من الحسن»^(٣) قال: فأتيت الحسن وهو في منزل أبي خليفة، فذكرت ذلك له، فقال: اخرج بنا إليه، فقال له الحسن: إن الإباضية تتولاك، قال: فقال: «أبرأ إلى الله منهم» قال: فما تقول في أهل النهر؟ قال: فقال: «أبرأ إلى الله منهم» قال: ثم خرجنا من عنده^(٤).

ثم كيف يكون جابر على مذهب الإباضية الخوارج وهو من تلامذة ابن عباس الذي ناظرهم وأفحمهم؟! قال الإمام الذهبي في ترجمة جابر بن زيد: «كان عالم أهل البصرة في

(١) آراء الخوارج، د. عمار الطالبي (١/ ٢١٧).

(٢) انظر: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، د. عوض محمد خليفات (ص: ٩-١١).

(٣) لعل المراد به الحسن البصري.

(٤) الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٢).

زمانه، يعد مع الحسن، وابن سيرين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس^(١).

مصادرهم:

من أهم مصادرهم في الحديث (مسند الربيع بن حبيب) ويقولون: إنه أصح الكتب بعد القرآن، وهذا الكتاب غير معتمد عند أهل السنة؛ لأنه ليس له أصل خطي يوثق به، ولجهالة مؤلفه الربيع بن حبيب، وشيخه الراوي عنه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ولوجود الانقطاع الشديد في كثير من أسانيده، بل الكتاب لم يظهر إلا متأخرًا، ولم يكن له وجود في عصر الرواية، بل لم نر استدلال المتقدمين من الإباضية بأحاديثه على عقائدهم التي يخالفون فيها غيرهم^(٢).

قال الشيخ الألباني: «الربيع بن حبيب - وهو الفراهيدي البصري - إباضي مجهول، ليس له ذكر في كتب أئمتنا، ومسنده هذا هو صحيح الإباضية! وهو مليء بالأحاديث الواهية والمنكرة»^(٣).

ويكفي النظر في متون الكتاب للحكم عليه، ففيه تعطيل الصفات عن الله جل وعلا، ونسبة هذا التعطيل إلى الصحابة، ومن ذلك أن الله في كل مكان^(٤)، ونفي رؤية الله يوم القيامة^(٥)، ونفي الاستواء على العرش^(٦)، وغيرها، كما سيأتي.

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٨٢).

(٢) انظر: مسند الربيع بن حبيب الإباضي.. دراسة نقدية، للدكتور سعد الحميد.

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦ / ٣٠٤)، وانظر: كتب حذر منها العلماء (٢ / ٢٩٥-٢٩٦).

(٤) انظر: مسند الربيع بن حبيب (ص: ٣٧٧) وما بعدها.

(٥) انظر: مسند الربيع بن حبيب (ص: ٣٧٩) وما بعدها.

(٦) انظر: مسند الربيع بن حبيب (ص: ٤٠٧) وما بعدها.

عقائدهم:

- ١- يعتقدون أن أهل الكبائر مخلدون في النار، يقول السالمي^(١): «مذهب أهل الاستقامة والمعتزلة أن أهل الكبائر من معاصي الله كانوا مشركين أو فاسقين مخلدون في النار دائماً»^(٢)، وأوردوا في «مسند الربيع بن حبيب» باباً بعنوان: «باب الحججة على من قال: إن أهل الكبائر ليسوا بكافرين» ذكروا فيه ٢٥ رواية من رواياتهم التي فيها الوعيد لأهل الكبائر بالنار، ثم قال الربيع: «فهذه الأحاديث كلها تثبت الكفر لأهل القبلة، وهي أكثر من أن تحصى»^(٣).
- ٢- ينكرون الشفاعة في الآخرة لأهل الكبائر، يقول السالمي: «شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين، والتقي: هو من جانب المحرمات وأدى الواجبات، فلا شفاعة لغيره من الأشقياء»^(٤).
- ٣- ينكرون حقيقة الميزان يوم القيامة، ويؤولون الميزان والوزن الوارد في الآيات والأحاديث بأنه «عبارة عن ثبوت السعادة لقوم، والشقاوة لآخرين على سبيل الاستعارة التمثيلية، حيث شبه ثبوت العمل الصالح بثقل الموازين، والعمل السيء بخفتها على وجه لا يظلم أحد فيه شيئاً»^(٥).
- ٤- صرحوا أيضاً بنفي الرؤية عن الله تعالى في الآخرة^(٦)، ويحرفون قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ

(١) هو نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، من أئمة الإباضية المتأخرين، وكتابه (مشارك أنوار العقول) من الكتب المعتمدة لديهم، وقد تولى التعليق عليه مفتي الإباضة المعاصر أحمد الخليلي.

(٢) مشارق أنوار العقول (٢/ ١٤٣).

(٣) مسند الربيع بن حبيب (ص: ٣٣٩).

(٤) مشارق أنوار العقول (٢/ ١٣٢).

(٥) مشارق أنوار العقول (٢/ ١٢٦).

(٦) مشارق أنوار العقول (١/ ٣٦٢).

يَوْمَئِذٍ نَأْصِرُهُ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة] قالوا: معناها: «ينتظر أهل الجنة الثواب بعد الثواب، والكرامة بعد الكرامة ... ولا يعني الرؤية بالأبصار؛ لأن الأبصار لا تدركه»^(١)، وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

٥- يعتقدون خلق القرآن كالمعتزلة، يقول السالمي: «لا خلاف بين الأمة في أن كلامه تعالى المكتوب في المصاحف المتلو بالألسن، المحفوظ في الصدور مخلوق»^(٢).

٦- مذهبه في الصفات هو عين مذهب المعتزلة، يقول عبد الله السالمي: «مدلول صفاته الذاتية هي ذاته العلية، ليس غيره ﷻ؛ لأنها لو كانت غيره للزم إما أن تكون موجودة قبله وهو باطل، لاستلزامه أن يكون الله حادثاً تعالى عن ذلك، وإما أن تكون موجودة بعده، وهو باطل أيضاً لاستلزامه أن تكون الذات قبل وجود تلك الصفات غير متصفة بالكمالات، فيلزم اتصافها بالنقص، وإما أن تكون مقارنة له في الوجود، وهو باطل أيضاً لاستلزامه تعدد القدماء، والقول بتعدد القدماء كفر، وبه كفرت النصارى»^(٣).

ويحرفون كل ما جاء في القرآن من إثبات الصفات لله تعالى، فيحرفون اليد بالقدرة والنعمة والرزق^(٤)، ويقولون: معنى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]: يعني أمره وقضائه^(٥)، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ [طه] معناه عندهم: استوى أمره وقدرته فوق بريته^(٦)، وهكذا في جميع الصفات.

(١) مسند الربيع بن حبيب (ص: ٣٨٠).

(٢) مشارق أنوار العقول (٢/ ٥٨).

(٣) مشارق أنوار العقول (١/ ٣٤٦).

(٤) مسند الربيع بن حبيب (ص: ٣٩٣-٣٩٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٩٥).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٩٨).

٧- ترى الإباضية جواز الخروج على الأئمة الظلمة، ويخطئون من ينسب إليهم القول بوجود الخروج عليهم، يقول شيخهم الوارجلاني: «اعلم يا أخي أن مذهب أهل الدعوة في الخروج على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز، وليس كما تقول السنية: إنه لا يحل الخروج عليهم ولا قتالهم، بل التسليم لهم على ظلمهم أولى»، ثم ذكر أن الأمة اختلفت في هذه المسألة على ثلاثة أقوال، ثم ذكر أن مذهبهم جواز «الخروج عليهم، وقتالهم ومناصبتهم والامتناع من إجراء أحكامهم علينا، إذا كنا في غير حكمهم، وأما إذا كنا تحت حكمهم، فلا يسعنا الامتناع من كثير من أحكامهم، وإن أردنا الشراء والخروج جاز لنا»^(١)، ويقول محمد بن يوسف طفيش الملقب عندهم بـ(قطب الأئمة): «ونحن بعد لا نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين، ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا»^(٢).

٨- لا يختلف موقف الإباضية من الصحابة عن موقف الخوارج، فهم يطعنون في عثمان وعلي عليهما السلام، بل يحكمون بالكفر على علي بن أبي طالب عليه السلام لقبوله التحكيم، وبترحمون على الخوارج الذي قتلهم، فقد ذكر شيخهم أبو المؤثر الصلت بن خميس البهلوي^(٣) أن الخوارج «بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي إماماً على قتال أهل البغي واتباع سيرة المسلمين قبلهم، فسار إليهم عليٌّ فقاتلهم حتى قتلهم ظلماً لهم - رحمة الله عليهم -»^(٤)، ثم قال: «فهذا دليل على كفر عليٍّ وضلاله، وصواب أهل النهروان وعدلهم»، ثم مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليٍّ وترحم عليه!^(٥)

(١) الدليل والبرهان، أبو يعقوب الوارجلاني (٣/ ٦٨).

(٢) نقلاً عن: الإباضية بين الفرق الإسلامية (ص: ٢٨٩).

(٣) قالت محققة الكتاب د. سيدة إسماعيل في ترجمته: «كان من أجل فقهاء عمان، وكان ممن يؤخذ عنه العلم في القرن الثالث

الهجري» (السير والجوابات ٢/ ٣٠٧، هامش ١).

(٤) السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان (٢/ ٣٠٥).

(٥) السير والجوابات (٢/ ٣٠٧).

يقول الوارجلاني عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «نهى أول مرة عن التحكيم فقال: إنه كفر، ثم رجع عوده على بدئه وقال: من أبى التحكيم فهو كافر، وقتل أصحاب معاوية وقد دعوه إلى التحكيم حياة عمار، وقتل أهل النهروان وقد نهوه عن التحكيم، فقتل منهم أربعة آلاف أواب»^(١).

وقال في الطعن على معاوية وعمرو بن العاص عليهما السلام: «وأما معاوية ووزيره عمرو بن العاص فهما على ضلالة، لانتحالهما ما ليس لهما بحال، ومن حارب المهاجرين والأنصار فرقت بينهما الدار وصارا من أهل النار»^(٢).

مواطنهم:

أول موطن لهم هو البصرة، ثم انتشروا بعد ذلك في غيرها، فهم موجودون في سلطنة عمان، وفي العراق، وفي اليمن وبالأخص في حضرموت إلى نهاية القرن السابع الهجري، وفي المغرب، وفي زنجبار من أفريقيا^(٣)، كما أقاموا لهم دويلات من أشهرها الدولة الرستمية، ولم يبق لهم اليوم دولة إلا في عمان.

الحكم على الخوارج:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين من مذهب مالك، وأحمد، وفي مذهب الشافعي أيضًا نزاع في كفرهم، ولهذا كان فيهم وجهان في مذهب أحمد وغيره ...

(١) الدليل والبرهان (١/ ٢٧).

(٢) الدليل والبرهان (١/ ٣٧).

(٣) انظر: أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج (ص: ٢٠).

أحدهما: أنهم بغاة.

والثاني: أنهم كفار كالمرتدين يجوز قتلهم ابتداء وقتل أميرهم، وإتباع مدبرهم ومن قدر

عليه منهم استتيب كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل^(١).

ومن ذهب إلى تكفيرهم القاضي أبو بكر ابن العربي، حيث قال: «الصحيح أنهم كفار؛

لقوله ﷺ: «يمرقون من الدين»^(٢)، ولقوله: «كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه»^(٣)، فأنبأ

أن القلب خليٌّ عن الذي في اللسان من الشهادة، ولقوله: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد

وئمود»^(٤)، وعاد قُتلت كفرًا، ولقوله: «هم شر الخلق»^(٥)، ولا يكون ذلك إلا كفرًا^(٦).

قال الإمام أبو العباس القرطبي: «ومقصود هذا التمثيل^(٧) أن هذه الطائفة خرجت من

(١) الفتاوى الكبرى (٣/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٧٤٣٢)، ومسلم (ح ١٠٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٤٣٥١)، ومسلم (ح ١٠٦٤)، ونص الحديث: عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث علي بن أبي طالب ﷺ

إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال: فقسما بين أربعة نفر، بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً»، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، مخلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول الله، اتق الله، قال: «ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفَّفٌ، فقال: «إنه يخرج من ضنضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ئمود».

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم (٣/ ١٢٨)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن

(٣/ ٢٦٠)، وحسن الألباني إسناد قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ص ٣٠.

(٥) أخرجه مسلم (ح ١٠٦٧).

(٦) عارضة الأحوذني (٩/ ٣٨)، وانظر: فتح الباري (١٢/ ٢٩٩).

(٧) أي في قوله ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

دين الإسلام، ولم يتعلق بها منه شيء، كما خرج هذا السهم من هذه الرمية، الذي لشدة النزع، وسرعة السهم، سبق خروجه خروج الدم، بحيث لا يتعلق به شيء ظاهر... وبظاهر هذا التشبيه تمسك من حكم بتكفيرهم من أئمتنا^(١).

وكذلك تقي الدين السبكي حكم بكفر الخوارج الذين ثبت عنهم تكفير أحد من الصحابة، فقال: «احتج المكفرون للشيعية والخوارج بتكفيرهم لأعلام الصحابة ﷺ، وتكذيب النبي ﷺ في قطعه لهم بالجنة، وهذا عندي احتجاج صحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك^(٢)».

وكذلك حكم القاضي عياض بكفرهم لإنكارهم حد الرجم، فقال: «وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نصّ الكتاب أو خص حديثاً مجتمعاً على نقله مقطوعاً به، مجتمعاً على حمله على ظاهره، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم^(٣)».

ومن ذهب من المعاصرين إلى تكفير الخوارج سماحة الشيخ ابن باز^(٤).

ومن أهل العلم من توقف في الحكم عليهم، فقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الحرورية والمارقة يكفرون؟ فقال: «اعفني من هذا، وقل كما جاء فيهم الحديث^(٥)»، وقيل له: «أكفر الخوارج؟ قال: هم مارقة، قيل: أكفارهم؟ قال: هم مارقة مرقوا من الدين^(٦)».

والصواب أنهم لا يكفرون؛ لخبر طارق بن شهاب: «كنت عند علي ﷺ، فسئل عن أهل النهر أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا، قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٣/ ١١٠).

(٢) فتاوى السبكي (٢/ ٥٦٩).

(٣) الشفا (٢/ ٦١٠).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٦١).

(٥) السنة، أبو بكر بن الخلال (١/ ١٤٦).

(٦) السنة، أبو بكر بن الخلال (١/ ١٤٥).

الله إلا قليلاً، قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا^(١)، ولا ريب أن علي بن أبي طالب عليه السلام من أعرف الناس بحالهم ومقالاتهم، وقد قال عليه السلام: «... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(٢)، فهذه سنة علي بن أبي طالب عليه السلام فيهم، كما كانت سنته العملية قتال البغاة لا قتال الكفار، وسنته القولية بالتصريح بعدم كفرهم، ولم يعرف له مخالف من الصحابة فكان إجماعاً.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر عليه السلام وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري، وكانوا أيضاً يحدوثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم، كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وحديثه في البخاري، وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن، كما يتناظر المسلمان»^(٣).

ولهذا قال الإمام النووي: «المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر: «وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق، وأن حكم الإسلام يجري عليهم؛ لتلفظهم بالشهادتين، ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد، وجرهم ذلك إلى استباحة

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٣٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (ح ٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (ح ٤٢).

(٣) منهاج السنة (٥ / ٢٤٧).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢ / ٥٠).

دماء مخالفيهم وأموالهم، والشهادة عليهم بالكفر والشرك»^(١).
 وأقوى ما يحتج به القائلون بكفرهم، قوله ﷺ: «يمرقون من الدين...»، فإن ظاهر لفظه يدل على خروجهم من الدين، بناء على أن المراد بالدين الإسلام، لكن الإمام الخطابي فسر الدين في الحديث بطاعة الأئمة، فيقول: «قوله ﷺ: «كان أحب الدين إليه»^(٢)، يريد أحب الطاعة، والدين في كلامهم الطاعة، ومنه قول النبي ﷺ في صفة الخوارج: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» أي طاعة الأئمة»^(٣)، وهو توجيه حسن.

وربما يقال: إنه ينبغي في هذا المقام التفصيل:

فإن من فرق الخوارج من هم بكفار بالإجماع، مثل الميمونية، فقد «حكى الكرابيسي عن الميمونية من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن، ومنكر بعض القرآن كمنكر كله»^(٤)، كما حكى أصحاب المقالات أنهم «يمييزون نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات بنات الإخوة، وبنات بني الإخوة»^(٥)، قال عبد القاهر البغدادي: «ومن استحلَّ بعض ذوات المحارم في حكم المجوس، ولا يكون المجوسي معدودًا في فرق الإسلام»^(٦).
 كما أن من فرق الخوارج الخارجة عن الإسلام اليزيدية الذين نسب إليهم القول بأن الله يبعث رسولاً من العجم، وينسخ به شريعة الإسلام، قال عبد القاهر البغدادي: «وكيف يعدُّ

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٠٠).

(٢) ونصه: «... وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» أخرجه البخاري (ح ٤٣)، ومسلم (ح ٧٨٥).

(٣) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري (١/ ١٧٤-١٧٥).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٥).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ٩٥).

(٦) الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٥).

من فرق الإسلام من يقول بنسخ شريعة الإسلام؟!«^(١).

والقسم الثاني - وهم أكثر فرق الخوارج - فلا يكفرون، وهو مذهب جماهير

العلماء، كما سبق.

وأما الحكم على الإباضية، فلا ريب أنهم من الخوارج، وهم أقرب فرق الخوارج

اعتدالاً، والصواب أنهم لا يكفرون كجمهور فرق الخوارج، وأما ما نسب إليهم من

معتقدات باطلة كتعطيل الصفات، وإنكار الرؤية، والقول بخلق القرآن، وتكفير بعض خيار

الصحابة فلا ريب أن هذه المقالات من الكفر، لكن لا يكفر من يقول بها إلا بعد ثبوت

الشروط وانتفاء الموانع، كما مر^(٢).

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٣).

(٢) انظر: مبحث (الحكم على الفرق).

المبحث الثاني مدخل في تعريف الشيعة ونشأتهم وفرقهم

تعريفهم:

الشيعة لغة: أتباع الرجل وأنصاره^(١).

وأما اصطلاحاً فقد عرفهم الإشعري بقوله: «وإنما قيل لهم: الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً -رضوان الله عليه-، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ». فهو يرى أن التشيع هو تفضيل علي عليه السلام على سائر الصحابة -رضوان الله عليهم- وهذا لا يصدق إلا على الشيعة التفضيلية، دون الرافضة، الذين ساروا على خطى ابن سبأ فكفروا خيار الصحابة، بل جميعهم إلا ثلاثة أو أربعة أو سبعة، فهم لا يدخلون في هذا التعريف؛ لأنه ليس عندهم فاضل ومفضل، ومقدم ومقدم عليه، بل حقيقة التشيع عندهم هو تكفير جميع الصحابة، ولهذا عدوا الزيدية من النواصب باستثناء الجارودية الذين شاركهم في تكفير الصحابة، فهذا التعريف يخرج فيما يبدو الرافضة بكل طوائفهم من التشيع، كما سيأتي.

أما ابن جزير فيقول في تعريفه الشيعة: «ومن وافق الشيعة في أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً»^(٢).

فهو يحصر مصطلح التشيع في أصلين: الأول: تفضيل علي عليه السلام على جميع الصحابة، والثاني: أحقيته بالإمامة وولده من بعده.

(١) انظر: لسان العرب (٨ / ١٨٨).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٥).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٩٠).

بينما يضيف الشهرستاني عقائد أخرى في تعريف الشيعة، فيقول: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إما جليّاً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة ويتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول صلى الله عليه وآله إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجود التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقدًا إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك»^(١). فيذكر هنا جملة من عقائد الشيعة الرافضة الأساسية، وهي: الأولى: دعوى النص على علي عليه السلام بالإمامة، وحصرها في أولاده، وأن الإمامة ركن الدين وأساسه. والثانية: العصمة، والثالثة: الولاء والبراء، والرابعة: التقية، ثم يستثني بعض فرق الزيدية من القول بهذه المعتقدات، والحق أن أكثر فرق الزيدية لا تقول بهذه المعتقدات، بل لا يقول بها من الزيدية سوى الجارودية.

التعريف المختار:

إذا تأملنا استعمال هذا المصطلح رأينا أنه يختلف باختلاف الأزمنة، فقد كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدّم علياً على عثمان، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم علياً على عثمان، والعثماني: من قدّم عثمان على علي عليه السلام^(٢)، ولذلك وُجد من أعلام المحدثين والعلماء من أطلق عليهم لقب الشيعة بهذا المعنى، فهم لم يخرجوا عن السنة كشريك بن عبد الله، وعبد الرزاق الصنعاني^(٣)؛ لأنّ للتشيع في زمن السلف مفهوماً وتعريفاً غير المفهوم

(١) الملل والنحل (٢/١٤٦).

(٢) انظر: منهاج السنة (٤/١٣٢)، الحور العين (ص: ١٧٩)، المنية والأمل (ص: ٨١).

(٣) ولذلك فإن عبد الرزاق الصنعاني يكفر الرافضة، فيقول: «الرافضي عندي كافر» (سير أعلام النبلاء ١٤/١٧٨) وانظر

للتفصيل: شيعة اليوم ليسوا بشيعة، مجلة البيان، عدد: ٣٣٩.

والتعريف المتأخر للشيعة.

ثم تطور التشيع إلى تفضيل عليٍّ عليه السلام على جميع الصحابة رضي الله عنهم، ثم أضيف إلى التشيع دعوى النص والوصية التي أحدثها ابن سبأ، وسمى ذلك تشيعاً، ثم أحدث بدعة أغلظ وأشنع وهي دعوى ألوهية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهكذا أصبح لكل طائفة مفهومها في التشيع، ولهم في كل زمن عقيدة يحدوثونها ويسمونها تشيعاً، ولهذا قال الإمام الذهبي: «الشيعة الغالي في زمان السلف وعُرفهم هو: من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً، وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا وعُرفنا هو: الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين فهذا ضالٌّ مفترٍ»^(١).

ولذلك فإن شيع الإسلام ابه تسمية يجعل التشيع ثلاث درجات، فيقول: «الشيعة هم ثلاث درجات:

شُرّها الغالية: الذين جعلوا علي شيتاً من الإلهية، أو يصفونه بالنبوة، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الإسلام، وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه، وهم يشبهون اليهود من وجوه أخرى.

والدرجة الثانية، وهم الرافضة، المعروفون كالإمامية وغيرهم: الذين يعتقدون أن علياً هو الإمام الحق بعد النبي صلى الله عليه وآله بنص جلي أو خفي، وأنه ظلم ومنع حقه، ويبغضون أبا بكر وعمر، ويشتمونها، وهذا عند الأئمة سيما الرافضة، وهو بغض أبي بكر وعمر وسبها.

والدرجة الثالثة: المفضلة من الزيدية وغيرهم: الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون إمامتها وعدالتها ويتولونها، فهذه الدرجة - وإن كانت باطلة - فقد نسب إليها طوائف من أهل الفقه والعبادة، وليس أهلها قريباً ممن قبلهم، بل هم إلى أهل السنة أقرب منهم إلى الرافضة؛ لأنهم ينازعون الرافضة في إمامة الشيخين وعدلها وموالاتها،

(١) ميزان الاعتدال (٦/١).

وينازعون أهل السنة في فضلها على علي عليه السلام، والنزاع الأول أعظم، ولكنهم هم المرقاة التي تصعد منه الراضية، فهم لهم باب»^(١).

هذا ما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية، أما رافضة زماننا الذين يطلق عليهم لقب الشيعة في عصرنا فإنهم جمعوا بين الدرجتين الأولى والثانية معاً، وهما تأليه علي عليه السلام حتى قالوا بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه وسائر الأئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء، مع الدرجة الثانية وهي الرفض، وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة، حتى قالوا بأن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة، وأن من اعتقد في أبي بكر وعمر الإسلام فليس بمسلم، وأن كل ما ورد من لفظ (الشیطان) في القرآن فالمراد به عمر بن الخطاب عليه السلام، كما سيأتي بيانه.

ويشير الحافظ ابن حجر إلى درجات التشيع بحسب نوع الاعتقاد، فيقول: «التشيع محبة علي عليه السلام وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه ويطلق عليه رافضي»^(٢)، وإلا فشيوعي، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشدُّ في الغلو»^(٣).

فإنه حجر يشهد إلى أن التشيع أربع درجات:

الأولى: تقديم علي عليه السلام على سائر الصحابة، باستثناء أبي بكر وعمر، فهذا هو التشيع.

الثانية: تفضيل علي عليه السلام على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة، فهذا هو التشيع الغالي.

الثالثة: بغض أبي بكر وعمر وسبهما، فهذا هو الغلو في الرفض.

الرابعة: القول بالرجعة مع البغض والسب، فهؤلاء غلاة الغلاة.

(١) التسعينية (١/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٢) المعروف أن الراضية هو الذي يشتم أبا بكر وعمر. قال عبد الله ابن الإمام أحمد -رحمهما الله تعالى-: «سألت أبي من الراضية؟ فقال: الذين يشتمون -أو يسبون- أبا بكر وعمر عليهم السلام» أخرجه الخلال في «السنة» رقم (٧٧٧) وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص: ٤٥٩).

هذا ما يقرره ابن حجر -رحمه الله- أما رافضة زماننا كالاثني عشرية الملقين اليوم بالشيعة، فهم أشد غلوًا من جميع الدرجات التي ذكرها ابن حجر، فهم لا يقدمون عليًا على أبي بكر وعمر فحسب، بل يقدمونه على جميع الرسل والأنبياء، وهم لا يسبون أبا بكر وعمر فحسب، بل يكفرونها، ويكفرون من ترضى عنهما، وهم لا يقولون بالرجعة فقط، بل يقولون بالغيبة والبداء وتحريف القرآن، وتنزل كتب إلهية على أئمتهم، كما يشرعون الشرك لأتباعهم ويجعلونه دينًا، ويستحلون دماء وأموال كل مخالفهم، كما سيأتي.

أما لقب الشيعة فإنه إذا أطلق اليوم لا ينصرف إلا إلى الاثني عشرية، وسيأتي التعريف بهم في مبحث مستقل.

نشأتهم:

ظهر في خلافة عليٍّ عليه السلام أربع طوائف كلها تنتسب إلى التشيع، وهي:

الأولى: من يفضلون عليًا على عثمان، وهم من يلقبون بالشيعة الأولى، قال ليث بن أبي سليم: «أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا»^(١).

والثانية: من يفضل عليًا على أبي بكر وعمر، ويلقبون بالمفضلة، وقد جاء عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري»^(٢). وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»^(٣)، وروي هذا عنه من ثمانين وجهًا^(٤).

والثالثة: السبابة، وهم الذين يسبون أبا بكر وعمر، والذي أحدث لهم هذه العقيدة عبد

(١) المنتقى (ص: ٣٦٠-٣٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٨١٩).

(٣) انظر من الروايات في هذا المعنى: «صحيح البخاري» (مع فتح الباري) (٧/ ٢٠)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، رقم (٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٧١، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ١٠٥٤) (٢/ ١٤٨، ١٤٩، ١٦١، ١٦٤، ٢٣٣).

(٤) منهاج السنة (١/ ٢١٩-٢٢٠).

الله بن سبأ اليهودي؛ ولذا فإن علياً لما بلغه ذلك طلبه، وقيل: إنه أراد قتله، فهرب منه^(١).
الرابعة: المؤلفة الذين ادعوا في علي بن أبي طالب الألوهية، وهؤلاء الذين حرّقهم بالنار^(٢).

أما الأولي فلم يخرجوا عن السنة؛ لأن المفاضلة بين عثمان وعلي **«ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة»^(٣).**

وأما الثانية فليسوا بشيعة لعلي عليه السلام؛ لأنهم لم يتبعوه في قوله: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»، ولهذا «لما سأل سائل شريك بن عبد الله، فقال له أيهما أفضل: أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. قال له السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟! فقال له: نعم، ومن لم يقل هذا فليس شيعياً، والله لقد رقى عليُّ هذه الأعواد، فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فكيف نرد قوله وكيف نكذبه؟! والله ما كان كذاباً»^(٤).

وأما الثالثة والرابعة فكلهم سبئية غلاة، لكنهم انتسبوا إلى التشيع خداعاً وتلبيساً.

فرقهم:

في كتاب (المقالات والفرق) للشيعي سعد القمي (ت ٣٠١ أو ٢٩٩هـ) وكتاب (فرق الشيعة) للشيعي الحسن النوبختي (ت ٣١٠هـ) - وهما من أهم كتب الشيعة الخاصة بالفرق وأقدمها - في هذين الكتابين عشرات من الفرق الشيعية، وبعدهما أيضاً حدثت فرق، وولدت طوائف ومقالات تنتمي للتشيع، حتى ذكر المسعودي - وهو شيعي - (ت ٣٤٦هـ) أن طوائف

(١) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٢) انظر: منهاج السنة (١/ ٢١٩)، فتح الباري (٢/ ٢٧٠)، التنبيه والرد (ص: ١٨)، التبصير في الدين (ص: ٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

(٤) منهاج السنة (١/ ٧-٨).

الشيعة بلغت في زمنه ثلاثاً وسبعين فرقة^(١).

وزعم الرافضي مير باقر الداماد (ت ١٠٤٠ هـ) أن جميع الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشيعة وأن الناجية منهم طائفته فقط، وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم في اعتقاده لم يدخلوا في الإسلام^(٢).

وقد ورد في دائرة المعارف أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيرًا عن الفرق الاثنتين والسبعين المشهورة^(٣)، وذكر بعض العلماء أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة^(٤).

وتحدثت كتب الفرق والمقالات عن الشيعة وأصول فرقها وفروعها.

فالأشعري يرجع فرقهم إلى ثلاثة أصول:

(١) الغلاة، ويقسمها إلى خمس عشرة فرقة.

(٢) الرافضة^(٥)، ويقسمها إلى أربع وعشرين فرقة.

(٣) الزيدية، ويقسمها إلى ست فرق^(٦).

أما الشهرستاني فيجعل أصول فرق الشيعة خمسًا^(٧)، وهي: كيسانية، وزيدية، وإمامية،

(١) انظر: مروج الذهب (٣/ ٢٢١)، وانظر: الملل والنحل (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: التعليقات على شرح الدوّاني للعقائد العضدية، ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني، دراسة وتحقيق محمد عمارة (١/ ٢١٥)، وقد نسب رشيد رضا كتاب (التعليقات) لمحمد عبده (تفسير المنار ٨/ ٢٢١)، لكن الأستاذ محمد عمارة أثبت أنها لجمال الدين الأفغاني. انظر: الأعمال الكاملة، الأفغاني (١/ ١٥٥-١٦٦)، الأعمال الكاملة، محمد عبده (١/ ٢٠٩).

(٣) انظر: دائرة المعارف (١٤/ ٦٧).

(٤) انظر: الخطط، المقرئزي (٢/ ٣٥١).

(٥) وهو يعني بالرافضة الإمامية، فهو يستخدم اللفظين بمعنى واحد، ولهذا ذكر من فرق الرافضة بعض فرق الإمامية، كالواقفة والقطعية، فإنها من فرق الإمامية، إلا أنه مع ذلك ذكر فرقة البيانية من فرق الرافضة وهي من الغلاة حسب تقسيمه.

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥، ٦٦، ٨٧، ٨٨، ١٣٦).

(٧) انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٧).

وغلاة، وإسماعيلية^(١).

ولعل تقسيم الأشعري هو الأقرب، ويضاف عليه بأن رافضة زماننا جمعوا بين الغلو والرفض، فهم رافضة غلاة.

ولا حاجة إلى ذكر فروع الفرق الشيعية؛ لأن منها ما قد انتهى من الوجود، ومنها ما هو داخل في فرقة من الفرق الموجودة اليوم، فقد انقرضت كثير من الفرق الشيعية التي تزيد على ثلاث وسبعين فرقة، وورثت عقائدها طائفة الاثني عشرية ولم يبق من الفرق المنتسبة إلى التشيع في عصرنا سوى ثلاث فرق، يقول مرجع الشيعة المعاصر محسن الأمين: «والموجود اليوم من فرق الشيعة هم: الإمامية الاثنا عشرية وهم الأكثر عددًا، والزيدية، والإسماعيلية»^(٢)، ويقول د. علي سامي النشار: «تشمل الشيعة في عصرنا الحاضر فرقًا ثلاثًا هي: الاثنا عشرية، والإسماعيلية والزيدية»^(٣).

وفيما يلي تعريف بهذه الفرق الثلاث، وسأخصص الاثني عشرية بمزيد تفصيل؛ لأنها أكثرهم عددًا وأخطرهم كيدًا وأوسعهم انتشارًا، وأشدّها حماسًا في نشر مذهبها، والطعن في السنة وأهلها، ولأنها في مصادرها الأساسية قد استوعبت معتقدات معظم الفرق المنتسبة إلى التشيع.

(١) يلاحظ أن الشهرستاني جعل الغلاة أصلًا من الأصول الشيعية وجعل الإسماعيلية أصلًا آخر، مع أن الإسماعيلية داخلية في دائرة الغلاة، وقد ذكر الشهرستاني نفسه في فرقة الغلاة أنهم يلقبون بالمحمرة، وهذا لقب من ألقاب الإسماعيلية كما ذكره الغزالي في (فضائح الباطنية) وغيره، ومن ناحية أخرى فإننا نجد ذكر أيضًا بعض الفرق الغالية تحت الأصول الأخرى، فمثلًا يذكر البيهقي أتباع بيان بن سمعان، وهو - كما ذكره الشهرستاني نفسه - من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي عليه السلام يذكر فرقة المسماة بالبيانية تحت اسم الكيسانية، وغرضنا هنا أن ننبه إلى أن هذا التقسيم لا يعني أن الشهرستاني يحكم على تلك الأصول الأربعة غير الغلاة بعدم الغلو، بل فيهم الغالي وغير الغالي، وبعض العلماء يسير في تقسيمه لهم على اصطلاح أشار إليه ابن تيمية، وهو أن الإسماعيلية علّم على الملاحدة، والغالية علّم على القائلين بإلهية البشر (انظر: منهاج السنة ٢/ ٥١٣).

(٢) أعيان الشيعة (١/ ٢٢). وانظر: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، محمد المهدي شمس الدين (رافضي) (ص: ٦١).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي (٢/ ١٢).

المبحث الثالث الزيدية

تعريفهم:

هم المنتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١)، وسموا بالزيدية نسبة إليه^(٢).

نشأتهم:

كانت نشأة الزيدية سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ، وذلك أن زيد بن علي -رحمه الله- لما أراد أخذ البيعة من أهل الكوفة، أمرهم بالخروج والتأهب له، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له: ما قولك يرحمك الله، في أبي بكر، وعمر؟ فقال: غفر الله لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، وأنا لا أقول فيها إلا خيراً، فرفضوه وانصرفوا عنه، ونقضوا بيعته وتركوه، فلهذا سمو الرافضة من يومئذ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية^(٣).

فرقهم:

اختلف أصحاب المقالات والفرق في عدد فرق الزيدية، فالقمي لا يذكر سوى فرقتين هما: الضعفاء والأقوياء^(٤)، وكذا النوبختي^(٥)، بينما الأشعري يذكر لهم ست فرق هي:

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٤)، وانظر: مقدمة البحر الزخار (ص: ٤٠).

(٢) انظر من كتب الزيدية: الرسالة الوازعة، يحيى بن حمزة اليماني (ص: ٢٨)، وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٦)، الأنساب (٦/ ٣٦٥)، اللباب، لابن الأثير (١/ ٥١٧).

(٣) انظر: منهاج السنة (١/ ٢١)، البداية والنهاية (١٣/ ١٠٦-١٠٧)، الرسالة الوازعة (ص: ١٧-١٨).

(٤) انظر: المقالات والفرق (ص: ٧٣).

(٥) انظر: فرق الشيعة (ص: ٥٠).

الجارودية، والسليمانية، والبترية، والنعيمية، ولا يذكر اسم الفرقة الخامسة ويذكر مذهبها فقط، ثم اليعقوبية^(١)، أما البغدادي فلا يذكر سوى ثلاث فرق منها وهي: الجارودية، والسليمانية والبترية^(٢)، وكذلك الحال عند الشهرستاني الذي قال: هم أصناف ثلاثة: جارودية، وسليمانية، وبترية. والصاحية منهم والبترية على مذهب واحد^(٣).

وكذلك الحال عند الرازي^(٤)، ونشوان الحميري^(٥)، أما المَلطي فيجعلهم أربع فرق ولا يسمي هذه الفرق باستثناء واحدة يطلق عليها اسم معتزلة بغداد^(٦).

وهذه الفرق التي يذكرها أصحاب المقالات انقرضت ولا نسمع لأسائها ذكراً، وهي بين متطرف غالٍ كالجارودية، وبين معتدل كالصاحية، وبين هؤلاء وأولئك كالسليمانية أو الجريرية.

فالجارودية أتباع أبي الجارود الأعمى، واسمه زياد بن أبي زياد، وقيل: اسمه زياد ابن المنذر الهمداني، ويقال: الهندي، ويقال: الثقفي، أبو الجارود الأعمى الكوفي^(٧)، قال عنه أبو حاتم: «كان رافضياً يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ وﷺ، ويروي في فضائل

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٠ - ١٤٥).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٢).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٧).

(٤) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٧ - ٧٨).

(٥) انظر: الحور العين (ص: ١٥٥).

(٦) انظر: التنبيه والرد (ص: ٣٣ - ٣٤).

(٧) بينما يذكر البرسي - من الرافضة الإمامية - خمس عشرة فرقة للزيدية بأسائها مشارق أنوار اليقين (ص: ٢١٠). ولم أجد من وافقه على هذا التقسيم وهذا العدد من أصحاب الفرق والمقالات، كما أن البرسي غير موثوق لما ينقله من أباطيل وخرافات في كتبه فلا نستغل بعرض ما ذكر.

(٨) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٣٠)، تاج العروس (٢/ ٣١٨).

أهل البيت ﷺ أشياء ما لها أصل، لا يحل كتب حديثه.. وهو من المعدودين من أهل الكوفة الغالين»^(١). فهم في عداد الروافض وإن انتسبوا إلى الزيدية، وهم الذين يعينهم الشوكاني في حديثه عن رافضة اليمن، كما أن رافضة الاثني عشرية يعدونهم من فرقهم، ويعتبرون ما عداهم من فرق الزيدية نواصب، فهذا شيخ الرافضة في القرن الرابع المفيد ينظمهم في سلك التشيع (بمعنى الرافض) ويخرج ما عداهم من فرق الزيدية من شمول اسم التشيع لهم^(٢)، وفي رجال الكشي وغيره أهم مصادر الاثني عشرية في الرجال - روايات تحكم على الزيدية بأنهم نواصب، فعن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية، قال: «لا تصدق عليهم بشيء ولا تسقمهم من الماء إن استطعت، وقال لي: الزيدية هم النصاب»^(٣).

ولقد أصبحت فئة الجارودية في فترة من الفترات هي الممثلة للزيدية ولا يوجد غيرها، كما يذكر صاحب (الخور العين) حصول ذلك في زمنه حيث قال: «وليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية، وهم بصنعاء وصعدة وما يليهما»^(٤). أما اليوم فإن الجارودية اختفى اسمها، وبقيت عقيدتها؛ حيث اعتنقتها الحوثية، كما سيأتي.

والسليمانية أو الجريرية أتباع سليمان بن جرير الزيدي، ومعتقداتها في الإمامة كما يقول نشوان الحميري «أن علياً كان الإمام بعد رسول الله ﷺ، وأن بيعة أبي بكر وعمر كانت خطأ لا يستحق عليه اسم الكفر، ولا اسم الفسوق، وأن الأمة قد تركت الأصلح، وبرئت من

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٨٦).

(٢) انظر: أوائل المقالات (ص: ٤٠).

(٣) رجال الكشي (ص: ١٩٩)، بحار الأنوار (٧٢/ ١٧٩).

(٤) الخور العين (ص: ٥٦).

عثمان بسبب إحدائه، وشهدت عليه وعلى من حارب علياً بالكفر»^(١).

وأقرب فرق الزيدية إلى أهل السنة هم الصالحية، وهم الذين عناهم ابن حزم بقوله: «وأقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة المتمدون إلى أصحاب الحسن بن صالح بن حي الهمذاني الفقيه، القائلون بأن الإمامة في ولد علي عليه السلام، والثابت عن الحسن بن صالح - رحمه الله - هو قولنا: إنَّ الإمامة في جميع قريش وتولي جميع الصحابة عليهم السلام، إلا أنه كان يفضل علياً على جميعهم»^(٢)، وهؤلاء أحق بالانتساب إلى زيد.

أما حال الزيدية اليوم فقد ذكر لي الشيخ عبد المجيد الزنداني عام ١٤٠٢هـ بأنه لا يوجد من المنتسبين إلى المذهب الزيدي اليوم سوى المعتدلين، وقد انقرض الغلاة^(٣).

ولكن ملائي إيران راموا إحياء مذهب الغلاة، وبعثه من جديد، قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في مقابلة معه أجرتها مجلة (المجلة): «إن التشيع في اليمن قدامات، ولكن إيران تريد إحياءه بالمال»، وقد تحققت نذارته، وأحيت إيران التشيع الرافضي الغالي في اليمن عبر تجنيد الحوثية، وهم امتداد لفرقة الجارودية، فأخذوا بعقيدة الاثني عشرية وولاية الفقيه الخمينية، وصاروا عملاء إيران في اليمن، وأحدثوا من الفساد والخراب ما هو مشاهد ومعلوم، وسيأتي حديث موجز عنهم.

(١) الحور العين (ص: ١٥٥)، وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٣)، الفرق بين الفرق (ص: ٣٢).

(٢) الفصل (١٠٦/٢) وانظر: (٤/ ١١١) من المصدر السابق.

(٣) التقيت الشيخ عبد المجيد الزنداني عام ١٤٠٢هـ بعد أن ألقى محاضرة في المركز الصيفي بالدمام، وأطلعت على بحثي حول الزيدية المنشور ضمن رسالتي الماجستير (مسألة التقريب بين السنة والشيعة)، فأثنى على البحث، وقال: إن النتيجة التي توصل إليها البحث لا يتوصل إليها إلا كبار العلماء، ثم سألت عن حال الشيعة في اليمن من حيث التطرف والاعتدال، فقال: «إن زيدية اليمن معتدلون» انتهى كلامه - حفظه الله -.

عقائدهم:

الزيدية يوافقون المعتزلة في العقائد^(١)، وسيأتي ذكر معتقدات المعتزلة، أما عقائدهم التي انفردوا بها فهي كما يلي:

١- قولهم في الإمامة: الزيدية كما يقول الشهرستاني: «ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ~~عليها السلام~~ ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إمامًا واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ~~عليهم السلام~~، وجوزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل^(٢)».

٢- عقيدتهم في الصحابة: مذهب جمهور الزيدية هو الترضي عنهم، كما ينقل ذلك ابن الوزير عن الإمام الكبير المنصور بالله؛ إذ قال في الرسالة الإمامية في الجواب عن المسائل التهامية: «فأما ما ذكره المتكلم عنا من تضعيف آراء الصحابة فعذرنا أنهم أشرف قدرًا، وأعلى أمرًا، وأرفع ذكرًا من أن تكون آراؤهم ضعيفة، أو موازينهم في الشرف والدين خفيفة، فلو كان كذلك لما اتبعوا رسول الله ﷺ، ومالوا عن إلف دين الآباء والأتراب والقرباء إلى أمر لم يسبق لهم به أنس، ولم يسمع له ذكر، شاق على القلوب، ثقیل على النفوس. فهم خير الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيرًا - إلى قوله - فهذا مذهبنا لم نكتم سواه تقية وكيف وموجبها زائل ومن هو دوننا مكانًا وقدوة يسب ويلعن ويذم ويطعن ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء، وهذا ما يقضي به علم آبائنا منا إلى علي ~~عليه السلام~~ - إلى قوله - وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء بسب الصحابة ~~عليهم السلام~~ والبراءة منهم فتبرأ من محمد

(١) انظر: العلم الشامخ، القبلي (ص: ٣١٩). وذكر الرازي أن مذهبهم في الأصول قريب من مذهب المعتزلة (المحصل ص:

٢٤٨)، أما الشهرستاني فيقول: «أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة» (الملل والنحل ١/ ١٦٢).

(٢) الملل والنحل ١/ ١٥٤-١٥٥).

ﷺ من حيث لا يعلم»^(١).

ويقول القبلي: «إن الزيدية ليسوا من الرافضة، بل ولا من غلاة الشيعة في عرف المتأخرين ولا في عرف السلف؛ فإنهم الآن مستقر مذهبهم الترضي على عثمان وطلحة والزبير وعائشة ﷺ فضلاً عن الشيخين»^(٢)، ويذكر القبلي: «أن الزيدية ليست لهم قاعدة محددة فإنهم أحياناً يطعنون في بعض خيار الصحابة كأبي هريرة وجريير البجلي وأم المؤمنين أم حبيبة ﷺ؛ لأنهم رووا ما يخالف هواهم، وإذا جاءهم الحديث على ما يوافق هواهم قبلوه من طريق ذلك الصحابي وإن كان أقل فضلاً ورتبة ممن طعنوا فيه»^(٣)، ويتحدث القبلي «أنه قد سرى داء الإمامية في الزيدية في هذه الأعصار حتى تظهر جماعة مُحَّح^(٤) مذهب الإمامية، وهو تكفير الصحابة ومن تولاهم -صانهم الله تعالى-»^(٥)، ولعل هذه الظاهرة -اعتناق الزيدية لمذهب الرفض- هي التي جعلت بعضهم يقول: «جئني بزيدي صغير أُخرج لك منه رافضياً كبيراً»^(٦).

٣- دعوى النص والعصمة: من عقائد الزيدية قولهم بعصمة فاطمة وعلي والحسن والحسين^(٧)، ويذكر يحيى بن حمزة بن علي الهاشمي اليميني «أن معظم فرق الزيدية يقولون

(١) الروض الباسم (ص: ٤٩-٥٠).

(٢) العلم الشامخ (ص: ٣٢٦).

(٣) الأرواح النوافع (ذيل العلم الشامخ) (ص ٦٩٣ - ٦٩٤) بتصرف.

(٤) المح -بالضم-: خالص كل شيء (القاموس، مادة: مح).

(٥) العلم الشامخ (ص: ٨٨).

(٦) المصدر السابق (ص: ١١١).

(٧) انظر: العلم الشامخ (ص: ٣٨٦)، وفي كتاب (نصرة مذاهب الزيدية) للصاحب ابن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥هـ ما يشير إلى أن القول بالعصمة هو مذهب لبعض الزيدية. انظر: نصره المذاهب الزيدية (ص: ١٦٤ - ١٦٩)، ومعنى هذا أن القول بالعصمة قد استشرى بالزيدية مع امتداد الزمن حتى شمل معظمهم.

بالنص على إمامة الثلاثة علي وولديه، واعتقاد ثبوت إمامة من عداهم من أولادهما بالدعوة^(١).

ومسألة العصمة والنص هي كالطعن في الصحابة، وكلها من أدواء الإمامية التي استشرت في بعض فرق الزيدية، والبعض الآخر يخالفهم في هذا كالسليمانية والصالحية والبترية الذين يقولون: الإمامة شورى، ويجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل^(٢)، كما أن القائلين بالنص والعصمة يخالفون من ينتسبون إليه وهو الإمام زيد الذي لم يقل بالنص^(٣)، كما لم يقل بالعصمة^(٤)، ولذا فإن المذهب الزيدي ليس هو مذهب زيد، وأن نسبة مقالات الزيدية إلى زيد ليس له أصل ثابت، بل عقيدة زيد هي عقيدة أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين، وتابعيهم من ولد الحسين بن علي، وولد الحسن، وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونها على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة»^(٥).

كما أن زيداً لم يؤثر عنه القول بشيء من عقائد المعتزلة، وأما ما نقله الشهرستاني من أن زيد بن علي تتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء^(٦)، فهذا لا أصل له، وهو رأي انفرد به الشهرستاني، ولم تثبت صحته برواية صحيحة، وقد ردّ ذلك وأبطله ابن الوزير، بقوله: «وأما

(١) الرسالة الوازعة (ص: ٢٨).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٩-١٦١).

(٣) انظر كلام زيد في (الملل والنحل) للشهرستاني في أن علياً وإن كان الأفضل، إلا أن المصلحة في تولية أبي بكر، فلو كان ثمة نص لم تراع المصلحة تلك. انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٥). وانظر: الإمام زيد، محمد أبو زهرة (ص: ١٨٤-١٨٥).

(٤) انظر: الإمام زيد، أبو زهرة (ص: ١٨٨).

(٥) منهاج السنة النبوية (٧/ ٣٩٦).

(٦) انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٥).

ما نقله محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر المعروف بالشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) من كون زيد بن علي عليه السلام قلدّ واصل بن عطاء، وأخذ عنه مذهب الاعتزال تقليدًا، وكانت بينه وبين أخيه الباقر عليه السلام مناظراتٌ في ذلك، فهذا من الأباطيل بغير شكٍّ، ولعله من أكاذيب الروافض، ولم يورد له الشهرستاني سندًا ولا شاهدًا من رواية الزيدية القدماء، ولا من رواية علماء التاريخ، ولا الشهرستاني ممن يُوثقُ به في النقل، وكم قد روى في كتابه هذا من الأباطيل المعلوم بطلانها عند أئمة هذا الشأن^(١).

الحكم عليهم:

سئل ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن حكم ذبائح من ينتمي إلى مذهب الزيدية، وحكم نكاح نسائهم؟ فأجاب: «الجواب على هذا يتوقف على تصور معتقداتهم تفصيليًا، ومن المعلوم أنهم فرق؛ فمن كانت بدعته تصل إلى حد التكفير لم تحل ذبيحته، ومن لم يصل إلى هذا الحد، فلا يحكم بتحريم ذبيحته»^(٢).

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٥ / ٣٠٨-٣٠٩).

(٢) فتاوى ورسائل ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢ / ٢٠٧-٢٠٨).

المبحث الرابع الحوثية

تعريفهم:

الحوثية فرقة جارودية الأصل تأثرت بالاثني عشرية، ودانت بالولاء لنظام الولي الفقيه، وسميت بهذا الاسم؛ نسبة إلى قائدها الأول ومؤسسها حسين بن بدر الدين الحوثي^(١).

نشأتهم:

بدأت الحوثية كحركة ثقافية في الظاهر، ولقبوا أنفسهم بـ(الشباب المؤمن)، واهتمت بتربية الشباب وفق المذهب الرافضي، ثم ما لبثت أن تحولت إلى تنظيم عسكري مسلح، ابتداءً من عام ٢٠٠٤م، وصار اسمهم الأشهر هو (الحوثية)^(٢)، ثم تحولت إلى حركة سياسية تسير على خطى الثورة الإيرانية، فكان مما يتم تدريسه في اتحاد الشباب في الثمانينات مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، وافتتن قادة الحوثية بأعلام الاثني عشرية كالحميني ونصر الله، مما جعل البعض يحكم بتحول هؤلاء الحوثية من المذهب الزيدي الجارودي إلى المذهب الاثني عشري^(٣)، لا سيما بعد أن ظهرت لهم العديد من المخالفات للمذهب الزيدي، وصدور عدد

(١) حسين بن بدر الدين بن أمير الدين بن الحسين بن محمد الحسني. مولده في صَحْيَان محافظة صعدة عام ١٩٥٩م، زار إيران عدّة مرّات، والتقى بعدد من مرجعياتها، فتأثر بها وجده هناك، ثم عاد إلى اليمن محمّلاً بأفكار إيرانية حاول تحقيقها على الأرض اليمنية فكلفته حياته حيث قتل في الحرب الأولى مع الجيش اليمني في العام ٢٠٠٤م/١٤٢٦هـ. انظر: التشيع في صعدة.. أفكار الشباب المؤمن في الميزان، عبد الرحمن المجاهد (ص: ٨٢)، والتوجهات الإيرانية في المنطقة العربية وأثرها على الأمن القومي، الزهيري (ص: ٩٧) وما بعدها.

(٢) الحوثيون، الظاهرة الحوثية دراسة منهجية شاملة، لأحمد الدغشي (ص: ١٦).

(٣) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين، علي الصادق (ص: ١٠١)، التشيع في صعدة، أفكار الشباب المؤمن في الميزان (ص: ١٨١).

من البيانات من علماء الزيدية تعلن التبري من قادة الحوثية في حينه^(١)، بالإضافة إلى انتشار عدد كبير من المؤلفات الاثني عشرية في مدارس الحوثية وتدريبها للطلاب الزيديين^(٢). كما يجاهر حسين الحوثي في محاضراته ببعالته لإيران، وذلك عبر ثنائه وإشاداته بالخميني ونحلته، ومن ذلك قوله عن الخميني: «رجل مؤمن، تقي، رجل مجاهد، شجاع، يعرف كيف يضع الخطط الحكيمة، ينطلق انطلاقاً قرآنية»^(٣).

وقال أيضاً: «ذلك الرجل العظيم الذي استطاع بإيمانه وشجاعته وقوة نفسه أن يكون على هذا النحو الذي خلق فعلاً تجديداً في العالم، وخلق صحوة إسلامية، وأرعب أعداء الله، وعمل على إعادة الثقة لدى المسلمين بدينهم»^(٤)، وقال: «احتج الله على العرب وعلى المسلمين بإيران وبالخميني، واحتج على الشعوب كشعوب، على الناس كطوائف بحزب الله»^(٥). وترجع جذورها إلى فرقة الجارودية المنتسبة إلى الزيدية، وقد جمعت في عصرنا بين أصلها الجارودي الرافضي وضلالات الاثني عشرية والقول بولاية الفقيه الخمينية، وقد استطاع الحوثيون في عام ١٤٣٥ / ٢٠١٤م بدعم من الرئيس السابق علي عبد الله صالح أن يستولوا على عدد من محافظات اليمن بما في ذلك العاصمة اليمنية صنعاء، والاستيلاء على السلطة بالقوة بعد الانقلاب على الرئيس المنتخب.

(١) انظر: التشيع في صعدة.. أفكار الشباب المؤمن في الميزان (ص: ١٧٠، وما بعدها)؛ الحرب في صعدة، الجزء الثاني (ص: ٨٥، وما بعدها).

(٢) انظر: التشيع في صعدة دراسة ميدانية (ص: ٤٩، وما بعدها).

(٣) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة آل عمران، الدرس الثاني (ص: ١٦)، حسين بدر الدين الحوثي، ٩ / ١ / ٢٠٠٢م - صعدة.

(٤) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة المائدة، الدرس الرابع (ص: ١٥)، حسين بدر الدين الحوثي، ١٦ / ١ / ٢٠٠٢م - صعدة.

(٥) ملزمة: يوم القدس العالمي (ص: ٢٦)، حسين بدر الدين الحوثي، ٢٨ / ٩ / ١٤٢٢هـ - صعدة.

عقائدهم:

المتأمل في عقائد الحوثيين لا يشك في أنهم رافضة؛ لأن لهم مجموعة من العقائد والطقوس التي خالفوا فيها الزيدية المعتدلة فألحقهم بالرافضة، منها:

١- الطعن في الصحابة:

تعتبر محاضرات قائدهم حسين بدر الدين الحوثي هي المصدر الأول للتعرف على معتقد الحوثية، وقد ملئت هذه المحاضرات بكم هائل من الطعن في صحابة النبي ﷺ، وخاصة الخلفاء الثلاثة، يقول حسين الحوثي: «كل ظلم وقع للأمة، وكل معاناة وقعت للأمة فيها، المسؤول عنها أبو بكر وعمر وعثمان، عمر بالذات»^(١).

ويؤكد الحوثي هذا الموقف من الخلفاء الراشدين في موضع آخر، فيقول: «مَنْ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْوَلَايَةِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي تَجْعَلُهُ فِيهَا مِنْ أَوْلِيَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤]»^(٢).

بل يتهم حسين الحوثي صحابة النبي ﷺ بإرادة تحريف القرآن، وأنهم لم يكونوا أمناء عليه بعد رسول الله ﷺ، ولولا أن الله تكفل بحفظه لأدخلوا فيه ما ليس منه! يقول: «لولا أنه محفوظ من قبل الله لكانت فيه سور أخرى؛ واحدة لمعاوية، وواحدة لعائشة، وواحدة لأبي بكر، وواحدة لعمر، وواحدة لعثمان، لكن الله سبحانه وتعالى حفظه. من أجل من حفظه؟ حتى ممن رأوا النبي ﷺ، من أجل أن يصل إلينا نظيفاً وسليماً.

أعتقد أنه حفظه حتى ممن كانوا في زمن الرسول ﷺ؛ لأنهم بعد موته كانوا يُشكِّلون خطورة عليه كثير، منهم معاوية، ألم يُعاصر النبي؟ أليس صحابياً؟ عمرو بن العاص، أليس

(١) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة المائدة- الدرس الأول (ص: ١)، حسين بدر الدين الحوثي، ١٣/١/٢٠٠٢م- صعدة.

(٢) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة المائدة- الدرس الأول (ص: ١٤)، حسين بدر الدين الحوثي، ١٣/١/٢٠٠٢م- صعدة.

صحابياً؟ المغيرة بن شعبة وعائشة أليسوا صحابة؟، لكن لا يوجد مجال وإلا كان معاوية يخلق لك عشرين مصحفًا، يجعل لبني أمية سورة، وفي أهل البيت عليهم السلام سورة تكون لعناً وسباً»^(١).

كما ورد عن بدر الدين الحوثي-الأب- تكفير بعض الصحابة، مثل: معاوية، وعمرو بن العاص^(٢).

٢- إحياء بدع الرافضة:

من البدع الرافضية التي عمل الحوثية على إحيائها ما يلي:

أ- الاحتفال بعيد الغدير: وهو قديم في بلاد الزيدية يعود إلى عام ١٠٧٣هـ^(٣)، إلا أن طريقة الاحتفال بعيد الغدير في زمن الحوثية قد اختلفت عن طريقة الاحتفال التي كانت موجودة من قبل، فقد أظهر المحتفون بالغدير مزيداً من الغلو في هذا اليوم، وأظهروا فيه أموراً ما كانت تُعرف لدى الزيدية من قبل؛ كالتعريض بالصحابة، وإثارة الأحقاد والضغائن ضد أهل السنة^(٤).

ب- إقامة العزاء بمناسبة عاشوراء: وهذه لم توجد في بلاد اليمن إلا منذ العهد القريب بسبب الحوثيين^(٥).

الحكم عليهم:

تبين أن الحوثية تأثرت بالاثني عشرية، وتبنت معتقداتها الغالية، ولذا فالحكم على الحوثية هو نفسه الحكم على الاثني عشرية، وسيأتي بيانه تفصيلاً في مبحث (الاثني عشرية).

(١) دروس من هدي القرآن، ملزمة: سورة آل عمران- الدرس الأول (ص: ٩)، حسين بدر الدين الحوثي، ١/ ٨ / ٢٠٠٢م، صعدة.

(٢) انظر: الذرية المباركة، بدر الدين بن أمير الدين الحوثي (ص: ٢٧- ٢٨).

(٣) انظر: بهجة الزمن (٢ / ٦٢٠).

(٤) انظر طريقة الاحتفال في: الحرب في صعدة، عبد الله الصنعاني (ص: ٤٥- ٤٦).

(٥) نقلت هذه التظاهرة عدد من القنوات الفضائية الشيعية، منها: قناة العالم الإيرانية، وقناة المسيرة الخاصة بشيعة اليمن.

المبحث الخامس الشيعة الإمامية الاثنا عشرية

تعريفهم:

هم الذين يقبون في عصرنا بالشيعة وبالجعفرية، ويمثلون الأكثرية من الشيعة المعاصرين، ويقوم دينهم على دعوى أن الرسول ﷺ أوصى لعليّ بإمامة المسلمين، وأن الصحابة أنكروا الوصية فكفروا إلا ثلاثة، وأن عليّاً بايع الخلفاء الثلاثة تقية، وأنه معصوم بمنزلة النبي ﷺ وأن الإمامة من بعده محصورة في الحسن ثم الحسين ثم بعض أولاد الحسين، يقول شيخهم المفيد: «فأما السمة للمذهب بالإمامة، ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية فهو عَلم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، وأوجب النص الجلي والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي ﷺ وساقها إلى الرضا علي بن موسى ﷺ»^(١)، ثم تفرعت عن ذلك سائر عقائدهم.

فدينهم يقوم على دعوى النص والوصية، ولذلك يربط شيخ الطائفة الطوسي التشيع بالاعتقاد بكون عليّ ﷺ إماماً للمسلمين بوصية من الرسول ﷺ وإرادة من الله^(٢).

ويؤكد على هذا شيوخ الاثني عشرية المعاصرون، فيقصدون وصف التشيع على من يؤمن بالنصّ على خلافة عليّ، يقول محمد جواد مغنية بأن لفظ الشيعة «عَلمٌ على من يؤمن بأن عليّاً هو الخليفة بنص النبي ﷺ»^(٣). فمن لم يعتقد النص والوصية على خلافة علي بن أبي طالب وإمامة الأئمة من بعده لا يعد إمامياً اثني عشرياً.

(١) أوائل المقالات (ص: ٣٨).

(٢) انظر: تلخيص الشافي (٢/ ٥٦).

(٣) الشيعة في الميزان (ص: ١٥).

التعريف المختار:

أصدق تعريف لهذه الطائفة أنهم أتباع ابن سبأ، ثم الكليني والمجسبي والحر العاملي والنوري الطبرسي وأمثالهم لا أتباع أهل البيت، أو هم الذين يتلقون عقائدهم ودينهم من الأصول الأربعة عندهم: وهي: الكافي، والتهديب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وما ألحق بها في الاعتبار عندهم من المصادر الأربعة المتأخرة، وهي: الوافي، والبحار، والوسائل، ومستدرک الوسائل، التي يسميها بعض مراجعهم المعاصرين بـ«صاحح الإمامية الثمانية»^(١)، وكذلك ما رأى شيوخ الشيعة أنه بدرجة هذه الكتب من مؤلفاتهم، وهي كثيرة^(٢).

ذلك أن الذي وضع أساس معتقدتهم هو ابن سبأ اليهودي -كما سبق-، ثم جاء الغلاة من أمثال الكليني وشيخه القمي ومن بعدهم فصاغوا هذه المعتقدات التي وضعها ابن سبأ، وأضافوا إليها معتقدات أخرى، ونسبوا لبعض أئمة آل البيت من أمثال علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وغيرهم؛ لتجد قبولاً بين الأغرار والجهلة، وادعوا أنهم شيعة آل البيت.

نشأتهم:

١- زمان نشأة:

يقول ابن حزم: «ثم ولي عثمان رضي الله عنه، فزادت الفتوح، واتسع الأمر، فلو رام أحد إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر، وبقي كذلك اثني عشر عاماً حتى مات، ويموته حصل الاختلاف، وابتداء أمر الروافض»^(٣)، وكانت وفاة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ، وذكر ابن حزم أيضاً

(١) منهاج عملي للتقريب، مقال للرافضي محمد الحائري، ضمن كتاب الوحدة الإسلامية (ص: ٢٣٣).

(٢) انظر: بحار الأنوار (١/ ٢٩) وما بعدها.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٦٧).

أن الروافض «فِرْقٌ» حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام^(١) يعني عبد الله بن سبأ.

٢- مؤسس المذهب:

ترتبط نشأة الاثني عشرية بابن سبأ اليهودي الذي تنسب إليه طائفة السبئية الأولى، بل قيل: إن السبئية هي الاسم الأقدم، والاثنا عشرية هي الاسم الأحدث لحقيقة واحدة^(٢). وقد أحدث ابن سبأ ثلاث مقالاتٍ صارت فيما بعد من أصول التشيع الغالي، وتفرع عنها عقائدهم الأخرى، وهي:

١- الوصية والنصّ على عليٍّ بالإمامة، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الرافضة.

٢- الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان، وسائر الصحابة.

٣- القول برجعة عليٍّ، والرجعة من أصول الشيعة^(٣).

وعبد الله بن سبأ هو رأس الطائفة السبئية التي كانت تقول بألوهية عليٍّ ﷺ، كما تقول برجعته، وتطعن في الصحابة، وأصله من اليمن وكان يهودياً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان ﷺ فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته.

وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعاً^(٤).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٦٥).

(٢) انظر: دراسات في العقائد والفرق، د. عرفان عبد الحميد (ص: ١٩).

(٣) انظر: المقالات والفرق (ص: ٢٠-٢١)، فرق الشيعة، للنوبختي (ص: ٢٢)، رجال الكشي (ص: ١٠٨).

(٤) انظر في ذلك: التبيين والرد، الملطي (ص: ١٨)، مقالات الإسلاميين، الأشعري (١/ ٨٦)، الفرق بين الفرق، البغدادي (ص: ٢٣٣)، الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٧٤)، التبصير في الدين، الإسفرايني (ص: ٧١-٧٢)، اعتقادات فرق المسلمين، الرازي (ص: ٨٦)، المنية والأمل، ابن المرتضى (ص: ٢٩)، لسان الميزان، ابن حجر (٣/ ٢٨٩)، تهذيب تاريخ دمشق، ابن عساكر (٧/ ٤٣١)، الأنساب، السمعاني (٧/ ٤٦)، اللباب، ابن الأثير (١/ ٥٢٧)، البدء والتاريخ، المقدسي

وأكد طائفة من الباحثين القدماء والمعاصرين على أن ابن سبأ هو أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه، فابن تيمية يرى أن ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي عليه السلام، وبالنص عليه في الخلافة، وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى^(١)، وكذا ابن المرتضى^(٢)، ويرى أبو زهرة أن عبد الله بن سبأ هو الطاغوت الأكبر الذي كان على رأس الطوائف الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة علي، وأنه وصي محمد صلى الله عليه وآله، ودعا إلى ذلك، وذكر أبو زهرة أن فتنة ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي^(٣)، ويرى سعيد الأفغاني أن ابن سبأ أحد أبطال جمعية سرية (تلمودية) غايتها تقويض الدولة الإسلامية، وأنها تعمل لحساب دولة الروم^(٤).

وقد نبت نابتة من شيعة العصر الحاضر تحاول أن تنكر وجوده بجرة قلم دون مبرر واقعي، أو دليل قاطع^(٥)، بل ادعى البعض منهم أن عبد الله بن سبأ هو عمار بن ياسر^(٦).

(٥/ ١٢٩)، تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٠)، الكامل، ابن الأثير (٣/ ٧٧)، البداية والنهاية، ابن كثير (٧/ ١٦٧)، العبر، ابن خلدون (٢/ ١٦٠-١٦١)، تبصير أولي النهى، الطبري (ق: ١٤) (مخطوط).

ومن مصادر الشيعة: مسائل الإمامة، الناشئ الأكبر (ص: ٢٢-٢٣). المقالات والفرق، القمي (ص: ٢٠)، فرق الشيعة، النوبختي (ص: ٢٢)، وأورد الكشي عدة روايات في ابن سبأ (رجال الكشي، انظر الروايات رقم: ١٧٠-١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، من ص ١٠٦-١٠٨)، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٢/ ٣٠٨).

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥١٨).

(٢) المنية والأمل (ص: ١٢٥).

(٣) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية (١/ ٣١-٣٣).

(٤) انظر: عائشة والسياسة (ص: ٦٠).

(٥) وهو مرتضى العسكري في كتابه: عبد الله بن سبأ (ص: ٣٥) وما بعدها.

(٦) وهو علي الوردي في كتابه: وعاظ السلاطين (ص: ٢٧٤)، وقلده في هذا الشيعي الآخر مصطفى الشبيبي في كتابه: الصلة بين التصوف والتشيع (ص: ٤٠-٤١)، ويرى الأستاذ علي البصري أن الوردي هذا مقلد للأستاذ هدايت الحكيم الهلي أستاذ بجامعة لندن في تلك الآراء والذي نشرها في كتابه: (تحس إمام) أي: الإمام الأول، وأن الوردي قام بنشر ترجمتها تقريباً في كتابه (وعاظ السلاطين).

وهذه الدعوى هي محاولة أو حيلة لتبرئة يهود من التآمر على المسلمين، كما هي محاولة أو حيلة لإضفاء صفة الشرعية على شيعة اليوم، والرد على دعوى خصومهم برد أصل التشيع إلى أصل يهودي.

وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعة على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية، فالشيعي سعد بن عبد الله القمي شيخ الطائفة (ت ٣٠١هـ) يقر بوجود ابن سبأ، ويذكر أسماء بعض أصحابه الذين تأمروا معه، ويلقب فرقة بالسبئية، ويرى أنها أول فرقة في الإسلام قالت بالغللو، ويعتبر ابن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن علياً عليه السلام أمره بذلك، ويذكر القمي أن علياً بلغه ذلك فأمر بقتله ثم ترك ذلك واكتفى بنفيه إلى المدائن^(١)، ويقول: «إن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي بمثل ذلك، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب وأظهر البراءة من أعدائه.. وأكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»^(٢).

ونجد شيخهم الآخر النوبختي يتحدث عن ابن سبأ ويتفق فيما يقوله عن ابن سبأ مع القمي حتى في الألفاظ نفسها^(٣)، وعالمهم الكشي يروي ست روايات في ذكر ابن سبأ^(٤)، وذلك في كتابه المعروف بـ(رجال الكشي) والذي هو من أقدم كتب الشيعة المعتمدة في علم الرجال.

(١) انظر: المقالات والفرق (ص: ٢٠).

(٢) المقالات والفرق (ص: ٢٠).

(٣) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (ص: ٢٢-٢٣).

(٤) رجال الكشي (ص: ١٠٦-١٠٨، ٣٠٥).

٣- مكان نشأة:

أول موطن غرست فيه بذرة الرفض الخبيثة هو الكوفة^(١)، وقد أقر الروافض بهذه الحقيقة فقالوا: «إن الله ﷻ عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة»^(٢)، وأول من وضع بذرة هذه النحلة في تلك البلدة ابن سبأ، فقد جاء إلى الكوفة يدعو لمذهبه، وما غادرها حتى ترك فيها خلية تعمل على نهجه، يكاذبهم ويكاتبونهم^(٣).

وقد لاحظ ذلك شيخ الكوفة وعالمها أبو إسحاق السبيعي (ت ١٢٧هـ) التغير الذي طرأ على أهل هذه البلدة، كما روى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جدير، قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شمّر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: «خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون»^(٤).

قال محب الدين الخطيب: «هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها»^(٥)، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفي سنة ١٢٧هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعتني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة

(١) كما خرج الإرجاء أيضاً من الكوفة، وظهر القدر والاعتزال والتصوف من البصرة وظهر التجهم من ناحية خراسان، وكان ظهور هذه البدع بحسب البعد عن الدار النبوية (انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠ / ٣٠٠-٣٠١).

(٢) بحار الأنوار (٩٧ / ٢٥٩).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٤ / ٣٢٦-٣٢٧)، عبد الله بن سبأ، د/ سليمان العودة (ص: ٤٩).

(٤) المتقى (ص: ٣٦٠).

(٥) انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨ / ٦٣)، الخلاصة (ص: ٢٩١).

علويين، يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًا، ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفته على أمته في أنقى وأطهر أزمانها^(١).

ثم ما لبث أن سرى داء الرفض من الكوفة إلى عدد من بلدان المسلمين تحت قناع التشيع.

جنورهه:

يقرر أهل العلم بأن عقائد الاثني عشرية ترجع في الغالب إلى مصادر أجنبية، وقد اختلفوا في تحديد المصدر الأجنبي على النحو التالي:

١ - المصدر اليهودي:

ذهب بعض العلماء والباحثين إلى أنه ذو صبغة يهودية بحتة، وذلك باعتبارين:

الأول: أن ابن سبأ كان أول من قال بالنص والوصية، والرجعة، وابن سبأ يهودي، كما أقرت بذلك مصادرهم^(٢).

الثاني: وجود تشابه في الأصول الفكرية بين اليهود والشيعة، كما أشار إلى ذلك جمع من أهل العلم، قال ابن حزم: «سار هؤلاء الشيعة في سبيل اليهود القائلين: إن إلياس عليه السلام، وفتحاس بن العازار بن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم»^(٣).

وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية رواية عن الشعبي^(٤) - وهو «من أخبر الناس بهم»^(٥) -

(١) حاشية المنتقى (ص: ٣٦٠-٣٦١).

(٢) انظر: المقالات والفرق (ص: ٢٠)، فرق الشيعة (ص: ٢٢)، رجال الكشي (ص: ١٠٨).

(٣) الفصل (٥ / ٣٧)، وانظر: منهاج السنة (١ / ٦)، العقيدة والشريعة، جولد تسيهر (ص: ٢١٥)، بذل المجهود في مشابهة الشيعة لليهود.

(٤) رواها الخلال في كتاب السنة، قال محقق الكتاب: «إسناده لا يصح؛ لأن فيه عبد الرحمن بن مالك بن مغول متروك، ولكن الأمور المذكورة واقعة من الرافضة» (السنة، الخلال ٢ / ٥٦٣-٥٦٥)، وانظر: الموضوعات، ابن الجوزي (١ / ٣٣٨).

تبين وجه الشبه بين اليهود وبين الشيعة الرافضة في كثير من العقائد والأحكام^(١).

٢- المصنّف الفارسي:

قال آخرون: إن التشيع يرجع إلى أصول فارسية، وذلك لأدلة عديدة، منها:

أولاً: أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسیاد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الخيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى^(٢).

ثانياً: أن كثيراً من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها جيلاً بعد جيل، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إننا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس»^(٣).

ثالثاً: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس أهديت إلى الحسين بن علي عليه السلام ابنة يزيد جرد أحد ملوك فارس، بعدما جاءت مع الأسرى، فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٢٢).

(٢) انظر: منهاج السنة (١/ ٢٤-٢٨).

(٣) الفصل (٢/ ٢٧٣)، وانظر: الخطط (٢/ ٣٦٢).

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة (١/ ٣٨).

أولادها من الحسين وارثين لملوكتهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم فارسي من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم^(١).

رابعاً: وجود روايات كثيرة عند الاثني عشرية تؤكد الأثر الفارسي، منها قولهم: «إن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً»^(٢). كما قالت بعض فرقهم بألوهية سلمان الفارسي، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ، وأشار إليها في مقالاته حيث قال: «وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي»^(٣).

خامساً: تعظيمهم لأبي لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ؓ، حتى لقبوه «بابا شجاع الدين»^(٤)، واعتبروا يوم قتله عمر ؓ عيداً من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك^(٥)، وقد وضعوا له في إيران قبة يعظمونها ويطوفون بها. سادساً: تعظيم أعياد الفرس المجوس، فيعظمون يوم النيروز، كفعل المجوس^(٦)، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس^(٧).

(١) انظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزدجرد: تاريخ يعقوبي (٢/٢٤٧)، صحيح الكافي (١/٥٣). وانظر في أثر ذلك: الزندقة والشعوية، سميرة اللبكي (ص: ٥٦)، وجاء دور المجوس، عبد الله الغريب (ص: ٧٧)، نشأة الفكر الفلسفي، النشار (٢/١١)، المهدي والمهدوية، عبد الرزاق الحصان (ص: ٨٢)، عقيدة الشيعة، رونلدسن (ص: ١٠١).

(٢) رجال الكشي (ص: ١٥)، وانظر: رجال الكشي (ص: ١٦-١٩).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/٨٠).

(٤) انظر: الكنى والألقاب، عباس القمي (٢/٥٥).

(٥) انظر: الأنوار النعمانية (١/١٠٨).

(٦) انظر: مقتبس الأثر (٢٩/٢٠٢-٢٠٣)، بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز (٩٨/٤١٩)، وانظر: وسائل الشيعة، باب

استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب (٧/٣٤٦).

(٧) انظر: بحار الأنوار: ١٠٨/٤٨.

٣- الأديان الآسيوية القديمة:

يذهب بعض الباحثين أن المذهب الشيعي كان مباءة ومستقراً للعقائد الآسيوية القديمة كالبودية والمزدكية وغيرها^(١).

القول المختار: جميع الأقوال السابقة حق؛ لأن التشيع الغالي مركب من عقائد شتى يهودية ونصرانية ووثنية ومجوسية، فلقد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام، وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من الأفكار الأجنبية والدخيلة، ولهذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، ويقول: «وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها...»، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع^(٢).

كما يؤكد بعض العلماء المعاصرين أنه تتبع مذاهب الشيعة فوجد عندها كل المذاهب والأديان التي جاء الإسلام لمحاربتها^(٣).

ويذكر صاحب مختصر التحفة: «أن مذهب الشيعة له مشابهة تامة مع فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس»، ثم يذكر وجه شبه المذهب الشيعي بكل طائفة من هذه الطوائف^(٤).

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (٣٧/١)، فجر الإسلام (ص: ٢٧٧).

(٢) منهاج السنة (٤/١٤٧)، وانظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم» (٨/١٥١)، وفي صحيح مسلم، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم» (ح٢٦٦٩)، المسند (٢/٤٥٠-٥١١، ٥٢٧).

(٣) انظر: الوجدانية، د. بركات دويدار (ص: ١٢٥).

(٤) انظر: مختصر التحفة (ص: ٢٩٨) وما بعدها.

ألقابهم:

لهم ألقاب كثيرة، منها:

١- الشيعة:

وهو أشهر ألقابهم، وإذا أطلق اليوم لا ينصرف إلا إليهم، وما سواهم زيدية أو إسماعيلية، يقول شيخهم العاملي: «بما أن الزيدية اليوم ومثلهم الإسماعيلية لا يعرفون إلا بهذين الانتسابين، وبما أن الفطحية والواقفية لا وجود لها في هذا العصر انحصر اسم الشيعة بالإمامية الاثني عشرية»^(١)، ولذا يقول أمير علي (شيعي): «أصبحت الاثنا عشرية مرادفة للشيعة»^(٢).

لكنهم أبعد الناس عن حقيقة التشيع، وليسوا لأهل البيت بشيعة، وإنما هم أتباع ابن سبأ والكليني وغيرهما، كما سبق، والمتعين تسميتهم بمدعي التشيع أو بالرافضة، كما ساهم الإمام زيد بن علي، بل هم اليوم من غلاة الرافضة^(٣).

٢- الإمامية:

يقول الشهرستاني: «الإمامية هم القائلون بإمامة علي عليه السلام نصًّا ظاهرًا، وتعيينًا صادقًا من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين»^(٤)، ومثله الأشعري حيث يقول: «وهم يُدعون الإمامية؛ لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب»^(٥)، ومن أصحاب الفرق من قال بأن سبب تسميتهم الإمامية أنهم يزعمون أن الدنيا لا تخلو عن إمام، إما ظاهرًا مكشوفًا، وإما

(١) الشيعة في التاريخ (ص: ٤٣).

(٢) روح الإسلام (٢ / ٩٢)، وانظر: أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطا (ص: ٩٢)، الغلو والفرق الغالية، السامرائي (ص:

٨٢)، أصول الدين وفروعه عند الشيعة، أحمد زكي تفاع (ص: ٢١)، الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير (ص: ٩)،

دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد (ص: ٢١، ٣٣).

(٣) انظر للتفصيل: شيعة اليوم ليسوا بشيعة، مقال منشور بمجلة البيان، عدد: ٣٣٩.

(٤) الملل والنحل (١ / ١٦٢).

(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ٨٦).

باطناً موصوفاً»، ويرى ابن المرتضى أن الإمامية «سميت بذلك؛ لجعلها أمور الدين كلها للإمام، وأنه كالنبي، ولا يخلو وقت من إمام يُحتاج إليه في أمر الدين والدنيا»^(١).

٣- أصحاب الانتظار:

لدعواهم أن للحسن العسكري (المتوفى سنة ٢٦٠هـ) ولدًا أخفاه سنة ٢٥٥هـ؛ خشية أن يقتله الخليفة العباسي، ولا يزالون ينتظرون خروجه من مخبئه إلى اليوم، حتى أصبحوا بذلك ضحكة بين الأمم، قال الرازي: «أصحاب الانتظار، وهم الذين يقولون: إن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري وهو غائب وسيحضر، وهو المذهب الذي عليه إمامية زماننا هذا»^(٢). وهو المذهب الذي عليه أيضًا رافضة زماننا الذين يطلق عليهم لقب (الشيعة) وإن كان الانتظار للإمام مما يشترك في القول به جمع من فرق الشيعة على اختلاف بينهم في تعيينه، ولا يختص به طائفة الاثني عشرية سوى أن الاثني عشرية ينتظرون معدومًا لا وجود له، وسائر فرق الشيعة تنتظر عودة أشخاص كان لهم وجود، إما بإنكار موتهم، أو بانتظار رجعتهم بعد موتهم.

٤- الخاصة:

وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم، ويلقبون أهل السنة والجماعة بالعامية، جاء في (دائرة المعارف الشيعية) ما نصه: «الخاصة في اصطلاح بعض أهل الدراية: الإمامية الاثنا عشرية، والعامية: أهل السنة والجماعة»^(٣).

(١) ذكر الفرق الضوال، عثمان بن عبد الله العراقي (ق: ١٢-أ) (مخطوط)، وانظر مثل ذلك عند القرطبي في كتابه: بيان الفرق

(ق: ٢-ب) (مخطوط)، وانظر: شرح الاثني والسبعين فرقة (ق: ١٢) (مخطوط).

(٢) النية والأمل (ص: ٢١).

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٥٥).

(٤) دائرة المعارف (١٧ / ١٢٢).

٥- الجعفرية:

لدعواهم اتباع جعفر الصادق، وهو منهم بريء، حتى اعترفت كتب الشيعة بأن جعفرًا أنكر انتساب هذه الطائفة إليه، لما بلغه أنهم يلقبون أنفسهم بالجعفرية، وقال: «إن أصحاب جعفرٍ منكم لقليل، إنها أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لحالقه»^(١).

٦- الرافضة:

هذا اللقب يشمل الاثني عشرية والإسماعيلية على حدٍّ سواء، قبل أن يفترقوا سنة ١٤٨هـ بعد وفاة جعفر الصادق، وقد ذهب جمع من العلماء إلى إطلاق اسم الرافضة على الاثني عشرية، كالأشعري في المقالات^(٢)، وابن حزم في الفصل^(٣).

بل أقرت مصادر شيعة اليوم بأنهم رافضة، وإن حاولوا تحسين هذا اللقب في نفوس أتباعهم، وعقد شيخهم المجلسي في بحاره بابًا سماه: «باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها»^(٤)، وأورد فيه أربعة أحاديث من أحاديثهم في مدح تسميتهم بالرافضة، وسمى الخميني أحد كتبه باسم «دروس في الجهاد والرفض».

أما سبب تلقيبهم بهذا اللقب، فيقول أبو الحسن الأشعري: «وإنما سموا رافضة؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»^(٥). قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعقيبًا على كلام الأشعري: «الصحيح أنهم سموا رافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج

(١) رجال الكشي (ص: ٢٥٥).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨).

(٣) انظر: الفصل (٤/ ١٥٧-١٥٨).

(٤) ومن أمثلة ذلك ما ذكره المجلسي في هذا الباب: عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «جعلت فداك، اسم سميته به استحلته به الولاية دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قلت: الرافضة، فقال جعفر: إن سبعين رجلًا من عسكر موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى أشد اجتهادًا وأشد حياءً لهارون منهم، فسأهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله». (بحار الأنوار ٦٨ / ٩٦-٩٧).

(٥) مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩).

بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك^(١)، وكان ذلك سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ، وهذا الرأي لابن تيمية يعود في الحقيقة لرأي الأشعري، لأنهم ما رفضوا زيدياً إلا لما أظهر مقالته في الشيخين، فأثنى عليهما وترضى عنهما، فالقول بأنهم سموا رافضة لرفضهم زيدياً أو لرفضهم مذهبه مؤداهما واحد، إلا أن شيخ الإسلام راعى - فيما يظهر - الناحية التاريخية.

وقيل: لرفضهم دين الإسلام^(٢).

٧- الإثنا عشرية:

لدعواهم أن الأئمة محصورون في اثني عشر، لا يجوز أن يتولى على المسلمين أحد سواهم، وهم: علي بن أبي طالب الملقب - عندهم - بالمرتضى (ت ٤٠ هـ)، والحسن بن علي الملقب بالزكي (ت ٥٠ هـ)، والحسين بن علي الملقب بالشهيد (ت ٦١ هـ)، وعلي بن الحسين الملقب بزين العابدين (ت ٩٥ هـ)، ومحمد بن علي الملقب بالباقر (ت ١١٤ هـ)، وجعفر بن محمد الملقب بالصادق (ت ١٤٨ هـ)، وموسى بن جعفر الملقب بالكاظم (ت ١٨٣ هـ)، وعلي بن موسى الملقب بالرضا (ت ٢٠٣ هـ)، ومحمد بن علي الملقب بالجواد (ت ٢٢٠ هـ)، وعلي بن محمد الملقب بالهادي (ت ٢٥٤ هـ)، والحسن بن علي العسكري (ت ٢٦٠ هـ)، ومحمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي، وهو في الحقيقة معدوم لا وجود له إلا في خيالاتهم.

فرقهم:

انبثق من الاثني عشرية فرق كثيرة، من أبرزها - كما يقول العالم العراقي محمود الملاح -: الشيخية، الكشفية، الركنية، الإخبارية، الأصولية، وغيرها، وكلها داخلية في المجموعة الاثني

(١) منهاج السنة (٢/ ١٣٠).

(٢) انظر: الرد على الشيعة، الإسكوي، (ق: ٢٣) (مخطوط)، وانظر: هامش مقالات الإسلاميين، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (١/ ٨٩).

عشرية وأصولها مبثوثة في كتب الاثني عشرية، وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضاً^(١).

وسنعرّف بهذه الفرق من فرق الاثني عشرية على سبيل الإجمال:

١- الشيخية أو الإجمالية:

وهم أتباع المدعو بالشيخ أحمد الأحسائي (ت ١٢٤١هـ) وهو من شيوخ الاثني عشرية، وقد نسب إليه القول: بالحلول، وتأليه الأئمة، وإنكار المعاد الجسماني^(٢).

٢- الكشفية:

هم أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي (ت ١٢٥٩هـ) تلميذ الأحسائي (مؤسس الشيخية) والقائم مقامه من بعده والأخذ بنهجهم، مع زيادة في الغلو والتطرف، وسميت بالكشفية لما ينسب إلى زعيمها من دعوى الكشف والإلهام^(٣).

٣- الركنية:

أتباع مرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرمانى، ومنهم من يعتبر الركنية والكشفية من ألقاب الشيخية والجميع فرقة واحدة^(٤).

٤- الأخباريون:

سموا بهذا الاسم نسبة إلى الأخبار؛ لأنهم لا يعملون إلا بالأخبار المدونة في مصادرهم،

(١) الآراء الصريحة (ص: ٨١).

(٢) انظر: نهج السلامة، الألويسي (ص: ١٨-١٩) (مخطوط)، مختصر التحفة (ص: ٢٢). مقتبس الأثر، الأعلمي الحائري (٢٠/١٣٦)، الشيخية نشأتها وتطورها، محمد حسن آل الطلقاني، مجلة العرفان، (مجلد ٣٣/ ص: ١٩٩)، أعيان الشيعة (٨/ ٣٩٠)، حقيقة البابية والبهائية، محسن عبد الحميد (ص: ٣٦)، تهافت البابية والبهائية، مصطفى عمران (ص: ٣٤)، العقيدة والشريعة، جولد تسيهر (ص: ٢٧٠)، التيارات الفكرية، مبارك إسماعيل (ص: ١١٠).

(٣) انظر: تهافت البابية (ص: ٣٧-٣٩)، مدينة الحسين، آل طعمة، وفيه بحث مطول عن الكشفية من كتب زعيمها وتلامذته (ص: ٢٤) وما بعدها، البايون والبهائيون، عبد الرزاق الحسين (ص: ١٠).

(٤) الشيخية، محمد آل الطلقاني (ص: ٢٧٤).

ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة^(١) كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، ومنعوا تقسيم أحاديثهم إلى صحيح وضعيف، وأجازوا تقليد المرجع الميت، ومنعوا الاجتهاد، وأنكروا الإجماع ودليل العقل^(٢).

٥- الأصوليون أو المجتهدون:

هم الذين يزعمون أن أدلة الأحكام عندهم: الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل^(٣)، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة، بل يقسمون الحديث إلى: صحيح، وحسن، وموثق، وضعيف، ولا يجوزون تقليد الميت، وهم القائلون بالاجتهاد، ويمثلون الأكثرية^(٤).

عقائد الاثني عشرية:

١- اعتقادهم في القرآن الكريم:

أ- قولهم بتحريف القرآن:

ابتدأ الاثنا عشرية القول بهذه الفرية في القرن الثاني، ونسبت إلى هشام بن الحكم^(٥)، وشيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان أبي جعفر الأحول^(٦). وقد سجلت هذه المقالة في أول كتاب ظهر لهم وهو الذي يسمونه (أبجد الشيعة)^(٧).

(١) الكافي. والتهديب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه.

(٢) انظر: دائرة المعارف، حسن الأمين (ص: ١٠٧)، الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة، فرج العمران (ص: ٤).

(٣) وهي دعوى لا حقيقة لها، وسيأتي بيان ذلك في موقفهم وعقيدتهم في هذه المصادر.

(٤) انظر: التقليد في الشيعة، عز الدين بحر العلوم (ص: ٩٢)، الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة (ص: ١٩)، الاجتهاد والفتوى، الغريفي (ص: ٩٩).

(٥) انظر: التنبيه والرد، الملطي (ص: ٢٥)، أصول مذهب الشيعة (١/ ٢٠٥).

(٦) انظر: الفصل (٥/ ٣٩).

(٧) انظر: كتاب سليم بن قيس (ص: ٦٦)، وذكر صاحب (فصل الخطاب) بعض النصوص التي تطعن في كتاب الله عن كتاب سليم هذا. انظر: فصل الخطاب (ص: ١١٧-١١٨) (النسخة المخطوطة).

وهو كتاب سليم بن قيس^(١)، والذي كشف بعض شيوخهم عن أمره، وأنه موضوع، ومؤلفه مجهول^(٢).

ثم شاعت هذه الأسطورة في مصادرهم لتبقى برهاناً على كذبها^(٣)، وعازاً على أصحابها، ودليلاً على كفر واضعيها، وشاهدًا على زندقة من يؤمن بها، ويتلقى دينه عن أهلها. يقول شيخهم نعمة الله الجزائري معترفًا بفشو هذه الأسطورة في مصادرهم: «الأخبار مستفيضة، بل متواترة والتي تدل بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادة وإعرابًا»^(٤).

ويقول شيخهم المجلسي: «وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معني، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقصر عن

(١) انظر: الفهرست (ص: ٢١٩)، الذريعة (٢/ ١٥٢).

(٢) رجعت في البحث عنه إلى مصادر كثيرة من كتب أهل السنة فلم أجد له ذكرًا، فلم أجد مثلاً في تاريخ الطبري كما يظهر ذلك من خلال فهرس الأعلام الذي وضعه أبو الفضل إبراهيم. وكذلك تاريخ ابن الأثير كما يبدو من فهرسه التي وضعها إحسان عباس (أو سيف الدين الكاتب)، وليس له ذكر في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، والبداية والنهاية لابن كثير، وطبقات ابن سعد، ولا في مجموعة من كتب الرجال مثل: لسان الميزان، أو التاريخ الكبير والصغير للبخاري، أو تهذيب الكمال للمزي... إلخ مع أنه مؤلف أول كتاب في الإسلام، ولاحقه الحجاج لقتله.. إلخ فمن برز في هذين الاتجاهين الفكري، والسياسي يستبعد أن ينسى، ونسيانه دليل على أن ما تقوله الشيعة عنه مجرد دعوى، فقد يكون شخصية خيالية، أو نكرة من النكرات.

(٣) انظر مثلاً من الكافي باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية من الجزء الأول ص ٤١٣، وما بعدها، الأرقام التالية: ٨، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٤٥، ٤٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، وانظر الجزء الثاني من «الكافي» باب أن القرآن يرفع كما أنزل: ص ٦١٩ رقم ٢، وباب النوادر: ص ٦٢٧ وما بعدها رقم ٢، ٣، ٤، ١٦، ٢٣، ٢٨ وهذه الروايات - في «الكافي» - صريحة في الطعن في كتاب الله، ولا يمكن حملها على أنها من قبيل القراءات أو التفسير.

وانظر من روايات القمي في الطعن في كتاب الله المواضع التالية: (١/ ٣٦٠)، (١/ ٣٨٩)، (١/ ٢١١)، (٢/ ٢١٧) وغيرها، ومن تفسير القمي وغيره تنقل التفاسير المتأخرة هذه الأباطيل كـ «تفسير البرهان» لهاشم البحراني، و «تفسير الصافي»: للفيض الكاشاني وغيرها.

وانظر: تفسير العياشي (١/ ١٣، ٢٠٦، ١٦٨، ١٦٩) وغيرها.

(٤) الأنوار النعمانية (٢/ ٣٥٧).

أخبار الإمامة^(١)، وقال شيخهم المفيد: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»^(٢)، ويقول شيخهم الطبرسي عن أخبارهم في الطعن في القرآن: «وهي كثيرة جداً حتى قال السيد نعمة الله الجزائري في بعض مؤلفاته - كما حكى عنه -: إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث»^(٣)، وقال ثقتهم محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ): «وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنًى، كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها»^(٤).

وكانت هذه المقالة في أول نشأتها إبان قوة الأمة الإسلامية موضع التداول السري بين الزنادقة حتى إذا انتشرت وذاعت أعلن كبيرهم ابن بابويه براءة شيعته من هذه العقيدة، وأن من نسب إليهم ذلك فهو كاذب، وتبعه من شيوخمهم ابن المرتضى، والطوسي، ثم الطبرسي، لكن أبى الله إلا أن يكشف سترهم، ويفضح أمرهم على يد شيخهم النوري الطبرسي الذي قام بجمع هذه الأساطير في كتاب سماه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، ولهذا قال الطبطبائي - أحد شيوخمهم المعاصرين -: «ما أجاد في تأليفه، ولا وافق الصواب في جمعه، وليته لم يؤلفه، وإن ألفه لم ينشره، وقد صار ضرره أكثر من نفعه، بل لا نفع يتصور من نشره، فإنه جهز السلاح للعدو وهياً»^(٥).

ويكفي العاقل المنصف الاطلاع على هذا الكتاب وصاحبه ليحكم بنفسه على دخول الاثني عشرية في الإسلام أو خروجها منه، ولتعرف الأمة حقيقتهم ويرتاح المسلمون من شر

(١) مرآة العقول (٢ / ٥٣٦).

(٢) أوائل المقالات (ص: ٩٨).

(٣) فصل الخطاب (ق: ١٢٥) (مخطوط).

(٤) شرح جامع الكافي (١١ / ٧٦).

(٥) الأنوار النعمانية (٢ / ٣٦٤) (الهامش).

أولئك المرتزقة الذين ينتشرون في العالم الإسلامي لنشر كفرهم وضلالهم باسم التشيع، ويفيق من غرر به شيوخ الشيعة من أولئك الأتباع الجهلة الذين لا يدركون من التشيع إلا أنه حب آل البيت الذي سيدخلهم الجنة بغير حساب!

لقد قام المؤلف بكشف الغطاء عن عقيدة الشيعة الاثني عشرية في تحريف القرآن وجمع ما تفرق من أخبارهم فيها، ونقل تصريحات شيوخهم بتواترها، وأنها تزيد على ألفي حديث، واتهم صحابة رسول الله بتحريفه والتواطؤ على ذلك ولم يستثن من ذلك سوى أمير المؤمنين علي، وهذا الاستثناء صوري؛ إذ إن لازم قوله تواطؤ الجميع، لأن القرآن الذي عند علي والسالم من التحريف بزعمهم لم يظهره علي ولا إبان خلافته.

ثم قدّم - من كتبهم - (١٠٦٢) رواية معظمها تقول في آيات من كتاب الله أنها خطأ، ويذكر تصويبها من كتبهم الأسطورية، فيرد ما أجمعت عليه الأمة ويرتضي ما قاله حثالة من الأفاكين.

كما لم يجبن عن ذكر بعض سور بكاملها تتناقضها الدوائر الشيعية وليس لها ذكر في المصحف، وعلامة الكذب والافتراء واضحة بيّنة في نصها ومعناها لا يخفى إلا على أعجمي جاهل ولا يروّجها إلا زنديق مغرض.

كما رد على من أنكر التحريف من طائفته وبيّن أن إنكار القدامى كان تقية، وأن من أنكر أخبار التحريف يلزمه رد أخبار الإمامة لما بينهما من تلازم.

وهذا الكتاب الذي حوى هذا الكفر قد طبع في إيران سنة (١٢٩٨هـ)^(١).

إن هذه الأسطورة حملت بذاتها باطلها، وتبين من عناصر تكوينها فسادها، وكان مجرد عرضها كافيًا في الرد عليها، ويكفي في بيان بطلانها - كما يقول الإمام ابن حزم - أن علي بن أبي

(١) وهذا المؤلف الزنديق يحظى بتقدير طائفته حتى اعتبروا كتابه (مستدرک الوسائل) أحد صحاحهم الثمانية - كما يسمونها -، بل قال عنه مرجعهم المعاصر محمد آل كاشف الغطاء: «لو تجلّى الله خلقه لقال: هذا نوري، مولانا ثقة الإسلام حسين النوري» (مقدمة كشف الأستار لحسين النوري الطبرسي)، وهذا المديح جاء بعد اقتراف النوري الطبرسي لجريمته.

طالب ﷺ الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم ولي الأمر وملك، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعاً ظاهر الأمر، والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلاً كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك؟ ثم أتى ابنه الحسن وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك.

فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا: إن في المصحف حرفاً زائداً أو ناقصاً أو مبدلاً مع هذا؟! ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين^(١).

ب- دعواهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قالوا على لسان إمامهم في الضلالة، ومن يلقبونه بـ«ثقة الإسلام» (الكليني) وذلك في كتابه (أصول الكافي) - الذي يعدونه أوثق مصادرهم - ما نصه: «...أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، وأن علياً كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحججة على الناس بعد رسول الله^(ص)، ولذا سموا القرآن العظيم بالقرآن الصامت، وسموا الإمام بالقرآن الناطق، ويروون عن عليٍّ أنه قال: «هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق»^(٢).

بل قالوا: إن الأئمة هم القرآن نفسه، ولهذا نجدهم يفسرون قوله سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا النَّوْرَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] بقولهم: النور: علي والأئمة **عليهم السلام**^(٣)، وقوله تعالى: ﴿آتَتْ

(١) الفصل، لابن حزم (٢/ ٢١٦-٢١٧).

(٢) أصول الكافي (١/ ١٨٨).

(٣) الفصول المهمة (ص: ٢٣٥).

(٤) الكافي (١/ ١٩٤).

يُقْرَأَنَ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ ﴿[يونس: ١٥] بقولهم: يعني: أمير المؤمنين^(١) .

ويسندون هذا التأويل الباطل الذي لا تربطه بالآية أدنى رابطة إلى آل البيت كعلي والحسن أو الحسين أو الباقر أو الصادق، وهم أهل العلم واللغة والعقل والدين!

ج- زعمهم أن الأئمة اقتصوا بمعرفة القرآن لا يشركهم فيه أحد:

جاء في أصول الكافي: «أن رسول الله ﷺ فسره [أي القرآن] لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب^(٢)».

وفي تفسير فرات: «إنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا^(٣)»، وقد استفاض تقرير هذه المقالة في مصادرهم المعتمدة^(٤).

ودعوى أن القرآن لم يفسر إلا لآل البيت دعوى باطلة؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالبيان للناس لا لآل البيت وحدهم.

د- دعواهم أن قول الإمام ينسخ القرآن ويقيد مطلقه ويخصص عامه:

يزعم الاثنا عشرية أن لأئمتهم حقَّ تخصيص عام القرآن، وتقيد مطلقه، ونسخ محكمه؛ وأساس هذه العقيدة في نحلتهم أن الوحي - كما يفترون - لم ينقطع، بل استمر بعد وفاة الرسول ﷺ؛ لأن الإمام عندهم كالنبي^(٥)، والإمامة استمرار للنبوّة، بل أعلى مرتبة من النبوّة^(٦)، وقول الإمام - في زعمهم - كقول النبي سواء بسواء، بل كقول الله ﷻ!! حتى قالوا: يجوز لمن

(١) انظر: تفسير العياشي (٢/ ١٢٠)، أصول الكافي (١/ ٤١٩)، تفسير البرهان (٢/ ١٨٠)، تفسير القمي (١/ ٣١٠).

(٢) أصول الكافي (١/ ٢٥)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣١).

(٣) تفسير فرات (ص: ٩١)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٤٩).

(٤) انظر شواهد ذلك في: أصول مذهب الشيعة (١/ ١٥١-١٦٤).

(٥) انظر: المنية والأمل (ص: ٢١)، عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ص: ٩٥).

(٦) انظر: أصول الكافي (١/ ١٧٥)، زهر الربيع (ص: ١٢)، ودائع النبوّة (ص: ١١٤).

سمع حديثاً عن أبي عبد الله (يعنون جعفر بن محمد الصادق) أن يرويه عن أبيه أو أحد أجداده؛ بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى^(١)، فأجازوا الكذب الصراح على الله ورسوله ﷺ. وقد نسب الإمام الأشعري هذه المقالة (نسخ الأئمة للقرآن) إلى الصنف الخامس عشر من أصناف الغالية من الشيعة - حسب تقسيمه - فهم الذين «يزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة، وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ويوحى إليهم»^(٢). وقد أشار أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) إلى هذه المقالة ولم ينسبها لأحد، فقال: «وقال آخرون: باب الناسخ والمنسوخ إلى الإمام، ينسخ ما يشاء»^(٣)، وعدّ ذلك من عظيم الكفر، ثم بين بطلانه بقوله: «لأن النسخ لم يكن إلى النبي ﷺ إلا بالوحي من الله - جل وعز - إما بقرآن مثله على قول قوم، وإما بوحي من غير القرآن»^(٤)، فلما ارتفع هذان بموت النبي ﷺ ارتفع النسخ»^(٥).

هـ - قولهم بأن جُلَّ القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم:

يقول الشيعة بأن: «جُلَّ القرآن إنما نزل فيهم (يعني في أئمتهم الاثني عشر) وفي أوليائهم وأعدائهم»^(٦)، حتى زعم شيخهم البحراني أن علياً وحده ذكر في القرآن (١١٥٤) مرة، وألف في هذا الشأن كتاباً سماه: «اللوامع النورانية في أسماء عليٍّ وأهل بيته القرآنية»^(٧)، ومن المعلوم أن علياً ﷺ ليس له ذكر باسمه في القرآن مطلقاً.

(١) شرح جامع على الكافي (٢/ ٢٧٢).

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨).

(٣) الناسخ والمنسوخ (ص: ٨).

(٤) يعني سنة المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَطِئُ عَنِ الْمَوْتِ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم].

(٥) الناسخ والمنسوخ (ص: ٨-٩).

(٦) تفسير الصافي (١/ ٢٤)، وهذا النص جعله صاحب الصافي عنواناً للمقدمة الثانية.

(٧) المطبعة العلمية بقم (١٣٩٤هـ).

وتأتي بعض رواياتهم لتقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع في فرائض وأحكام»^(١)، وهكذا يقسمون القرآن وفق ما تهوى أنفسهم، وما تمليه عليهم شياطينهم.

و- اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

جاء في أصول الكافي للكلييني ما نصه: «عن محمد بن منصور قال: سألت عبدًا صالحًا^(٢) عن قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ [الاعراف: ٣٣] قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق»^(٣).

ومسألة القول بأن لنصوص القرآن باطنًا يخالف ظاهرها شاعت في كتبهم، وأصبحت أصلًا من أصولهم؛ لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا بها أو ما في حكمها، ولهذا عقد صاحب البحار بابًا لهذا بعنوان: «باب أن للقرآن ظهرًا وبطنًا»^(٤)، وقد ذكر في هذا الباب (٨٤) رواية، وهذه الروايات هي قليل من كثير مما أورده في كتابه في هذا الموضوع، فقد قال في صدر هذا الباب إنه: «قد مضى كثير من تلك الأخبار في أبواب كتاب الإمامة، ونورد هنا مختصرًا من بعضها»^(٥)، ثم ساق الروايات الأربع والثمانين.

وفي تفسير البرهان عقد بابًا مماثلًا لما في البحار بعنوان: «باب في أن القرآن له ظهر وبطن»^(٦)، ومن نصوصهم في هذه المسألة: «إن للقرآن ظهرًا وبطنًا، وبيطنه بطن إلى سبعة

(١) أصول الكافي (٢/٦٢٧)، البرهان (١/٢١).

(٢) يعنون به موسى الكاظم والذي يعتبرونه إمامهم السابع (انظر: أصول الكافي ١/٣٧٤، الهامش).

(٣) أصول الكافي (١/٣٧٤)، الغيبة، للنعماني (ص: ٨٣)، تفسير العياشي (٢/١٦).

(٤) انظر: البحار (٧٨-١٠٦).

(٥) المصدر السابق (٩٢/٨٧).

(٦) البرهان (١/١٩).

أبطن»^(١)، ثم طاشت تقديراتهم فقالت: بأن لكل آية سبعين بطناً، واستفاضت بشأن ذلك أخبارهم؛ قال أحد شيوخهم: «لكل آية من كلام الله ظهر وبطن... بل لكل واحدة منها - كما يظهر من الأخبار المستفيضة - سبعة وسبعون بطناً»^(٢).

وقالوا: «قد دلت أحاديث متكاثرة كادت أن تكون متواترة على أن بطونها وتأويلها، بل كثير من تنزيلها وتفسيرها في فضل شأن السادة الأطهار... بل الحق المتبين أن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت، وأن جُل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد والتفطيع؛ بل جملتها في مخالفيهم وأعدائهم... إن الله ﷻ جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة»^(٣).

ز - اعتقادهم بنزول كتب إلهية على أئمتهم:

قالوا بنزول كتاب مثل القرآن سموه (مصحف فاطمة)، وكتاب آخر سموه (لوح فاطمة)، ثم ادعوا نزول اثنتي عشرة صحيفة من السماء على الأئمة وغيرها، كما سيأتي.

(١) المصدر السابق (١ / ٣١).

(٢) مرآة الأنوار، لأبي الحسن الشريف (ص: ٣).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣).

(٤) ومن هنا يتبين أن الاثني عشرية من طوائف الباطنية؛ لأن هذا هو منهج الباطنية في التأويل، وتقسيم الراضية إلى باطنية واثني عشرية لم يعد اليوم قائماً، وإنما هو مجرد تقسيم للاختلاف بينها في عدد الأئمة وأعيانهم، لا لاختلافهم في النهج الباطني، وذلك بعد انكشاف حقيقتهم مع ظهور كتب الاثني عشرية وانتشارها، وربما يصح هذا التقسيم في مرحلة تاريخية ما، قبل انحدار التشيع إلى دركات الغلو الباطني. انظر: شيعة اليوم باطنية الأمس، بحث منشور في مجلة البيان،

٢- اعتقادهم في السنة النبوية:

أ- اعتقادهم أن قول الإمام كقول الله ورسوله:

السنة عندهم هي: «كل ما يصدر عن المعصوم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ»^(١). والمعصوم عند المسلمين هم الأنبياء، وعند الاثني عشرية هم الأئمة الاثنا عشر، فكلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله ﷺ، لا فرق بينهم وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فالأئمة عندهم كالرسل «قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى، وعن وحيه»^(٢). ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي؛ إذ إنهم - في نظرهم - لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا طوال حياتهم، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: «إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة»^(٣).

ب- زعمهم أن الرسول ﷺ لم يبلغ جميع ما أنزل إليه من ربه:

يزعمون أن الرسول ﷺ لم يبلغ جميع ما أنزل إليه من ربه، وإنما بلغ بعضه، وأسرَّ بالباقي إلى علي عليه السلام، ثم إن عليًا عليه السلام أظهر بعضه، ثم أسرَّ بالباقي إلى ابنه الحسن، وهكذا كل إمام من الاثني عشر يظهر جزءًا من الشريعة، ويسر بالباقي إلى من بعده، إلى أن بقيت الشريعة عند مهديهم المنتظر، والذي سيظهرها بعد رجوعه^(٤)، يقول مرجعهم المعاصر محمد حسين آل كاشف الغطا: «إن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه -سلام الله عليه- أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن، لمحمد تقي الحكيم (ص: ١٢٢).

(٢) الاعتقادات (ص: ١٠٦).

(٣) تاريخ الإمامية، عبد الله فياض (ص: ١٤٠).

(٤) سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن شريعة مهديهم المنتظر.

حسب الحكمة من عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل، أو مبين إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عامًا ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلًا، بل يودعه عند وصيه إلى وقته^(١).

ويتضمن هذا الاعتقاد الفاسد الطعن في رسول الله ﷺ، وأنه كتم جزءًا من الشريعة وخالف قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وأن الدين لم يكمل، وأن الوحي لم ينقطع.

ومن فضائحهم في هذا الباب أنهم يدعون أن عليًا كان يتلقى العلم طيلة حياة الرسول ﷺ وبعد موته، وقد وصلت مبالغاتهم إلى القول بأن عليًا استمرَّ في تلقي العلم من فم الرسول حتى بعد موته - عليه الصلاة والسلام -، وقالوا: إن عليًا قال: «أوصاني النبي ﷺ فقال: إذا أنا متُّ فغسلني بست قرب من بئر غرس^(٢)، فإذا فرغت من غسلني فأدرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي، قال: ففعلت وأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٣)»، وقالوا بأن الرسول ﷺ قال - كما يفترون - : «يا علي، إذا أنا متُّ فاغسلني وكفني ثم أقعدني وسائلني واكتب^(٤)».

ومضت بقية الروايات على هذا النسق المظلم، حتى قالوا بأن عليًا كان إذا أخبر بشيء قال: «هذا مما أخبرني به النبي ﷺ بعد موته^(٥)». وقد خصص شيخهم المجلسي في كتابه البحار بابًا بعنوان: «باب ما علمه الرسول ﷺ عند وفاته وبعده...»^(٦)، وهكذا يخربون بيوتهم

(١) أصل الشيعة وأصولها (ص: ٧٧).

(٢) بئر غرس: بئر بالمدينة. (انظر: معجم البلدان ٤ / ١٩٣، معجم ما استعجم ٢ / ٩٩٤، المرآة ٢ / ٩٨٨).

(٣) بحار الأنوار (٤٠ / ٢١٣)، بصائر الدرجات (ص: ٨٠).

(٤) بحار الأنوار (٤٠ / ٢١٣)، بصائر الدرجات (ص: ٨٠).

(٥) بحار الأنوار (٤٠ / ٢١٥)، الخرائج والجرائح (ص: ١٣٢)، وانظر المزيد من الشواهد في: أصول مذهب الشيعة (١ / ٣٦٦).

(٦) بحار الأنوار (٤٠ / ٢١٣-٢١٨).

بأيديهم، ويكشفون كذبهم بأنفسهم عبر مبالغتهم التي لا تكاد تنتهي.

ج- ردهم لمرويات الصحابة:

يقول محمد حسين آل كاشف الغطا - في تقرير هذا الأمر عند طائفته -: «إن الشيعة لا يعتبرون من السنة - أعني الأحاديث النبوية - إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت^(١).. أما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب.. وعمرو بن العاص ونظرائهم فليس له عند الإمامية مقدار بعوضة^(٢)».

د- تلقيهم السنة عن حكايات الرقاع:

هؤلاء القوم الذين يردون ما جاء عن طريق الصحابة الذين أثنى عليهم الله ورسوله يقبلون، بل يعدون من أوثق طرقهم ما يسمى بـ(حكايات الرقاع)، وحقيقتها أنه لما توفي إمامهم - الحادي عشر - الحسن العسكري (ت ٢٦٠هـ) لم يكن له عقب^(٣)، وقد تم استبراء زوجاته وإمائه للتأكد من ذلك «حتى تبين لهم - كما يعترف عالم الشيعة ابن بابويه القمي - بطلان الحبل، فُقُسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وأودعت أمه وصيته وثبت ذلك عند القاضي

(١) قوله: «ما صح لهم من طرق أهل البيت» هذا تعبير فيه شيء من التمويه والخذاع؛ لأن من لا يعرف حقيقة مذهبهم يظن أن العمدة عندهم هو كلام رسول الله ﷺ الذي جاء من طرق آل البيت، في حين أنهم يعدون الواحد من الاثني عشر كالرسول لا ينطق عن الهوى، وقوله كقول الله ورسوله، ولذلك ينذر وجود أقوال الرسول ﷺ في مدوناتهم، كما أن قوله: «أهل البيت»، إنما يعني بعضهم، فليس كل آل البيت عندهم أئمة، وغير الأئمة ليس قوله بحجة حسب عقيدتهم، فالرواية عن ذرية فاطمة من ولد الحسن ﷺ لا تعتبر عندهم، بل كفر الاثنا عشرية كثيراً من أهل البيت (انظر: أصول الكافي / ١ / ٣٧٢ رقم ١، ٣)، ولذا فإن الطوسي في الاستبصار يرد روايات زيد بن علي (انظر: الاستبصار / ١ / ٦٦)، فتعبير آل كاشف الغطا تعبير خادع؛ لأن الكتاب وضع للدعاية إلى التشيع في العالم الإسلامي.

(٢) أصل الشيعة وأصولها (ص: ٧٩).

(٣) قال سعد القمي: «توفي - يعني الحسن العسكري - ولم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر» (المقالات والفرق ص:

والسلطان»^(١).

ويقول كبار المؤرخين بأن الحسن العسكري مات عقيماً^(٢)، ولهذا تحيرت الشيعة بعده «فافترق أصحابه من بعده خمس عشرة فرقة»^(٣)، منهم من قال: «انقطعت الإمامة»^(٤) ومنهم من قال: «إن الحسن بن علي توفي ولا عقب له والإمام بعده جعفر بن علي أخوه»^(٥) إلى غير ذلك من اختلافاتهم وحيرتهم.

وفي خضم هذه الحيرة والاضطراب قام رجل يدعى عثمان بن سعيد العمري (ت ٢٨٠هـ)، وادعى دعوى في غاية الغرابة، ادعى أن للحسن العسكري ولدًا في الخامسة من عمره مختفيًا عن الناس لا يظهر لأحد، وهو الإمام بعد أبيه الحسن، وأن هذا (الطفل) الإمام قد اتخذ «وكيلًا عنه في قبض الأموال، ونائبًا يجيب عنه في المسائل الدينية»^(٦)، ولما مات عثمان بن سعيد ادعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه، وبعد وفاته (ت ٣٠٥هـ) خلفه الحسين بن روح النوبختي (ت ٣٢٦هـ) في نفس الدعوى ومن بعده خلفه آخر يدعى بأبي الحسن علي بن محمد السمرري (ت ٣٢٩هـ) وهو آخرهم عند الشيعة الإمامية، ومن بعده وقع ما يسمونه (الغيبة الكبرى) وكان هؤلاء النواب^(٧) عن الإمام يتلقون أسئلة الناس كما يتلقون أموالهم،

(١) إكمال الدين (ص: ٤٢).

(٢) قال في (المنتقى): «إن الحسن بن علي العسكري لم يعقب كما ذكره محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من النسابين» (المنتقى ص: ٣١).

(٣) المقالات والفرق، للقمي (ص: ١٠٢).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٠٨).

(٥) المصدر السابق (ص: ١١٠).

(٦) حصائل الفكر (ص: ٣٦-٣٧).

(٧) انظر في أخبار هؤلاء الغيبة، للطوسي (ص: ٢١٤) وما بعدها، وانظر: الاحتجاج (٢/ ٢٩٦)، تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر (ص: ٣٩٦).

ويأتون بأجوبتها وإيصالها من الإمام المنتظر ويسمونها توقيعات، والتوقيعات هي خطوط الأئمة بزعمهم في جواب مسائل الشيعة وأسئلتهم.

هذه الأجوبة والتوقيعات هي عند الشيعة كقول الله ورسوله!! حتى إنهم رجحوا هذه التوقيعات على ما روي بإسناد صحيح عندهم في حال التعارض^(١).

قال ابن بابويه القمي في كتابه (من لا يحضره الفقيه) بعد ما ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدسة (يعنون بها: مهديهم المزعوم) في باب الرجلين يوصي إليهما قال: «هذا التوقيع عندي بخط أبي محمد الحسن بن علي، ثم ذكر أن في الكافي للكليني رواية بخلاف ذلك التوقيع عن الصادق، ثم قال: لست أفتي بهذا الحديث بل أفتي بما عندي بخط الحسن بن علي^(٢)».

قال الحر العاملي في تعقيبه على ذلك: «.. فإن خط المعصوم أقوى من النقل بوسائل^(٣)».

وقد اهتم شيوخ الشيعة بهذه التوقيعات ودونوها في كتبهم الأساسية، على أنها من الوحي الذي لا يأتيه الباطل، كما فعل الكليني في أصول الكافي^(٤)، وابن بابويه في إكمال الدين^(٥)، والطوسي في الغيبة^(٦)، والطبرسي في الاحتجاج^(٧)، والمجلسي في البحار^(٨)، وقد جمع شيخهم عبد الله بن جعفر الحميري الأخبار المروية عن منتظرهم في كتاب سماه: (قرب

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه (٤/١٥١)، وانظر: الوسائل (٢٠/١٠٨).

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه (٤/١٥١)، وانظر: الوسائل (٢٠/١٠٨).

(٣) الوسائل (٢٠/١٠٨).

(٤) انظر: أصول الكافي (١/٥١٧) وما بعدها (باب مولد صاحب).

(٥) انظر: إكمال الدين (ص ٤٥٠) وما بعدها (الباب التاسع والأربعون ذكر التوقيعات الواردة عن القائم).

(٦) انظر: الغيبة (ص: ١٧٢) وما بعدها.

(٧) انظر: الاحتجاج (٢/٢٧٧) وما بعدها.

(٨) انظر: بحار الأنوار (٥٣/١٥٠-٢٤٦) (باب ما خرج من توقيعاته).

الإسناد»^(١).

وذكر صاحب الذريعة كتابين لهم في هذا باسم: «التوقيعات الخارجة من الناحية

المقدسة»^(٢).

يقول الشيخ محمود الألوسي عن تلقي الروافض دينهم من حكايات الرقاع: «إنهم أخذوا دينهم من الرقاع المزورة التي لا يشك عاقل في أنها افتراء على الله تعالى، ولا يصدق بها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته.. وهذه الرقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم، فتنبأ لقوم أثبتوا أحكام دينهم بمثل هذه الترهات، واستنبطوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات ومع ذلك يقولون نحن أتباع أهل البيت، كلاب هم أتباع الشياطين وأهل البيت بريئون منهم»^(٣).

هـ - انفصالهم عن المسلمين بمصادرهم في التلقي هي عمدتهم وعليها يعولون:

فعمدة الروافض في أحاديثهم هي أربعة كتب عليها مدار العمل عندهم في جميع

الأعصار.

أولها: «الكافي» في الأصول والفروع لمحمد بن يعقوب الكليني^(٤) (ت ٣٢٩ أو

٣٢٨هـ) الملقب عندهم بثقة الإسلام.

وثانيها: كتاب «من لا يحضره الفقيه»^(٥) لشيخهم الملقب عندهم بالصدوق محمد بن

(١) وقد طبع في المطبعة الإسلامية بطهران.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أبا برزك الطهراني (٤/ ٥٠٠-٥٠١).

(٣) كشف غياهب الجهالات، (ق: ١٢) (مخطوط).

(٤) محمد بن يعقوب الكليني يكنى أبا جعفر، (هو عندهم) ثقة عارف بالأخبار، له كتب منها كتاب (الكافي) وغيره. (انظر:

الفهرست، للطوسي ص: ١٦١).

(٥) وقد اختار هذا الاسم على غرار كتاب «من لا يحضره الطبيب» للرازي. انظر: مقدمة الكتاب للمؤلف (ص: ٣).

بابويه القمي^(١).

وثالثها: تهذيب الأحكام، لشيخهم المعروف عندهم بشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٣٦٠هـ)،

ورابعها: «الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» للطوسي السابق ذكره. وهو مجرد اختصار لكتاب «التهذيب» السالف الذكر^(٢) ومع ذلك جعلوه أحد أصولهم. هذه هي أصولهم الأربعة المعتمدة حتى اليوم باتفاقهم.

قال الفيض الكاشاني: «إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها»^(٣).

وقد ألحقوا بها أربعة كتب متأخرة:

أولها: «الوافي» لشيخهم محمد بن مرتضي المعروف بملا محسن الفيض الكاشاني، توفي في كاشان سنة ١٠٩١هـ، وقد جمع في هذا الكتاب ما في الكتب الأربعة المتقدمة، ويقع في ثلاثة مجلدات كبار، وطبع في إيران.

وثانيها: «بحار الأنوار الجامعة لدر أخبار الأئمة الأطهار» لشيخهم محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠ أو ١١١١هـ)، وقد جمع هذا الكتاب من الكفر فأوفى^(٤).

وثالثها: «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، تأليف شيخهم محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ).

ورابعها: «مستدرك الوسائل»، لشيخهم المتأخر حسين النوري الطبرسي (ت

(١) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (أبو جعفر)، زعموا أن له (٣٠٠) مصنف، وأنه ولد بدعاء القائم (مهديهم المنتظر) ومن كتبه: من لا يحضره الفقيه، والتوحيد، ومعاني الأخبار، وغيرها. توفي سنة ٣٨١هـ. انظر:

الفهرست، للطوسي (ص: ١٨٤-١٨٦)، وروضات الجنات (٦/١٣٢)، ووسائل الشيعة (٢٠/٣٣٥).

(٢) انظر مقدمة الاستبصار، للمؤلف (ص: ٢).

(٣) الوافي (١/١١).

(٤) وقد طبع قديماً في ٢٥ مجلداً، ثم طبع أخيراً في ١١٠ مجلداً.

١٣٢٠هـ)، وهو مؤلف كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» الذي يعتبر أكبر عار وسبة وفضيحة على الشيعة أبد الدهر، ومع هذا جعلوا كتابه «مستدرك الوسائل» من كتبهم الأساسية والمعتمدة في الحديث.

وهناك كتب كثيرة عندهم قالوا: إنها في الاعتبار والاحتجاج كالكتب الأربعة، كما ذكر ذلك المجلسي في مقدمة بحاره^(١)، والحر العاملي في الوسائل^(٢)، وكما نجد ذلك في مقدمات تلك الكتب. ويبدو أن تخصيص ما سلف بالذكر ربما لمجرد محاكاة وتقليد أهل السنة وللدعاية المذهبية، فأهل السنة لديهم الكتب الستة، فقال هؤلاء: لدينا الصحاح الثمانية، ومما يوضح ذلك أنهم اعتبروا مثلاً من المجاميع الثمانية المتقدمة كتاب الوافي، وعدوه أصلاً مستقلاً، مع أنه عبارة عن جمع لأحاديث الكتب الأربعة المتقدمة (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) فكيف يعد أصلاً خامساً، ومستقلاً، وهو تكرر لأحاديث الكتب الأربعة؟!

وكذلك اعتبروا (الاستبصار) للطوسي مصدرًا مستقلاً من المصادر الأربعة المتقدمة، وهو لا يعدو أن يكون اختصارًا لكتاب (تهذيب الأحكام) للطوسي، كما صرح بذلك الطوسي نفسه في مقدمة (الاستبصار)^(٣).

والملاحظ أن روايات الشيعة في كتبها كلها منسوبة إلى الأئمة الاثني عشر، ومعظمها مروى عن جعفر الصادق، وقليل منها - بل نادرٌ ولا يكاد يوجد إلا بكلفة - مروى عن رسول الله ﷺ، بل أشار شيخهم الحر العاملي إلى أنهم يتجنبون رواية ما يرفع إلى النبي ﷺ

(١) انظر: (٢٦/١). قال المجلسي بأن كتب الصدوق ما عدا خمسة فيها لا تقصر في الاشتهار عن الكتب الأربعة (نفس الموضوع من المرجع السابق). وقال: «وكتاب (بصائر الدرجات) من الأصول المعتبرة التي روى عنها الكليني وغيره». (السابق

٢٧/١)، وهكذا قال في عدد كثير من كتبهم.

(٢) انظر: وسائل الشيعة ج ٢٠ (الخاتمة).

(٣) انظر: الاستبصار (١/ ٢-٣).

خشية أن يكون من روايات أهل السنة^(١).

إذن هذه الطائفة «لا تعتنى بحديث رسول الله ﷺ ومعرفته صحيحه من سقيمه والبحث عن معانيه، ولا تعتنى بآثار الصحابة والتابعين حتى تعرف مأخذهم ومسالكهم، وترد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول»^(٢).

بل عمدتها ما تزعم روايته عن بعض أهل البيت، وليس كل أهل البيت، وليس ما ينقلونه هي أقوال أئمة أهل البيت، بل هي مفتريات زنادقة القرون البائدة على أهل البيت، ويكفي في الحكم على أحاديثهم النظر في متونها، «وكل متن يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع»^(٣)، وقد جمعت هذه المتون من مظاهر الشرك بالله جل وعلا والقول بتحريف القرآن، والانحراف في تأويله، ودعوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم، وتكفير الصحابة ما يقطع معه بأنها من وضع زنديق حاقد على الإسلام وأهله.

٣- اعتقادهم في إجماع الأمة:

الإجماع من أصول أهل السنة، وهو الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يعتمد عليه في العلم والدين، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»^(٤).

أما طائفة الاثني عشرية فلها في هذا الباب مقالات تكشف تشيعهم الكاذب، وزيف دعواهم الخادعة بالتقارب مع الأمة، منها:

أ- دعواهم أن الحجة في قول الإمام، لا في الإجماع:

يقول ابن المطهر الحلي: «الإجماع إنما هو حجة عندنا لاشتغاله على قول المعصوم، فكل

(١) انظر: وسائل الشيعة (٢٠ / ٣٩١).

(٢) منهاج السنة (٣ / ٤٠).

(٣) الموضوعات، لابن الجوزي (١ / ١٠٦).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٣ / ٣٤٦).

جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في جملة أقوالها، فإجماعها حجة لأجله لا لأجل الإجماع^(١). إذن الإجماع ليس حجة عندهم بدون وجود الإمام الذي يعتقدون عصمته، فمدار حجية الإجماع هو على قوله لا على نفس الإجماع.

ف عندهم في كل عصر نبي يسمى الإمام، والحجة في قوله لا في الإجماع، ولهذا قالوا: «ونحن لما ثبت عندنا بالأدلة العقلية والنقلية كما هو مستقصى في كتب أصحابنا الإمامية أن زمان التكليف لا يخلو من إمام معصوم حافظ للشرع يجب الرجوع إلى قوله فيه، فمتى اجتمعت الأمة على قول كان داخلاً في جملتها لأنه سيدها، والخطأ مأمون على قوله، فيكون ذلك الإجماع حجة. فحجية الإجماع عندنا إنما هو باعتبار كشفه عن الحجة التي هي قول المعصوم^(٢)».

ب- ما خالف العامة فقيه الرشاد:

وضعت طائفة الاثني عشرية أصلاً لإصابة الحق في زعمهم^(٣)، وهو أن مخالفة إجماع المسلمين حجة قائمة بذاتها، حتى اعتبروا مبدأ المخالفة أصلاً من أصول الترجيح عند اختلاف رواياتهم، وجاءت عندهم نصوص كثيرة تؤكد هذا المبدأ وتدعو إليه.

ففي أصول الكافي سأل أحدهم إمامه: «إذا وجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة - يعني أهل السنة - والآخر مخالفاً لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ فأجاب إمامهم: ما خالف العامة فقيه الرشاد. قال السائل: جعلت فداك، فإن وافقها الخبران جميعاً؟

قال إمامهم: ينظر إلى ما هم إليه أميل - يعني أهل السنة - بأحكامهم وقضائهم فيترك ويؤخذ بالآخر.

(١) تهذيب الوصول إلى علم الأصول (ص: ٧٠).

(٢) معالم الدين، النحاري (ص: ٤٠٦).

(٣) وهذا يكشف حقيقة دعوى التقارب والوحدة الكاذبة، وأن مرادهم الوحدة على مذهبهم وضلالهم.

قال السائل: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعاً؟

قال: إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»^(١).

وذكر ثقتهم الكليني أن من وجوه التمييز عند اختلاف رواياتهم قول إمامهم: «دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم»^(٢).

وحين سأل أحد الشيعة إمامه قائلاً: «يحدث الأمر لا أجد بداً من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، فأجابه بقوله: ائت فقيه البلد (يعني من علماء المسلمين)، فاستفتته عن أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه، فإن الحق فيه»^(٣).

وعلق على هذا النص أحد شيوخهم، فقال: «من جملة نعماء الله على هذه الطائفة المحقة أنه خلى بين الشيطان وبين علماء العامة، فأصلهم في جميع المسائل النظرية حتى يكون الأخذ بخلافهم ضابطة لنا، ونظيره ما ورد في حق النساء شاوروهن وخالفوهن»^(٤).

٤- اعتقادهم في الإيمان وأركانه:

١- الإيمان بالله:

أ- مفهوم الإيمان عندهم:

حقيقة الإيمان عندهم الذي يترتب عليه النجاة بزعمهم هو الإيمان بالأئمة الاثني عشر^(٥)، قال شيخهم ابن المطهر الحلي: «إن مسألة الإمامة (إمامة الاثني عشر) هي أحد أركان

(١) أصول الكافي (١/ ٦٧-٦٨).

(٢) أصول الكافي، خطبة الكتاب (ص: ٨)، وانظر: وسائل الشيعة (١٨/ ٨٠).

(٣) علل الشرائع (ص: ٥٣١)، التهذيب (٦/ ٢٩٥)، وسائل الشيعة (١٨/ ٨٢-٨٣)، وبحار الأنوار (٢/ ٢٣٣).

(٤) الإيقاظ من المهجعة، للحر العاملي (ص: ٧٠-٧١).

(٥) وقد نسب الأشعري هذا المذهب إلى جمهور الرافضة، انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٥).

الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان، والتخلص من غضب الرحمن»^(١).

وقال شيخهم محمد جواد العاملي: «الإيمان عندنا إنها يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، إلا من مات في عهد أحدهم فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله»^(٢)، وقال أمير محمد القزويني (من شيوخهم المعاصرين): «إن من يكفر بولاية علي وإمامته فقد أسقط الإيمان من حسابه وأحبط بذلك عمله»^(٣).

وأول من أسس لهم هذه العقيدة الضالة إمامهم الكليني الذي يتلقون عنه دينهم ويلقبونه بثقة الإسلام، فقد جاء في أصول الكافي: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله» ثم ذكر بقية أركان الإسلام، ثم قال: «الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلمًا، وكان ضالًا»^(٤).

وقد فسروا آيات الإيمان بهذا المعتقد، ففي قوله سبحانه: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٥) فإن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ... ﴿ [البقرة: ١٣٦-١٣٧] بقوله: «إنما عني بذلك عليًا، والحسن، والحسين، وفاطمة، وجرت بعدهم في الأئمة»، ثم قال: «ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿فَإِن

(١) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (ص: ١).

(٢) مفتاح الكرامة (٢/ ٨٠).

(٣) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم (ص: ٢٤).

(٤) أصول الكافي (٢/ ٢٤).

ءَامَتُوا ﴿ يَعْنِي النَّاسَ ﴾ بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ، ﴿ يَعْنِي عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، ﴿ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَوَلُوا فَأَنَّمَاهُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾^(١).

ب- الشهادة الثالثة:

وبمقتضى هذا الإيـان الذي لا يعرفه سوى الاثني عشرية، فإنهم اخترعوا (شهادة ثالثة) هي شعار هذا الإيـان الجديد، وهي قولهم: «أشهد أن علياً وليُّ الله» يرددونها في أذانهم وبعد صلاتهم، ويلقنونها موتاهم، فالإقرار بالأئمة مع الشهادتين يقال بعد كل صلاة، وعقد الحر العاملي باباً في هذا المعنى^(٢).

وجاء في أخبارهم عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو أدركت عكرمة^(٣) عند الموت لنفعت، فقيل لأبي عبد الله عليه السلام: بماذا كان ينفعه؟ قال: يلقنه ما أنتم عليه^(٤)»، وعن أبي بصير عن أبي جعفر قال: «... لقنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله والولاية^(٥)».

ويلقن هذه الشهادة عند إدخاله القبر^(٦)، وكذلك عند انصراف الناس عنه، ويؤب لذلك المجلسي فقال: «باب استحباب تلقين الولي الميت الشهادتين والإقرار بالأئمة عليهم السلام بأسمائهم بعد انصراف الناس^(٧)»، وساق في ذلك جملة من رواياتهم.

وهذه الشهادة الجديدة هي إقرار بمسألة الإمامة التي يرى ابن المطهر أنها «أهم المطالب

(١) تفسير العياشي (٦٢/١)، تفسير الصافي (٩٢/١)، البرهان (١٥٧/١).

(٢) انظر: وسائل الشيعة، باب استحباب الشهادتين والإقرار بالأئمة بعد كل صلاة (٤/١٠٣٨).

(٣) يعني عكرمة مولى ابن عباس العلامة الحافظ المفسر (انظر: سير أعلام النبلاء ٥/١٢)، وهذا قدره عند هؤلاء (انظر: رجال الكشي ص: ٢١٦) حيث قال بأن هذا يدل على ذمه.

(٤) فروع الكافي (٣٤/١)، من لا يحضره الفقيه (٤١/١)، تهذيب الأحكام (٨٢/١)، رجال الكشي (ص: ٢١٦)، وسائل الشيعة (٢/٦٦٥).

(٥) فروع الكافي (٣٤/١)، تهذيب الأحكام (٨٢/١)، وسائل الشيعة (٢/٦٦٥).

(٦) انظر أخبارهم في ذلك في: فروع الكافي (٥٣/١)، تهذيب الأحكام (٩١/١)، وسائل الشيعة (٢/٨٤٣).

(٧) وسائل الشيعة (٢/٨٦٢).

في أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين»^(١).

ج- القول بالإرجاء:

إذا كان الإيمان عندهم هو الإقرار بالأئمة الاثني عشر، فقد أصبح معرفة الأئمة عندهم كافيًا في الإيمان ودخول الجنان، فأخذوا بمذهب غلاة المرجئة رأسًا، ولهذا عقد صاحب الكافي بابًا بعنوان: «باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة»^(٢).

وحين ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضرُّ معها سيئة^(٣)، رد عليه بعض شيوخهم المعاصرين، فقال: «ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب عليٍّ حسنة ليس يضر معه سيئة، فإنه بهتان منه؛ فإنهم جميعًا متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب»^(٤).

وبهذا يتبين أنهم في باب الإيمان أشد غلوًا من غلاة المرجئة الذين قالوا: الإيمان معرفة الله، وكفرهم بذلك السلف؛ لأن هؤلاء يقولون: الإيمان معرفة الإمام أو حبه، فجعلوا الإيمان بالإمام أعظم من الإيمان بالله^(٥).

وأخبارهم في هذا الباب كثيرة في عشرات من الأحاديث، فقد جاء عندهم «وهل الدين إلا الحب»^(٦)، وذكر المجلسي (١٥٤) رواية في باب بعنوان: «باب ثواب حبهم وولايتهم وأنهم أمان من النار»^(٧)، كما جاء في عنوان آخر: «أن ولايته (يعني عليًا) حصن من عذاب

(١) منهاج الكرامة (ص: ١).

(٢) أصول الكافي (٢/٤٦٣).

(٣) انظر: منهاج السنة (١/١٠٦).

(٤) منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية، محمد مهدي الكاظمي (١/٩٨).

(٥) سيأتي تفصيل ذلك في مبحث المرجئة.

(٦) تفسير العياشي (١/١٦٧)، بحار الأنوار (٢٧/٩٥).

(٧) بحار الأنوار (٢٧/٧٣-١٤٤).

الجبار، وأنه لو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله النار^(١)، وجاء في أحاديثهم «لا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين، ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين»^(٢).

د- قولهم في الوعد:

قال ابن بابويه: «اعتقادنا في الوعد أن من وعده الله على عمل ثوابًا فهو منجزه»^(٣).

وقد توسعوا في مفهوم الوعد فاخترعوا روايات وأخبارًا ونسبوا لجعفر الصادق وغيره تثبيت الوعد بالثواب على أعمال ما أنزل الله بها من سلطان، بل إن الدليل والبرهان قام على منعها وتحريمها أو اعتبارها ضربًا من الشرك أو الإلحاد كلعن صحابة رسول الله ﷺ وقد جعلوه من أفضل القربات^(٤)، ولطم الخدود وشق الجيوب، وتعذيب النفس، وضربها بالسكاكين والسيوف باسم عزاء الحسين وهو عندهم من عظيم الطاعات^(٥).

وجاءت أخبارهم تقول بأن الأئمة يملكون ضمان دخول الجنة لشيعتهم، ومن نصوصهم في هذا ما جاء في رجال الكشي: «عن زياد القندي عن علي بن يقطين، أن أبا الحسن قد ضمن له الجنة»^(٦)، وفي رواية أخرى «عن عبد الرحمن الحجاج، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن علي بن يقطين أرسلني إليك برسالة أسألك الدعاء له، فقال: في أمر الآخرة»^(٧)؟ قلت: نعم، قال: فوضع يده على صدره ثم قال: ضمنت لعلي بن يقطين ألا تمسه النار»^(٨)، وأخبار ضمان

(١) بحار الأنوار (٣٩/٣٢).

(٢) علل الشرائع (ص: ١٦٢).

(٣) الاعتقادات (ص: ٩٤)، وانظر: أوائل المقالات (ص: ٥٧)، الاعتقادات، للمجلسي (ص: ١٠٠).

(٤) انظر: بحار الأنوار (٢٧/٢١٨).

(٥) انظر: عقائد الإمامية، للزنجاني (١/٢٨٩) وما بعدها، مبحث (المواكب الحسينية)، وانظر: الآيات البيئات، لمحمد حسين

آل كاشف الغطاء (ص: ٤) وما بعدها، فصل (المواكب الحسينية)، ودائرة المعارف الشيعية (٢١/٧٠٦).

(٦) رجال الكشي (ص: ٤٣٠).

(٧) لاحظ أن الإمام المزعوم يستفهم عن المقصود بالدعاء وهو الذي يعلم المصير ويضمنه، وهذا من كذب المغفلين، أو أن الله

سبحانه أراد لأمرهم أن يفتضح بهذا الاختلاف والتناقض الشائع في الكثير من أخبارهم.

(٨) رجال الكشي (ص: ٤٣١)، وأورد الكشي عدة روايات مشابهة لما ذكر (ص: ٤٣١-٤٣٢).

الأئمة لأتباعهم الجنة مستفيضة في كتب الاثني عشرية، بل وضعوا من الروايات التي يدعون فيها أن الأئمة ضمنوا ألا يدخل أحد منهم النار، ومنها ما جاء في البحار أن ساعة بن مهران قال لجعفر الصادق: «نحن شر الناس عند الناس لأنهم سمونا كفارا ورافضة.. قال جعفر: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة وسيق بهم إلى النار؟ ... إن من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع له فنشفع، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد»^(١).

هـ- قولهم في الوعيد:

قال المفيد: «اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة»^(٢)، وأنهم بارتكاب الكبيرة لا يخرجون عن الإسلام، وإن كانوا يفسقون بما فعلوه من الكبائر والآثام^(٣). وهذا القول في ظاهره موافق لمذهب أهل السنة، لكنهم خرجوا عن تحقيق هذا المذهب من طريق آخر، حيث توسعوا في مفهوم الكفر والمكفرات، ولذلك «اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتبهيم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البيئات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»^(٤). واتفقت على القول بكفر من حارب أمير المؤمنين علياً وأنهم «كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين وأنهم بذلك في النار مخلدون»^(٥).

(١) بحار الأنوار (٦٨ / ١١٧)، وانظر: أمالي الطوسي (١ / ٣٠١).

(٢) أوائل المقالات (ص: ١٤).

(٣) انظر: أوائل المقالات (ص: ١٥).

(٤) أوائل المقالات (ص: ١٦).

(٥) أوائل المقالات (ص: ١٠).

وهكذا حكمهم في كل من خالفهم، ولذلك قال ابن بابويه: «واعتقادنا فيمن خالفنا في شيء واحد من أمور الدين كاعتقادنا فيمن خالفنا في جميع أمور الدين»^(١).
فهم وعيدية في حق من خالفهم، كما أنهم مرجئة في حق من دان بقولهم.

و- مفهوم التوحيد عندهم:

التوحيد عندهم هو أفراد الأئمة الاثني عشر بالإمامة، والشرك عندهم هو أن يتخذ الناس إمامًا أو حاكمًا غيرهم، ولذلك فإن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيثار بإمامة علي والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها النهي عن الشرك في ولاية الأئمة.

ففي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] جاء في الكافي^(٢) - أهم مصادرهم -، وفي تفسير القمي - عمدة تفاسيرهم - وفي غيرهما تفسيرها بما يلي: «يعني إن أشركت في الولاية غيره»، وفي لفظ آخر: «لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك»^(٣).

ويقولون في تأويل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْهَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١]، «ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا، والبراء من أعدائنا»^(٤).

ز- مقالاتهم في توحيد العبادة:

- اعتقادهم أن الأئمة هم الوساطة بين الله والخلق:

يقول الاثنا عشرية: إن الأئمة الاثني عشر هم الوساطة بين الله وخلقهم. قال المجلسي عن

(١) الاعتقادات (ص: ١١٦)، وانظر: الاعتقادات، للمجلسي (ص: ١٠٠).

(٢) أصول الكافي (١/٤٢٧) رقم (٧٦).

(٣) تفسير القمي (٢/٢٥١).

(٤) البرهان (٢/٣٦٧)، تفسير الصافي (٣/١٣٤).

أثمته: «فإنهم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق»^(١).

وعقد لذلك باباً بعنوان: «باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم»^(٢).

- اعتقادهم أن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

جاء في الكافي وغيره من مصادرهم: «إنَّ زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجَّة، وأفضل من عشرين عمرة وحجَّة»^(٣).

وحينما قال أحد الشَّيعة لإمامه: «إني حججت تسع عشرة حجة، وتسع عشرة عمرة» أجابه الإمام - بأسلوب يشبه السخرية - قائلاً: «حج حجة أخرى، واعتمر عمرة أخرى، تكتب لك زيارة قبر الحسين»^(٤).

وجاء في (وسائل الشيعة): «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لما تواشوقوا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟ قال: من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله»^(٥).

وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم أن زيارة قبر الحسين «أفضل ما يكون من الأعمال»^(٦). وفي رواية أخرى «من أحب

(١) بحار الأنوار (٩٧/٢٣).

(٢) المصدر السابق (٩٧/٢٣).

(٣) فروع الكافي (٣٢٤/١)، ثواب الأعمال، لابن بابويه (ص: ٥٢)، تهذيب الأحكام، (١٦/٢)، كامل الزيارات، (ص: ١٦٦)، وسائل الشيعة (٣٤٨/١٠).

(٤) تهذيب الأحكام (١٦/٢)، وسائل الشيعة (٣٤٨/١٠)، بحار الأنوار (٣٨/١٠١).

(٥) كامل الزيارات (ص: ١٤٣)، وسائل الشيعة (٣٥٣/١)، بحار الأنوار (١٨/١٠١).

(٦) كامل الزيارات (ص: ١٤٦)، بحار الأنوار (٤٩/١٠١).

الأعمال زيارة قبر الحسين^(١)، ووضع المجلسي في ذلك باباً بعنوان «باب أن زيارته عليه السلام من أفضل الأعمال» ذكر فيه جملة من جنس هذه الروايات^(٢).

- زعمهم بأن كربلاء أفضل من الكعبة:

يقولون - كبرت كلمة تخرج من أفواههم أو تسطرها أقلامهم - : إن كربلاء أفضل من الكعبة، بل الكعبة - كما يفترون - ليست سوى ذنب ذليل مهين لأرض كربلاء، جاء في مصادرهم المعتمدة لديهم ما نصه: «إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فجٍّ عميق وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها - كما يفترون - أن كُفِّي وقرِّي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقرِّي واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستتكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»^(٣).

ولكن الكعبة لم تأخذ بالنصيحة كما تقول روايات الشيعة!! فلم تتواضع لأرض كربلاء، وتصبح كالذنب الذليل المهين لها، فحلت بها العقوبة، بل إن العقوبة - كما يقولون - وقعت على كل ماء وأرض ما عدا كربلاء، قالوا في رواياتهم: «.. فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحاً حتى أفسد طعمه»^(٤).

وهذه العقيدة هي ما يدين به مراجعهم المعاصرون حتى أنشد أحدهم مفتخراً بهذا

(١) كامل الزيارات (ص: ١٤٦)، بحار الأنوار (١٠١/٤٩).

(٢) بحار الأنوار (١٠١/٤٩).

(٣) كامل الزيارات (ص: ٢٧٠)، بحار الأنوار (١٠١/١٠٩).

(٤) كامل الزيارات (ص: ٢٧٠)، بحار الأنوار (١٠١/١٠٩).

الكفر، فقال:

ومن حديث كربلا والكعبة لكربلا بان علو الرتبة

وليس ذلك فحسب، بل إن عقيدة تفضيل كربلاء على بيت الله الحرام من ضرورات مذهبهم، ولذلك يذكر مرجع الشيعة المعاصر أن كربلاء أشرف بقاع الأرض بالضرورة؛ لأنه قد شهدت بذلك آثارهم وأخبارهم^(١).

ح- مقالاتهم في توحيد الربوبية:

- قولهم: إن الرب هو الإمام:

جاء في أخبارهم أن علياً - كما يفترون عليه - قال: أنا رب الأرض، الذي يسكن الأرض به^(٢). فانظر إلى هذا التطاول والغلو! فهل رب الأرض إلا الواحد القهار؟! وهل يمسك السماوات والأرض إلا خالقهما سبحانه ومبدعها؟! وفي قوله سبحانه:

﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا﴾ [الكهف]

قالوا: يرد إلى أمير المؤمنين فيعذبه عذاباً نكراً^(٣).

- قولهم: إن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء:

عقد صاحب الكافي لهذا باباً بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام»^(٤)، ومما جاء فيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله...»^(٥).

وهذا شرك صريح في ربوبية الله سبحانه؛ لأن الله جل شأنه يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

(١) الأرض والتربة الحسينية، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء (ص: ٥٥-٥٦).

(٢) انظر: مرآة الأنوار (ص: ٥٩)، وقد نقل ذلك عن بصائر الدرجات للصفار.

(٣) مرآة الأنوار (ص: ٥٩)، وقد عزاه إلى كنز الفوائد.

(٤) انظر: أصول الكافي (١/٤٠٧-٤١٠).

(٥) أصول الكافي (١/٤٠٩).

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿[الحج: ٧٠]﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة].

- الجزء الإلهي الذي حلَّ في الأئمة بزعمهم:

قال أبو عبد الله: «ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا»^(١)، وقال: «...ولكن الله خلطنا بنفسه..»^(٢). وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة - وتبلغ مئات الروايات - يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين - تعالى الله وتقدس عما يقولون - في الإحياء والإماتة والخلق والرزق^(٣).

فهذا -مثلاً- عليُّ يُحْيِي الموتى، فيقولون بأنه أحى موتى مقبرة الجبانة بأجمعهم^(٤)، وضرب الحجر فخرجت منه مائة ناقة^(٥).

ط - مقالاتهم في توحيد الأسماء والصفات:

- قولهم بالتشبيه:

قال أهل العلم: كان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول^(٦)، وشيعة عصرنا يدافعون عن هؤلاء الزنادقة ويعدونهم من شيوخهم وثقات رجالهم الذين يتلقون

(١) أصول الكافي (١/ ٤٤٠)، وبحار الأنوار (١/ ٤٤١-٤٤٢).

(٢) أصول الكافي (١/ ٤٣٥).

(٣) انظر: بحار الأنوار، باب جوامع معجزاته (يعنون عليًّا) (٤٢/ ١٧-٥٠).

(٤) انظر: بحار الأنوار (٤١/ ١٩٤)، وعزاه إلى الخرائج والجرائح.

(٥) انظر: بحار الأنوار (٤١/ ١٩٨).

(٦) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٩٧).

عنهم دينهم^(١١٠).

وكما قالوا بتشبيه الخالق جل وعلا بالمخلوق فقد قالوا أيضًا بضده، وهو تشبيه المخلوق بالخالق جل وعلا، فأسماء الله سبحانه التي ذكرها في كتابه هي - على حد زعمهم - عبارة عن الأئمة الاثني عشر، روى الكليني في أصول الكافي عن أبي عبد الله في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٨٠]، قال: «نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفةتنا»^(١١١). وزعموا أن أمير المؤمنين عليًا قال: «أنا عين الله وأنا يد الله وأنا حبيب الله وأنا باب الله»^(١١٢)، وأنه قال - كما يفترون - : «أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأوّل، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن»^(١١٣).

كما أنهم أضفوا على الأئمة أيضًا بعض صفات الرب سبحانه كالعلم بالغيب، وعقد لذلك صاحب الكافي بابًا بعنوان «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء»^(١١٤)، وضمنه طائفة من رواياتهم، وعقد بابًا آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا»^(١١٥)، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب ما افتراه

(١) انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين (١ / ١٠٦)، وهؤلاء في كتب الفرق أصحاب طوائف منسوبة لأسماهم. قال الأشعري:

«الهشامية أصحاب هشام بن الحكم» (مقالات الإسلاميين / ١ / ١٠٦)، و«اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي»

(السابق / ١ / ١١٠)، و«الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجولقي» (السابق / ١ / ١٠٩)، والجميع يتنظمهم سلك الرفض.

(٢) فانظر وتعجب كيف يردون روايات أصحاب رسول الله ﷺ ويتلقون دينهم عن هؤلاء الزنادقة؟! ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا

لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور].

(٣) أصول الكافي (١ / ١٤٣-١٤٤).

(٤) أصول الكافي (١ / ١٤٥)، بحار الأنوار (٢٤ / ١٩٤).

(٥) رجال الكشي (ص: ٢٢١) رقم (٣٧٤)، وانظر: بحار الأنوار (٩٤ / ١٨٠)، بصائر الدرجات (ص: ١٥١).

(٦) انظر: أصول الكافي (١ / ٢٦٠-٢٦٢).

(٧) أصول الكافي (١ / ٢٥٨).

الكليني على أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: «إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون»^(١).

وقد ذكر الشهرستاني أن هذه العقيدة هي عقيدة الغلاة التي تلقوها عن اليهود والنصارى، يقول: «هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود والنصارى؛ إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة، حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة»^(٢).

- قولهم بالتعطيل:

بعد هذا الغلو الذي أوقعهم في التشبيه والتجسيم تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة؛ حيث تأثروا بمذهب المعتزلة في تعطيل الباري سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، واتخذوا تعطيل الباري جل وعلا عن صفاته العلا مذهباً ومسلماً، وسار شيوخهم على هذا النهج من المائة الرابعة كالمفيد، والموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة^(٣).

وكثير مما كتبه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة^(٤).

(١) أصول الكافي (١/٢٦١).

(٢) الملل والنحل (١/١٧٣).

(٣) انظر: منهاج السنة (١/٢٢٩).

(٤) انظر: منهاج السنة (١/٣٥٦).

وقد أشار الشهرستاني إلى انتقال الشيعة من التشبيه إلى التعطيل، فقال: «ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالإله تعالى وتقدس، وأما التقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق، ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير، ووقعت في الاعتزال»^(١).

٢- الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان العظام، وقد نال هذا الركن من أركان الإيمان نصيبه من تحريف الرافضة وكفرهم وعدوانهم، فقد جعلوا من ملائكة الرحمن خدماً للأئمة، حيث جاء في بعض أحاديثهم: «إن جبرائيل دعا أن يكون خادماً للأئمة، قالوا: فجبريل خادماً»^(٢)، وقالوا: «إن الملائكة لخدماً لنا وخداماً محبينا»^(٣).

وقد نقل مثل ذلك ابن المطهر الحلي الملقب عندهم بالعلامة، فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «فتسمية جبريل رسول الله إلى محمد ﷺ خادماً له عبارة من لا يعرف قدر الملائكة، وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء»^(٤).

بل إن الملائكة خلقوا بزعمهم من نور علي ﷺ، تقول أخبارهم: «خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولحبيه إلى يوم القيامة»^(٥)، ويقولون: «خلق الله الملائكة من نور علي»^(٦).

(١) الملل والنحل (١/ ٩٣).

(٢) بحار الأنوار (٢٦/ ٣٤٤-٣٤٥)، إرشاد القلوب (ص: ٢١٤)، كنز جامع الفوائد (ص: ٤٨٣).

(٣) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٣٥، ابن بابويه/ إكمال الدين: ص ١٤٧، عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٦٢، علل الشرائع: ص ١٣.

(٤) منهاج السنة النبوية (٤/ ٦٦).

(٥) كنز جامع الفوائد (ص: ٣٣٤)، بحار الأنوار (٢٣/ ٣٢٠).

(٦) المعالم الزلفى (ص: ٢٤٩).

كما زعموا أن حياة الملائكة متوقفة على محبة عليٍّ والاستغفار لشيئته؛ لأن هذا بمثابة طعامهم وشرابهم، فقالوا: «ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلاة على علي بن أبي طالب ومحبيه، والاستغفار لشيئته المذنبين»^(١)، «وكانت الملائكة لا تعرف تسييحًا ولا تقديسًا من قبل تسييحنا (يعني تسييح الأئمة) وتسييح شيئتنا»^(٢).

وقد زعموا أن من ملائكة الرحمن من لا وظيفة لهم إلا البكاء على قبر الحسين، قالوا: «وكلَّ الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملكٍ شعثٍ غبر يبكونه إلى يوم القيامة»^(٣). بل إن الملائكة تتولى رعاية أطفالهم - حسب زعمهم -، حتى قالوا: «هم ألطف بصبياننا منا بهم»^(٤).

ولما رفض أحد الملائكة بزعمهم ولاية عليٍّ ﷺ كسر الله جناحه، ولم يشف إلا بعد أن أقر بولاية عليٍّ ﷺ، وتمسح بمهد الحسين^(٥).

ومن مقالاتهم وشذوذهم أنهم يدعون أن الشيعي إذا خلا بصاحبه اعتزلهم الحفظة من الملائكة فلم يكتبوا عليهم شيئًا، يقولون: «إذا التقى الشيعي مع الشيعي يتساءلان، قالت الحفظة: اعتزلوا بنا، فإن لهم سرًّا وقد ستره الله عليهما»^(٦)، مع أن الله سبحانه يقول: ﴿إِذْ يُلَاقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾^(٧)، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾^(٨) المعروف.

(١) بحار الأنوار (٢٦ / ٣٤٩).

(٢) جامع الأخبار لابن بابويه (ص: ٩)، بحار الأنوار (٢٦ / ٣٤٤).

(٣) وسائل الشيعة (١٠ / ٣١٨)، فروع الكافي (١ / ٣٢٥)، ثواب الأعمال (ص: ٤٩)، كامل الزيارات (ص: ١٨٩).

(٤) بحار الأنوار (٢٦ / ٣٥٤)، بصائر الدرجات (ص: ٢٦).

(٥) انظر: بحار الأنوار (٢٦ / ٣٤١).

(٦) وسائل الشيعة (٨ / ٥٦٣-٥٦٤).

٣- الإيمان بالكتب:

يزعم الاثنا عشرية أن هناك كتباً مقدسة نزلت من السماء بوحي من رب العزة جل علاه إلى الأئمة، وأحياناً تورّد كتبهم نصوصاً يزعمون أنها مأخوذة من تلك الكتب، ومن هذه الكتب المزعومة:

أ- مصحف فاطمة:

تدعي كتب الشيعة نزول مصحف بعد وفاة الرسول ﷺ يسمونه مصحف فاطمة: جاء في أوثق مصادرهم (الكافي)^(١): «وإن عندنا لمصحف فاطمة -عليها السلام- قال أبو بصير: قلت: وما مصحف فاطمة -عليها السلام-؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات^(٢)، ما فيه من قرآنكم حرف واحد^(٣)». وهذا النص يفيد أن مصحف فاطمة: الذي أوحاه الله -بزعمهم- إليها هو مثل القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله ثلاث مرات.

ويجاهرون في أساطيرهم بأن مصحف فاطمة وحي من الله، فيقولون: إن «الله أرسل

(١) بسند صحيح كما يقول علماءهم. انظر: الشافي شرح أصول الكافي (٣/ ١٩٧).

(٢) أخذ بعض من كتب عن الشيعة من هذه الرواية أن الشيعة يعتقدون أن ثلاثة أرباع القرآن قد حذف وأسقط من الصحف. (انظر: الصراع، للقصيمي ١/ ١١٠، الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهر ص: ٨١)، وقد رد على ذلك بعض شيوخ الشيعة بأن حديثهم يدل على كون مصحف فاطمة غير القرآن. (الدعوة الإسلامية، للخنيزي ١/ ٤٧)، وهذا إقرار منهم بهذه العقيدة وأنهم يزعمون نزول مصاحف على الأئمة كدعوى البابية نزول مصحف يسمونه (البيان)، والبهائية نزول مصحف يسمونه (الأقدس)، ومعلوم أن البابية والبهائية منبثقتان من الاثني عشرية، كما سيأتي، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وأقول: إن الناظر في رواياتهم يجد أنها تتحدث عن مصحف لفاطمة نزل عليها من عند الله غير القرآن، وإن كان هناك حشد من الأساطير في كتبهم تزعم بأن القرآن ناقص، لكن هذا النص ليس منها.

(٣) الكافي، كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (١/ ٢٣٨).

إليها ملكًا يحدثها -بزعمهم- فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقال: إذا أحسستِ بذلك، وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفًا... أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون^(١).
فإذا سألتهم أين هذا المصحف المزعوم؟ قالوا: عند مهدينا المنتظر!!! فأحالوا خرافة على خرافة!!

ب- لوح فاطمة:

وهذا -كما يؤخذ من رواياتهم- غير مصحف فاطمة؛ لأن مصحف فاطمة نزل -بزعمهم- بعد وفاة الرسول ﷺ بواسطة الملك وكتبه عليٌّ ؑ من فم الملك وسلمه لفاطمة، أو نزل جملة واحدة بواسطة ثلاثة من الملائكة^(٢)، أما لوح فاطمة فله صفات أخرى؛ ومنها أنه نزل على الرسول ﷺ وأهداه لفاطمة، إلى غير ذلك من أوصافه، وقد نقلوا عنه بعض النصوص التي تؤيد عقائدهم، ومما جاء فيه قول فاطمة بزعمهم: «هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله ﷺ فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك»، وفي نهاية النص تعظيم شأنه، والأمر بصيانته إلا عن أهله، قال إمامهم: «لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفأك، فَصْنُهُ إلا عن أهله^(٣)»، فهو سر من أسرارهم يتواصون بكتمانه، وذلك إبان قوة السنة وأهلها، أما اليوم فقد فضحتهم مطابعهم، ولاذوا بقوة حكم الملالي في إيران، كحالهم إبان الدولة الصفوية.

(١) أصول الكافي (١/ ٢٤٠)، بحار الأنوار (٢٦/ ٤٤)، بصائر الدرجات (ص: ٤٣).

(٢) انظر: دلائل النبوة، لمحمد بن جرير بن رستم الطبري (ص: ٢٧-٢٨).

(٣) انظر نصه في كتب الشيعة: الكافي (١/ ٥٢٧، ٥٢٨)، الوافي، للكاشاني، أبواب العهود، بالحجج والنصوص عليهم صلوات الله عليهم، المجلد الأول (ج٢/ ٧٢)، وانظر: الاحتجاج، للطبرسي (١/ ٨٤-٨٧)، إكمال الدين، لابن بابويه (ص: ٣٠١-٣٠٤)، أعلام الوري، للطبرسي (ص: ١٥٢)، الاستنصار (ص: ١٨). ويلاحظ أن رواة الشيعة لم يتفقوا في نقلهم لألفاظ هذا الكتاب الإلهي المزعوم، قارن مثلاً بين ما جاء في (إكمال الدين)، وما جاء في (الكافي).

ج- دعواهم نزول اثنتي عشرة صحيفة من الله:

جاء في كتابهم المعتمد والمسمى (إكمال الدين) لابن بابويه القمي الملقب عندهم بـ(الصدوق) أن رسول الله ﷺ قال - كما يفترون-: «إن الله تبارك وتعالى أنزل عليّ اثني عشر خاتماً، واثنتي عشرة صحيفة، اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته»^(١).

ومزاعمهم في هذا الباب كثيرة، ويكفي لمعرفة فسادها مجرد عرضها، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

[الأنعام:٩٣].

٤- الإيمان بالرسول:

الرسول أفضل البشر وأحقهم بالرسالة؛ حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فهم قد امتازوا بربّية الرسالة عن سائر الناس، ولا يفضل أحد من البشر عليهم، ومن ضلال هذه الطائفة وإحادها في هذا الركن العظيم ما يلي:

أ- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء:

تعتقد هذه الطائفة بأن أئمتها أفضل من أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام-، وقرر شيخهم الحر العاملي صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة الاثني عشر على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة^(٢)، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى^(٣).

(١) إكمال الدين، ابن بابويه القمي (ص: ٢٦٣).

(٢) انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة (باب أن النبي والأئمة الاثني عشر عليهم أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم) (ص: ١٥١).

(٣) انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص: ١٥٤).

وعقد شيخهم المجلسي في (بحار الأنوار) باباً بعنوان «باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق، وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأنَّ أولي العزم إنَّما صاروا أولي العزم بحبِّهم - صلوات الله عليهم -»^(١).

وهذه المقالة هي التي يجاهر بها شيعة عصرنا، كما قرَّر ذلك كبيرهم في كتابه (الحكومة الإسلامية)، حين قال: «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وقد ورد عنهم (ع): إن لنا مع الله حالاتٍ لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»^(٢).

وهذه العقيدة هي عقيدة غلاة الروافض، كما قرر ذلك كثير من أهل العلم، وقال عبد القاهر البغدادي: «وزعمت الغلاة من الروافض أن الأئمة أفضل من الأنبياء»^(٣)، وقال القاضي عياض: «نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء»^(٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الرافضة تجعل الأئمة الاثني عشر أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وغاليتهم يقولون: إنهم أفضل من الأنبياء؛ لأنهم يعتقدون فيهم الإلهية، كما اعتقدته النصارى في المسيح»^(٥)، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن «من اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم ومساويًا لهم فقد كفر، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء»^(٦).

ب- معجزات الأئمة:

بحكم اعتقادهم أن الإمام كالنبي، والإمامة استمرار للنبوة، فقد زعموا أن الله يؤيد

(١) بحار الأنوار (٢٦ / ٢٦٧).

(٢) الحكومة الإسلامية (ص: ٥٢).

(٣) أصول الدين (ص: ٢٩٨).

(٤) الشفا (ص: ١٠٧٨).

(٥) منهاج السنة النبوية (١ / ٤٨١-٤٨٢).

(٦) الرد على الرافضة (ص: ٢٩).

أتمتهم بالمعجزات، كما يؤيد الأنبياء، فهم يجعلون الأئمة كالأنبياء والرسل الذين يقيم الله بهم الحجة على خلقه فهم يحتاجون للمعجزات لإثبات رسالتهم كما يحتاج الأنبياء؛ لأن الأئمة - كما تقول رواياتهم - هم الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض^(١).

بل يقولون: «إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام»^(٢)، وجاءت روايات كثيرة عندهم بهذا المعنى، ولذا قالوا: «نحن حجج الله في عباده»^(٣)، وقال البحراني في كتابه الذي صنفه في معجزات الأئمة: «إن الله أظهر على أيديهم المعاجز والدلائل؛ لأنهم حجته على عباده»^(٤).

ويقرّر محمد حسين آل كاشف الغطاء أن الله سبحانه يؤيد الإمام بالمعجزة^(٥).

ومن المعلوم «أن المعجزات لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء (عليهم السلام)»^(٦).

والله جل وعلا إنما جعل الحجة على عباده بإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ

وْمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يذكر الأئمة!

٥- الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان العظيمة، وهو مما انفقت على تقريره الرسل - عليهم الصلاة والسلام-، لكن للثاني عشرية فصول من الضلال في هذا الباب، وأولها أنهم صرفوا آيات القرآن الواردة في اليوم الآخر إلى عقيدتهم في الرجعة^(٧)، ويقرر صاحب (مرآة الأنوار) قاعدة في هذا، فيقول: «كل ما عبّر به بيوم القيامة في ظاهر التنزيل فتأويله

(١) أصول الكافي (١/١٩٢)، وانظر: علم الإمام، المظفر (ص: ٤٣).

(٢) وهو عنوان باب في الكافي تضمن أربعة أحاديث بهذا المعنى. (أصول الكافي ١/١٧٧).

(٣) أصول الكافي (١/١٩٣).

(٤) ينابيع المعاجز، هاشم البحراني (ص: ٢) (المقدمة).

(٥) انظر: أصل الشيعة وأصولها (ص: ٥٨)، وسيأتي نقل نص كلامه عند ذكر اعتقادهم في الإمامة.

(٦) المحل (١/٣٥).

(٧) انظر نصوصهم في: تفسير القمي (٢/٧٦)، (٢/٤٠٥)، تفسير الطبرسي (٥/٢٥١-٢٥٢)، تفسير العياشي (١/٢١٠)،

بحار الأنوار (٥٣/٧١)، الإيقاظ من انهجعة بالرهان على الرجعة (ص: ٧٢-٩٨).

بالرجعة^(١)، وهذه محاولة من واضعي هذه النصوص لإنكار أمر اليوم الآخر بالكلية، أو صرف أتباعهم عن العمل والاستعداد لذلك اليوم العظيم؛ لأنهم لا يقرؤون في آيات اليوم الآخر إلا تأويلات شيوخهم له بالرجعة.

ومن المعلوم أن أول من قال بالرجعة ابن سبأ^(٢)، وقرر ابن حجر أن القول بالرجعة هو اعتقاد غلاة الغلاة من الروافض^(٣)، وقد سبق نقل كلامه بنصه.

ومن ضلالهم في هذا الباب قولهم بأن أمر الآخرة للإمام، يقول صاحب (الكافي): «الآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائزٌ له ذلك من الله»^(٤).

ويقولون: «لولا الأئمة ما خلقت الجنة والنار»^(٥)، و«إنَّ الله خلق الجنة من نور الحسين»^(٦)، وعقد شيخهم البحراني بابًا بهذا العنوان المذكور^(٧).

ومرة يقولون بأن الجنة هي من مهر فاطمة في زواجها على علي!! ففي مصادرهم «أن الله تعالى أمر فاطمة ربع الدنيا فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار وتدخل أولياءها الجنة»^(٨)، وعقد لذلك صاحب (المعالم الزلّفي) بابًا بعنوان: «الباب الرابع أن الجنة في مهر فاطمة»^(٩)، أي أن الجنة جزء من مهر فاطمة.

فتأمل كيف تكون الجنة من مهر فاطمة وهي مخلوقة من نور ابنها الحسين!!

(١) مرآة الأنوار (ص: ٣٠٣).

(٢) انظر: البرهان. السكسكي (ص: ٥٠).

(٣) انظر: هُدى الساري مقدمة فتح الباري (ص: ٤٥٩).

(٤) أصول الكافي (١/ ٤٠٩).

(٥) الاعتقادات (ص: ١٠٦-١٠٧).

(٦) المعالم الزلّفي (ص: ٢٤٩).

(٧) المعالم الزلّفي (ص: ٢٤٩).

(٨) المعالم الزلّفي (ص: ٣٥٠).

(٩) المعالم الزلّفي (ص: ٣١٧-٣١٩).

والأئمة في رواياتهم يحضرون عند الموت^(١)، أما حال الدفن فيوصون أتباعهم عند وضع الميت في قبره أن يجعل معه تربة من تراب الحسين؛ لأنها بزعمهم أمان له، وعقد لهذا الحر العاملي باباً بعنوان: «باب استحباب وضع التربة الحسينية مع الميت في الخنوط والكفن وفي القبر^(٢)»، وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة في اعتقادهم هو حبُّ الاثني عشر، قالوا: «أول ما يسأل عنه العبد حبُّنا أهل البيت^(٣)».

أما اعتقادهم في الحشر يوم القيامة فلهم فيه أقوال منكرة، منها: أن حشر الناس يوم القيامة لا يشمل الناس جميعاً كما هو اعتقاد المسلمين، بل هناك فئة لا يشملها الحشر، ولا تتعرض لهول ذلك اليوم، ولا تقف ذلك الموقف العظيم، ولا تمر على الصراط بل ينتقلون من قبورهم إلى الجنة بلا وسائل، أولئك هم أهل مدينة (قم)، تقول أخبارهم: «إن أهل مدينة قم يحاسبون في حُفَرهم، ويحشرون من حُفَرهم إلى الجنة^(٤)».

وليس ذلك فحسب، بل إن أحد أبواب الجنة قد خصص - بزعمهم - لأهل (قُم) عن أبي الحسن الرضا قال: «إنَّ للجنة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها فطوبى لهم ثم طوبى^(٥)». وقد زاد أحد شيوخهم المعاصرين في عدد أبواب الجنة المفتوحة على قم - كما يفترون - فذكر بأن في أخبارهم أن الرضا قال: للجنة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم^(٦).

وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة، قال أبو عبد الله: «إلينا الصُّراط وإلينا الميزان وإلينا حساب شيعتنا^(٧)».

(١) انظر: الاعتقادات (ص: ٩٣-٩٤).

(٢) وسائل الشيعة (٢/ ٧٤٢).

(٣) بحار الأنوار (٢٧/ ٧٩)، عيون أخبار الرضا (ص: ٢٢٢).

(٤) بحار الأنوار (٦٠/ ٢١٨)، الكنى والألقاب، عباس القمي (٣/ ٧١).

(٥) بحار الأنوار (٦٠/ ٢١٥)، سفينة البحار (١/ ٤٤٦).

(٦) انظر: أحسن الوديعه، محمد مهدي الكاظمي (ص: ٣١٣-٣١٤).

(٧) رجال الكشي (ص: ٣٣٧).

وعَدَّ الحُرَّ العاملي من أصول الأئمة الإيَّان بأنَّ حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمة^(١).

وقالوا: لا يدخل الجنة إلا شيعتهم، كما قالت اليهود والنصارى: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١]، قالت الراضية: إن النار محرمة على الشيعي، بل إن الجنة لم تخلق إلا لهم، والنار لأعدائهم، قالوا: «إنما خلقت الجنة لأهل البيت، والنار لمن عاداهم»^(٢). ولكنهم ينسون هذا ويقولون بأن «الشيعية يدخلون الجنة قبل سائر الناس من الأمم بشانين عامًا»^(٣).

٦- الإيمان بالقدر:

دخل متأخرو الاثني عشرية في سلك القدرية المعتزلة، وتبنوا عقائدهم، ثم نسبوا كذبًا إلى أئمتهم من آل البيت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن «قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة»^(٤). وبالرجوع إلى مصادرهم نرى شيخهم المفيد يصرح بنفي القدر، فيقول: «الصحيح عن آل محمد ﷺ أن أفعال العباد غير مخلوقة لله..»^(٥).

وعقد شيخهم الحُرَّ العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) بابًا بعنوان «باب أن الله سبحانه خالق كل شيء إلا أفعال العباد»^(٦)، وقال: «أقول: مذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها»^(٧).

(١) انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص: ١٧١).

(٢) المعالم الزلفي (ص: ٢٥١).

(٣) المعالم الزلفي (ص: ٢٥٥)، وانظر بمعنى هذا الخبر: كامل الزيارات (ص: ١٣٧)، وسائل الشيعة (١٠ / ٣٣١).

(٤) منهاج السنة (٢ / ٢٩).

(٥) شرح عقائد الصدوق (ص: ١٢).

(٦) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص: ٨٠).

(٧) المصدر السابق (ص: ٨١).

وكذلك قال شيخهم الطبطبائي: «ذهب الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها، وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها إما مخصص بما سوى أفعال العباد، أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته»^(١).

(١) مجالس الموحدين في بيان أصول الدين، محمد صادق الطبطبائي (ص: ٢١).

عقائد انفردوا بها :

١- الإمامة :

الإمامة عند الشيعة ليست هي الإمامة المعروفة لدى المسلمين، بل هي عقيدة انفردوا بها، ولم يقل بها أحد سواهم، وهي الأصل الذي يقوم عليه دينهم، وتدور عليه أحاديثهم وترجع إليه عقائدهم، وتلمس أثره في فقههم وأصولهم، وتفسيرهم وسائر علومهم. وقد عرفها علامتهم الحلي بقوله: «الإمامة رياسة عامة في أمور الدنيا والدين لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي»^(١)، وهذا التعريف وإن بدا في ظاهره موافقاً لعموم المسلمين، إلا أن حقيقة الإمامة عندهم أنها نبوة، ولذا قال شيخهم المجلسي: «لا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة»^(٢).

فالإمام حسب اعتقادهم يتم اختياره من الله، كما يختار الله أنبياءه ورسله، والإمام يؤيده الله بالمعجزات كما يؤيد الأنبياء، يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء -أحد مراجع الشيعة في هذا العصر-: «الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده»^(٣).

بل الإمام عندهم يوحى إليه من الله تعالى، ويأتيه صورة أعظم من جبرائيل، جاء في مصادره: «إن منا لمن ينكت في أذنه، وإن منا لمن يؤتى في منامه، وإن منا لمن يسمع صوت السلسلة تقع على الطشت (كذا)، وإن منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل»^(٤).

(١) الباب الحادي عشر، الحلي (ص: ٣٩).

(٢) بحار الأنوار (٢٦ / ٨٢).

(٣) أصل الشيعة وأصولها (ص: ٥٨).

(٤) بحار الأنوار (٢٦ / ٣٥٨)، بصائر الدرجات (ص: ٦٣).

بل جاء في عناوين أبوابهم التي عقدها في مصادرهم ما يجعلهم أعلى رتبة من الأنبياء، ومنها ما يجعلهم في مرتبة الألوهية، ومن ذلك^(١):

(١) باب (أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام) وفيه ثلاثة عشر حديثاً^(٢).

(٢) باب (تفضيلهم (ع) على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم - صلوات الله عليهم-) وفيه ٨٨ حديثاً^(٣).

(٣) باب (أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم) وفيه ١٦ حديثاً^(٤).

(٤) باب (أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء) وفيه ٤ أحاديث^(٥).

(٥) باب (أنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض، ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة) وفيه ٢٢ حديثاً^(٦)، وهذا الباب جاء في الكافي بعنوان باب (أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء - صلوات الله عليهم-) وفيه ستة أحاديث^(٧).

(٦) باب (أنهم يعرفون الناس بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق، وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء شيعتهم وأعدائهم، وأنه لا يزيلهم خبر مخبر عما يعلمون من أحوالهم) وفيه

(١) سبق ذكر شيء من نصوصهم في ذلك عند الكلام عن اعتقادهم في (الإيمان بالرسول).

(٢) بحار الأنوار (٢٦/ ١٩٤ - ٢٠٠).

(٣) المصدر السابق (٢٦/ ٢٦٧ - ٣١٨).

(٤) المصدر السابق (٢٦/ ٣١٩ - ٣٣٢).

(٥) المصدر السابق (٢٧/ ٢٩ - ٣١).

(٦) المصدر السابق (٢٦/ ١٠٩ - ١١٧).

(٧) الكافي (١/ ٢٦٠ - ٣٦٣).

أربعون حديثاً^(١). وفي الكافي باب (أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه) وفيه حديثان^(٢).

(٧) باب (أن الأئمة إذا شأوا أن يعلموا علموا) وفيه ثلاثة أحاديث^(٣).

(٨) باب (أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم) وفيه خمسة أحاديث^(٤).

(٩) باب (أنه لا يجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وما تحتاج إليه الأمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب والمواليد) وفيه ثلاثة وأربعون حديثاً^(٥).

(١٠) باب (أن عندهم الاسم الأعظم وبه يظهر منهم الغرائب) وفيه عشرة أحاديث^(٦)، وغيرها من أبواب^(٧).

(١) بحار الأنوار (١١٧/٢٦) - (١٣٢).

(٢) الكافي (١/٢٦٤ - ٢٦٨).

(٣) المصدر السابق (١/٢٥٨).

(٤) المصدر السابق (١/٢٥٨ - ٢٦٠).

(٥) بحار الأنوار (١٣٧/٢٦) - (١٥٣).

(٦) بحار الأنوار (٢٧/٢٥ - ٢٨).

(٧) مثل: باب (أنهم يظهرون بعد موتهم ويظهر منهم الغرائب وتأثيرهم أرواح الأنبياء، وتظهر لهم الأموات من أوليائهم وأعدائهم) وفيه ١٣ حديثاً. (البحار ٢٧/٣٠٢ - ٣٠٨).

باب (أنهم أمان لأهل الأرض من العذاب) وفيه ٦ أحاديث. (البحار ٢٧/٣٠٨ - ٣١٠).

باب (أن الله تعالى يرفع للإمام عموداً ينظر فيه إلى أعمال العباد) وفيه ١٦ حديثاً. (البحار ١/١١ - ١٢).

باب (أنهم يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلمون بها) وفيه ٧ أحاديث. (البحار ٢٦/١٩٠ - ١٩٣).

باب (... أنهم يعلمون منطق الطيور والبهائم) وفيه ٢٦ حديثاً. (البحار ٢٧/٢٦١ - ٢٧٩).

باب (أن الجن خدامهم ويظهرون لهم ويسألونهم عن معالم دينهم) وفيه ١٦ حديثاً. (البحار ١٧/١٣ - ٢٤) إلخ.

نشاتها:

أول من أحدث بدعة الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي، ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، وهذا الأمر لم تقره مصادر أهل السنة فحسب، بل اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ «كان أول من أشهر القول بفرض إمامة عليٍّ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وكفرهم»^(١).

وكان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند عليٍّ عليه السلام، ولكن جاء فيما بعد من عممها في بعض أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بسرية، ومع ذلك فقد كانت تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفياً قاطعاً، كما فعل جدهم أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت عقيدة التقية حتى يسهل نشر أفكارهم، وهم في مأمن من تأثير الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس، ترد رواية في (رجال الكشي) - أهم كتاب عندهم في الرجال - تكشف بأن شيطان الطاق هو الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين من آل البيت، وأنه حينما علم بذلك زيد بن عليٍّ بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: «بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمونها، أفترى أنه كان يشفق عليٍّ من حر اللقمة، ولا يشفق عليٍّ من حر النار؟ قال (شيطان الطاق): قلت له: كره أن يخبرك فتكفر فلا يكون له فيك الشفاعة، لا والله فيك المشيئة - كذا-»^(٢).

وفي رواية الكليني في الكافي: قال زيد بن علي لأبي جعفر: «يا أبا جعفر كنت أجلس مع

(١) رجال الكشي (ص: ١٠٨-١٠٩)، المقالات والفرق. للقمي (ص: ٢٠)، فرق الشيعة، للنوبختي (ص: ٢٢).

(٢) رجال الكشي (ص: ١٨٦).

أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة، ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد، شفقة عليّ، ولم يشفق عليّ من حر النار، إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟ فأجابه شيطان الطاق: جعلت فداك، من شفقتك عليك من حرّ النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، وأخبرني أنا، فإن قبلت نجوت، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار»^(١).

وينقل الأستاذ محب الدين الخطيب هذا النص من تنقيح المقال للمامقاني^(٢)، ويأخذ منه أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة في أناس مخصوصين من آل البيت^(٣).

ولقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم (المتوفى سنة ١٧٩ هـ)، بل يرى القاضي عبد الجبار الهمداني أن الذي ادعى النص، وجرأ الناس على شتم أبي بكر وعمر وعثمان والمهاجرين والأنصار هشام بن الحكم وهو ابتدأه ووضعه، وما ادعى هذا النص أحد قبله^(٤).

وفي رجال الكشي ما يفيد أن مؤامرة هشام بن الحكم في مسألة الإمامة وصل خبرها إلى هارون الرشيد، حيث قال له يحيى بن خالد البرمكي: «يا أمير المؤمنين، إني قد استنبطت أمر هشام فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة، قال: سبحانه الله! قال: نعم، ويزعم أن لو أمره بالخروج لخرج»^(٥)، فيظهر أن هارون - كما يدل عليه هذا النص - فوجئ بهذه المقالة مما يدل على جدتها.

(١) أصول الكافي (١ / ١٧٤).

(٢) انظر: تنقيح المقال (١ / ٤٧٠).

(٣) مجلة الفتح (ص: ٥)، العدد (٨٦٢)، خاتمة العام الثامن عشر، ذو الحجة ١٣٦٧ هـ.

(٤) تثبت دلائل النبوة (١ / ٢٢٥)، ولعل القاضي يريد النص على أناس بأعيانهم من أهل البيت، إذ إن النص على عليّ عليه السلام

وحده قد سبقه إليه ابن سبأ.

(٥) رجال الكشي (ص: ٢٥٨).

منزلة الإمامة عندهم:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم^(١).

ولكنها عند الشيعة بمفهومها السبئي لها شأن آخر، فهي تعلو على مرتبة النبوة، كما يقرر ذلك الكليني في (الكافي)^(٢)، وهذا ما يجاهر به جملة من شيوخهم. قال شيخهم نعمة الله الجزائري: «الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة»^(٣).

وقال هادي الطهراني - أحد مشايخهم المعاصرين - : «الإمامة أجلُّ من النبوة، فإنها مرتبة ثلاثة شرف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلة»^(٤).

كما قرروا بأنها أعظم أركان الإسلام، يقول الكليني: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية -»^(٥).

فالولاية - أي إمامة الاثني عشر - يعتبرونها الركن الخامس للإسلام، وأنه لم يناد بشيء كما نودي بها، وما ندرى أين هذا النداء المزعوم وكتاب الإسلام العظيم كتاب الله تذكر فيه وتكرر أركان الإسلام من الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج ولا ذكر فيه لشأن ولاية أئمتهم الاثني عشر؟! ومع ذلك فهم يزعمون أنها أفضل أركان الإسلام، تقول مصادرهم: «بني الإسلام على خمسة أشياء؛ على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال

(١) انظر: غاية المرام، للآمدي (ص: ٣٦٣)، الاقتصاد، للغزالي (ص: ١٣٤)، مقدمة ابن خلدون (٣/ ١٠٨٠).

(٢) انظر: أصول الكافي (١/ ١٧٥).

(٣) زهر الربيع (ص: ١٢).

(٤) ودائع النبوة (ص: ١١٤).

(٥) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام (٢/ ١٨)، (رقم: ٣). قال في شرح الكافي في بيان درجة هذا الحديث عندهم: «مؤثق كالصحيح» (الشافعي شرح الكافي ٥/ ٢٨، رقم ١٤٨٧).

زرارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل...»^(١).

ويتجادون في هذا الادعاء الكاذب فيزعمون أنه: «عرج بالنبي ﷺ السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله ﷻ فيها إلى النبي بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض»^(٢)، «وما وكد على العباد في شيء ما وكد عليهم بالإقرار بالإمامة، وما جحد العباد شيئاً ما جحدوها»^(٣).

ويقولون: إن الولاية لا رخصة فيها، نسبوا إلى أبي عبدالله (جعفر الصادق) أنه قال: «إن الله افترض على أمة محمد خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا، فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة»^(٤)، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك وولايتنا لا والله ما فيها رخصة»^(٥). قال شيخهم المجلسي عن حديثهم هذا: «صحيح»^(٦)، وكفى في تصحيح أمثال هذه الروايات عار وسبة.

وبهذا الضلال يهذي شيوخهم، قال هادي الطهراني: «إن أعظم ما بعث الله تعالى نبيه من الدين إنما هو أمر الإمامة»^(٧).

فوضعوا الإمامة بديلاً عن الألوهية والعبودية له وحده، التي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) المصدر السابق (٢ / ١٨)، وقد قال في (الشافعي) في بيان درجة الحديث عندهم: «صحيح» (الشافعي ٥ / ٥٩). وقد ورد

حديثهم هذا في: تفسير العياشي (١ / ١٩١)، تفسير البرهان (١ / ٣٠٣)، البحار (١ / ٣٩٤).

(٢) الخصال (ص: ٦٠٠-٦٠١). بحار الأنوار (٢٣ / ٦٩).

(٣) قرب الإسناد، للحميري (ص: ١٢٣)، بحار الأنوار (٢٣ / ٦٩).

(٤) قال المجلسي: «قوله: (فرخص لهم في أشياء) أي كقصر الصلاة في السفر وترك الصيام في السفر والمرض والحج والزكاة مع عدم الاستطاعة» (مرآة العقول ٤ / ٣٦٩).

(٥) الكافي على هامش مرآة العقول (٤ / ٣٦٩)، وانظر: الكافي (٢ / ٢٢)، طبعة طهران.

(٦) مرآة العقول (٤ / ٣٦٩).

(٧) ودائع النبوة، هادي الطهراني (ص: ١١٥)، وانظر في هذا المعنى: رسالة عين الميزان، لمحمد حسين آل كاشف الغطا (ص: ٤).

أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

تكفيرهم لمخالفيهم في الإمامة:

يحكم الشيعة الاثنا عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر، بالكفر والخلود في النار.

قال شيخهم الطوسي -الملقب عندهم بشيخ الطائفة-: «ودفع الإمامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر؛ لأن الجهل بهما على حد واحد»^(١).

وجاء في كتابهم (الاعتقادات) لابن بابويه القمي المعتمد لديهم، والمسمى (دين الإمامية): «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد ﷺ»^(٢)، فهم يعتقدون أن المنكر لإمامة أي واحد من الاثني عشر كمن أنكر واحداً من الأنبياء، وهذا تكفير لجميع المسلمين، بل تكفير لجميع فرق الشيعة التي وجدت على مدار التاريخ؛ لأنها تخالفهم في عدد الأئمة أو أعيانهم.

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا التكفير العام لكل من خالفهم، فيقول: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضالٌّ مُسْتَحَقٌّ للخلود في النار»^(٣)، ويقول المفيد: «واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار.. ومن مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»^(٤)، وهو يعني بأهل

(١) تلخيص الشافي، للطوسي (٤/١٣١)، بحار الأنوار (٨/٣٦٨).

(٢) الاعتقادات (ص: ١١١)، وانظر: بحار الأنوار (٢٧/٦٢).

(٣) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (٨/٣٦٦).

(٤) أوائل المقالات (ص: ٥٣).

البدع ما عدا طائفته من فرق الشيعة، أما سائر المسلمين فليسوا عنده من أهل البدع، بل هم أشد كفرًا من اليهود والنصارى.

وهذا ما يقرره شيخهم ابن المطهر الحلي - الملقب عندهم بـ(العلامة)، والذي إذا أطلق هذا اللقب عندهم لا ينصرف إلا إليه - فيذهب إلى القول بأن إنكار إمامة الاثني عشر أعظم من إنكار النبوة، حيث يقول: «الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شرٌّ من إنكار اللطف الخاص»^(١)، فهو يرى أن منكر اللطف العام وهو (الإمامة) شر من إنكار اللطف الخاص وهو (النبوة) بحسب اصطلاحهم في نظرية اللطف التي تلقوها من المعتزلة ابتداءً ثم سخروها لتأييد مذهبهم، وهو يشير بهذا إلى أن أمة الإسلام أشد كفرًا من اليهود والنصارى لمخالفتهم في (الإمامة السبئية).

ولذلك يقرر شيخهم نعمة الله الجزائري انفصالهم عن جميع المسلمين بسبب مخالفتهم لهم في الإمامة، فيقول: «لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيّه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»^(٢).

وبعد هذا التكفير العام، خصوا باللعن والتكفير جميع طوائف المسلمين ما عدا طائفتهم، فتناول تكفيرهم: الصحابة -رضوان الله عليهم-، وأهل البيت، وخلفاء المسلمين وحكوماتهم، والأمصار الإسلامية وأهلها، وقضاة المسلمين، وأئمة المسلمين وعلماءهم، والفرق الإسلامية، والأمة كلها، ولولا خشية الإطالة لنقلت نصوصهم في ذلك^(٣).

(١) الألفين، لابن المطهر الحلي (ص: ٣).

(٢) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر نصوص تكفيرهم لهذه الفئات في كتابي: البراءة من الشركين (ص: ٩٣-١٣٨).

منزلة من آمن بآئمتهم الإثني عشر:

كما يغالي الشيعة في تكفير المسلمين لأنهم لا يؤمنون بآئمتهم يغالون في بيان منزلة الشيعي الذي يؤمن بهؤلاء الأئمة، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً، فمن أبواب (البحار) في هذا الموضوع: «باب أن الشيعة هم أهل دين الله وهم على دين أنبيائه وهم على الحق ولا يغفر إلا لهم ولا يقبل إلا منهم»^(١)، «باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها»^(٢)، «باب الصفح عن الشيعة وشفاعة أئمتهم فيهم»^(٣)، وغيرها من أبواب.

ومن رواياتهم في هذا المعنى عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر يقول: «ما أحد من هذه الأمة يدين بدين إبراهيم إلا نحن وشيعتنا، ولا هُدي من هُدي من هذه الأمة إلا بنا ولا ضل من ضل من هذه الأمة إلا بنا»^(٤).

وقال أبو عبدالله: «شيعتنا أقرب الخلق من عرش الله ﷻ يوم القيامة»^(٥)، وقال - كما يفترون - مخاطباً الشيعة: «أنتم للجنة، والجنة لكم، أسماؤكم عندنا الصالحون والمصلحون، وأنتم البرية، دياركم لكم جنة، وقبوركم لكم جنة، وللجنة خلقتكم، وفي الجنة نعيمكم، وإلى الجنة تصيرون»^(٦).

وعن عبدالله بن ميمون عن أبي جعفر قال: «يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قال: نحن أربعة - أي من الشيعة - قال: إنكم نور في ظلمات الأرض»^(٧).

(١) البحار (٦٨/٨٣-٩٦).

(٢) المصدر السابق (٦٨/٩٦-٩٨).

(٣) المصدر السابق (٦٨/١٤٩-١٩٨).

(٤) الكافي مع شرحه للهازندراني (١٢/٣٣١-٣٣٢).

(٥) المصدر السابق (١٢/٣٠٥).

(٦) الكافي مع شرحه للهازندراني، كتاب الروضة (١٢/٣٠٥).

(٧) البحار (٦٨/٣٩)، وانظر: رجال الكشي (ص: ٢١٢).

وقال علي - كما يزعمون - : «لقد مات رسول الله ﷺ وهو على أمته ساخط إلا الشيعة، ألا وإن لكل شيء عزًا وعز الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء دعامه ودعامة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء شرفًا وشرف الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء سيدًا وسيد المجالس مجالس الشيعة، ألا وإن لكل شيء إمامًا وإمام الأرض أرض تسلكها الشيعة، والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشبًا أبدًا، والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات، ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب»^(١).

وفي (البحار) أن ساعة بن مهران قال لجعفر الصادق: «نحن شر الناس عند الناس لأنهم سمونا كفارًا ورافضة.. قال جعفر: كيف بكم إذا سبق بكم إلى الجنة وسبق بهم إلى النار؟.. إن من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع له فنشفع، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد..»^(٢). ولذا يسمون أنفسهم الخاصة وغيرهم بالعامه.

هذه بعض مزاعمهم في أنفسهم وهي تشبه مزاعم اليهود والنصارى الذين قالوا - فيما أخبر الله عنهم - ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١]، وقال سبحانه ردًا عليهم: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفِرُّ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

(١) الكافي مع شرحه للمازندراني (١٢/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٢) البحار (٦٨/ ١١٧)، وانظر: أمالي الطوسي (١/ ٣٠١).

كل حكومة غير حكومة الإثني عشر باطلة:

وبناء على اعتقادهم في الإمامة، وحصرهم الأئمة باثني عشر آخرهم وهو الثاني عشر الذي اختفى - كما يقولون - سنة ٢٦٠هـ، فحصروا الإمامة في هذا الغائب، وبناء على ذلك قرروا في ملتهم أن كل حكومة لا يتولاها الإمام أو نائبه في حال غيبته فهي حكومة باطلة، وبهذا جاءت رواياتهم، عن أبي جعفر قال: «كل راية ترفع قبل راية القائم^(١) عليه السلام صاحبها طاغوت^(٢)»، وهم يريدون بالقائم مهديهم الذي ينتظرون خروجه منذ مئات السنين، قال شارح الكافي: «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق^(٣)»، وصحح المجلسي هذه الرواية^(٤).

ولا تجوز الطاعة لحاكم ليس من عند الله إلا على سبيل التقية، زعموا أنا أبا جعفر عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى: لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون^(٥) عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة^(٦)».

ورواياتهم في هذا المعنى كثيرة، فمن أبواب صحيحهم (الكافي) باب «فيمن دان الله تعالى بغير إمام من الله جل جلاله، وذكر فيه خمسة أحاديث في معصومهم^(٧)»، و«باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل» وذكر فيه اثني عشر حديثاً^(٨)، وفي البحار للمجلسي «باب عقاب من ادعى الإمامة بغير حق أو

(١) القائم من ألقاب مهديهم المنتظر.

(٢) الكافي مع شرحه للمازندراني (٣٧١/١٢)، وانظر: البحار (١١٣/٢٥)، وانظر: الغيبة، النعماني (ص: ٥٦ - ٥٧).

(٣) شرح المازندراني على الكافي (٣٧١/١٢).

(٤) مرآة العقول (٣٧٨/٤).

(٥) الكافي (٣٧٦/١)، وانظر: البحار (١١٠/٢٥).

(٦) الكافي (٣٧٤ - ٣٧٦).

(٧) الكافي (٣٧٢ - ٣٧٤).

رفع راية جور أو أطاع إمامًا جائرًا»، وذكر فيه ثمانية عشر حديثًا^(١).

والإمام الجائر، والظالم، والذي ليس أهل للإمامة، والإمام الذي ليس من عند الله، وما شابه ذلك من أوصاف، كل ذلك يطلقونه على حكام المسلمين من غير أئمتهم الاثني عشر وعلى رأس هؤلاء الحكام الخلفاء الثلاثة الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، قال عالم الشيعة المجلسي صاحب (بحار الأنوار) عن الخلفاء الثلاثة الراشدين: «إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين»^(٢).

هذا ما يقوله إمامهم المجلسي -الذي يعدون كتابه (بحار الأنوار) من مصادرهم الأساسية في الحديث- هذا ما يقوله في أفضل الأمة بعد رسل الله وأنبيائه، فيمن أقاموا دولة الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا كانت هذه نظرهم لحكومة الخلفاء الثلاثة فكيف بمن بعدها. وبناءً على اعتقادهم هذا في الحكومات الإسلامية تعمدوا الدس والتشويه للتاريخ الإسلامي، وافتعال الصراع بين الآل والأصحاب ومناصرة الأعداء ضد الدولة الإسلامية، لأنها غير شرعية في زعمهم وحكامها طواغيت في اعتقادهم.

وبناءً على مبدئهم في خلفاء المسلمين اعتبروا كل من يتعاون معهم طاغوتًا وجائرًا وعلى رأسهم قضاة المسلمين وعلماؤهم، فيروي محدثهم الكليني بسنده عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث وتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟ قال: «من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنها تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنها له يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت»^(٣).

ويقول الخميني معقباً على حديثهم هذا: «الإمام عليه السلام نفسه ينهى عن الرجوع إلى

(١) البحار (١١٠/٢٥) وما بعدها.

(٢) البحار (٤/٣٨٥).

(٣) الكافي (١/٦٧)، التهذيب (٦/٣٠١)، من لا يحضره الفقيه (٣/٥)، وسائل الشيعة (١٨/٩٨).

السلطين وقضاتهم، ويعتبر الرجوع إليهم رجوعاً إلى الطاغوت»^(١). وفي عصرنا طبقوا وأول مرة في تاريخ الاثني عشرية مبدأ ولاية الفقيه العامة، فأصبح الولي الفقيه هو الحاكم الشرعي بزعمهم على الأمة، وكل حكومة غير حكومته فهي غير شرعية، ويجب العمل على القضاء عليها، ولو بالتعاون مع صاحب أي ملة، كما سيأتي تفصيله في مبحث (ولاية الفقيه).

٢- العصمة:

مسألة عصمة الإمام لها أهمية كبرى عند الشيعة^(٢)، وهي من المبادئ الأساسية في كيانهم العقدي^(٣).

مفهومها:

العصمة في كلام العرب: تعني المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به^(٤).

أما معنى العصمة عند الشيعة فيختلف بحسب أطوار التشيع وتطورات^(٥)، لكن يظهر أن مذهب الشيعة في عصمة الأئمة قد استقر على ما قرره شيخ الشيعة - في زمنه - المجلسي - صاحب بحار الأنوار (المتوفى سنة ١١١١ هـ) في قوله: «اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة **عليهم السلام** من الذنوب - صغيرها وكبيرها - فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا الخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه»^(٦).

فالمجلسي يسبغ على أئمتهم العصمة من كافة الأوجه المتصورة: (١) العصمة من المعاصي

(١) الحكومة الإسلامية (ص: ٧٤).

(٢) انظر: تاريخ الإمامية، عبد الله فياض (ص: ١٥٧).

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي (١/ ١١١).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، مادة: عصم.

(٥) انظر الأطوار التي مر بها هذا المعتقد عندهم في: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٧٧) وما بعدها.

(٦) بحار الأنوار (٢٥/ ٢١١)، وانظر: مرآة العقول (٤/ ٣٥٢).

كلها صغيرها وكبيرها (٢) العصمة من الخطأ (٣، ٤) العصمة من السهو والنسيان^(١). وهذه الصورة للعصمة التي يرسمها المجلسي، ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تتحقق لأنبياء الله ورسوله كما يدل على ذلك صريح القرآن، والسنة، وإجماع الأمة، فهي غريبة على الأصول الإسلامية، بل إن النفي المطلق للسهو والنسيان عن الأئمة تشبيه لهم بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، ولهذا قيل للرضا - وهو الإمام الثامن الذي تدعي الشيعة عصمته -: «إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا - لعنهم الله - إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو»^(٢).

وهذا النص - إن صح - من الممكن أن نستقري منه بأن نفي السهو - والذي أصبح من أسس مفهوم العصمة عند الاثني عشرية المتأخرين - كان في عصر الرضا عقيدة لقوم ينتسبون للتشيع، لم يذكر لهم اسم لقلتهم أو حقارتهم أو شناعة قولهم، وكانوا يخلصون بهذه العقيدة أفضل الخليفة محمد بن عبد الله ﷺ، وقد قوبل هذا الاتجاه الغالي باللعن والتكذيب والتكفير من إمام الشيعة نفسه؛ لأن في هذا تشبيهاً للرسول ﷺ بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، فماذا يقول الرضا إذا فيمن يطلق هذا الوصف عليه، وعلى آخرين معه من أجداده وأبنائه؟ لا شك أن إنكاره عليهم أشد وأعظم، كما يمكن أن يؤخذ من هذا النص تأخر شيوع هذا الاتجاه عن عصر الرضا.

نشأتها:

يرى القاضي عبد الجبار أن القول بعصمة الإمام وأنه لا يجوز عليه الخطأ والزلل في حال من الأحوال ولا يلحقه سهو ولا غفلة لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين لهم إلى زمن

(١) النسيان يكون عما كان، والسهو عما لم يكن.

(٢) بحار الأنوار (٢٥ / ٣٥٠)، وانظر: عيون أخبار الرضا (ص: ٣٢٦).

هشام بن الحكم حيث ابتدع هذا القول^(١).

ويتفق معه محب الدين الخطيب في تحديد الحقبة الزمنية التي نشأت فيها عقيدة العصمة، لكنه يعزوها إلى شخص آخر من معاصري هشام بن الحكم فيقول: «وأول من اخترع لهم هذه العقيدة الضالة خبيث يسميه المسلمون شيطان الطاق وتسميه الشيعة (مؤمن آل محمد)^(٢)، واسمه محمد بن علي الأحول^(٣)».

وقد أشار دونالدسن إلى احتمال أن فكرة العصمة قد بدأت عند الشيعة في عصر جعفر الصادق^(٤)، ويلحظ أن هشام بن الحكم، وشيطان الطاق من المعاصرين لجعفر، فلعل هذه العقيدة عرفت عند الشيعة في عصر جعفر الصادق، ولكنها تطورت، ومرت بمراحل حتى استقرت على تلك الصورة التي يعرضها المجلسي.

غلو المعاصرين في العصمة:

نص شيخهم ابن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتابه (من لا يحضره الفقيه) على أن نفي السهو عن النبي ﷺ هو مذهب الغلاة والمفوضة، يقول: «إن الغلاة والمفوضة - لعنهم الله - ينكرون سهو النبي ﷺ يقولون: لو جاز أن يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ؛ لأن الصلاة فريضة كما أن التبليغ فريضة.. وليس سهو النبي ﷺ كسهونا؛ لأن سهوه من الله ﷻ وإنما أسهأه الله ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ رباً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو، وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد يقول: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النبي والرد على

(١) تثبيت دلائل النبوة (٢/٥٢٨).

(٢) في رجال الكشي (ص: ١٨٥): «مؤمن الطاق».

(٣) مجلة الفتح، المجلد (١٨) (ص: ٢٧٧).

(٤) عقيدة الشيعة، دونالدسن (ص: ٣٢٩)، نظرية الإمامة، محمود صبحي (ص: ١٣٤).

مُنكره»^(١).

فأنت ترى أن ابن بابويه وهو رئيس الشيعة - كما يسمّونه - ينكر على من نفي السهو عن المصطفى ﷺ، فكيف بمن هو أقل منه كالأئمة؟! ويعدّ نفي السهو علامة الغلو، ويشير إلى أن هذا القول من مذاهب الغلاة.. ويلمح إلى ما ينطوي عليه نفي السهو من تشبيه المخلوق بالخالق جل شأنه.

ولكن نفي السهو هو مما أضافه الشيعة المتأخرون إلى مسألة العصمة، ولذلك فإن نصوصهم الموضوعية سلفاً عن الأئمة تخالف ذلك، فأبو عبد الله كان يقول - لما ذكر له السهو -: «أو ينفلت من ذلك أحد؟ ربما أعددت الخادم خلفي يحفظ عليّ صلاتي»^(٢).

والرضا يلعن من ينفي السهو عن النبي ﷺ - كما مر - ويقول: إن الذي لا يسهو هو الله سبحانه، وكتب الشيعة روت أخباراً في سهوه ﷺ في صلاته^(٣).

ولكن شيعة عصرنا استقر اعتقادهم على هذا الغلو، فهذا شيخ الشيعة المعاصر ومن يلقب عندهم بالآية العظمى عبد الله الممقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي، وهو لا ينكر أن من شيوخهم السابقين من يعتبر ذلك غلوّاً، لكنه يقول: «إن ما يعتبر غلوّاً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب»^(٤).

وإمامهم الخميني يصرح بأن أئمتهم «لا يتصور فيهم السهو والغفلة»^(٥)، وهكذا يجعلون من أئمتهم آلهة يقدسونها، ويعبدونها من دون الله.

(١) من لا يحضره الفقيه (١/ ٢٣٤).

(٢) بحار الأنوار: ٣٥١/٢٥.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه (١/ ٢٣٣).

(٤) تنقيح المقال (٣/ ٢٤٠).

(٥) الحكومة الإسلامية (ص: ٩١).

٣- الرجعة:

تعريفها:

معنى الرجعة في اللغة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت^(١).

وأما معناها عندهم فهو: «رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة»^(٢)، وعودتهم إلى «الحياة بعد الموت»^(٣)، قبل ذلك اليوم الموعود يرجعون «في صورهم التي كانوا عليها»^(٤).

صفتها:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم: «ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا»^(٥). وقال ابن بابويه في الاعتقادات: «واعتقادنا في الرجعة أنها حق»^(٦)، وقال المفيد: «واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات»^(٧).

وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضوع «إجماع الشيعة الإمامية»^(٨)، وأنها من ضروريات مذهبهم^(٩)، وأنهم «مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد

(١) انظر: القاموس (٣/ ٢٨)، مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).

(٢) أوائل المقالات (ص: ٥١).

(٣) الإيقاظ من المهجعة بالبرهان على الرجعة (ص: ٢٩).

(٤) أوائل المقالات (ص: ٩٥).

(٥) من لا يحضره الفقيه (٣/ ٢٩١)، وسائل الشيعة (٧/ ٤٣٨)، تفسير الصافي (١/ ٣٤٧)، بحار الأنوار (٥٣/ ٩٢).

(٦) الاعتقادات (ص: ٩٠).

(٧) أوائل المقالات (ص: ٥١).

(٨) انظر: مجمع البيان (٥/ ٢٥٢)، الإيقاظ من المهجعة (ص: ٣٣)، نور الثقلين، الخويزي (٤/ ١٠١)، بحار الأنوار (٥٣/ ١٢٣).

(٩) وقد ذكر المجلسي أنهم أجمعوا على القول بها في جميع الأعصار.

(٩) انظر: الإيقاظ من المهجعة (ص: ٦٠).

والنبوة والإمامة والقيامة»^(١).

واعترافات علمائهم بأن عقيدة الرجعة محل الإجماع والتواتر في مذهبهم كثيرة^(٢)، وخصها بعضهم بمؤلفات^(٣)، وأحصى بعضهم رواياتهم فيها بأنها أكثر من مائتي حديث في أكثر من خمسين كتاباً من كتبهم المعتمدة عندهم^(٤).

نشأتها:

أول من قال بالرجعة هو ابن سبأ اليهودي الذي كان يزعم أن محمداً ﷺ سيرجع بعد موته^(٥)، ثم تحول إلى القول برجعة علي وقال - لما بلغه نعي علي - للذي نعاه: «كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»^(٦).

جذورها:

يرى بعض الباحثين أنها تسربت إلى التشيع عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية^(٧)، ودخلت التشيع عن طريق عبدالله بن سبأ اليهودي، يقول أحمد أمين: «وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية، فعندهم أن النبي إلياس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة في النصرانية أيضاً، وتطورت هذه الفكرة عند الشيعة إلى العقيدة

(١) انظر: الإيقاظ من الهجعة (ص: ٦٤).

(٢) انظر: حق اليقين، عبد الله شبر (٢ / ٢)، عقائد الاثني عشرية، إبراهيم الموسوي الزنجاني (ص: ٢٣٩) وما بعدها، الشيعة والرجعة، محمد رضا النجفي (ص: ١٤) وما بعدها.

(٣) ذكر صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة منها ٢٩ كتاباً (انظر: الذريعة، حرف الراء).

(٤) حق اليقين (٢ / ٢).

(٥) انظر: تاريخ الطبري (٤ / ٣٤٠) (حوادث سنة ٣٥هـ).

(٦) المقالات والفرق (ص: ٢١)، فرق الشيعة (ص: ٢٠).

(٧) انظر: العقيدة والشريعة، جولد سيهر (ص: ٢١٥).

باختفاء الأئمة»^(١).

تطورها:

كانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، فكانت كل فرقة إذا مات من يدعون إمامته قالوا برجعته، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة في رجعة كثير من الأموات، فيذكر الألويسي أن مفهوم الرجعة عند الشيعة تحول في القرن الثالث من رجعة المهدي فقط إلى ذلك المعنى العام^(٢).

أصناف الراجحين:

والراجعون إلى الدنيا - كما يعتقدون - : «فريقان: أحدهما: من علت درجته في الإيمان.. والآخر من بلغ الغاية في الفساد»^(٣).

وحسب المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

الأول: الأئمة الاثني عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

الثاني: ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في نظرهم - من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) فيبعث خلفاء المسلمين - وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان - من قبورهم ويرجعون لهذه الدنيا - كما يلجم الشيعة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

الثالث: عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً، لأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم، ومن محض الكفر

(١) فجر الإسلام (ص: ٢٧٠)، وانظر: الخلافة، محمد عمارة (ص: ١٥٩).

(٢) روح المعاني (٢٠ / ٢٧)، ضحى الإسلام، أحمد أمين (٣ / ٢٣٧).

(٣) أوائل المقالات (ص: ٩٥).

محصًا، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين^(١).

سريتها:

يذكر أبو الحسين الخياط أن هذه العقيدة كانت سرية عندهم «قد تواصوا بكتبتها وألا يذكروها في مجالسهم ولا في كتبهم إلا فيما قد أسروه من الكتب ولم يظهروه»^(٢).
وقد وجدت في كتب الاثني عشرية ما أشار إليه الخياط من التواصي بكتبان أمر الرجعة، حيث روت بعض كتب الشيعة عن أبي جعفر قال: «لا تقولوا الجبت والطاغوت^(٣)، ولا تقولوا الرجعة، فإن قالوا لكم: فإنكم قد كنتم تقولون ذلك فقولوا: أما اليوم فلا نقول»^(٤).
وفي رواية أخرى ينسبونها للصادق: «لا تقولوا الجبت والطاغوت وتقولوا الرجعة، فإن قالوا: قد كنتم تقولون؟ قولوا: الآن لا نقول، وهذا من باب التقية التي تعبد الله بها عباده في زمن الأوصياء»^(٥).

هذه تعميمات سرية، تتبادها الخلايا الشيعية، وحتى تعطيتها صفة القطع والقوة، أسندتها لبعض علماء آل البيت، للتغريب بالأحداث والأعاجم وسائر الأتباع من الجهال.

زمنها:

زمن الرجوع هو: «عند قيام مهدي آل محمد عليه السلام»^(٦)، ورجوعه من غيبته، ولكن بعض

(١) المستضعفون: مصطلح عند الشيعة يرد في مصادرهم على السنة شيوخهم القدامى والمعاصرين، وهم كما يقول المجلسي: ضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم، ومن لم يتم عليه الحجة ممن يموت في زمن الفترة، أو كان في موضع لم يأت عليه خبر الحجة فهم المرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار (بحار الأنوار ٨/ ٣٦٣، والاعتقادات للمجلسي ص ١٠٠).

(٢) الانتصار (ص: ٩٧).

(٣) قال المجلسي: «أي: لا تسموا الملعونين بهذين الاسمين، أو لا تعرضوا لهما بوجه» (بحار الأنوار ٥٣/ ٤٠)، وهو يشير بهذا إلى خليفتي رسول الله وصهره وحبيبه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) بحار الأنوار (٥٣/ ٣٩).

(٥) بحار الأنوار (٥٣/ ١١٥-١١٦).

(٦) أوائل المقالات (ص: ٩٥)، وانظر: الإيقاظ من الهجعة، الحر العاملي (ص: ٥٨).

شيوخهم يقول: إن الرجعة العامة غير مرتبطة بأمر ظهور المهدي؛ ذلك أن الرجعة -كما يقول- «غير الظهور؛ لأن الإمام عليه السلام حي غائب وسيظهر -إن شاء الله- ولم يسلب الملك فيرجع إليه، فمبدأ الرجعة من رجوع الحسين إلى الدنيا»^(١). وهذا قد يتفق مع رواياتهم التي تقول: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي عليه السلام»^(٢).

الغرض منها:

الغرض من الرجعة عندهم هو انتقام المهدي ومن معه من أعدائهم^(٣)، وعلى رأس الأعداء حسب معتقدهم خليفنا رسول الله وصاحبه وحببيه وصهره ومن أقاما دولة الإسلام بعده: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما^(٤)، وقد جاء في كتبهم روايات وحكايات كثيرة عن المجازر الدموية التي تجري في هذه الرجعة^(٥).

ولما سئل عبد الحسين الرشتي -أحد مراجعهم المعاصرين- حول ما جاء في مصادرهم من أن مهديهم عند رجعتهم يقوم بنش قبر أبي بكر وعمر، أجاب بقوله: «وأما مسألة نبش قبر صاحبي رسول ﷺ وإخراجهما حيّين وهما طريان وصلبهما على خشبة وإحراقهما؛ لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام من آدم إلى يوم القيامة منها فأوزارها عليهما، فمسألة عويصة جداً، وليس عندي شيء يرفع هذا الإشكال، وقد صح عن أئمتنا أن أحاديثنا

(١) الفطرة السليمة، كريم بن إبراهيم (ص: ٣٨٣).

(٢) بحار الأنوار (٥٣/ ٣٩).

(٣) انظر: الإيقاظ من الهجعة (ص: ٥٨).

(٤) جاء في مختصر التحفة (ص: ٢٠١)، قال الشريف المرتضي في المسائل الناصرية: «إن أبا بكر وعمر يصلبان على شجرة زمن المهدي..».

(٥) فمثلاً في الإرشاد للمفيد عن أبي عبد الله قال: «إذا قام القائم من آل محمد -صلوات الله عليهم- أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت -أي الراوي -: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم، منهم ومن مواليهم» الإرشاد (ص: ٤١١)، ومثل ذلك ورد في كتاب الغيبة للنعماني (ص: ١٢٣).

صعب مستصعب»^(١).

كذلك يتحقق في الرجعة حساب الناس على يد الحسين، جاء في مصادرهم: «إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنها هو بعث إلى الجنة، وبعث إلى النار»^(٢).

وفي الرجعة يتحول صفوة الخلق وهم أنبياء الله ورسله إلى جنود لعللي عليه السلام كما يقول هؤلاء الأفاكون، حيث قالوا: «لم يبعث الله نبياً ولا رسولا إلا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين»^(٣).

كما يلحظ الشيعة بأن حياتهم في الرجعة ستكون في نعيم لا يخطر على البال حتى «يكون أكلهم وشربهم من الجنة»^(٤)، «ولا يسألون الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا وتقضى لهم»^(٥).

و«هذه العقيدة مخالفة صريحة للكتاب، فإن الرجعة قد أبطلت في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٦) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٧) [المؤمنون]، وقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقاً»^(٨).

٤- الظهور:

أي: ظهور الأئمة بعد موتهم لبعض الناس ثم عودتهم لقبورهم، وهذه العقيدة غير

(١) كشف الاشتباه (ص: ١٣١).

(٢) بحار الأنوار (٥٣ / ٤٣).

(٣) بحار الأنوار (٥٣ / ٤١).

(٤) بحار الأنوار (٥٣ / ١١٦).

(٥) بحار الأنوار (٥٣ / ١١٦).

(٦) انظر: مختصر التحفة (ص: ٢٠١).

رجعة الأئمة، وقد بوب لها المجلسي بعنوان: «باب أنهم يظهرون بعد موتهم، ويظهر منهم الغرائب»^(١). فالأئمة يظهرون بعد موتهم، ويراهم بعض الناس، وهذا الظهور غير مرتبط بوقت معين كالرجعة بل هو خاضع لإرادة الأئمة، حتى نسبوا لأمر المؤمنين أنه قال: «يموت من مات منا وليس بميت». وتذكر أساطيرهم أن أبا الحسن الرضا كان يقابل أباه بعد موته، ويتلقى وصاياه وأقواله^(٢).

ويزعم بعض الشيعة أنه دخل على أبي عبد الله فقال (أي أبو عبد الله) له: تشتهي أن ترى أبا جعفر (بعد موته)؟ قال: «قلت: نعم، قال: قم فادخل البيت، فدخلت فإذا هو أبو جعفر»^(٣)، ويزعم آخر بأنه دخل على أبي الحسن فقال له: أتحب أن ترى أبا عبد الله؟ يقول: فقلت: وددت والله، فقال: قم وادخل ذلك البيت، فدخلت البيت فإذا أبو عبد الله عليه السلام قاعد^(٤).

وقال أبو عبد الله - كما يفترون - : «أتى قوم من الشيعة الحسن بن علي عليه السلام بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام فسألوه فقال: تعرفون أمير المؤمنين إذا رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: فارفعوا الستر، فرفعه»^(٥) فإذا هم بأمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه^(٦). بل وتمتد عقيدتهم هذه لتدعي أيضًا أن الأموات من الأولين يظهرون لهم، جاء في بصائر الدرجات: «عن عثمان بن عيسى، عن أخبره!! عن عباية الأسدي قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رث الهيئة، وأمير المؤمنين عليه السلام مقبل عليه يكلمه، فلما قام الرجل قلت: أي أمير المؤمنين، من هذا الذي

(١) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٣-٣٠٤)، بصائر الدرجات (ص: ٧٨).

(٢) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٣)، بصائر الدرجات (ص: ٧٨).

(٣) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٣)، بصائر الدرجات (ص: ٧٨).

(٤) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٣)، بصائر الدرجات (ص: ٧٨).

(٥) كذا في الأصل، وقد تكون «رفعه».

(٦) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٣)، بصائر الدرجات (ص: ٧٨).

أشغلك عنا؟ قال: هذا وصي موسى عليه السلام»^(١).

وترزعم رواياتهم أن علياً كان يذهب إلى مقبرة اليهود وأنه خاطب أهل القبور «فأجابوه من جوف القبور: لبيك لبيك مطاع، فقال: كيف ترون العذاب؟ فقالوا: بعضنا لك كهارون، فنحن ومن عصاك في العذاب..»^(٢).

كما تدعي رواياتهم بأن رسول الله ظهر بعد موته ليأمر أبا بكر بطاعة علي^(٣)، وأن أبا بكر وعمر يظهران للأئمة في كل موسم حتى يرمونها بالحجارة أثناء رمي الجمار^(٤)، ولهذا قام محمد الباقر - كما يفترون عليه - برمي خمسة أحجار في غير موضع الجمار ولما قيل له في ذلك قال: «إذا كان كل موسم أخرجنا الفاسقين الغاصبين»^(٥)، ثم يفرق بينها ههنا لا يراها إلا إمام عدل، فرميت الأول اثنتين والآخر ثلاثة، لأن الآخر أخبث من الأول»^(٦).

وقد ذكر المجلسي بأنه «أورد أكثر أخبار هذا الباب في باب البرزخ، وباب كفر الثلاثة، وباب كفر معاوية، وأبواب معجزات أمير المؤمنين وسائل الأئمة عليهم السلام»^(٧)، فأخبارهم في شأن هذه الخرافة متكاثرة، وقد ذكر المجلسي أن هذا الظهور قد يكون في أجسادهم الأصلية، ثم قال: «والإيمان الإجمالي في تلك الأمور كاف للمتدين المسلم لما ورد عنهم، ورد علم تفاصيلها إليهم صلوات الله عليهم»^(٨).

(١) بصائر الدرجات (ص: ٨١)، بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٥).

(٢) كنز الفوائد (ص: ٨٢)، بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٦).

(٣) انظر: بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٤)، بصائر الدرجات (ص: ٧٨).

(٤) انظر: بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٥-٣٠٦)، بصائر الدرجات (ص: ٨٢).

(٥) هكذا في المصدر المنقول عنه، وفي نسخة أخرى - كما أشار في الهامش - أخرجنا الفاسقان الغاصبان. (انظر: بحار الأنوار

٢٧/ ٣٠٥، تعليق رقم: ٦).

(٦) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٥-٣٠٦)، بصائر الدرجات (ص: ٨٢).

(٧) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٧).

(٨) بحار الأنوار (٢٧/ ٣٠٧).

٥- التقية :

تعريف التقية:

التقية: إظهار خلاف ما في الباطن^(١)، وذلك بأن يقول أو يفعل خلاف ما يعتقد، وأكثر

العرب ينطقون التقية «تقاة»، ولهذا جاء في القرآن: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

ويعرف شيخهم المفيد التقية بقوله: «التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكائمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا»^(٢)، وعرفها أحد علماءهم المعاصرين بقوله: «التقية.. أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحفظ بكرامتك»^(٣).

وهذان التعريفان للتقية لا يتفقان مع تقية الشيعة؛ لأن تقيتهم غير متعلقة بدفع الضرر

فحسب، بل هي حالة مستمرة لا ينقطع العمل بها حتى يخرج مهديهم الموهوم، كما سيأتي.

مع مر تكوُّ التقية؟

التقية في الإسلام غالباً إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾. قال

ابن جرير الطبري: «التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم»^(٤).

ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل،

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (١/١٩٣). وانظر تعريفها عندهم في: شرح عقائد الصدوق (ص: ٢٦١) (ملحق بكتاب أوائل المقالات).

(٢) شرح عقائد الصدوق. المفيد (ص: ٢٦١) (ملحق بكتاب أوائل المقالات).

(٣) الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية (ص: ٤٨).

(٤) هذا التعريف للتقية لا ينطبق على حالات التقية عندهم، وسنرى أنهم يقولون بالتقية في غير مجال الضرورة والحاجة الشرعية.

(٥) تفسير الطبري (٦/٣١٦) (تحقيق شاکر).

ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة^(١).

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولاسيما أهل السنة حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية^(٢).

من هنا يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن أصحاب هذه العقيدة هم شرٌّ من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفاً، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة^(٣).

منزلة التقية عندهم:

التقية في الإسلام رخصة في حال الضرورة، أما عند الاثني عشرية فهي ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، قال ابن بابويه: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»^(٤)، بل نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال: «تارك التقية كتارك الصلاة»^(٥).

بل التقية عندهم هي الدين كله ولا دين لمن لا تقية له، جاء في أصول الكافي وغيره أن جعفر بن محمد قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له»^(٦).

فهذا النص يسنده الشيعة إلى أبي عبد الله جعفر الصادق المولود سنة ٨٠ هـ والمتوفى سنة ١٤٨ هـ، أي الذي عاش في فترة عز الإسلام والمسلمين، فأبي حاجة إلى التقية في ذلك الزمن إلا إذا كان الدين المتقي به غير الإسلام!!

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٥٧)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٣٣١).

(٢) انظر: الإرشاد، للمفيد (ص: ١٢).

(٣) رسالة في علم الظاهر والباطن، ابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ٢٤٨).

(٤) الاعتقادات (ص: ١١٤).

(٥) جامع الأخبار (ص: ١١٠). بحار الأنوار (٧٥/ ٤١٢).

(٦) أصول الكافي (٢/ ٢١٧)، المحاسن، للبرقي (ص: ٢٥٩). وسائل الشيعة، للحر العاملي (١١/ ٤٦٠). بحار الأنوار

ومن العجيب أن تجعل الشيعة التقية تسعة أعشار الدين فماذا بقي لأركان الدين من قيمة بعد ذلك؟!

وعدوا ترك التقية ذنبًا لا يغفر على حد الشرك بالله، قالت أخبارهم: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنيتين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان»^(١).

والتقية عندهم لا يجوز تركها إلى أن يخرج مهديهم، قال ابن بابويه في كتابه (الاعتقادات) المسمى دين الإمامية: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى، وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة»^(٢).

وتقول روايتهم: «من ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا»^(٣)، ويذكر شيخهم وآيتهم محمد صادق الصدر أن أخبارهم في هذا الشأن هي «من الكثرة إلى حد الاستفاضة بل التواتر»، وعلل الأمر بالتقية إلى خروج القائم بأن تركها يؤدي «إلى بقاء وجود العدد الكافي من المخلصين الممحصين، الذين يشكل وجودهم أحد الشرائط الأساسية للظهور»^(٤) للمهدي عندهم.

وروت كتب الشيعة عن علي بن موسى الرضا، قال: «لا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية»^(٥). فقليل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت

(١) تفسير الحسن العسكري (ص: ١٣٠)، وسائل الشيعة (١١/٤٧٤)، بحار الأنوار (٧٥/٤١٥).

(٢) الاعتقادات (ص: ١١٤-١١٥).

(٣) أعلام الوري (ص: ٤٠٨)، إكمال الدين (ص: ٢١٠)، وسائل الشيعة (١١/٤٦٥-٤٦٦)، وانظر: أصول الكافي (٢١٧/١).

(٤) تاريخ الغيبة الكبرى (ص: ٣٥٣-٣٥٤).

(٥) وكانهم يفسرون قوله - سبحانه - ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

المعلوم وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا»^(١).

بكتماؤ بدينهم:

ويؤكدون على وجوب كتمان حقيقة دينهم عن جميع المسلمين، فيقولون: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»^(٢).

وقال أبو جعفر: «لا تبشوا سرنا ولا تذيعوا أمرنا»^(٣).

وقال أبو عبدالله: «يا معلي - راوي الخبر - اكنتم أمرنا ولا تذعه، فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا وجعله نورًا بين عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنة، يا معلي من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة وجعله ظلمة تقوده إلى النار، يا معلي إن التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له، يا معلي إن المذيع لأمرنا كالجاحد له»^(٤).

وفي حديث لهم يقول: «.. وكتمانه لسرنا جهاد في سبيل الله»^(٥).

ثم يعقد الكليني بعد باب الكتمان بأبواب كثيرة^(٦) بابًا في موضوع التقية أيضًا بعنوان: «باب الإذاعة»، ويذكره ضمن كتاب الكفر والإيمان أيضًا ويضمنه ١٢ حديثًا^(٧) تحذر من إذاعة أمرهم وتأمير بكتمانه والتقية فيه، منها قول: أبي عبدالله: «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان»^(٨)، وقال: «مذيع السرِّ شاكٌّ، وقائله عند غير أهله كافر»^(٩).

(١) إكمال الدين (ص: ٣٥٥)، أعلام الوري، الطبرسي (ص: ٤٠٨)، وسائل الشيعة (١١ / ٤٦٥).

(٢) أصول الكافي (١ / ٢٢٢).

(٣) المصدر السابق (٢ / ٢٢٢).

(٤) الكافي (٢ / ٢٢٤).

(٥) الكافي (٢ / ٢٢٦).

(٦) عددها ٦١ بابًا.

(٧) الكافي (٢ / ٣٦٩ - ٣٧٢).

(٨) الكافي (٢ / ٣٧٠).

قال شارح (الكافي) في تفسير النص الأخير: «كأن المعنى مذيع السر عند من لا يعتمد عليه من الشيعة شاك.. ويمكن حمله على الأسرار التي لا تقبلها عقول عامة الخلق»^(١). وهذا يدل على أن هناك كتباً وتقية من علماء الشيعة لعامةهم.

وقد ذكرت كتب الشيعة مشروعية التقية والكتمان لكثير من أخبارهم وعقائدهم حتى وإن كان السامع من شيعة، لعدم تحمل عقول كثير من الناس وقلوبهم لها فيدعوهم هذا لكره المذهب والنفور منه، وهذا من باب التقية عندهم وإن اختلف الدافع له والغرض منه، وأنه قد يستعمل حتى مع بني نحلته، وقد عقد صاحب (الكافي) باباً في هذا الشأن بعنوان: «باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب» وذكر فيه خمس روايات لهم^(٢).

وفي البحار للمجلسي جاء هذا الباب بعنوان: «باب أن حديثهم **صعب مستصعب** وأن كلامهم ذو وجوه كثيرة، وفضيلة التدبر في أخبارهم **صعب مستصعب** والنهي عن رد أخبارهم» وفيه (١١٦) حديثاً^(٣).

ومن هذه الروايات التي ذكرها في هذا الباب: «إن حديثنا تسمئز منه القلوب، فمن عرف فزيدوهم ومن أنكر فذروهم»^(٤).

وعن سفيان السمط قال: قلت لأبي عبد الله **عليه السلام**: «جعلت فداك إن رجلاً يأتينا من قبلكم يعرف بالكذب فيحدث بالحديث فنستبشعه، فقال أبو عبد الله: يقول لك إني قلت لليل أنه نهار أو للنهار أنه ليل، قال: لا، قال: فإن قال لك هذا إني قلته فلا تكذب به فإنك إنما

(١) الكافي (٢/ ٣٧١ - ٣٧٢).

(٢) هامش الكافي (٢/ ٣٧٢).

(٣) الكافي (١/ ٤٠١ - ٤٠٢).

(٤) البحار (٢/ ١٨٢ - ٢١٢).

(٥) البحار (٢/ ١٩٢).

تكذبني»^(١).

وهذا يدل على أن من الشيعة من يستبشع رواياتهم ولكن يلزمون بالإيمان الأعمى بها. وعن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان...»^(٢).

هذه صورة لعقيدة التقية في أهم كتب الشيعة^(٣).

ولا شك أن أسرارهم قد انكشفت، حتى عقيدة التقية قد انكشف أمرها، والسبب هم الشيعة أنفسهم، ولهذا جاءت بعض نصوصهم تصف الشيعة بـ«النزق وقلة الكتان»^(٤).

الإثنا الحولية لعقيدة التقية:

ولكن الأثر العملي للتقية لا يزال يؤدي دوره الخطير في جوانب عديدة منها:
أولاً: رد الأحاديث الصحيحة في معناها التي وردت عن الأئمة ووافقت ما عند الأمة وروتها كتب الشيعة نفسها ردها، بحجة أنها تقية لموافقتها لما عند أهل السنة، فإذا جاء حديث يثني على الصحابة قالوا: إن هذا تقية، وإقرار أئمتهم بالخلافة القائمة في عصرهم يقولون: إنه تقية، وصلح الحسن هو عندهم تقية وهكذا، فضلاً عن الفروع الفقهية؛ إذ يردون الأحاديث التي توافق ما عليه أهل السنة وتحالف شذوذهم، يردونها بحجة التقية لأنها وافقت إجماع المسلمين.

ومن الأمثلة لتأثير التقية العملي عندهم أنهم قالوا عن تزويج علي ﷺ ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب ﷺ - تلك التي هي من أقوى الدلائل على كمال الحب والولاء بين الصحب

(١) البحار (٢/٢١١-٢١٢).

(٢) الكافي (١/٤٠١).

(٣) وقد خصها بعض شيوخهم بتأليف مستقل، وفي «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ذكر ١٦ كتاباً لهم باسم التقية. (الذريعة ٤٠٣/٤-٤٠٥).

(٤) الكافي (١/٢٢٢).

والآل - قالوا: إن هذا من باب التقية، فقد عقد عالمهم الحر العاملي في (وسائل الشيعة) باباً في هذا بعنوان: «باب جواز مناكحة الناصب عند الضرورة والتقية» ومما جاء فيه: عن أبي عبد الله عليه السلام في تزويج أم كلثوم فقال: «إن ذلك فرج غُصْبناه»^(١).

كما أورد في هذا الباب تزويج رسول الله ﷺ ابنتيه لعثمان رضي الله عنه وعده من باب التقية. قال أبو جعفر: «إن رسول الله ﷺ زوج منافقين: أبا العاص بن الربيع، وسكت عن الآخر»^(٢). أي لم يصرح الإمام باسم عثمان تقية وخوفاً. وهكذا جعلوا عقيدة التقية منفذاً للغلو والغلاة ووسيلة وضعها أعداء الأمة للنأي بالشيعة عن جماعة المسلمين.

ثانياً: إنهم جعلوا التقية حيلة للخروج من الاختلاف والتناقض الذي يسود أخبارهم وأحاديثهم والذي أدى إلى ترك بعض الشيعة للتشيع كما اعترف بذلك الطوسي^(٣). ثالثاً: أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم لا ينسون ولا يسهون ولا يخطئون مع أن الناس حفظوا عنهم ما يخالف ذلك وينافي عصمتهم، فقالوا بالتقية للمحافظة على دعوى عصمة الأئمة، تلك العصمة التي بسقوطها تسقط قيمة أقوالهم وبالتالي يسقط مذهب الشيعة، ولهذا قال سليمان بن جرير: «إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالاتين لا يظهرون معها من أئمتهم على كذب أبداً، وهما: القول بالبداء وإجازة التقية»^(٤).

رابعاً: جعلت التقية وسيلة للكذب على الأئمة، فيردون - مثلاً - كلام الإمام الباقر أو

(١) وسائل الشيعة (٧/٤٣٣)، عن فروع الكافي (٢/١٠).

(٢) أي سكت عن ذكر اسم الآخر، وهو عثمان رضي الله عنه من باب التقية واكتفى بالإشارة إليه.

(٣) وسائل الشيعة (٧/٤٣٤ - ٤٣٥)، وانظر: السرائر (ص: ٤٧٥).

(٤) التهذيب (١/٣).

(٥) المقالات والفرق (ص: ٧٨)، فرق الشيعة (ص: ٥٥)، الملل والنحل (١/١٦٠)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص:

جعفر الصادق الذي سمعه مجموعة من الناس بحجة أنه قد حضره بعض السنّة فانقى في كلامه، ويقبلون ما ينقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لم يحضر مجلسه أحد يتقيه، فما ينقله غلاة الروافض والزنادقة عن أئمة أهل البيت مقبول عندهم، وما ينقله العدول من المسلمين مردود بدعوى التقية.

خاصة: انبثق من خلال عقيدة التقية: مبدأ أن ما خالف العامة - أي أهل السنّة - هو الحق، حتى إنهم جعلوا من معالم التعرف على الحق - في نظرهم - عند اختلاف رواياتهم معرفة ما عليه أهل السنّة وأن يكون مجتهدهم على دراية بذلك ليتسنى له الأخذ بخلافه، فإذا اختلفت أحاديثهم فالحق هو ما فيه خلاف العامة، وإذا أفتى عالم أهل السنّة بفتوى فالحق في خلافها. ففي البحار عن علي بن أسباط قال: قلت للرضا: «يحدث الأمر لا أجد بدءاً من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، قال: فقال عليه السلام: ائت فقيه البلد - يعني من أهل السنّة - فاستفته في أمرك، فإن أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه»^(١).

وفي البحار أيضاً قال أبو عبدالله: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم»^(٢)، كما سبق في مبحث (الإجماع).

وهكذا أراد مؤسسو هذا المذهب الانفصال عن جماعة المسلمين والنأي بالشيعة عن حقيقة الإسلام، ولهذا حملوا كل ما في مذهبهم من نصوص توافق الأمة على التقية، وجعلوا علامة إصابة الحق تتمثل في مخالفة العامة أهل السنّة.

٦- البداء:

تعريفه:

في القاموس: «بدا بَدُوًا وبُدُوًا وبِدَاءة: ظهر... وبدا له في الأمر بَدُوًا وبِدَاء وبداة: نشأ له

(١) البحار (٢/٢٣٣) عن عيون أخبار الرضا، وعلل الشرائع.

(٢) البحار (٢/٢٣٣).

فيه رأي»^(١).. فالبداء في اللغة - كما جاء في القاموس - له معنيان:

الأول: الظهور والانكشاف.

الثاني: نشأة الرأي الجديد.

وكلا المعنيين وَرَدَ في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٢٥].

والبداء بهذين المعنيين لا تجوز نسبته إلى الله ﷻ.

نشأته:

والبداء في الأصل عقيدة يهودية ضالة، وقد وردت في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه^(٢). وانتقل الاعتقاد في البداء أولاً إلى فرق السبئية المدعية للتشيع، ففرق السبئية «كلهم يقولون بالبداء؛ إن الله تبدو له البداوات»^(٣)، ثم أخذ بفكرة البداء المختار بن أبي عبيد الثقفي؛ «لأنه كان يدعي علم الغيب، فكان إذا حدث خلاف ما أخبر به قال: قد بدا الربكم»^(٤). وقال سليمان بن جرير - كما مر -: «أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقاتلين لا

(١) القاموس المحيط، مادة بدو (٤/ ٣٠٢).

(٢) على الرغم من أن المشهور عن اليهود أنهم ينكرون النسخ لأنه يستلزم البداء. انظر: مسائل الإمامة (ص: ٧٥)، ومناهل العرفان (٢/ ٧٨). ومع ذلك فقد جاء في التوراة: «ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أخو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، الإنسان مع البهائم والذبابات وطيير السماء لأنني ندمت على خلقي لهم». (الكتاب المقدس، سفر التكوين، إصحاح ٦، فقرة ٦).

(٣) التنبيه والرد (ص: ١٩).

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٩).

يظهرون معها من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما: القول بالبداء وإجازة التقية»^(١).

منزلقته:

إذن البداء فرية يهودية، حاولت السبئية أن تدخلها في عقائد المسلمين وأخذ بها المختار لتأييد دعواه الكاذبة في علم الغيب، وهي لا تجوز نسبتها إلى الله. ولكن الشيعة الإمامية تلففتها وجعلتها من أصول عقائدها وقالت: «ما عبد الله بشيء مثل البداء»^(٢)، «وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء»^(٣)، «ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»^(٤).

وفي صحيحهم (الكافي) باب في هذا بعنوان (باب البداء) جاء ضمن كتاب التوحيد! وفي هذا الباب ١٦ حديثاً في البداء^(٥)، وفي (البحار) للمجلسي ذكر أحاديث البداء في باب بعنوان: (البداء والنسخ) وذكر فيه ٧٠ حديثاً^(٦).

فهل الشيعة الإمامية في عقيدتهم في البداء ينسبون الجهل والنسيان إلى الله؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، قال بهذا بعض علماء المسلمين^(٧)، لأن البداء بهذا المعنى من الكفر البواح، وإن القارئ لأحاديثهم في البداء يجد في بعضها ذلك المعنى الضال في البداء^(٨)، وهناك

(١) انظر: المقالات والفرق (ص: ٧٨)، فرق الشيعة (ص: ٥٥-٥٦).

(٢) الكافي، كتاب التوحيد، باب البداء: (١/ ١٤٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٤٨).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٤٨).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٤٦-١٤٩).

(٦) البحار (٤/ ٩٢-١٢٩).

(٧) الوشيعية، موسى جار الله (ص: ١١٢-١١٨)، مختصر التحفة الاثني عشرية (ص: ٣١٥)، الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير (ص: ٦٣).

(٨) مثل ما في (الكافي) عن أبي هاشم الجعفري قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى ابنه أبو جعفر، وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول كأنهما - أعني أبا بكر وأبا محمد - في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإساعيل ابني جعفر عليه السلام وإن قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد المرجعي بعد أبي جعفر فأقبل علي أبو الحسن قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم بدا الله في أبي

روايات أخرى تقول: إنه «ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له»^(١). وقال كثير من شيوخ الشيعة أنهم لم يريدوا بالبداء ما لا يجوز نسبته إلى الله سبحانه، يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: «البداء، وإن في جوهر معناه يتمثل في ظهور الشيء بعد خفائه، ولكن ليس المراد به هنا ظهور الشيء لله جل شأنه، وأي ذي حريجة ومسكة يقول بهذه المضلة؟ بل المراد ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم وقولنا: بدا لله، أي بدا حكم الله أو شأن الله»^(٢).

وهذا التفسير مقبول، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلم تلك المغالاة في البداء؟ ولم صار من أصول العقائد، وأصبح مما تشذ به الشيعة عن المسلمين؟ وما الهدف من جعله بتلك المثابة وهو في الأصل من معتقدات اليهود، ومن دعاوى ابن سبأ، والمختار بن أبي عبيد، وهو في معناه اللغوي الظاهر مما لا يجوز نسبته إلى الله سبحانه؟ فلم لا ترفض عقيدة البداء أصلاً بدلاً من أن يبحث لها عن مسوغ ومخرج؟

إن الجواب عن سبب تعلق الشيعة بعقيدة البداء وعنايتهم بها هو نفس السبب الذي جعل المختار يأخذ بهذه العقيدة؛ وهو غلوهم في أئمتهم وزعمهم أنهم يعلمون الغيب، حتى عقد صاحب «الكافي» باباً يقول فيه: إن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وأنهم لا يخفى عليهم الشيء فكان القول بالبداء هو المخرج إذا حدث الأئمة بشيء وكذبهم الواقع. كما كان هو المخرج للمختار إذا أخبر بشيء وجاء على خلاف ما قال.

محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آله الإمامة» (الكافي، كتاب الحجّة ١/٣٢٧).

(١) الكافي، كتاب التوحيد، باب البداء، (١/١٤٨).

(٢) الدين والإسلام (ص: ١٧٣).

٧- الطينة:

وهي من عقائدهم السرية التي يتواصون بكتمتانها حتى من عامتهم؛ لأنه لو اطلع العامي الشيعي على هذه العقيدة «تعمد أفعال الكبائر لحصول اللذة الدنيوية، ولعلمه بأن وبالها الأخروري إنما هو على غيره»^(١).

وكانت موضع إنكار من بعض الشيعة المتقدمين كالمرتضى وابن إدريس، لأنها - في نظرهم وإن تسللت أخبارها في كتب الشيعة - «أخبار آحاد مخالفة للكتاب والسنة والإجماع فوجب ردها»^(٢).

لكن هذه الأخبار تكاثرت على مر الزمن، حتى قال شيخهم نعمة الله الجزائري (ت ١١٢٢ هـ): «إن أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثرة في الأصول وغيرها، فلم يبق مجال في إنكارها، والحكم عليها بأنها أخبار آحاد، بل صارت أخبارًا مستفيضة، بل متواترة»^(٣)، قال هذا في الرد على من أنكروها من شيوخهم السابقين.

والذي تولى كبر إرساء هذه العقيدة - فيما يظهر - هو شيخهم الكليني الذي بَوَّب لها بابًا بعنوان: «باب طينة المؤمن والكافر»^(٤).

وهذه المقالة تجعل الشيعي يعتقد بأن كل بائقة يرتكبها فذنبها على أهل السنة! وكل عمل صالح يعمله أهل السنة فتوابه للشيعة!

ولعل أوسع تفصيل لهذه العقيدة هو ما جاء في رواية شيخهم ابن بابويه التي بلغت خمس صفحات!!^(٥)، وملخص ذلك: أن الشَّيعي - بزعمهم - خلق من طينة خاصة والسني

(١) الأنوار النعمانية (١/ ١٩٥).

(٢) الأنوار النعمانية (١/ ٢٩٣).

(٣) الأنوار النعمانية (١/ ٢٩٣).

(٤) أصول الكافي (٢/ ٢-٦).

(٥) علل الشرائع (ص: ٦٠٦-٦١٠).

خلق من طينة أخرى، وجرى المزج بين الطينتين بوجه معين، فما يصدر من الشيعي من معاصٍ وجرائم هو من تأثره بطينة السني، وما في السني من صلاح وأمانة هو بسبب تأثره بطينة الشيعي، فإذا كان يوم القيامة فإن سيئات وموبقات الشيعة تُوضع على أهل السنة، وحسنات أهل السنة تُعطى للشيعة.

ويمكن أن يستنبط سبب القول بهذه العقيدة من الأسئلة والشكاوى التي وجهت للأئمة، فالشيعة يشكون من انغماس قومهم بالموبقات والكبائر، ومن سوء معاملة بعضهم لبعض، ومن الهم والقلق الذي يجدونه ولا يعرفون سببه، ولكن يعزو إمامهم ذلك كله لتأثر طينة الشيعي بطينة السني في الخلقة الأولى.

روى شيخهم ابن بابويه «عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر: يا ابن رسول الله، أخبرني عن المؤمن المستبصر^(١) إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قال: اللهم لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: لا، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال: لا..، قلت: يا ابن رسول الله، إنني أجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطريق، ويخيف السبيل، ويزني، ويلوط، ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام، والزكاة، ويقطع الرحم، ويأتي الكبائر، فكيف هذا ولم ذاك؟

فقال: يا إبراهيم، هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك، فقال: وما هو يا أبا إسحاق؟ قال: فقلت: يا ابن رسول الله، وأجد من أعدائكم ومناصبيكم^(٢) من يكثر من الصلاة والصيام ويخرج الزكاة ويتابع بين الحج والعمرة، ويحرص على الجهاد، ويأثر - كذا - على البر، وعلى صلة الأرحام، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويتجنب شرب الخمر والزنا، واللواط وسائر الفواحش، فما ذاك؟ ولم

(١) يعني الرافضي.

(٢) يشير إلى أهل السنة.

ذاك؟ فسره لي يا ابن رسول الله وبرهنه وبينه، فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي، وضاق ذرعي»^(١).

هذا واحدٌ من الأسئلة والشكاوى التي تكشف انزعاج الشيعة من واقعهم المليء بالمعاصي والموبقات بالمقارنة بواقع سلف هذه الأمة، وأئمة أهل السنة وعامتهم من تقى وأمانة وصلاح، وقد أجيب السائل بمقتضى عقيدة الطينة وهي أن المعاصي الموجودة عند الشيعة هي بسبب طينة أهل السنة، والأعمال الصالحة التي تسود المجتمع السني بسبب طينة الشيعي.

أما أحكام الآخرة فإنها تتغير تمامًا بمقتضى عقيدة الطينة، وهذا ما يتبين في أجوبة إمامهم على أسئلة السائل عن أحكام الآخرة ومدى تأثير هذه العقيدة عليها، فيقول: «قلت: جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فَمَهْ؟ قال لي: يا إسحاق أيجمع الله الخير والشر في موضع واحد؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله تعالى مسحة الإيثار منهم فردها إلى شيعتنا، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردها على أعدائنا، وعاد كل شيء إلى عنصره الأول.

قلت: جعلت فداك تُؤخذ حسناتهم فترد إلينا، وتُؤخذ سيئاتنا فترد إليهم؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو»^(٢).

إن هذه الروايات ناقضت نفسها بنفسها، فالشيعي كما ترى في عرض الشكاوى والأسئلة هو أشد إغراقاً في الجريمة، وأكثر إيغالاً في المعاصي والموبقات، وأسوأ معاملة، وأردأ خلقاً ودينياً، فكيف يكون من هذه حاله أفضل طينة، وأطهر خلقة؟

وقد خلق الله سبحانه الناس جميعاً على فطرة الإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي بَدَّلَ الْوَيْدِ الْأَقِيمُ﴾ [الزوم: ١٣٠].

(١) علل الشرائع (ص: ٦٠٦-٦٠٧)، بحار الأنوار (٥/٢٢٨-٢٢٩).

(٢) علل الشرائع (ص: ٤٩٠-٤٩١)، بحار الأنوار (٥/٢٤٧-٢٤٨).

وأما ما قررته أخبار طيبتهم من أن موبقات الشيعة وأوزارها يتحملها أهل السنة، وحسنات المسلمين جميعاً تعطى للشيعة، فهذا مخالف للعدل الرباني ولا يتفق مع العقل الصريح ولا الفطرة السليمة، فضلاً عن نصوص الشرع وأصول الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال ﷺ: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ (٦) [الطورا]، وقال ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ (٧٨) [المدثر]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة]، وقوله - سبحانه - : ﴿الْيَوْمَ نُحْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] وغيرها كثير.

وهذه المقالة ظاهرة البطلان، يكفي مجرد تصورهما لمعرفة فسادها، وهي من فضائح المذهب الاثني عشري وعوراته، ولا يستحي الشيعة إلى اليوم من التجاهر بهذه العقيدة وإعلانها، فتجد أخبار هذه الفرية ثابتة في مصادرهم المعتمدة لديهم ك(بحار الأنوار)^(١)، و(الأنوار النعمانية)^(٢)، وتجد المحققين لهذه المصادر من شيوخهم المعاصرين يقرونها، بل ويعلقون عليها بما يؤكد رضاهم عنها واعتقاد ما فيها، وإذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

٨- المهديّة والغيبية:

نشأة فكرة الغيبة:

توفي الحسن العسكري - إمامهم الحادي عشر - (٢٦٠هـ) عقيماً، واعترفت مصادرهم بأنه «لم ير له خَلْفٌ»، ولم يُعرف له ولد ظاهر، فاقسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه^(٣). وبسبب ذلك اضطرب أمرهم، وتفرّق جمعهم، فافترقوا إلى أربع عشرة فرقة كما يقول

(١) بحار الأنوار (٥/ ٢٣٣)، هامش (٣).

(٢) الأنوار النعمانية (١/ ٢٨٧)، تعليق رقم (١).

(٣) المقالات والفرق (ص: ١٠٢)، فرق الشيعة (ص: ٩٦)، وفيها: «ولم يُر له أثر».

النوبختي^(١)، أو خمس عشرة فرقة كما ينقل القمي^(٢)، وهما من الاثني عشرية.

ومن بعدها زادت الفرقة واتسع الخلاف بينهم، حيث يذكر المسعودي الشيعي (ت: ٣٤٦هـ) ما بلغه اختلاف شيعة الحسن بعد وفاته، وأنه وصل إلى عشرين فرقة^(٣)، وسبب هذا التفرق الكبير أنهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام؛ لأنه هو الحجّة على أهل الأرض - حسب زعمهم^(٤).

وقد ذهبت هذه الفرق مذاهب شتى في أمر الإمامة، فمنهم من قال: «إن الحسن بن علي حيٌّ لم يموت، وإنما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر، لأن الأرض لا تخلو من إمام^(٥)».

فوقفت هذه الفرقة على الحسن العسكري وقالت بمهديته وانتظاره كما هي العادة عندهم بعد وفاة كل إمام تدعي إمامته، وذهبت فرقة أخرى إلى أنه حي، ولكنه غائب وسيظهر^(٦)، بينما فرقة أخرى حاولت أن تمضي بالإمامة من الحسن إلى أخيه جعفر^(٧)، وأخرى أبطلت إمامة الحسن بموته عقياً^(٨).

وبلغت الحيرة في تلك الفترة أن اختار بعضهم التوقف، وقال: «نحن لا ندري ما نقول في ذلك، وقد اشتبه علينا الأمر^(٩)».

أما ما سمي بالاثني عشرية فيما بعد، فقد ذهبت إلى الزعم بأن للحسن العسكري ولداً

(١) انظر: فرق الشيعة (ص: ٩٦)، الفصول المختارة، للمفيد (ص: ٢٥٨).

(٢) انظر: المقالات والفرق (ص: ١٠٢).

(٣) انظر: مروج الذهب (٤/ ١٩٠).

(٤) انظر: أصول الكافي (١/ ١٨٨).

(٥) انظر: فرق الشيعة (ص: ٩٦)، المقالات والفرق (ص: ١٠٦).

(٦) انظر: فرق الشيعة (ص: ٩٧)، المقالات والفرق (ص: ١٠٧).

(٧) انظر: المقالات والفرق (ص: ١١٠).

(٨) انظر: المقالات والفرق (ص: ١٠٩)، فرق الشيعة (ص: ١٠٠-١٠١).

(٩) المقالات والفرق (ص: ١١٥-١١٦)، وانظر: فرق الشيعة (ص: ١٠٨).

«كان قد أخفى [أي الحسن] مولده، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له.. فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته»^(١).

ولا يزالون ينتظرون عودته منذ أكثر من ألف ومائة وسبعين سنة، ولذا فقد داهمهم الشك في صدق دعوى خروجه وجدوى انتظاره حتى اعترف بذلك ابن بابويه القمي، حيث قال: «رجعت إلى نيسابور، وأقمت فيها فوجدت أكثر المختلفين عليّ من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم ~~الغيب~~ الشبهة»^(٢).

أما مكان الغيبة فإنه كان موضع السرية والكتمان، ولما تناهى إلى شيعته خبر الغيبة المزعومة حاولوا التعرف على مكانه إلا أن الباب الذي يدعي الصلة به رفض البوح بشيء من ذلك وأخرج توقيماً سرياً ينسبه لهذا الغائب المزعوم، يقول فيه: «.. إن عرفوا المكان دلوا عليه»^(٣) فهذا النص يشير إلى أنه في مكان معين، وفي مخبأ سري لا يعرفه إلا الباب، وأن سبب كتمان مكان غيبته عن شيعته هو خوفه من إخبارهم للغير بمكانه.

ولكن دلت بعض روايات الكافي على البلد الذي يختفي فيه، حيث قالت: «لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة»^(٤).

فهي تشير إلى أنه يختبئ بالمدينة المنورة؛ لأن طيبة من أسائها^(٥)، ولما قال أحدهم للحسن العسكري: إن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة^(٦).

(١) الإرشاد، للمفيد (٣/ ١٠٠٥).

(٢) إكمال الدين (ص: ٢).

(٣) أصول الكافي (١/ ٣٣٣).

(٤) أصول الكافي (١/ ٣٤٠)، الغيبة، للنعماني (ص: ١٢٥)، بحار الأنوار (٥٢/ ١٥٣).

(٥) انظر: معجم ما استعجم (٢/ ٩٠٠).

(٦) انظر: أصول الكافي (١/ ٣٢٨)، وقال المازندراني في شرح الكافي: «يحتمل أن يراد بالمدينة: سر من رأى» (شرح جامع

٢٠٨/٦) وهذا الاحتمال قد لا يرد في الرواية التي قبلها.

بينما يروي الطوسي في الغيبة أنه مقيم بجبل يدعى رضوى^(١)، وتذكر روايات أخرى أنه يجتفي في بعض وديان مكة^(٢).

غير أن أحاديثهم في الأدعية والزيارة لمقامات الأئمة تلوح إلى أنه مقيم بسرداب سامراء^(٣)، ولذلك جاء فيها «ثم انت سرداب الغيبة وقف بين البابين، ماسكًا جانب الباب بيدك، ثم تنحج كالمستأذن، وسم وانزل، وعليك السكينة والوقار، وصل ركعتين في عرضة السرداب وقل:.. اللهم طال الانتظار وشمتم بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك الميمون، في حياتنا وبعد المنون، اللهم إني أدين لك بالرجعة، بين يدي صاحب هذه البقعة»^(٤).

وكما أخفوا مكانه فقد عمدوا إلى إخفاء اسمه، فقد جاء في توقيعات المنتظر التي تصدر عن بابه: «إن دللتم على الاسم أذاعوه»^(٥)، فهذا النص يشير إلى أنه مجهول الاسم، كما هو مجهول المكان والولادة والنشأة، ولكن ورد في كتب الشيعة أن اسمه محمد، غير أن روايات الشيعة كانت تحرم تسميته باسمه حيث جاء فيها: «ولا يجلب لكم ذكره باسمه»^(٦)، بل اعتبرت من يسميه باسمه في عداد الكافرين، وقالت: «صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر»^(٧)، ولذلك تلاحظ حين يرد ذكره في رواياتهم يكتب اسمه بالحروف المقطعة هكذا:

(١) انظر: الغيبة (ص: ١٠٣).

(٢) انظر: تفسير العياشي (٢/ ٥٦)، البرهان (٢/ ٨١-٨٢)، بحار الأنوار (٥٢/ ٣٤١).

(٣) قال ياقوت: سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها: سر من رأى فخففها الناس وقالوا: سامراء وفيها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه (معجم البلدان ٣/ ١٧٣).

(٤) مصباح الزائر (ص: ٢٢٩)، المزار الكبير، محمد المشهدي (ص: ٢١٦)، بحار الأنوار (١٠٢/ ١٠٢-١٠٢)، كلمة المهدي، الشيرازي (ص: ٤٧١-٤٧٢).

(٥) أصول الكافي (١/ ٣٣٣).

(٦) أصول الكافي (١/ ٣٣٣)، الإرشاد (ص: ٣٩٤)، إكمال الدين (ص: ٦٠٨).

(٧) أصول الكافي (١/ ٣٣٣)، إكمال الدين (ص: ٦٠٧).

م ح م د^(١)، ولما قالوا: كيف نذكره؟ قال الحسن العسكري: «قولوا: الحجة من آل محمد - صلوات الله عليه وسلامه-»^(٢).

وكانت الدوائر الشيعية القديمة لا تذكره فيما بينها إلا بالرمز الذي لا يعرفه سواهم كالغريم، ولهذا قال المفيد عن إطلاق هذا اللقب عليه: «هذا رمز كانت الشيعة تعرفه قديمًا بينها، ويكون خطابها عليها السلام [كذا] للثقة»^(٣).

ورموزهم التي يطلقونها عليه كثيرة مثل: القائم، والخلف، والسيد، والناحية المقدسة، والصاحب، وصاحب الزمان، وصاحب العصر^(٤)، وصاحب الأمر وغيرها^(٥).

جذور عقيدة المهديّة:

عقيدة الاثني عشرية في المهديّة والغيبة ترجع إلى أصول مجوسية، فالشيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسية، والمجوس تدّعي أن لهم منتظرًا حيًّا باقياً مهديًّا من ولد (بشتاسف بن بهراسف) يُقال له: أبشاون، وأنه في حصن عظيم بين خراسان والصّين^(٦)، وهذا مطابق لجوهر المذهب الاثني عشري!!

شريعة مهديهم المنتظر:

يشير ابن بابويه في الاعتقادات التي تسمى دين الإمامية إلى أن المهدي إذا رجع من غيبته ينسخ شريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام الميراث، فيذكر عن الصادق أنه يقول: «إن الله آخى

(١) انظر -مثلاً-: أصول الكافي (١ / ٣٢٩).

(٢) أصول الكافي (١ / ٣٣)، الإرشاد (ص: ٣٩٤).

(٣) الإرشاد (ص: ٤٠٠).

(٤) انظر: حصائل الفكر (ص: ٣٥).

(٥) انظر: أصول الكافي (١ / ٣٣٣)، ويرى بعض شيوخهم أن النهي عن التصريح بالاسم خاص بزمان الخوف والثقة (انظر:

شرح جامع، للهازندراني ٦ / ٢١٦-٢١٧).

(٦) انظر: تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٧٩).

بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة»^(١).

لعل هذه الرواية تكشف عما يختلج في نفوس أرباب تلك العصابة من رغبة في إحلال العلاقة الحزبية والتنظيمية بين أفرادها محل القرابة والولادة في الميراث، ونهب أموال الناس باسم هذه العلاقة والأخوة المزعومة!

كما تفصح هذه الرواية عن موقف واضعي هذه الروايات من تطبيق الشريعة الإسلامية ورغبتهم في تعطيلها، بل إن الحكم والقضاء في دولة المنتظر بعد عودته يقام على غير شريعة المصطفى ﷺ، جاء في الكافي وغيره، قال أبو عبد الله: «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة»^(٢).

وقد تبنى ثقة إسلامهم الكليني هذه العقيدة وبوب لها بابًا خاصًا بعنوان: «باب في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون بينة»^(٣). ولا يخفى ما في هذا الاتجاه من عنصر يهودي!!

سيرة القائم المنتظر:

أما سيرته فتحمل سمات من شريعته الجديدة، حيث يتولى مضايقة المسلمين في مقدساتهم ومساجدهم، فيقوم بعملية هدم وتخريب في الحرمين الشريفين، حيث تنص أخبارهم «أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وأقامه على أساسه»^(٤).

كذلك يتجه إلى قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه ويبدأ - كما تقول أخبارهم - «بكسر الحائط

(١) الاعتقادات (ص: ٨٣).

(٢) أصول الكافي (١/ ٣٩٧).

(٣) أصول الكافي (١/ ٣٩٧).

(٤) الغيبة، للطوسي (ص: ٢٨٢)، بحار الأنوار (٥٢/ ٣٣٨).

الذي على القبر... ثم يخرجهما (يعني صاحبي رسول الله) غضين رطبين، فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح»^(١).

وفي رواية أخرى: «أول ما يبدأ به القائم.. يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد»^(٢).

ثم يقوم بقتل عام شامل للجنس العربي واستئصال وجوده، فيروي النعماني: عن الحارث بن المغيرة وذريح المحاربي قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»^(٣).

وكان روايتهم هذه لا تفرق بين من يتشيع وغيره: لكن تؤكد أخبارهم أنه لن يتشيع أحد من العرب للقائم، ولهذا تحذر منهم فتقول: «اتق العرب؛ فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»^(٤).

ولكن في الشيعة من العرب كثير غير أن أخبارهم تقول بأنهم سيمحصون فلا يبقى منهم إلا النزر اليسير^(٥). ولا يخفى ما تنضح به هذه النصوص من نزعة شعوبية مقيئة.

وتشير مصادرهم إلى أن مهديهم المزعوم يقوم بعملية اجتياح دموي رهيب تستأصل كل الفئات والأجناس البشرية، فلا يُبقي ولا يذر سوى طائفتهم، كما تملي عليهم أحلامهم المريضة، ونفوسهم الحاقدة، حتى قالوا: «يذبحهم -والذي نفسي بيده- كما يذبح القصاب شاته - وأوماً بيده إلى حلقه -»^(٦).

(١) بحار الأنوار (٥٢/٣٨٦).

(٢) بحار الأنوار (٥٢/٣٨٦).

(٣) الغيبة للنعماني (ص: ١٥٥)، بحار الأنوار (٥٢/٣٤٩).

(٤) الغيبة للطوسي (ص: ٢٨٤)، بحار الأنوار (٥٢/٣٣٣).

(٥) انظر: الغيبة للنعماني (ص: ١٣٧)، بحار الأنوار (٥٢/١١٤).

(٦) بحار الأنوار (٥٢/٣٥٧)، الغيبة، للنعماني (ص: ١٩٠-١٩١).

وتسمي رواياتهم جميع المخالفين لهم بالنواصب، فتقول: «فإذا قام القائم عرضوا كل ناصب عليه، فإن أقر بالإسلام وهي الولاية وإلا ضربت عنقه، أو أقر بالجزية فأداها كما يؤدي أهل الذمة»^(١).

لكن بعض رواياتهم تقول بأن الجزية لا تقبل منهم كما تقبل من أهل الذمة، فقد سئل إمامهم عن حال أهل الذمة في دولة القائم فقال: «يسألهم كما سألهم رسول الله ﷺ ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون»^(٢). أما غيرهم من المخالفين للرافضة فقال فيه: «ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا»^(٣).

وهذه الأعمال الدموية الخطيرة التي هي من وظائف مهديهم الموهوم قد انتقلت عملياً في عصرنا إلى الولي الفقيه بحكم العقيدة الخمينية التي يطبقها شيوخ الرافضة لأول مرة في تاريخهم.

٩- ولاية الفقيه:

لما سقطت دعوى استمرار الإمامة بموت الحسن العسكري (ت ٢٦٠هـ) عقيماً، اخترعوا فكرة وجود ولد للحسن العسكري اختفى بعد ولادته خشية القتل حسب زعمهم، ونشأت عندهم بدعة (الغيبية والمهدية) وجعلوها هي البديل لدعوى الإمامة المنصوصة، ثم لما تطاول عليهم الأمد، وأيسوا من خروج إمامهم المعدوم، ابتدعوا نظرية (ولاية الفقيه العامة)، فصارت هي البديل العملي عن دعوى المهدية.

وتعد ولاية الفقيه امتداداً للدعوى الزائفة التي ادعاها بعض شيوخهم بعد الغيبة المزعومة لمهديهم المعدوم، وابتدأت بعثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ) الذي زعم أن له صلة

(١) تفسير فرات (ص: ١٠٠)، بحار الأنوار (٣٧٣/٥٢)، وقوله: «أو أقر بالجزية»، يناقض رواياتهم التي تقول بأنه لا يقبل الجزية.

(٢) بحار الأنوار (٣٧٦/٥٢).

(٣) بحار الأنوار (٣٧٦/٥٢).

مباشرة بالمهدي وأنه الباب للاتصال به ولقائه، واختتمت بأبي الحسن علي بن محمد السمري (ت ٣٢٩هـ) الذي أعلن انقطاع الصلة المباشرة بالمهدي وفوض أمر النيابة عن المنتظر إلى رواية حديثهم وواضعي أخبارهم^(١).

ثم انتقلت النيابة عن مهديهم الغائب من شخص معين إلى عموم شيوخهم، لكنها بقيت محدودة الصلاحيات لا تصل إلى إقامة الحكومة.

وفي القرن الثالث عشر ظهر القول بأن للفقهاء جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال في مجال الحكم والإدارة والسياسة على يد اثنين من شيوخهم، وهما: النراقي^(٢) ت ١٢٤٥هـ، والنائيني^(٣) ت ١٣٥٥هـ.

فإذن عقيدة عموم ولاية الفقيه لم توجد عند الاثني عشرية قبل القرن الثالث عشر. وقد التقط الخميني هذا الخيط الذي وضعه من قبله، وراح ينادي بهذه الفكرة، وضرورة إقامة دولة برئاسة نائب الإمام (الولي الفقيه) لتطبيق المذهب الشيعي.

يقول الخميني: «قد مرَّ على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر في طول هذه المدة المديدة، هل تبقى أحكام الإسلام معطلة؟ يعمل الناس من خلالها ما يشاؤون؟ ألا يلزم من ذلك المهرج والمرج؟ القوانين التي صدع بها نبي الإسلام ﷺ وجهد في نشرها، وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عامًا، هل كان كل ذلك لمدة محدودة؟ هل حدد الله عمر الشريعة ببائتي عام مثلاً؟ الذهاب إلى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ»^(٤).

(١) انظر تفصيل ذلك في: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٩٢) وما بعدها.

(٢) أحمد بن محمد بن مهدي النراقي الكاشاني ١١٨٥-١٢٤٥هـ.

(٣) حسين بن عبد الرحمن النجفي النائيني ١٢٧٣-١٣٥٥هـ.

(٤) انظر: الحكومة الإسلامية (ص: ٧٤).

(٥) الحكومة الإسلامية (ص: ٢٦).

فخميني يرى لهذه المبررات التي ذكرها وجوب خروج الفقيه الشيعي وأتباعه للاستيلاء على الحكم في بلاد الإسلام نيابة عن المهدي، ولذا قرر في دستور دولته: «أن جيش الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة الإسلامية لا يتحملان فقط مسؤولية حفظ وحراسة الحدود، وإنما يتكفلان أيضا بحمل رسالة عقائدية، أي: الجهاد في سبيل الله والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم»^(١). وهو يخرج بهذا عن مقررات دينهم ويخالف وصايا أئمتهم الكثيرة في ضرورة انتظار الغائب وعدم التعجيل بالخروج^(٢).

مع أن عقيدة الانتظار عندهم لا تعني رضاهم بهذه الحكومات الإسلامية، وقبولهم بها، بل يذهبون إلى القول بـ«وجوب الثورة المسلحة على الحكام»^(٣)، ويرون أن هذا هو سبيل التمهيد لخروج مهديهم، بل يرون التعاون مع أعداء هذه الدول للعمل على إسقاطها، ولذلك صاروا عيوناً وأعوأناً لكل عدو خارجي، كما شهد بذلك تاريخهم وواقعهم، ولا يميزون المشاركة في الحكومات إلا بهدف نصرته مذهبهم، وهو ما يسميه الخميني بـ«الدخول الشكلي في الحكومات»^(٤).

وترى الخمينية أن ولاية الفقيه الشيعي كولاية رسول الله ﷺ، يقول الخميني: «فالله جعل الرسول ولياً للمؤمنين جميعاً.. ومن بعده كان الإمام (ع) ولياً، ومعنى ولايتها أن أوامرهما الشرعية نافذة في الجميع»^(٥).

وهم يعدون هذا المبدأ (ولاية الفقيه) نيابة عن المهدي حتى يرجع، فهم لم يتخلوا عن أصل مذهبهم، ولهذا أصبح القول بولاية الفقيه لا يختلف عن مذهب البابية؛ لأنه يزعم أن الفقيه الشيعي هو الذي يمثل المهدي، كما أن الباب يزعم أنه الممثل الوحيد للمهدي أيضاً،

(١) الدستور لجمهورية إيران الإسلامية (ص: ١٦).

(٢) انظر: الغيبة، للنعمان (ص: ١٢٩)، بحار الأنوار (٥٢/ ١٣٦).

(٣) في انتظار الإمام (ص: ٧٠).

(٤) الحكومة الإسلامية (ص: ١٤٢).

(٥) الحكومة الإسلامية (ص: ٥١).

ولعل الفارق أن الخميني يعد كل فقهاءهم أبواباً.

وإن شئت قل: إن الخميني أخرج (المهدي المنتظر) في صورة الولي الفقيه؛ لأن صلاحياته ووظائفه أناطها بالفقيه؛ بل إنه بهذا المبدأ لم يخرج مهدياً واحداً بل أخرج العشرات، لأن كثيراً من شيوخهم وآياتهم لهم الأحقية بهذا المنصب فهو يقول: «إن معظم فقهاءنا في هذا العصر تتوفر فيهم الخصائص التي تؤهلهم للنيابة عن الإمام المعصوم»^(١).

وبمقتضى هذه النيابة فإنهم أصبحوا - كما يقول الخميني - : «هم الحجة على الناس كما كان الرسول ﷺ حجة الله عليهم، وكل من يتخلف عن طاعتهم، فإن الله يؤاخذ به ويجاسبه على ذلك»^(٢)، وهكذا يحكم بوجوب طاعتهم الطاعة المطلقة لأنهم نواب الإمام.

وبذلك أصبحت كل وظائف وأعمال مهديهم الموعودة من قتل كل المخالفين، وهدم الحرمين الشريفين، وغيرها بيد الولي الفقيه ومن صلاحياته، ولذلك تجدد الخميني في كتابه (تحرير الوسيلة) الذي كتبه قبل قيام دولته يجعل الجهاد من وظائف المهدي الغائب الذي لن يخرج أبداً؛ لأنه لم يوجد أصلاً، أما بعد قيام دولته فيجعل الجهاد منوطاً بجيشها، وينص على ذلك في دستورها، ويعلق الأمر به بالفقيه الشيعي، وذلك بمقتضى مذهبه الجديد في ولاية الفقيه، والتي نقلت فيها صلاحيات المهدي كلها للشيخ الشيعي. وقد نص أيضاً على ذلك دستورهم، فقال: «وفي زمن غيبة الإمام - عجل الله تعالى فرجه - تعتبر ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه»^(٣).

ولذلك لا تزال مهمة المهدي الموعودة في قتل المسلمين، تظهر على ألسنة حججهم وآياتهم، وأنه سيبدأها بالفقيه؛ لأنه ينوب عن مهديهم في كل وظائفه، وقد أعلن بعض

(١) الحكومة الإسلامية (ص: ١١٣).

(٢) الحكومة الإسلامية (ص: ٨٠).

(٣) دستور الجمهورية الإسلامية في إيران (ص: ١٨).

شيوعهم ذلك صراحة بدون تقيّة دينية ولا مصانعة سياسية؛ لأنهم كما يقولون عن أنفسهم: «مبتلون بالنزق»^(١) و«قلة الكتّان»^(٢).

فعلى سبيل المثال أقيم احتفال رسمي وجماهيري -بعد قيام دولتهم- في عبادان في ١٧/٣/١٩٧٩م تأييداً لإقامة الجمهورية الإسلامية، ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود»، وذكر قبل ذلك بأنه حين تثبت ثورته سينتقلون «إلى القدس وإلى مكة المكرمة، وإلى أفغانستان، وإلى مختلف البلاد»^(٣).

فتراهم يعتبرون الوضع في مكة، كوضع القدس الذي يحتله اليهود، ووضع أفغانستان التي كان يحتلها الشيوعيون في ذلك التاريخ.

وقد نشرت مجلة الشهيد - لسان علماء الشيعة في قم - في العدد (٤٦) الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ صورة تمثل الكعبة المشرفة، وإلى جانبها صور تمثل المسجد الأقصى المبارك وبينهما (يد قابضة على البندقية) وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»^(٤).

(١) أي: الطيش وخفة العقل.

(٢) أصول الكافي (١/ ٢٢٢).

(٣) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٧/٣/١٩٧٩م، انظر: وجاء دور المجوس (ص: ٣٤٤-٣٤٧).

(٤) انظر: مجلة الشهيد، العدد المذكور، وانظر: جريدة المدينة السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ، وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد، رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهدته في أثناء زيارته لإيران، حتى يقول بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران، والذي يقيمون فيه شعارات مكتوبًا عليها: سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار (انظر: الفتنة الخمينية للشيخ محمد آزاد ص ٩).

الحكم عليهم:

هم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من أظهر منهم هذه المعتقدات وجاهر بها، كدعوى تحريف القرآن، وكفر الصحابة، وتأليه الأئمة، والشرك بالله تعالى فلا ريب أن هذا من الكفر البواح، وقد استفاض كلام الأئمة في تقرير ذلك.

قال الإمام مالك: «الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ، ليس لهم اسم - أو قال -: نصيب في الإسلام»^(١).

وقال ابن كثير - عند قوله سبحانه -: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك -رحمة الله عليه- في رواية عنه تكفير الروافض الذي يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافق طائفة من العلماء على ذلك»^(٢).

وسئل الإمام أحمد: عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: «ما أراه على الإسلام»^(٣)، وقال: «من شتم أخاف عليه الكفر مثل الروافض»، ثم قال: «من شتم أصحاب النبي ﷺ لا نأمن أن يكون قد مرق عن الدين»^(٤).

وقال الإمام البخاري: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف

(١) السنة، للخلال (٢/٥٥٧)، قال محقق الرسالة: إسناده صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢١٩).

(٣) السنة، للخلال (٢/٥٥٧).

(٤) السنة، للخلال (٢/٥٥٨).

اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يُعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم»^(١).

وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صرح مصرح بكفر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد خالف الإجماع وخرقه، ورد ما جاء في حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقدمهم على سائر الخلق في أخبار كثيرة»، ثم قال: «فقال ذلك إن بلغته الأخبار واعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر.. بتكذيبه رسول الله ﷺ، فمن كذبه بكلمة من أقاويله فهو كافر بالإجماع»^(٢).

وقال الإمام السمعاني: «واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية؛ لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة، وينكرون إجماعهم»^(٣).

وقال الإمام النووي: «إن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»^(٤).

وقال الشيخ ملا علي القاري في التعقيب على كلام الإمام النووي: «قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفره بالإجماع بلا نزاع»^(٥).

وقال القاضي أبو يعلى: «وأما الرافضة فالحكم فيهم.. إن كفر الصحابة، أو فسقهم بمعنى يستوجب به النار فهو كافر»^(٦).

ويذكر الفخر الرازي أن أصحابه من الأشاعرة يكفرون الروافض من ثلاثة وجوه:

(١) خلق أفعال العباد (ص: ١٢٥).

(٢) فضائح الباطنية (ص: ١٤٩).

(٣) الأنساب (٦/ ٣٤١).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

(٥) مرآة المفاتيح (٩/ ١٣٧).

(٦) المعتمد (ص: ٢٦٧).

أولها: أنهم كفروا سادات المسلمين، وكل من كفر مسلمًا فهو كافر لقوله عليه السلام: «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما» فيذن يجب تكفيرهم.
وثانيها: أنهم كفروا قَوْمًا نص الرسول عليه السلام بالثناء عليهم وتعظيم شأنهم، فيكون تكفيرهم تكذيبًا للرسول عليه السلام.

وثالثها: إجماع الأمة على تكفير من كفر سادات الصحابة^(١).

قال ابن تيمية: «من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، فلا خلاف في كفرهم.

ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو إنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم.

بل من يشكك في كفر مثل هذا؟ فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارًا، أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم^(٢).

وقال علي القاري: «وأما من سب أحدًا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع إلا إذا اعتقد أنه مباح كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم، أو يترتب عليه ثواب كما هو دأب كلامهم أو اعتقد كفر الصحابة وأهل السنة فإنه كافر بالإجماع^(٣)».

فهل يبقى بعد ذلك شك في أن هذه الطائفة ارتضت لنفسها مذهبًا غير مذهب

(١) نهاية العقول، للرازي (ق: ٢١٢) (مخطوط).

(٢) الصارم المسلول (ص: ٥٨٦-٥٨٧).

(٣) شم العوارض في ذم الروافض (ص: ٢٨).

المسلمين؟! فهم وإن شهدوا الشهادتين إلا أنهم نقضوها بنواقض كثيرة كما ترى.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وما صح عن العلماء من أنه لا يكفر أهل القبلة فمحمول على من لم يكن بدعته مكفرة.. ولا شك أن تكذيب رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه قطعاً كفر»^(١).

وسئل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم: هل للرافضة شفعة على المسلمين، أم لا؟ فأجاب: «مذهب الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أن لا شفعة لكافر على مسلم، سواء كان كافراً كفراً أصلياً، أو مرتدّاً، أو داعية إلى بدعة. ورافضة هذه الأزمان مرتدون، عبدة أوثان، فيدخلون في هذا الحكم، لكن إذا ألزموا بالإسلام والتزموه، وتركوا الشرك ظاهراً، فالظاهر أن حكمهم حكم المنافقين»^(٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم ذبائح الجعفرية الذين يدعون عليّاً في الشدة والرخاء؟ فأجابت: «إذا كان الأمر كما ذكر السائل من أن الجماعة الذين لديه من الجعفرية يدعون عليّاً والحسن والحسين وسادتهم فهم مشركون مرتدون عن الإسلام والعياذ بالله، لا يحل الأكل من ذبائحهم؛ لأنها ميتة ولو ذكروا عليها اسم الله»^(٣).

وسألت شيخنا محمد بن عثيمين - رحمه الله - عن حكم الاثني عشرية، فقال لي: «ومن يشك في كفر الاثني عشرية؟! إلا أننا لا نرى إعلان ذلك لما قد يترتب عليه من الفتن». قلت: يشير شيخنا إلى أنه قد يتوهم متوهم أن الحكم بكفرهم يعني استحلال دمائهم وأموالهم، فممنع إعلان كفرهم درءاً لهذه المفسدة.

لكن مما يجب مراعاته حسب منهج أهل السنة في التكفير «أن هذه الأقوال التي يقولونها

(١) رسالة في الرد على الرافضة (ص: ٢٠).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨ / ١٨٩).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٢ / ٣٧٢)، ووقع على هذه الفتوى كل من الشيخ عبد الله بن قعود، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

والتي يعلم أنها مخالفة لما جاء الرسول ﷺ هي كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي أيضاً كفر، لكن تكفير الواحد المعين من أهل القبلة والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير، وانتفاء موانعه؛ فإننا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق ولا يحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له، ولهذا لا يكفر العلماء من استحل شيئاً من المحرمات لقرب عهده بالإسلام أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، ومن هؤلاء من لا يكون بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك، فيطلق أن هذا القول كفر، ويكفر من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها دون غيره^(١).

القسم الثاني: من أسرَّ هذه المعتقدات الكفرية وأظهر خلافها، فهو منافق، يعامل حسب الظاهر، والله يتولى السرائر، لكن يجب الحذر منهم، وعدم تمكينهم من الولايات والمناصب التي لها صلة بأمن المسلمين وثورهم وتعليمهم وصحتهم.

القسم الثالث: من انتسب إليهم، ولم يقل بهذه المعتقدات، ولم يعرف عنها شيئاً، ممن هم في غفلة عن عقائدهم الكفرية ومبادئهم الخطرة، فهؤلاء مبتدعة، وعليهم إثم من كثر سواد البدعة.

(١) الفتاوى (٢٨/٥٠٠-٥٠١)، وانظر لتفصيل هذه المسألة: الفتاوى (١٢/٤٦٦) وما بعدها، (٢٣/٣٤٥) وما بعدها.

المبحث السادس فرق تفرعت من الاثني عشرية

أولاً: النصيرية

تعريفهم:

هم أتباع محمد بن نصير النميري، وهو فارسي الأصل، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه، وقيل: نسبة إلى نصير غلام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم من غلاة الشيعة الذين ألّوا علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد انبثقوا من الاثني عشرية (الرافضة).

نشأتهم:

لما توفي الحسن العسكري الذي تدعي الرافضة أنه إمامها الحادي عشر سنة (٢٦٠هـ)، اجتمع الغلاة من المتمردين إليه وادعوا أن له ولدًا اختفى في سرداب بمنزل أبيه في (سامراء)، وأنه الإمام بعد أبيه، وخرج مجموعة من غلاة الشيعة كل يدعي أنه هو الواسطة بين هذا الإمام الغائب في السرداب - في زعمهم - وبين الشيعة، ومن هؤلاء محمد بن نصير الذي سمي أتباعه - فيما بعد - بالنصيرية نسبة إليه، ونشأت النصيرية من ذلك الوقت، كما نشأت طوائف أخرى، كل طائفة اتبعت أحد هؤلاء النواب، وأنكرت ما سواه، في حين أن التاريخ يثبت أن الحسن العسكري مات عقيماً.

فمؤسس الطائفة النصيرية هو محمد بن نصير النميري المتوفى سنة (٢٧٠هـ)، ثم تولى إمامة الطائفة بعده عبد الله بن محمد الجنبلاقي المتوفى سنة (٢٨٧هـ)، ثم الحسين بن حمدان

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١٣ / ٢٥٣)، مذاهب الإسلاميين (ص: ١١٦٩).

الخصيبي المتوفى سنة (٣٤٦هـ) الذي يعتبر الشيخ الأعظم عند النصيرية^(١).

ألقابهم:

كانوا يلقبون بالنميرية^(٢)، ثم اتخذوا اسم النصيرية منذ عهد شيخهم الخصيبي، وكان يسمون أنفسهم (المؤمنين) و(أهل التوحيد)، وفي فترة الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام تسموا بـ(العلويين)، وقيل: لقبوا به لقولهم بإلهية علي بن أبي طالب، ويلقبون أيضًا بـ(المعنوية)؛ لأنهم يقولون: إن علي بن أبي طالب هو المعنى، أي الإله^(٣).

طوائفهم:

ينقسم النصيرية إلى أربع طوائف:

- ١- الحيدرية: نسبة إلى (حيدر) لقب علي بن أبي طالب ﷺ، ويعتقدون أن نبينا محمداً ﷺ هو الشمس، وسلمان الفارسي هو القمر.
- ٢- الشمالية أو الشمسية: وهم يقولون: إن علياً هو السماء، وأنه يظهر من عين الشمس، ويقال لهم: الشمسية.
- ٣- الكلازية أو القمرية: ويعتقدون أن علياً يقيم في القمر.
- ٤- الغيبية: يقولون: إن الله تجلى ثم اختفى، والزمان الحالي هو زمان الغيبة، ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي ﷺ^(٤).

وليس بين هذه الطوائف اختلاف في أصول العقيدة الباطنية، كتأليه علي والتناسخ

(١) انظر: الحركات الباطنية، مصطفى غالب (ص: ٢٧١-٢٧٢).

(٢) انظر: فرق الشيعة، للتوبختي (ص: ٩٣-٩٤).

(٣) انظر: خطط الشام (٦/ ٢٦٠)، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص: ٣٢١).

(٤) انظر: مذاهب الإسلاميين (ص: ١٢٣٩).

والحلول، فالاختلاف بينهم في مقره بعضهم يجعل مقره القمر، وبعضهم الشمس.

عقائدهم:

الديانة عندهم سر من الأسرار، ونساؤهم لا دين لهن مطلقاً، لأنهم يعتبرونهن ضعيفات العقول لا يستطعن حفظ الأسرار، والرجل لا يطلع على سر ديانتهم إلا بعد أن يبلغ التاسع عشرة من عمره، فيلقن العقيدة النصرانية في جلسات خاصة، ووسط مؤثرات شتى، وإرهاب فكري، وطقوس غريبة، كما كشف ذلك أحد النصيريين^(١)، «وهم يخفون مقالتهم، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم، ويرون أنهم على الحق، وأن مقالتهم مقالة أهل التحقيق، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ»^(٢)، وعقائدهم خليط ملفق من ديانات ومذاهب شتى^(٣)، وتتلخص عقائدهم الأساسية فيما يلي:

١- تأليه علي بن أبي طالب، وقد جاء في كتابهم المسمى بـ(المجموع) وصف علي بن أبي طالب بأنه «أحد صمد لم يلد ولم يولد، وأنه قديم لم يزل، وجوهه نور، ومن نوره تسطع الكواكب، وهو نور الأنوار، تجرد عن الصفات، يشق الصخور، ويسجّر البحور، ويدبر الأمور، ويجرب الدول، خفي الجوهر»^(٤).

٢- تناسخ الأرواح عقيدة من عقائدهم، فالذين لا يعبدون علياً يولدون - في زعمهم

(١) وهو سليمان الأذني، الذي كان نصيرياً من أبناء مشايخ النصرانية، وقد تنصر بتأثير بعض المنصرين الأمريكيين. وألف كتاباً كشف فيه سر الديانة عند النصرانية سناه الباكورة السليمانية، وطبع هذا الكتاب المنصرين الأمريكيين، ولكن هذا الكتاب اختفي تدريجياً حتى لا يكاد يرى منه نسخة واحدة (انظر: دائرة معارف القرن العشرين ١٠ / ٢٤٩ وما بعدها)، وقد اطلعت على نسخة منه لدى الشيخ محمد بن قاسم في منزله، وأفاد بأنه قد اشتراها من لبنان، ثم رأيت طبعة منه نشرتها مكتبة العبيكان، لكنها سرعان ما نفذت، أما مؤلف الكتاب، فقد أخذ أهله يرأسونه ويحبون له العودة إليهم، حتى أمن جانبهم وعاد إلى وطنه الأصلي، وهناك قتلوه شر قتلة بإحراقه حياً!! (انظر: مقدمة الباكورة السليمانية).

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٣ / ٢٥٣).

(٣) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (١٠ / ٢٥٠).

(٤) المجموع نقلاً عن: مذاهب الإسلاميين (ص: ١٢٣٢).

- من جديد على شكل إبل أو حمير. أما المؤمن (وهو من يعبد عليًا عندهم) فيتحول سبع مرات بزعمهم، ثم يأخذ مكانه بين النجوم، ومن ينحرف منهم يولد من جديد، حتى يتطهر أو يكفر عن سيئاته^(١).

وقد جاء ذكر عقائدهم في كتابهم المسمى (تعليم ديانة النصيرية) وهو على طريقة السؤال والجواب، ومن ذلك:

س/ من الذي خلقنا؟

ج/ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

س/ من أين نعلم أن عليًا إله؟

ج/ مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر؛ إذ قال: «أنا الأول والآخر، أنا الباطن والظاهر... أنا مفتاح الغيوب، أنا مصباح القلوب، أنا نور الأرواح، أنا كنز أسرار النبوة».

س/ من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

ج/ محمد، كما قال هو في خطبة ختمها بقوله: «إنه [أي علي] ربي وربكم».

س/ إذا كان علي هو الرب، فكيف تجانس مع المتجانسين (أي اتخذ صورة إنسانية)؟

ج/ إنه لم يتجانس، بل احتجب في محمد في دور تحوله واتخذ اسم علي.

س/ ما أسماء مولانا أمير المؤمنين في مختلف اللغات؟

ج/ سماء العرب باسم (علي)، وهو نفسه سمي نفسه (أرسطوطاليس)، وفي الإنجيل

(١) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١ / ١٨٨)، الحركات الباطنية، مصطفى غالب (ص: ٢٧٣) وما بعدها، مذاهب الإسلاميين (ص: ١٢٣٣).

اسمه (إيليا/ إلياس) ومعناه: علي، والهنود يسمونه (ابن كنكره).

س/ هل يحق للمؤمن أن يبوح لإنسان آخر بسر الأسرار؟

ج/ لا يبوح به إلا لإخوانه في الدين، وإلا باء بسخط الله.

س/ ما هو القداس الأول؟

ج/ هو الذي يقام قبل دعاء النوروز.

س/ وما دعاء النوروز؟

ج/ تقديس الخمر في الكأس.

س/ ما هي الكلمة الظاهرة والكلمة الباطنة؟

ج/ الباطنة هي ألوهية مولانا، والظاهرة هي قدرته، فظاهرًا نقول عنه: مولانا علي بن

أبي طالب، ويعني هذا باطنًا: المعنى والاسم والباب، الله الغفور الرحيم.

س/ من من شيوخننا نشر الدعوة في كل البلاد؟

ج/ أبو عد الله الحسين بن حمدان.

س/ لماذا نسمى باسم الخصيبيّة؟

ج/ لأننا نتبع تعاليم شيخنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي^(١).

تأمرهم مع الأعداء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب

مصنفة، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بئر

(١) تعليم ديانة النصيرية، نقلًا عن: مذاهب الإسلاميين (ص: ١٢١٨-١٢٣١).

زمزم، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة^(١)، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى ... ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل، وانقهار النصارى، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى -والعياذ بالله تعالى- النصارى على ثغور المسلمين^(٢).

علاقتهم بالاثني عشرية:

جاء في مصادر الاثني عشرية القديمة تكفير النصيرية واعتبارها فرقة خارجة عن الإسلام^(٣)، لكن بعد قيام الدولة الخمينية (إيران) حرصت على ضم جميع الفرق التي تنسب إلى التشيع تحت رايتها، جاء في كتاب (العلويون شيعة أهل البيت) لأحد علماء الاثني عشرية المعاصرين وهو المدعو حسن الشيرازي أنه التقى بالنصيريين في سوريا ولبنان، وذلك بأمر من

(١) من المعلوم أن الذي اقتراف هذه الجرائم هم القرامطة الباطنية، وهذا يدل على أن شيخ الإسلام يذهب إلى أن الباطنية بكل فرقها ملة واحدة وإن اختلفت أسماؤها وتعددت فرقها، وهذا من دقيق فقه شيخ الإسلام وإدراكه لحقيقة هذه النحل الباطنية التي تتفق على الكيد للإسلام وأهله، وليس الأمر كما ادعى د. عبد الرحمن بدوي الذي قال في تقدمته لفتوى ابن تيمية في النصيرية: «جواب ابن تيمية عام يشمل النصيرية والإسماعيلية معاً، ويخلط بينهما، ويبدو من جوابه أنه لم يكن على علم دقيق بمذهبهم»، وعلل ذلك بأنه لم يقف على كتب النصيرية (مذاهب الإسلاميين ص: ١١٨)، وهو غير صحيح فقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه اطلع على كتبهم، فقال: «فإني وقفت على مقالة غلاة الإسماعيلية والنصيرية في كتبهم التي يضمنون بها إلا على خواص أكابريهم، فرأيتهم يصرحون فيها بنفي الصانع الخالق وجحوده بالكلية، كالْمذهب الذي ذكره الله عن فرعون وحزبه، وعن الذي حجاج إبراهيم في ربه» (جامع المسائل، ابن تيمية، المجموعة الرابعة ص: ٤٢٣)، والحقيقة أن جواب ابن تيمية يدل على فقه عظيم ومعرفة دقيقة بالحركات الباطنية وأساليبها في التلون والخداع، وظهورها بألقاب مختلفة، وأن هذه الحركات الباطنية كما يذكر الشهرستاني «لهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان» (الملل والنحل ١/ ١٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٥٠-١٥١).

(٣) انظر: بحار الأنوار (٢٥/ ٢٨٥).

مرجعهم الديني محمد الشيرازي، وقال: بأنه وجدهم كما يظن من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق، ويتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب، وقال بأن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية^(١)، هذا ولم ينكر على هذا الشيرازي أحد من شيوخ الاثني عشرية. وها نحن نرى أثر هذا التقارب اليوم في اجتماعهم على إبادة وتهجير أهل السنة في الشام.

مواطنهم:

يسكن النصيرية في جبال اللاذقية، وحماة وحمص في سوريا، وهي موطنهم الأصلي، وفي جنوب تركيا، وأطراف لبنان الشمالية، وفارس وتركستان الروسية، وفي كردستان وغيرها^(٢).

الحكم عليهم:

اتفق علماء المسلمين على كفر النصيرية، وأنه لا تجوز مناكحتهم ولا تحل ذبائحهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النصيرية كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم؛ بل ولا يقرون بالجزية؛ فإنهم مرتدون عن دين الإسلام ليسوا مسلمين؛ ولا يهود ولا نصارى، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج؛ ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما، وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين»^(٣)، ثم يقول: «ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات»^(٤).

(١) العلويون شيعة أهل البيت (ص: ٢-٣).

(٢) انظر: خطط الشام (٦/ ٢٦٢-٢٦٣)، الحركات الباطنية في الإسلام، مصطفى غالب (ص: ٢٧٢)، دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي (١٠/ ٢٤٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦١).

(٤) راجع الفتوى كاملة في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٤٥) وما بعدها.

ثانياً: البابية

تعريفهم:

البابية فرقة انبثقت من الشيعة الاثني عشرية (الرافضة)، وموطنها الأول إيران، وقد تفرعت من فرقة الشيخية سنة ١٨٤٤ م.

وسميت بالبابية نسبة لأول زعيم لها، والذي لقب نفسه بالباب، وهو علي بن محمد رضا الشيرازي الذي ادعى أنه الباب لمهدي الرافضة الاثني عشرية، ثم ادعى النبوة والرسالة، ثم زعم أن الله قد حلّ فيه، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

نشاتهم:

نشأت البابية في إيران، ومؤسسها هو علي الشيرازي - كما مر -، وترجع ظروف النشأة إلى عقيدة الغيبة والمهدية عند بني نحلته، وانتظارهم لمهديهم منذ مئات السنين، وقد اتصل به أحد دعاة الشيخية وهو جواد الطباطبائي، وأوهمه أنه ربما يكون هو المهدي المنتظر لظهور علامات ذلك عليه، وكان الجاسوس الروسي كنيازي دلكورجي يشجعه على ذلك بعد أن تظاهر بالإسلام، حتى أعلن في سنة ١٢٦٠ هـ أنه هو الباب الموصل إلى الإمام الغائب المنتظر^(١).

مؤسس البابية:

ولد مؤسس البابية بمدينة شيراز سنة (١٢٣٥ هـ)، وكان في بداية أمره من الشيخية

(١) انظر: البابية، لإحسان إلهي ظهير (ص: ٤٧) وما بعدها.

المنبثقة من الشيعة الاثني عشرية، وقد درس في النجف على يد كاظم الرشتي - أحد غلاة الشيعة - واستقى منه الغلو والتطرف، كما كان زعيم البابية يهتم بالجوانب الخرافية من العلوم، وقد ظهرت عليه علامات الشذوذ العقلي، وكان يصعد إلى سطح داره مكشوف الرأس، ويمكث في الشمس - في حرارة الصيف - من وقت الظهر إلى العصر وهو يتمتم ويتلو أوراد الشيعة وأذكارهم، فاعتراه بسبب ذلك ذهول وتخريف، ثم أظهر بعد ذلك وعمره (٢٥) سنة أوهامه وخرافات، وقد قتل بعد الحكم بارتداده سنة (١٢٦٥هـ)^(١).

مزاعمه وأوهامه:

- ١- ادعى أولاً أنه الباب والوسيلة للوصول إلى الإمام الخرافي المنتظر، الذي تنتظر الرافضة خروجه منذ مدة تزيد على أحد عشر قرناً.
- ٢- ثم تحول عن ذلك وزعم أنه هو بعينه الإمام المنتظر.
- ٣- ثم تجاوز ذلك وزعم أنه نبي مرسل، وأن له كتاباً أفضل من القرآن العظيم اسمه (البيان).
- ٤- وبعد ذلك تطور به الأمر وزعم أن الإله حل فيه.

أتباعه:

استجاب لمزاعمه، أو شاركه في تأمره سبعة عشر رجلاً وامرأة^(٢)، من الشيخية^(٣)، وقد

(١) انظر: البابية، إحسان إلهي ظهير (ص: ٤٩) وما بعدها.

(٢) وهي الملقبة بلقمة العين) وكان لها دور في نشر البابية. انظر في شرح مؤامراتها: حقيقة البابية والبهائية (ص: ١١١) وما

بعدها، البابية، لإحسان إلهي ظهير (ص: ٥٨).

(٣) أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، أحد غلاة الشيعة، كما مر.

تفرق هؤلاء في مدن إيران للدعوة لهذه النحلة، وقد أوعزت اليهودية العالمية إلى يهود إيران أن يدخلوا في هذه الفرقة بصورة جماعية، ففي طهران دخل فيها (١٥٠) يهودياً، وفي همدان (١٠٠) يهودي، وفي كاشان (٥٠) يهودياً، وفي كلباكليا (٨٥) يهودياً، كما دخل حبران من أحبار اليهود إلى البابية في همدان وهما الحبر الباهو، والحبر لازار^(١)، ودخول هذا العدد الكبير من اليهود في مدة قصيرة في هذه النحلة يكشف التواصل بين الاثني عشرية بطوائفها وبين اليهود، بل يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ليأس عباس وأبيه قبله من أن يتبعها كثيرون من المسلمين وجهوا وجهتهم شطر أهل الديانات الأخرى، ولذلك كثر أتباع هذا المذهب في النصارى واليهود والمجوس حول فارس والبلاد التي تصاقبها»^(٢).

مؤتمر بدشت وإعلان كفرهم فيه :

عقد الباب وأتباعه مؤتمرًا لهم في صحراء (بدشت) بإيران سنة (١٢٦٤هـ) وكشفوا فيه عن كفرهم، فأعلنوا نسخ الإسلام بدينهم الخرافي، وخالفوا المسلمين في أركان الإسلام وفي الأعياد والموارث وغيرها^(٣).

كتاب الديانة البابية :

زعم الباب أنه نزل عليه كتاب من الله اسمه (البيان) فنسخ به القرآن الكريم.. واعتبر كل من لم يؤمن بهذا «الكتاب» كافرًا، يستحق القتل، وقتل مخالفينهم يعتبرونه من أفضل القربات.

(١) انظر: النحلة اللقيطة (البابية والبهائية) تاريخ ووثائق، د. عبد المنعم النمر (ص: ٣٦).

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية (ص: ٢٠٧).

(٣) انظر: البابية والبهائية تاريخ ووثائق (ص: ٥٤).

والقارئ لهذا الكتاب يجد أنه مليء بالأخطاء اللغوية والنحوية والبلاغية، كما يتجلى فيه الجهل المركب بشؤون الكون والحياة والعمران، بل تجد خفة العقل، وضعف التفكير بادية على الكتاب من أوله إلى آخره.

كما يرى القارئ فيه جملاً يناقض أولها آخرها، وكلاماً مركباً لا يوحى بمعنى ولا يومئ إلى دلالة، بل هو أشبه بهذيان المجانين.
ومن أمثلة ذلك:

قوله: «إنا قد جعلنا جليلاً للجاللين، وإنا قد جعلناك عظيماً للعظيمين، وإنا قد جعلناك نوراً نوراً للناورين، وإنا قد جعلناك تماماً تمياً للتامين، قل إنا قد جعلناك كماً كميلاً للكاملين، قل إنا قد جعلناك كبيراً للكابرين..» إلى آخر هذا اللغو.

- ومن غرائبه في وحيه المزعوم «تبارك الله من شمش شمش شمش، تبارك الله من بدخ مبدخ مبدخ، تبارك الله من بدء مبدئ بدئ».

ثالثاً: البهائية

تعريفهم:

البهائية امتداد للبابية، فإن الحركة البابية لم تقف بعد هلاك الباب، بل تطورت على يد تابع من أتباع الباب هو الميرزا حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء^(١)، بعد أن غيرت وبدلت في تعاليمها كما تفعل الباطنية في كل بلد وزمن، وقد احتضنتها الصهيونية العالمية، وصارت أحد أدواتها.

نشأتهم:

كانت نشأت البهائية على يد الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس المازندراني، المولود بطهران سنة (١٢٣٣هـ)، وقد نشأ على مذهب الاثني عشرية، الذي يقوم على عقيدة انتظار عودة مهديهم المزعوم وخروجه من محبته، وكان شغوفاً بقراءة ما يتعلق بأخبار مهديهم، وعندما أعلن الباب أنه المهدي الذي تنتظره الرافضة اتبعه، وبدأ ينشر تعاليمه، وحضر مؤتمر بدشت الذي أعلنت البابية فيه عن كفرها، وقد سجن بعد مؤامرة البابيين على الشاه وأخرج من السجن بضغط من السفارة الروسية والبريطانية ونفي إلى بغداد^(٢).

وقد تنازع البهاء مع أخيه الميرزا يحيى نور الذي لقبه الباب بـ«صبح أزل» والذي عهد إليه الباب بالخلافة كما تقوله كتب البابيين، ووقع بين الأخوين صدام شديد وادعى كل منهما أن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه ويكذب دعوى أخيه، ففرقت بينهما الحكومة التركية

(١) انظر: نهافت البابية والبهائية، د. مصطفى عمران (ص: ١٢١-١٢٣).

(٢) انظر: البهائية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير (ص: ٧) وما بعدها، النحلة اللقيطة (البابية والبهائية) تاريخ ووثائق (ص: ٧٥).

ففت البهاء إلى مدينة عكا ونفت صبح أزل إلى قبرص، إلا أن البهاء استطاع التغلب على أخيه، وكانت نهاية الأزليين على يد البهائيين، وخلا الجو للبهاء وأتباعه، وظهرت البهائية خلعاً للباية^(١).

مزاعم البهاء وشيء من ضلالتة :

- ١- ادعى أولاً أنه خليفة الباب، ثم زعم أنه هو المهدي المنتظر وأن أستاذه الباب لم يكن إلا مبشراً به^(٢).
- ٢- ثم ادعى النبوة والرسالة، وزعم أنه أوحى إليه بكتاب (الأقدس)، وأنه ناسخ لكتاب الباب (البيان)^(٣).
- ٣- ثم ادعى الألوهية، وأن الله تجلى وحلَّ فيه، يقول في كتابه (الأقدس): «إنه لا إله إلا أنا الفرد الباقي القديم»^(٤)، ويقول أيضاً: «من توجه إليَّ فقد توجه إلى المعبود»^(٥)، وكان يضع برقاً على وجهه، ويدعي أن (بهاء الله) المتجلي في وجهه لا يرى بالأبصار^(٦)، ويصرح البهائيون في كتبهم بأن ربهم هو الميرزا حسين البهاء^(٧).
- ٤- اعتبر دعوته ديانة جديدة ليست هي الإسلام، وأنها تجمع الأديان كلها، وأرسل كتبه إلى الحكام مدعياً حلول الله فيه، وسمى هذه الكتب سوراً^(٨).

(١) انظر: النحلة اللقيطة (الباية والبهائية) تاريخ ووثائق (ص: ٧٢-٧٤).

(٢) انظر: نهفت البايية والبهائية (ص: ١٣١).

(٣) انظر: نهفت البايية والبهائية (ص: ١٣٥).

(٤) الأقدس (ص: ٥٣).

(٥) الأقدس (ص: ٨١).

(٦) وقد التقطت له صور وهو في هذه الحالة، منها صورة نشرت في كتاب (الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية).

(٧) انظر: دراسات في البهائية والباية (ص: ٣٢، ٣٧).

(٨) انظر: البهائية نقد وتحليل (ص: ٩١-٩٣).

٥- جعل المكان الذي يقيم فيه هو القبلة التي يتوجه إليها أتباعه في صلاتهم^(١)، جاء في كتابهم (الأقدس): «وإذا أردتم الصلاة ولوا وجوهكم شطري الأقدس المقام المقدس الذي جعله الله مطاف الملأ الأعلى، ومقبل أهل مدائن البقاء ومصدر الأمر لمن في الأرضين والسموات»^(٢)، والصلاة عندهم ليست كصلاة المسلمين، يقول: «قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال»^(٣).

٦- عيدهم هو عيد المجوس، وهو النيروز، ففي كتابهم (الأقدس): «وجعلنا النيروز عيداً لكم»^(٤).

كتاب البهائية:

ألف الباب كتابه (البيان)، ثم جاء البهاء فنسخه بكتابه (الأقدس)، ويقول فيه: «قد رفع الله ما حكم به البيان في تحديد الأسفار، إنه هو المختار يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد»^(٥)، وقد طبع (الأقدس) على هيئة المصحف، وقد تصفحت الكتاب فوجدته مشحوناً بالأفكار السخيفة، والمعاني الساقطة والأحكام العشوائية، والجهل المركب بأمر الحياة والمجتمع والإنسان، مع التراكم الضعيفة والأخطاء الفاحشة، والمحاولة المضحكة لتقليد القرآن بطريقة مفضوحة.

ومن هديانه قوله: «إنا أمرناكم بكسر حدودات النفس والهوى، لا ما رقم من القلم

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل (ص: ١٥٠).

(٢) الأقدس (ص: ٥).

(٣) الأقدس (ص: ٥).

(٤) الأقدس (ص: ١١).

(٥) الأقدس (ص: ٧٦).

الأعلى، إنه لروح الحيوان لمن في الإمكان»^(١).

ويقول في قسمة الموارث: «قد قسمنا الموارث على عدد الزاء منها قدر لذرياتكم من كتاب الطاء على عدد المقت، وللأزواج من كتاب الحاء على عدد التاء والفاء وللآباء من كتاب الزاء على عدد التاء والكاف»^(٢).

ويقول في أحكام المياه: «إياكم أن تستعملوا الماء الذي تغيرَ بالهواء أو بشيء آخر كونوا عنصر اللطافة بين البرية، هذا ما أراد لكم مولاكم العزيز الحكيم»^(٣).

ويقول في تعليم أتباعه دفن الموتى: «قد حكم الله دفن الأموات في البلور أو الأحجار الممتنعة أو الأخشاب الصلبة اللطيفة، ووضع الخواتيم المنقوشة في أصابعهم، إنه هو المقدر العليم، يكتب للرجال: والله ملك السموات والأرض وما بينهما، وكان الله بكل شيء عليماً، وللورقات»^(٤): «والله ملك السموات وما بينهما، وكان الله على كل شيء قديراً»^(٥).

ويقول: «قل يا ملك برلين اسمع النداء من هذا الهيكل المبين، إنه لا إله إلا أنا الباقي الفرد القديم، إياك أن يمنعك الغرور عن مطلع الظهور، أو يحجبك الهوى عن مالك العرش والثرى، كذلك ينصحك القلم الأعلى إنه هو الفضل الكريم»^(٦).

وهكذا يمضي في هذيانه هذيان المجانين»^(٧).

(١) الأقدس (ص: ٢).

(٢) الأقدس (ص: ١٤).

(٣) الأقدس (ص: ٤٦).

(٤) كذا بالأصل!

(٥) الأقدس (٧٣-٧٤).

(٦) الأقدس (ص: ٥٣).

(٧) وكان حقه أن يوضع في أقسام علاج المجانين في مستشفى الأمراض العقلية، لا أن يكون له دين وأتباع ومراكز منتشرة في العالم، لكن العدو المترصص بالأمّة يغذي هذه الطوائف ويدعم أصحابها.

وقد شعر البهائيون بانكشاف أمرهم فلم يطبعوا كتاب (الأقدس) من مدة طويلة، بل كانوا يمنعون أتباعهم من طبعه خوفاً من الخزي والفضيحة، فهذا هو ابن البهاء عباس والذي ورث عن أبيه زعامة البهائية يرد على من يستأذنه في طبع (الأقدس): «إن الكتاب الأقدس لو طبع لانتشر ووقع في أيدي الأراذل والمتعصبين؛ لذا لا يجوز طبعه».

البهائية بعد وفاة البهاء:

بعد وفاة البهاء خلفه ابنه عباس، ولقب نفسه بـ(عبد البهاء) فغير في تعاليم أبيه كما غير أبوه في تعاليم الباب، وقد حور تعاليم أبيه بما يتفق مع العقلية والثقافة الغربية فاتجه إلى النصرانية واليهودية يأخذ منها، وتحمس له بعض الغربيين، فأصبح له مركز في شيكاغو، ومجلة باسم «نجم الغرب» صدرت سنة (١٩١٠م)، وكان حريصاً على نشر البهائية، حتى قيل: لولا عباس أفندي لما قامت للباوية ولا البهائية قائمة، وقد ادعى عباس أن أسفار اليهودية والنصرانية بشرت بالبهاء وابنه.

ثم حدث خلاف بينه وبين محمد علي المازندراني أدى إلى انقسامهم إلى فرقتين:

١- العباسية الموالية لعباس أفندي.

٢- الموحدين، الموالية لمحمد علي بن حسين المازندراني^(١).

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل (ص: ٣٢٦).

الحكم على البابية والبهائية:

قال العلامة الألويسي: «وقد ظهر في هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية، لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوي العقول»^(١).
أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بيانًا حول البهائية، جاء فيه: «البهائية فكر خليط من فلسفات وأديان متعددة... تعمل لخدمة الصهيونية والاستعمار، فهي سلبية أفكار ونحل ابتليت بها الأمة الإسلامية حربًا على الإسلام وباسم الدين»، وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر فتاوى بردة من يعتنق البهائية، وصدرت فتاوى دار الإفتاء المصرية بأن البهائيين مرتدون عن الإسلام»^(٢).

وقال شيخ الأزهر عبد المجيد سليم في جواب سؤال وجه إليه من وزارة العدل المصرية حول قانون الأحوال الشخصية لجماعة البهائيين ما نصه: «إن هذه الطائفة ليست من المسلمين كما يعلم ذلك من عرف معتقداتهم، ويكفي في ذلك الاطلاع على ما سموه قانون الأحوال الشخصية على مقتضى الشريعة البهائية المرافق للأوراق، ومن كان منهم في الأصل مسلمًا أصبح باعتقاده لمزاعم هذه الطائفة مرتدًا وخارجًا عنه، تجري عليه أحكام المرتد المقررة في الدين الإسلامي القويم»^(٣).

وسئل مفتي الديار المصرية أحمد هريدي عن ميراث ابن اعتنق البهائية، فأجاب: «لا شيء لابنه الذي اعتنق البهائية قبل وفاة والده واستمر معتنقًا لها إلى الآن؛ لأنه باعتناقه المذهب البهائي يكون مرتدًا عن الإسلام، والمرتد لا يرث أحدًا من أقاربه أصلًا، كما هو

(١) روح المعاني (١١/ ٢١٩).

(٢) انظر: البابية والبهائية.. تاريخ ووثائق (ص: ١٦٥-١٦٨).

(٣) المنار المنيف في فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف (ص: ٢٢٤).

منصوص عليه شرعاً»^(١).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «إن الدروز والنصيرية والإسماعيلية، ومن هذا حذوهم من البابية والبهائية قد تلاعبوا بنصوص الدين، وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله، وسلكوا مسلك اليهود والنصارى في التحريف والتبديل؛ اتباعاً للهوى، وتقليداً لزعيم الفتنة الأول عبد الله بن سبأ الحميري»^(٢).

وجاء فيها أيضاً: «لهذه الطائفة الخبيثة [أي: البهائية] عقائد فاسدة كثيرة، منها: ادعاء بعض دعواتها النبوة، وقولهم بالحلول والاتحاد، وتحريم الجهاد، والدعوة إلى وحدة الأديان وغير ذلك. فالواجب على المسلمين جميعاً الحذر والتحذير من الوقوع في شباك هذه النحلة الكافرة، والتأثر بأفكارهم وكتبهم»^(٣).

ولما سئل سماحة الشيخ ابن باز عن حكم دفن البهائيين في مقابر المسلمين، أجاب: «لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين؛ لأن من ادعى النبوة بعد نبينا محمد ﷺ فهو كاذب وكافر بالنص وإجماع المسلمين؛ لأن ذلك تكذيب لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]»^(٤).

(١) المنار المنيف في فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف (ص: ٢٢٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ١٣٣).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ١١٧).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٦٩).

المبحث السابع الشيعة الإسماعيلية

تعريفهم:

الإسماعيلية فرقة باطنية تدعي التشيع لآل البيت، وكانوا من جملة الرافضة الذين رفضوا زيد ابن علي سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ، ثم سموا بالإسماعيلية بعد وفاة جعفر (١٤٨ هـ)، لقولهم: «الإمام بعد جعفر: إسماعيل بن جعفر، وادعوا أن جعفرًا أشار إليه في حياته ودل الشيعة عليه، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر من بعده، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر»^(١).

نشأتهم:

بعد وفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ هـ افترت الرافضة - كعادتها في الافتراق بعد وفاة كل إمام تدعي الانتساب إليه - إلى عدة فرق عدها النوبختي ستًّا^(٢)، فمن قائل: إن جعفرًا حيٌّ لم يمت حتى يظهر ويبي أمر الناس وهو المهدي^(٣)، ومن قائل: إن الإمام بعد جعفر ولده موسى^(٤)، ومن قائل: إن الإمام بعده ابنه إسماعيل، وهم الإسماعيلية.

ويذكر البغدادي أن الإسماعيلية افترت فرقتين بعد وفاة إسماعيل:

(١) فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه، وتسمى بـ(الإسماعيلية الخالصة).

(١) الزينة، للرازي (ص: ٢٨٧) ضمن كتاب (الغلو والفرق الغالية)، والرازي هذا هو أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، وهو من أكبر الدعاة إلى الإسماعيلية، توفي سنة ٣٢٢ هـ. انظر: أعلام الإسماعيلية (ص: ٩٧)، وراجع: لسان الميزان (١/ ١٦٤).

(٢) انظر: فرق الشيعة (ص: ١٤٨).

(٣) ويسمون بـ(الناوسية) نسبة لرئيسهم يقال له الناوس. انظر: المصدر السابق (ص: ١٤٨).

(٤) انظر: اعتقادات فرق المسلمين (ص: ٨١).

(٢) فرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إن جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل (ت ١٤٣ هـ) في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية^(١).

ثم ابتدئ من محمد بن إسماعيل بالأئمة المستورين الذين كانوا يسرون في البلاد سرًا ويظهرون الدعاة جهراً^(٢)، وأئمة الستر الذين خلفوا محمد بن إسماعيل وترتيبهم أمر مختلف فيه بينهم^(٣)، وأول أئمة الظهور عندهم عبيدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية^(٤)، وآخر أئمة الظهور هو المستنصر أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم العبيدي^(٥).

هذا ما يتعلق بنشأة الإسماعيلية من حيث دعاوى الإمامة وتعيين الأئمة عندهم، وهو أصل مذهبهم، أما ما يتعلق بنشأة معتقدتهم الباطني فلا ريب أنه مرتبط أيضاً بهذه الدعاوى حول الإمامة والأئمة، بل هي الستار الذي يتقنعون به منذ دعوى ابن سبأ النص والوصية، لكن بعض علماء المقالات حدد نشأة المذهب الباطني بعد ذلك، فالبغدادي يذكر أنها نشأت

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٦٢-٦٣).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٢)، وانظر: أصل الموحدين الدرور، أمين محمد طليح (درزي) (ص: ١٨٠).

(٣) فالرواية الفاطمية تذكر: عبدالله وأحمد وحسين، والرواية الفارسية النزارية تذكر: أحمد ومحمد وأحمد، والرواية الهندية النزارية: تذكر أحمد ومحمد وعبدالله، والرواية الدرزية تذكر: إسماعيل الثاني، محمد، أحمد، عبدالله، محمد، حسن، وأحمد (أي سبعة بدلاً من ثلاثة) (دائرة المعارف ٣/ ٣٨٤).

(٤) حقق كثير من الأئمة كابن تيمية (مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٣-٩٤) وابن كثير (البداية والنهاية ١١/ ٥٨٢) وغيرهما أن الفاطميين أديعاً للنسب الفاطمي، وقد نقل د. لويس في كتابه (أصول الإسماعيلية) عن كتاب إسماعيلي سري اسمه (غاية المواليد) اعترافاً لهم بأن عبيدالله (مؤسس الدولة الفاطمية) لم يكن علويًا. (أصول الإسماعيلية ص: ٧٤)، ثم بين د. برنارد لويس حقيقة استعماهم لكلمة أب وابن وأنهم يستعملونها في غير معناها الحقيقي بل بمعنى (الأبوة الروحانية) (أصول الإسماعيلية ص: ١١٧).

(٥) انظر: في أدب مصر الفاطمية، محمد كامل حسين (ص: ٢٢).

(٦) انظر: طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين (ص: ٤٥).

في عصر المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، فيقول عن الباطنية: «إنها دعاة المجوس بالتمويه إلى دين الثنوية، وسبب ذلك أن المجوس في زمان المأمون تشاوروا في استدراك ملكهم، فعلموا عجزهم عن قهر المسلمين، فدبروا في تأويل أركان الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفعها، وانتدب لذلك حمدان بن قرمط زعيم القرامطة، وعبد الله بن ميمون القداح جد زعيم الباطنية بمصر، وخالفا مع أتباعها المسلمين في التوحيد والنبوات، وفي تأويل الآثار والآيات»^(١)، وقال أيضًا: «وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان، وميمون بن ديصان في سجن والي العراق، أسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن»^(٢).

بينما يحدد الديلمي السنة التي نشأ فيها المذهب الباطني بأنها سنة (٢٥٠هـ)، فيقول: «اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية -سلط الله عليهم طوفان نوح وريح عاد وحجارة لوط وصاعقة ثمود- كان في خمسين ومائتين من الهجرة، وضعه قوم تطابقوا، وكان في قلوبهم بغض للإسلام، وبغض للنبي ﷺ من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود ليسلخوا الناس عن الإسلام بعد قوته، وبعثوا الدعاة إلى الآفاق والأطراف ليدعو الناس إلى هذا المذهب الميشوم»^(٣) لعل المملكة ترجع إليهم»^(٤).

لكنه يذكر قولاً آخر لنشأة الباطنية، وهو سنة (١٧٦هـ)، فيقول: «وقيل: أصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والعصيان والطغيان ظهور ميمون

(١) أصول الدين (ص: ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٦).

(٣) كذا بالأصل، والمراد: (المشؤوم)، وهو من ألحان العامة كما نبه عليه غير واحد من أئمة اللغة. (انظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي ص: ٥٠٣، تاج العروس، الزبيدي ١/ ٨٩).

(٤) بيان مذهب الباطنية وبطلانه (ص: ٣-٤).

القداح في الكوفة سنة ست وسبعين ومائة من التاريخ»^(١).

والحق أن جذور المذهب الباطني يرجع إلى الكيد اليهودي الذي ابتدأ على يد ابن سبأ، والكيد الفارسي بعد سقوط دولتهم وزوال ملكهم على يد المسلمين، كما سبق، ثم تطور هذا الكيد على يد ميمون القداح وابنه عبد الله وحمدان قرمط الذين انتسبوا إلى الإسماعيلية، وألوا أركان الشريعة، لكن ما ذكره البغدادي والديلمي وغيرهما يرجع إلى نشأة خلايا باطنية، وهذا حق، وليس المراد نشأة أصل المذهب الإسماعيلي الباطني.

جذورهم:

١- الأصل اليهودي، وذلك عن طريق ابن سبأ الذي أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصرانية، حيث ادعى بولس ألوهية المسيح، وادعى ابن سبأ ألوهية علي عليه السلام، وقد أشار ابن حزم إلى ذلك، فذكر تأثير بولس اليهودي في النصرانية، وعقب على ذلك بقوله: «وهذا أمر لا نبعده عنهم؛ لأنهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا، فبعد عليهم بلوغ أربهم من ذلك، وذلك بإسلام عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودي الحميري -لعنه الله- ليضل من أمكنه من المسلمين فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون في علي أن يقولوا بإلهية علي عليه السلام، كما نهج بولس لأتباع المسيح عليه السلام أن يقولوا بإلهيته، وهم الباطنية والغالية إلى اليوم، وأخفهم كفرًا الإمامية -على جميعهم لعائن الله تترى-»^(٢).

٢- الأصل المجوسي، وقد أشار إلى ذلك البغدادي، فقال: «ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين، فوضع للأغمار منهم أساسًا من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتألوا آيات القرآن، وسنن النبي عليه السلام على موافقة

(١) بيان مذهب الباطنية ويطلانه (ص: ٤).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٦٤).

أساسهم»^(١).

٣- الأجل الفلسفي، حيث ذكر الشهرستاني تأثرهم بالفلاسفة، فقال: «الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج»^(٢). ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن جذورهم ترجع إلى الفلاسفة والمجوس معاً، حيث يقول فيهم: «غايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوساً، وقولهم مرگب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقاً»^(٣).

٤- الأجل الصابئي، قال عبد القاهر البغدادي: «ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحرّان، واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرائية، واستدل أيضاً بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم، والباطنية أيضاً لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم بعد إحلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم»^(٤).

والصواب أن كل ذلك حق؛ فهم أخذوا من اليهود والمجوس والفلاسفة والصابئة، ويشهد لذلك ما ذكره الغزالي أنهم «يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونها عليها»^(٥)، وما قرره د. محمد كامل حسين -وهو الخبير بمذهبهم- من أن الإسماعيلية «استفادوا من كل الآراء التي قال بها الفلاسفة القدماء، ومن كل الديانات والعقائد القديمة، ومزجوا ذلك كله بالدين الإسلامي، فاستنبطوا بذلك عقيدة هي مزيج عجيب من كل الفلسفات، وكل الديانات»^(٦).

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٩).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٩٢-١٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٢).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ٢٧٨)، وانظر: خطط الشام (٦/ ٢٥١).

(٥) انظر: فضائح الباطنية، الغزالي (ص: ٣٧).

(٦) طائفة الإسماعيلية (ص: ١٣١) بتصرف يسير.

ألقابهم:

يلقبون بالإسماعيلية؛ لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر، ويلقبون بالسبعية؛ لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور، وقيل: سموا بذلك؛ لقولهم بأن تدابير العالم السفلي منوطة بالكواكب السبعة^(١)، وبالفاطمية؛ لدعواهم أنهم من نسل فاطمة ~~عليها~~، وبالعبودية؛ نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس دولتهم، وبالقرامطة؛ نسبة إلى أشهر دعواتهم وهو حمدان قرمط، وبالخرمية؛ نسبة إلى أن حاصل مذهبهم الإباحة وتحصيل اللذة^(٢)، وبالبابكية؛ نسبة إلى بابك الخرمي أحد دعواتهم، وبالمحمرة؛ لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك، وبالتعليمية؛ لحصرهم تلقي العلوم من الإمام المعصوم^(٣).

وقد حاول علماء الفرق والمقالات إحصاء ألقابهم، فذكر الغزالي لهم عشرة ألقاب، هي: الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والخرمية، والخرمدينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمرة والتعليمية^(٤).

أما ابن الجوزي فيذكر من ألقابهم ثمانية هي ما ذكره الغزالي باستثناء لقبى: القرمطية، والخرمدينية^(٥).

أما الفقيه المؤرخ محمد بن الحسن الديلمي، فقد ذكر لهم خمسة عشر لقباً هي ما ذكره الغزالي مع زيادة هذه الألقاب: المباركية، والإباحية، والملاحدة، والزنادقة، والمزدكية^(٦).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين، تارة يسمون

(١) انظر: فضائح الباطنية (ص: ١٦).

(٢) حُرْمٌ: لفظ فارسي يدل على الشيء المستلذ، وكان لقباً للمزدكية (انظر: مذاهب الإسلاميين ص: ٧٥٢).

(٣) انظر: فضائح الباطنية (ص: ١٦-١٧)، مذاهب الإسلاميين (ص: ٧٥١-٧٥٢).

(٤) فضائح الباطنية (ص: ١١).

(٥) تلييس إبليس (ص: ١٠٢-١٠٦)، ويقول محمد الصباغ في تحليل ترك ابن الجوزي للقبين: «لعله اعتبرهما لهجة في نطق

الخرمية والقرامطة» (القرامطة، ابن الجوزي، هامش ص: ٣٥، تحقيق: محمد الصباغ).

(٦) قواعد عقائد آل محمد (ص: ٣٤).

الملاحدة، وتارة يسمون القرامطة، وتارة يسمون الباطنية، وتارة يسمون الإسماعيلية، وتارة يسمون النصيرية، وتارة يسمون الخرمية، وتارة يسمون المحمرة، وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم^(١).

ويذكر الشهرستاني أن ألقابهم تختلف باختلاف البلدان: فبالعراق يسمون: الباطنية، والقرامطة، والمزدكية، وبخراسان: التعليمية، والملحدة^(٢)، ثم إن لهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان^(٣).

ويقول عنهم الشهرستاني: إنهم «يقولون: نحن الإسماعيلية؛ لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص^(٤)».

ويلاحظ هنا أن هذه الألقاب للإسماعيلية جعلت مفهوم الإسماعيلية يشمل كل الفرق الشيعية الغالية، بل إن بعض هذه الألقاب لا تندرج تحت وصف التشيع مثل: البابكية نسبة إلى بابك الخرمي، كما أن بعض هذه الألقاب عبارة عن لقب واحد اختلفت ألفاظه، كالقرامطة، والقرمطية، كلاهما نسبة إلى حمدان قرمط، كما أن البعض من هذه الألقاب عبارة عن أسماء لفرقهم المختلفة والتي تشترك فيما بينها في المسلك الباطني وفي الهدف والغاية، وهي تقويض دعائم الإسلام وأساسه على ما بينها من اختلاف، كما أن بعض الفرق الإسماعيلية إنما هي عبارة عن مراتب للدعوة الإسماعيلية، ذلك أن المدعو لا يعرف إلا المرتبة التي وصل إليها فيصور الفرقة على أساس أنها تلك المرتبة التي وصل إليها، وهكذا قد تفسر المراتب على أساس أنها فرق، ذلك أن سبيل دعوتهم ليس بمتعين في فن واحد، بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم والموالة لإمامهم.

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٥٢).

(٢) الملل والنحل (١ / ٢٩٢).

(٣) المصدر السابق (١ / ١٩٢).

(٤) الملل والنحل (١ / ١٩٢).

يقول الشهرستاني: «وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا»^(١).

سرية مصادرهم:

للإسماعيلية مصادرهم السرية التي لا يأذنون لأحد بالاطلاع عليها، يقول أحد الإسماعيليين المعاصرين: «إن لنا كتبًا لا يقف على قراءتها غيرنا، ولا يطلع على حقائقها سوانا»^(٢). وكما حججوا مصادرهم السرية عن مخالفيهم -بل حججوها عن عوام أتباعهم- كذلك فإنهم أحاطوها بسياج من الحماية تمنع من فهم حقيقتها؛ وهو صياغتها بلغة رمزية باطنية أشبه بالطلاسم والألغاز، حتى ربما يتوهم الغر بأن للقوم دينًا لا تدركه عقولهم، والحقيقة أنها تنطوي على معاني الزندقة والإلحاد.

ولهم كتب علنية وضعت بهدف الدعاية إلى النحلة والدفاع عنها، فقد نشرت في هذا العصر مجموعة من مخطوطات الإسماعيليين، إلا أن معظمها ليست من كتبهم السرية، ولهذا يقول د. علي النشار عن نشرات محمد كامل حسين لكتب الإسماعيلية: «وقد قدم لنا عددًا كبيرًا من مخطوطات الإسماعيلية في نشرات علمية، وقد أجهد نفسه في سبيل توضيح عناصر هذا المذهب، غير أنني ألاحظ أنه فيما خلا كتب الكرمانى التي نشرها د. محمد كامل حسين فإن الكتب التي قدمها لنا ليست من الكتب السرية»^(٣).

وذكر الشيخ إحسان إلهي ظهير أنهم لا يفصحون عن عقائدهم التي يعدونها من علم الحقائق إلا في «كتب سرية خالصة يعبر عنها بكتب الباطن أو بكتب الحقيقة، وأنها محرمة إلا على الذين سمح لهم وأذن بالاطلاع عليها من قبل الأئمة أو الدعاة المطلقين للأئمة، ولا يحق

(١) الملل والنحل (١/ ١٩٢).

(٢) الحركات الباطنية في الإسلام، مصطفى غالب (ص: ٦٧).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي (٢/ ٣٩٤).

لأحد مهما كان شأنه ومقامه أن يتناول هذه الكتب ويمسها، وينظر فيها، ويطلع على مطالبها ومقاصدها، كما لا يحق لأحد من المأذونين أن يناول تلك الكتب أو واحدًا منها التي أذن له بالنظر فيها ومطالعتها أن يعطيها لأحد غيره، أو يخبره بما قرأ منها، وأهم هذه الكتب التي تعد من كتب الحقيقة هي (كنز الولد) للداعي إبراهيم بن حسين الحامدي المتوفى ٦٦٧هـ، و(الشموس الزاهرة) للداعي حاتم بن إبراهيم المتوفى ٥٩٦هـ، و(الأنوار اللطيفة) للداعي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني المتوفى ٥٨٤هـ، و(الذخيرة في الحقيقة) للداعي علي بن الوليد المتوفى ٦١٤هـ، و(المبدأ والمعاد) للداعي حسين بن علي بن محمد بن الوليد المتوفى ٦٦٧هـ، وغيرها من الكتب^(١).

ولكن الآن تسربت كثير من كتبهم وانتشرت، ولم يبق من سريتها سوى طلاسماها ورموزها.

عقائدهم:

ذكر الغزالي مجمل مذهبهم فقال: «إنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم^(٢)، ثم فصل القول في مذهبهم. وقال ابن الجوزي في تلخيص مذهبهم: «فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أن الله حق وأن محمدًا رسول الله والدين صحيح، لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة^(٣)».

وقال فخر الدين الرازي: «اعلم أن الفساد اللازم من هؤلاء -يعني الباطنية- على

(١) الإسماعيلية (ص: ٣٩٥-٣٩٦).

(٢) فضائح الباطنية (ص: ٣٧).

(٣) تلييس إبليس (ص: ٩٩).

الدين الحنيفي أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار وهم عدة فرق، ومقصودهم على الإطلاق إبطال الشريعة، ونفي الصانع، ولا يؤمنون بشيء من الملل، ولا يعترفون بالقيامة، إلا أنهم لا يتظاهرون بهذه الأشياء إلا بالآخرة^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السالفة»^(٢).

ويتبين ذلك بالوقوف على عقائدهم في الإلهيات والنبوات والقيامة والتكاليف الشرعية وغيرها، وفيما يلي بيان لمجمل اعتقادهم في ذلك:

١ - اعتقادهم في الإلهيات يتضمن عدة أمور:

الأول: أنهم أنكروا أسماء الله وصفاته، يقول شيخهم إبراهيم الحامدي: «فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يوماً إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه: حيًّا ولا قادرًا ولا عالماً ولا عاقلاً ولا كاملاً ولا تامًّا ولا فاعلاً؛ لأنه مبدع الحي القادر العالم العاقل التام الكامل، ولا يقال له: ذات؛ لأن كل ذات حاملة للصفات...»^(٣)، ويقول الكرمانى: «إنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات، وأنه لا بجسم ولا في جسم، ولا يعقل ذاته عاقل»^(٤)، بل بلغ بهم الإلحاد في أسمائه وصفاته إلى أن قالوا: لا يجوز أن نصف الله تعالى بصفة الوجود، وحتى لا يصدمو مشاعر المسلمين - كما يعبر د. عبد الرحمن بدوي^(٥) - استعملوا كلمة (أيس) بدل

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ١١٩)، وانظر: البدء والتاريخ، للمقدسي (٥/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٤٩).

(٣) كنز الولد (ص: ١٣-١٤).

(٤) راحة العقل (ص: ١٣٥).

(٥) انظر: مذاهب الإسلاميين (ص: ٩٦٦).

(وجود)، وقالوا ببطلان كونه أيّساً^(١)، يعني موجوداً.

الثاني: أنهم بعد أن نفّوا عن الله تعالى الأسماء والصفات، بل والوجود، قاموا بإحياء دين المجوسية القائلين بإلهين: النور والظلمة، لكنهم سموهما: السابق والتالي، فزعموا أن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه، وهو (العقل الأول) و(السابق)، وظهر عنه (التالي)، ثم ظهرت الموجودات منهما وبهما، قال شهاب الدين أبو فراس: «هذا برهان على أن العالم محدث كائنٌ بعد أن لم يكن، وأن موجدَه أوجدَه إبداعاً لا من شيء، وأنه سبحانه وتعالى قال له: كن، فكان فيضاً واحداً فهو العقل الفعّال الأول، والموجود الكامل، والحجاب المفضّل، وظهر عنه التالي مخترعاً من نوره، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما»^(٢). ولذا يرى الغزالي: «أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة: السابق، واسم المعلول: التالي، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه»^(٣).

الثالث: أنهم تسمّوا باسم الإسلام وانتسبوا إلى التشيع، وغلّوا في علي بن أبي طالب ﷺ حتى جعلوه إلهًا، بل نسبوا ادعاء الألوهية إلى علي ﷺ وبرأه الله مما يفترون، فقد ذكر شيخهم المؤيد الشيرازي أن علياً ﷺ قال وهو على منبره: «أنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا بكل شيء عليم، وأنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا الذي أنبت أشجارها، وأنا الذي أجريت أنهارها»^(٤)، كما امتد الغلو عندهم إلى الأئمة من بعد علي ﷺ، فنسبوا إلى محمد الباقر أنه قال: «ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلاء من شيعتنا»^(٥)، ونسبوا إلى جعفر الصادق أنه قال: «نحن الأئمة أولياء الله، لا يفتّر علينا من

(١) انظر: راحة العقل (ص: ١٣٢).

(٢) مطالع الشموس في معرفة النفوس، أبو فراس شهاب الدين الديلمي (ص: ١٩)، ضمن (أربع رسائل إسماعيلية).

(٣) فضائح الباطنية (ص: ٣٨)، وانظر: مشكاة الأنوار المهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، يحيى بن حمزة العلوي (ص: ٤٣) وما بعدها. الإنحزام لأئمة الباطنية الطغام (ص: ٣٨-٥٢).

(٤) المجالس المؤيدية (ص: ١٤٧).

(٥) كنز الولد (ص: ١٩٥).

علمه شيء، لا في الأرض ولا في السماء، نحن يد الله وجنبه، ونحن وجه الله وعينه، وأين ما نظر المؤمن يرانا، إن شئنا شاء الله»^(١).

والأئمة عندهم جعلهم الله أبواباً لرحمته وأسباباً لمغفرته، نسبوا إلى جعفر الصادق قوله: «نحن أبواب الله وأسبابه لعباده، ومن تقرب منا قرب، ومن استشفع بنا شفع، ومن استرحم بنا رحم، ومن أعرض عنا ضلَّ»^(٢).

الرابع: تمادى بهم الغلو حتى اعتقدوا الإلهية في جميع زعمائهم، فلا توجد فرقة من فرقهم إلا وتعد إمامها إلهًا، كحال الدروز والبهرة والأغاخانية، كما سيأتي، ومن الأمثلة المشهورة في تأليه زعمائهم قول ابن هانئ في مدح المعز:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار	فاحكمُ فأنتَ الواحد القهارُ
وكاننا أنتَ النبي محمدًا	وكاننا أنصارك الأنصار
أنتَ الذي كانت تبشرنا به	في كتبها الأحبار والأخبار
هذا إمام المتقين ومن به	قد دُوِّخ الطُّغيان والكُفَّار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه	وبه يحط الإصر والأوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غدا	حقًا وتحمَّد أن تراه النار ^(٣)

الخامس: الشرك بالله جل وعلا، وذلك من خلال دعائهم لغير الله، وتوسلهم بأهنتهم، كقولهم فيما يسمونه (صلاة قضاء الحوائج): «أتوسل إليك اللهم بالعقل الأول وبتاليه

(١) المهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواية المفضل بن عمر الجعفي (ص: ١٩٧).

(٢) المهمة في اتباع آداب الأئمة. القاضي النعمان (ص: ٥١).

(٣) ديوان ابن هانئ الأندلسي (ص: ١٤٦).

وبالسبعة العقول التي تليه وبعاشرهم القائم مقام الأول...»^(١).

وكقولهم: «أتوسل إليك اللهم بعصمة المسترشدين، والحجة على الجاحدين، وغوث المصطرخين، وغيث المنتجعين، والوَزْر للخائفين، والسعادة للعارفين عبدك ووليكَ الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين»^(٢).

فتأمل كيف يصفون من يتوسلون بهم بأوصاف الله جل وعلا ثم يتوسلون بهذا الشرك إلى الله الذي لا صفة له عندهم، بل لا وجود له حسب اعتقادهم؟! ومن أدعيتهم الشركية في صلاتهم المسماة (قضاء الحوائج): «يقول: يا علياه عشر مائة مرة ... ويقول: يا فاطماتاه مائة مرة ... ويقول: يا حسنا مائتين مرة ... ويقول: يا حسيناه ثلاثمائة مرة...»^(٣).

٢- معتقدهم في النبوات: يقول الغزالي: «والمنقول عنهم قريب من مذهب الفلاسفة، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية، كما قد يحدث لبعض النفوس الزكية في المنام»^(٤).

ويعتقدون أن النبوة تنال بالكسب والاجتهاد، لا بالاصطفاء من الله، يقول أبو يعقوب السجستاني: «إن النبوة لا تحدث بغتة في قلب النبي، بل جزاء وعملاً بعد عمل، وزيادة بعد نقصان، ونقصاناً بعد زيادة، إلى أن يكمل كونها، فتظهر مصورة محلاة»^(٥)، فلا تزال في ارتفاع إلى أن تبلغ منتهاه في الرفة»^(٦).

(١) صحيفة الصلاة (ص: ٢٦٦).

(٢) صحيفة الصلاة (ص: ٣٧٠).

(٣) صحيفة الصلاة (ص: ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) فضائح الباطنية (ص: ٤٠-٤١).

(٥) كذا بالأصل! ولعلها: محلاة.

(٦) إثبات النبوات (ص: ١١١).

أما وحي الله إلى نبيه ﷺ بواسطة جبريل، فجبريل عندهم ليس من الملائكة، قالوا: «إن جبريل عبارة عن العقل الفاضل عليه، أما القرآن فهو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل»^(١)، قال شيخهم الحامدي: «الإمام نفس، وجبرائيل عقل»^(٢)، وتارة يدعون أن النبي ﷺ إنما يعلمه بشر، وهو أبي بن كعب، وأنه هو المسمى بجبرائيل، يقول طاهر بن إبراهيم الحارثي: «كل ناطق ووصي وإمام لا بد له من التعليم والترقي رتبة رتبة، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، فكان محمد ﷺ آخذًا من أبي بن كعب في حال تعليمه ابتداءً، وهو المكنى عنه بجبرائيل»^(٣)، وحينًا يزعمون أنه تعلم من خمسة: أبي بن كعب، وزيد بن عمرو، وعمرو بن نفيل، وزيد بن أسامة، وبحيرا الراهب^(٤).

وقالوا: «كل نبي لشريعته مدة، فإذا انصرفت مدته بعث الله نبيًا آخر ينسخ شريعته، ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار وهو سبعة قرون، فأولهم هو النبي الناطق، ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله، ومعنى الصامت أن يكون قائمًا على ما أسسه غيره، ثم إنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة، إمام بعد إمام، وهكذا يدور الأمر عندهم إلى أبد الدهر»^(٥).

ولذا فحقيقة دينهم - كما يقول ابن تيمية - أنهم «يجعلون محمد بن إسماعيل هو الإمام المكتوم، وأنه نسخ شرع محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ»^(٦).

وهذا ما يقررونه في كتبهم، كما جاء في الدعاء الطويل للإمام الإسماعيلي الرابع في دور الظهور، الذي يلقبونه بالمعز لدين الله الفاطمي، وفيه: «... واخصص اللهم محمد بن عبد الله

(١) فضائح الباطنية (ص: ٤٠-٤١).

(٢) كنز الولد (ص: ١٦٥).

(٣) الأنوار اللطيفة (ص: ١٢٧).

(٤) انظر: كنز الولد (ص: ٢١٠).

(٥) فضائح الباطنية (ص: ٤٢-٤٤) مختصرًا.

(٦) مجموع الفتاوى (٤/ ١٦٢).

من ولد إسماعيل الذي شرفته وكرمته وعطلت به ظاهر شريعة عيسى، وصيرته سادس النطقاء ... وعلى القائم بالحق والناطق بالصدق التاسع من جده الرسول ... السابع من آباءه الأئمة ... الذي شرفته وعظمته وكرمته ... وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد^(١).

وقالوا: «لما قام الناطق السادس الذي هو محمد ﷺ بالأمر وأعلن بالشهادتين، وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة أسلم له من أسلم ... وإذا عدت محمداً ووصيه ومتمي دوره الستة كان سابعهم ناطقاً وهو محمد بن إسماعيل ... إذ بقيامه تمام دور الستر، ونسخ شريعة الرسول السادس»^(٢).

ويعتقدون أن الإمامة بديل عن النبوة، يقول مصطفى غالب -إسماعيلي معاصر-: «لما كانت النبوة وقتية زائلة فقد شئت إرادة المبدع لأن تحل الإمامة محلها وتممها، وتكون خالدة إلى الأبد كدين وجدت لسعادة البشرية»^(٣).

كما أنهم يطعنون في بعض أنبياء الله ورسله، ويرمونهم بارتكاب الفاحشة وهو داود عليه السلام، فيذكر داعيتهم جعفر بن منصور أن داود نظر إلى امرأة أوريا (أحد قادة عسكره) عارية فأعجب بها، فراسلها فأجابته، فواقعها، وحملت منه، ثم لما تبين حملها، وخافت من اشتهاها أمرها، أرسل داود أوريا إلى مقدم الجيش فقتل، ثم تزوجها، وكان الحمل الأول منها قبل زواجهما هو سليمان^(٤).

٣- معتقدهم في القيامة والمعاد: فقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة والمعاد

(١) زهر المعاني (ص: ٥٦)، نقلاً عن: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، مصطفى غالب (ص: ١٣٧)، وانظر: الإسماعيلية، إحسان إلهي ظهير (ص: ٥٥٠) وما بعدها.

(٢) الأنوار اللطيفة (ص: ١٣٠).

(٣) مفاتيح المعرفة، مصطفى غالب (ص: ١٦٣).

(٤) انظر: سرائر أسرار النطقاء (ص: ١٩١-١٩٢).

وتأويلها إلى غير الحقيقة^(١)، ويؤولون جميع ما ورد في القرآن من ذلك بأمر باطنية معنوية، فيقولون: «وأما عذاب القبر فهو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهولانية المخالفة للطباع، وذلك على سبيل التغيير، وأما إتيان منكر ومنكير فهو استيلاء القوة الشهوانية والغضببية الداعيتين إلى الهلاك، وأما الحشر فهو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها... وأما النشر فهو ظهور النفوس في عالم بعد عالم على وفق مكتسباتها، وأما تأويل القيامة، فقيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدانية، وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان»^(٢).

والحساب عندهم «فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب الذي هو الملائد والمسار، والعقاب الذي هو الألم والعذاب والغم»^(٣).

ويقول جعفر بن منصور: «وإنما سمي يوم القيامة، وهو يوم ظهور القائم المبعوث بيوم البعث؛ لأن القائم من جملة النطقاء المبعوثين»^(٤).

ويصف داعيتهم السجستاني اعتقاد المسلمين بما جاء في القرآن من أهوال يوم القيامة وتبدل السماوات والأرض وغير ذلك بالسخف والحمق والجهل، فيقول: «توهم القيامة مقرونة بتبديل الخلق وتعطيلها سخف وجاهل وحمقة»^(٥).

٤ - معتقدهم في التكاليف الشرعية: يقول الغزالي: «المنقول عنهم الإباحة المطلقة... واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب

(١) انظر: فضائح الباطنية (ص: ٤٤).

(٢) رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور (ص: ٦٨-٦٩)، ضمن (أربع رسائل إسماعيلية).

(٣) راحة العقل (ص: ٥١٦).

(٤) سرائر أسرار النطقاء (ص: ١١٢).

(٥) كتاب الافتخار (ص: ١٨٢).

إليهم»^(١). وينقل عبدالقاهر البغدادي عن كتاب لهم يسمى (السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر) مضمون ما قرأه فيه عن مذهبهم من القول بإبطال المعاد والعقاب والتشكيك في الكتب السماوية والدعوة إلى إبطال الشرائع وتأويل أركان الإسلام بقولهم: إن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته، والصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام، واستدل بما جاء في هذا الكتاب على أن الباطنية دهرية زنادقة^(٢).

والناظر في مصادرهم يجد أنهم يؤولون شرائع الدين وأركان الإسلام تأويلاً يفضي إلى إبطالها، فتأويل الأذان والإقامة عندهم هو دعوة الحق التي يدعو إليها الدعوة، وهم أمثال المؤذنين في الظاهر^(٣).

وأما تأويل الصلاة، فهي الطاعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده^(٤).
وأما تأويل الزكاة فهي الأسس والحجج الذين يطهرون الناس، ويصلحون أحوالهم، وينقلونهم من درجات الفضل بما توجه به أعمالهم^(٥).

وأما تأويل الصوم فهو كتمان الأسرار عن أهل الظاهر من مخالفيهم^(٦).
وأما تأويل الحج فهو قصد الإمام ومعرفته، وأما اشتراط الزاد والراحلة في الحج، فالزاد العلوم، والراحلة الدليل إلى معرفة الإمام والدخول في طاعته^(٧).

٥- معتقدتهم في الإمامة: الإمامة عندهم مرتبة من مراتب الألوهية كما مر، أما قولهم في

(١) فضائح الباطنية - باختصار - (ص: ٥١)، وانظر في الرد عليهم: الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام (ص: ٥٣) وما بعدها، مشكاة الأنوار (ص: ٤٣) وما بعدها.

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٢٩٤) وما بعدها.

(٣) انظر: تأويل الدعائم، القاضي النعمان (١/ ٢٠٨).

(٤) انظر: الكشف، جعفر بن منصور (ص: ٢٨)، الإسماعيلية، إحسان إلهي ظهير (ص: ٥٠٠).

(٥) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ٨٨)، الإسماعيلية، إحسان إلهي ظهير (ص: ٥٠٥).

(٦) انظر: تأويل الدعائم (٣/ ١٠٨).

(٧) انظر: كتاب الافتخار، أبو يعقوب السجستاني (ص: ٢٦٠).

تحديد أعيان الأئمة، فقد «اتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات، ويستظهر الإمام بالحجج والمأذونين والأجنحة، فلا بد للإمام في كل وقت من اثني عشر حجة... ولا بد لكل حجة من معاونين له على أمره... واسم معاون المأذون، ولا بد للدعاة من رسل إلى الإمام يرفعون إليه الأحوال، واسم الرسول الجناح»^(١). والإمامة في اعتقادهم هي أهم دعائم الإسلام، فقد نسبوا إلى أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: «بني الإسلام على سبع دعائم: الولاية، وهي أفضلها، وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها...»^(٢).

وقالوا «بوجوب النص على الإمام من الله ورسوله ﷺ، وبطلان اختيار الأمة للإمام»^(٣). وقرروا أن الأحق بالخلافة بعد النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب وذريته من بعده، يقول الكرمانى: «اختار محمد ﷺ علي بن أبي طالب -صلى الله عليه- بعده للقيام، فنص عليه، وسلم أمر أمته إليه؛ لكونه عاليًا في كل الأحوال متقدمًا عليهم، فكانت مرتبته بعده ﷺ مرتبة الخلافة التي هي المقام مقامه في كل ما كان متعلقًا به في أمر الدعوة العملية في إتمام الأمر فيما فوض إليه من أمر الدعوة العلمية التي بينها النبي ﷺ في قوله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب)، ثم القائمون مقامهما في حفظ دعوتيهما العلمية والعملية، وهم الأئمة عليهم السلام»^(٤). وقال في موضع آخر: «الإمامة بعد النبي ﷺ لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من دون غيره، والإمامة بعد مجيء النص بها إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لإسماعيل وذريته عليهم السلام من دون إخوته»^(٥).

(١) فضائح الباطنية (ص: ٤٢-٤٤) مختصرًا.

(٢) دعائم الإسلام (١/ ٢).

(٣) انظر: المصابيح في إثبات الإمامة، حميد الدين الكرمانى (ص: ١٩).

(٤) راحة العقل (ص: ٥٧٥).

(٥) انظر: المصابيح في إثبات الإمامة، حميد الدين الكرمانى (ص: ١٩).

وجميع الأئمة عندهم آلهة؛ ولذا فالمشرك عندهم هو: من اتخذ إمامًا غير أئمتهم، ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [المتحة: ١٢] يفسرها داعيتهم جعفر بن منصور: «على ألا يدعو إلى غير الإمام الذي اختاره الله؛ فإنه من دعا إلى غير إمام يختاره الله فقد أشرك بالله؛ إذ جعل له في إمامة دينه شريكًا، يختار غير خيرة الله لخلقه»^(١).

وأساس هذه المعتقدات ما يسمونه التأويل الباطني، وهو في حقيقته إلحاد وكفر وزندقة، فقد زعموا أن التأويل الباطني رسالة جديدة حملها الأئمة بعد قيام الرسول ﷺ بتبليغ الظاهر، ونسبوا إلى الرسول ﷺ أنه قال: «ما نزلت عليّ من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن»^(٢)، جاء في أحد الرسائل الإسماعيلية أنه «لما كان الدين ظاهرًا وباطنًا قام النبي ﷺ بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيّه نصف الدين وهو الباطن»^(٣)، وعلم التأويل -حسب زعمهم- هو معجزة الأئمة كما أن التنزيل -أي القرآن- معجزة الرسول ﷺ^(٤)، وهم يحاولون بهذه الوسيلة هدم كل النصوص التي قام عليها كيان الإسلام.

مراتب دعوتهم:

للإسماعيليين مراتب ونظامٌ في الدعوة إلى مذهبهم، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى المرتبة الأخيرة، يقول ابن النديم: «ولهم [أي: للإسماعيلية] البلاغات السبعة وهي: كتاب البلاغ الأول للعامة، كتاب البلاغ الثاني لفوق هؤلاء قليلًا، كتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة، كتاب البلاغ الرابع لمن دخل في المذهب ستين، كتاب البلاغ الخامس

(١) الكشف (ص: ١٤٤).

(٢) أساس التأويل، القاضي النعمان (ص: ٣٠).

(٣) مسائل مجموعة من الحقائق والأسرار (ص: ٣٠). ضمن (أربع رسائل إسماعيلية).

(٤) انظر: تأويل الدعائم، النعمان بن محمد (ص: ٦١).

لمن دخل في المذهب ثلاث سنين، كتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب أربع سنين، كتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر»، ثم قال ابن النديم: «قد قرأته [أي السابع] فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها»^(١).

وقد تحدث عن هذه المراتب عبد القاهر البغدادي وسماها بأسمائها^(٢)، والغزالي^(٣)، ونقل النويري في (نهاية الأرب) عن الشريف أبي الحسن محمد بن علي نصّاً طويلاً في كيفية الدعوة عند الإسماعيليين^(٤)، وقد كشف الحمادي البياني عن تجربة شخصية له مع الباطنيين في كتابه (كشف أسرار الباطنية)، وأخبر عن مكرهم وتدرجهم في الدعوة إلى مذهبهم، فذكر أنهم «ينصبون للناس الحبائل، ويكيدون لهم بالغوائل، وينقضون على كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها الباطل، يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام، كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه، فيقيم فيه أكثر من سنة يمضون به، وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعون بروايات عن النبي ﷺ محرفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهالك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانقياد بما يأمرونه قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر»^(٥).

وهذا الأسلوب الخادع يعتمد على التدرج بالدعو وفق مراتب مدروسة حتى تصل به إلى الانسلاخ من الإسلام جملة، قال محمد بن الحسن الديلمي: «ولهم حَيْلٌ وترتيب في الترقى

(١) الفهرست، ابن النديم (ص: ٢٦٧-٢٦٨).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٩٨) وما بعدها.

(٣) انظر: فضائح الباطنية (ص: ٢١) وما بعدها.

(٤) انظر: نهاية الأرب، للنويري (٢٥ / ١٩٥)، وما بعدها، ونقلها عنه د. عبد الرحمن بدوي في: مذاهب الإسلاميين (ص: ٨٩٦) وما بعدها.

(٥) كشف أسرار الباطنية (ص: ٢٢-٢٣)، وانظر: مقدمة قواعد عقائد آل محمد، الكوثري (ص: ٣).

حتى يبلغوا بها أمر من يدعونه إلى الخروج من الدين، وسموا ذلك البلاغ الأكبر، وهي تسع درج، أي حيلتهم الزرق والتفرس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع، ثم المسخ^(١) في الجملة ظاهر كلها بخلاف مقالات أهل الإسلام، وأكثرها من مقالات الفلاسفة الطغام^(٢).

فأول مرحلة في هذا المخطط يسمونها (الزرق والتفرس) وهي تعني معرفة حال المدعو ومدى قابليته لمنهجهم واستجابته لدعوتهم، ويختارون لذلك الأغرار الجهلاء الذين لا يفرقون بين الحق والباطل والهدى والضلال، فيسقطون في أوكارهم من خلال تشكيكهم وتلبيسهم وتدليسهم، قال ابن الجوزي: «ومن مذاهبهم أنهم لا يتكلمون مع عالم، بل مع الجهال، ويجتهدون في تزلزل القواعد بإلقاء المتشابه، وكل ما لا يظهر للعقول معناه»^(٣)، وقد قالوا في وصاياهم لدعاتهم: «لا تضعوا بذرتكم في أرض سبخة»^(٤)، يعني لا تضع جهدك مع من لا يقبل فكرتك، ويتقبل معتقدك، فإنك إن فعلت ذلك كنت كمن يضع بذرته في أرض لا تنبت، فلن يجني ثمرة، ولن يحصل على نتيجة، كما أوصوا باختطاف الجهلاء في غفلة من علمائهم، ولذلك أوصوا أتباعهم بقولهم: «لا تتكلموا في بيت فيه سراج»^(٥)، يعني عالم. وبعد هذه المرحلة التي يتم فيها اختيار العنصر المستجيب لدعوتهم، ينقلونه إلى مرحلة أخرى تسمى (التأنيس)، وتعني: «أن يوافق كل من هو بدعوته في أفعال يتعطاها هو ومن

(١) مصدر هذه التسميات للمراتب هم الإسماعيلية حسب ما يراه عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق ص: ٢٨٢). بينما يرجح د. عبد الرحمن بدوي أنها من وضع خصوم الباطنية محتجاً بأن الشريف أبا الحسين لم يذكر هذه الأسماء في سياقه لصفة الدعوة عند الباطنية. وهو من أقدم المصادر عن القرامطة. وهذه الحجة غير كافية؛ لأن البغدادي نسب التسمية إليهم، فربما وقف على مصادر أخرى للإسماعيلية صرحت بأسماء المراتب (انظر: مذاهب الإسماعيليين ص: ٩٢٦).

(٢) بيان مذهب الباطنية وطلاته (ص: ٥).

(٣) القرامطة (ص: ٥٤-٥٥).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٨٣)، فضائح الباطنية (ص: ٢٢).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٨٣)، فضائح الباطنية (ص: ٢٢).

تميل إليه نفسه»^(١)، وهي محاولة لاحتواء المدعو بالوسائل المناسبة له، وتقديم الخطاب الذي يروق له، وإعطائه ما يجب من المتع والملذات حتى يتعلق بهم، ويستخدمون لكل شخص ما يناسبه قولاً وفعلاً.

ثم يبدأون باستغلال هذا الجهل لدى المدعو بمذهبهم وحقيقة دعوتهم، فينتقلون إلى مرحلة (التشكيك)، و«معناه: أن الداعي ينبغي له بعد التأنيس أن يجتهد في تغيير اعتقاد المستجيب، بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه»^(٢)، فيبدأون بطرح الأسئلة التي يعلمون عجز المدعو عن الجواب عنها، والتي يظهرون من خلالها أحقية مذهبهم، وتناقض مذهب المدعو، فيزلزل عقيدته بالتشكيك في الثوابت عن طريق دقائق المسائل ومتشابه الأمور.

ثم تأتي مرحلة (التعليق) قال الغزالي: «وأما حيلة التعليق فبأن يطوي عنه جوانب هذه الشكوك إذا هو استكشفه عنها، ولا ينفس عنه أصلاً، بل يتركه معلقاً ويهول الأمر عليه، ويعظمه في نفسه، ويقول له: لا تعجل؛ فإن الدين أجل من أن يبعث به، أو أن يوضع في غير موضعه، ويكشف لغير أهله»^(٣)، فهي تعني أن يترك الداعي المدعو حائرًا مشككًا، فلا يشفي علته، ولا يجيب سؤله، ولا يعطيه بغيته، بل يبقيه معلقًا، فلا يبادر بالإجابة عن تشكيكاته وتلبساته، فيبقى المدعو متشوقًا إلى سماع جوابه، فلا يجيبه، بل يهول له أمر الجواب ويعظمه في قلبه، وأنه لا يوصل إليه إلا بعد عناء وبحث وتعب.

وبعد ذلك ينتقلون بالمدعو إلى مرحلة (الربط) وفسرها البغدادي بقوله: «والربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة، فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه

(١) فضائح الباطنية (ص: ٢٤).

(٢) فضائح الباطنية (ص: ٢٥).

(٣) فضائح الباطنية (ص: ٢٦).

يؤول إلى رفعها، وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها^(١)، وفسرها الغزالي بقوله: «وأما حيلة الربط فهو أن يربط لسانه بأيمان مغلظة وعهود مؤكدة لا يجسر على المخالفة لها بحال»، ثم ذكر صيغة العهد^(٢)، وهي بهذا المعنى نفس مرتبة العهود والمواثيق، ولذلك لم يذكرها.

ثم تأتي مرحلة (التدليس) وتعني: «أنه بعد اليمين وتأكيد العهد لا يسمح بيث الأسرار إليه دفعة واحدة، ولكن يتدرج فيه»^(٣)، ويراعون في هذه المرحلة استغلال ضعف المدعو في النظر والاستدلال، فيؤولون له النصوص، بل يحرفونها إلى غير معانيها المرادة منها، ويستدلون بالأدلة في غير مواضعها، ويلوون أعناق النصوص حتى توافق مذهبهم، وتؤيد عقيدتهم.

فإذا قَبِلَ منه المدعو ذلك تدرج به إلى مرحلة (التلبيس)، قال الغزالي: «وأما حيلة التلبيس فهو أن يواطئه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة الظاهر، مشهورة عند الناس ذائعة، ويرسخ ذلك في نفسه مدة، ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة»^(٤).

فإن قبل منه المدعو ذلك انتقل به إلى مرحلة (العهود والمواثيق)، وهي أخذ العهود والمواثيق والأيمان المغلظة على المدعو أن يكتم حقيقة هذا المذهب، ولا يذيع سره، ولا ينشر أمره، وهي محاولة لمحاصرة المدعو وحمایته من أن يناقشه أحد فيرده إلى الجادة، ويفند شبهاته، ويبطل مزاعمه.

فإذا قبل جميع ما تقدم، ووثقوا من أمره، وصلوا بالمدعو إلى مرحلة (الخلع والسلخ)، وهي آخر مراتب خططهم السرية في الدعوة إلى مذهبهم، قال الغزالي: «أما حيلة الخلع والسلخ، وهي هما متفقان»^(٥)، وإنما يفترقان في أن الخلع يختص بالعمل، فإذا أفضوا بالمستجيب

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٨٦-٢٨٧).

(٢) فضائح الباطنية (ص: ٢٨).

(٣) فضائح الباطنية (ص: ٢٩-٣٠).

(٤) فضائح الباطنية (ص: ٣٢).

(٥) كذا بالأصل، وقال المحقق (د. عبد الرحمن بدوي): «لعل الصواب: (وهما في حقيقة الأمر متفقان)».

إلى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون: وصلت إلى درجة الخلع، أما السلخ فيختص بالاعتقاد الذي هو خلع الدين، فإذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخاً، وسميت هذه الرتبة البلاغ الأكبر، فهذا تفصيل تدريجهم الخلق واستغوائهم، فلينظر الناظر فيه، وليستغفر الله من الضلال في دينه^(١)، فهي تعني أن ينخلع المدعو وينسلخ من كل ما كان عليه من اعتقاد سديد ومنهج رشيد، وأن ينغمس في ضلالهم، وينغمر في باطل اعتقادهم، فلا يمكن له أن يعود ويؤوب ويتوب إلا إذا تداركته رحمة علام الغيوب.

ويذكر الكوثري أن لهم اليوم جامعات في الهند لتخريج دعاة يبعثونهم إلى شتى البلدان لنشر الدعوة فيها على مراحل مدروسة^(٢)، هذا ما يقوله الكوثري لكن الغالب عليهم اليوم عدم الدعوة لمذهبهم، فالدروز لا يدعون لمذهبهم، ومثلهم البهرة والأغاخانية، بل قامت طائفة الاثني عشرية باحتوائهم واستغلاهم في الكيد للأمة.

مواطنهم:

الإسماعيلية موجودة اليوم في أقاليم متفرقة من العالم الإسلامي، فلها وجود في جنوب جزيرة العرب، وبلاد فارس، كما يوجدون في بلاد الشام، وفي باكستان، ويكثرون في الهند وفي أماكن أخرى^(٣).

فرقهم:

انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين كبيرتين:

١ - الإسماعيلية المستعلية، أو الإسماعيلية الغربية، وهم الذين ساقوا الإمامة إلى المستعلي

(١) فضائح الباطنية (ص: ٣٢).

(٢) انظر: مقدمة قواعد عقائد آل محمد (ص: ٤).

(٣) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ٤٦، ٩١)، الموسوعة الميسرة (١/ ٣٨٨).

ابن المستنصر ونسله من بعده.

٢- الإسماعيلية النزارية أو الإسماعيلية الشرقية، وهم الذين ساقوا الإمامة لنزار ابن

المستنصر^(١).

وقد انبثق من الإسماعيلية فرق شتى، وأشهر فرقهم المعاصرة: الدروز، والبحرة، والأغاخانية، ولهم فروع وفرق تلبس لكل قرن لبوسه، وتظهر لكل قوم بمظهرٍ تقضي به البيئة.

دولهم:

قامت للإسماعيلية في التاريخ دول كانت بلاء كبيراً على الإسلام والمسلمين، ولها تاريخ أسود مظلم، ومن دولهم: الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب ومصر، والقرامطة في البحرين، والصليحية في اليمن.

الحكم عليهم:

ذكر البغدادي أن الإسماعيلية من فرق الباطنية^(٢)، وذكر أن الباطنية من الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها^(٣)، ثم قال: «اعلموا -أسعدكم الله- أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح

(١) انظر: اتعاظ الخفا بأخبار أئمة الفاطميين الخلفاء. للمقريزي (٣/ ٢٧). طائفة الإسماعيلية (ص: ٤٥).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٤٦).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٢٢٠).

الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر»^(١)، وقال في نهاية الباب: «وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الإسلام بما فيه كفاية، والحمد لله على ذلك»^(٢).

وقال أيضًا: «إن الباطنية خارجة عن فرق الأهواء، وداخلت في فرق الكفر الصريح؛ لأنها لم تتمسك بشيء من أحكام الإسلام لا في أصوله ولا في فروعها، وإنما هم دعاة المجوس بالتمويه إلى دين الثنوية»^(٣)، ثم قال: «واختلف أصحابنا في حكمهم، فمنهم من قال: هم مجوس، وأجاز أخذ الجزية منهم، وحرم ذبائحهم ونكاحهم، ومنهم من قال: حكمهم حكم المرتدين، إن تابوا وإلا قتلوا، وهذا هو الصحيح عندنا»^(٤).

وقال ابن حزم عن الإسماعيلية والقرامطة: «وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة»^(٥)، وبين حكم من سكن بلادهم التي تحت ولايتهم في قوله: «وليس كذلك [أي ليس كافرًا] من سكن في طاعة أهل الكفر من الغالية ومن جرى مجراهم؛ لأن أرض مصر والقيروان وغيرهما الإسلام فيها هو الظاهر، وولايتهم على كل ذلك لا يجاهرون بالبراءة من الإسلام، بل إلى الإسلام ينتمون، وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفارًا، أما من سكن في أرض القرامطة مختارًا فكافر بلا شك؛ لأنهم معلنون بالكفر وترك الإسلام، ونعوذ بالله من ذلك»^(٦).

وهذا محمد بن مالك الحمادي الذي خالطهم وعاشهم واطلع على حقيقة مذهبهم، ثم قال: «هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى عليّ

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٦٥-٢٦٦).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٢٩٩).

(٣) أصول الدين (ص: ٣٢٩).

(٤) أصول الدين (ص: ٣٣٠).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩١).

(٦) المحلى بالآثار (١٢/ ١٢٦).

شهادته بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد على جميع ما ذكرته، عالم به، ومن تكلم عليهم بالباطل فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته، فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها، قال الله تعالى: ﴿سَتَكُنُّبَ شَهَدَتِهِمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩) [البخرف]، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته»^(١).

وذكر الغزالي أن حكمهم يدور بين إلحاقهم بالكفار الأصليين وبين إلحاقهم بالمرتدين، لكنه قرر إلحاقهم بالمرتدين، فقال: «فإن قيل: ولماذا حكمتهم بإلحاقهم بالمرتدين، والمرتد من التزم بالدين الحق وتطوقه ثم نزع عنه مرتداً ومنكراً له، وهؤلاء لم يلزموا الحق قط، بل وقع نشوؤهم على هذا المعتقد فهلا ألحقتموهم بالكافر الأصلي؟ قلنا: ما ذكرناه واضح في الذين انتحلوا أديانهم وتحولوا إليها معتقدين لها بعد اعتقاد نقيضها أو بعد الانفكاك عنها، وأما الذين نشئوا على هذا المعتقد سماعاً من آبائهم فهم أولاد المرتدين؛ لأن آبائهم وآباء آبائهم لا بد أن يفرض في حقهم تنحل هذا الدين بعد الانفكاك عنه، فإنه ليس معتقداً يستند إلى نبي وكتاب منزل كاعتقاد اليهود والنصارى، بل هي البدع المحدثه من جهة طوائف من الملحده والزنادقة في هذه الأعصار القريبه المتراخية، وحكم الزنديق أيضاً حكم المرتد لا يفارقه في شيء أصلاً»^(٢).

وقال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم؛ ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح

(١) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (ص: ٣٠-٣١).

(٢) فضائح الباطنية (ص: ١٥٩).

ذبائحهم»^(١).

وقال ابن القيم في سياق كلامه عن الرافضة: «وظهر منهم [أي الرافضة] حينئذ القرامطة والباطنية، واشتهرت الزندقة الغليظة والنفاق الأعظم في أمرائهم وعلمائهم وعامتهم، وأخذوا من دين المجوس والصابئة والمشركين ما خلطوه في الإسلام»^(٢).

وقال الشاطبي: «وقد حكم العلماء بكفر جملة منهم كالباطنية وسواهم؛ لأن مذهبهم راجع إلى مذهب الحلولية القائلين بما يشبه قول النصارى في اللاهوت والناسوت»^(٣)، وقال أيضاً: «هم ثنوية ودهرية وإباحية، منكرون للنبوة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار والملائكة، بل هم منكرون للربوبية، وهم المسمون بالباطنية»^(٤).

ونقل محمد بن الحسن الديلمي إجماع الأمة على كفرهم، وقال: «ولا ترى أحدًا اليوم من علماء المسلمين من المشرق إلى المغرب أنه يتوقف في كفرهم»^(٥).

وقال المحبي: «وأما القول فيهم [أي الدرروز] من جهة الاعتقاد؛ فهم والنصيرية والإسماعيلية على حدٍ سواء، والجميع زنادقة وملاحدة، وقد صرح قاضي القضاة ابن العز، والشيخ برهان الدين ابن عبد الحق من الحنفية، والشيخ صدر الدين ابن الزمكاني، والشيخ البلاطسي، والشيخ جمال الدين الشربيني من الشافعية، والشيخ صدر الدين ابن الوكيل من المالكية، والشيخ تقي الدين ابن تيمية من الحنابلة في فتاويهم وغيرهم أن كفر هؤلاء الطوائف مما اتفق عليه المسلمون، وأن من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم، وأنهم أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم لا تحلُّ مناكحتهم، ولا تؤكل ذبائحهم، بخلاف أهل الكتاب، وأنهم لا

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٥٤).

(٢) الصواعق المرسلة (٤ / ١٤٠٦).

(٣) الاعتصام (١ / ١٦٩).

(٤) الاعتصام (١ / ٣٢٢).

(٥) بيان مذهب الباطنية وبطلانه (ص: ٧٢).

يجوز إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا بغير جزية، ولا في حصون المسلمين»^(١).
وقال الشيخ عبد الرحمن البراك: «وأما الحكم على أعيانهم فيفرق بين عامتهم، وبين
خاصتهم؛ فائمتهم كفار بأعيانهم، وكذا كل من علم منه أنه عارف بأسرار المذهب الباطني،
ويدين به فإنه كافر، ولكن المذهب الباطني يقوم على النفاق؛ فائمة الباطنية زنادقة -أي:
ملاحدة منافقون- أذلم الله بعز الإسلام، والمسلمين، وفضحهم الله، وكشف أسرارهم،
وكفانا الله شرهم، وطهر مجتمعات المسلمين منهم»^(٢).

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٢) إجابات العلامة عبد الرحمن البراك على أسئلة رواد ملتقى أهل الحديث

<http://sunnahway.net/node/2395>

المبحث الثامن فرق تفرعت من الإسماعيلية

أولاً: الدرّوز^(١)

تعريفهم:

الدرّوز فرقة باطنية انبثقت من الإسماعيلية، وقالت بألوهية الحاكم العبيدي^(٢)، وسموا بهذا الاسم لانتسابهم إلى محمد بن إسماعيل الدرزي الملقب بـ(نشكتين)، الذي قال بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي المتوفى سنة (٤١١هـ)^(٣).

ألقابهم:

يلقبون بـ(الدرّوز)؛ نسبة إلى نشكتين الدرزي، وهم ينكرون هذه التسمية ويحبون أن يدعوا بـ(الموحدين)، وكان يسميهم أصحابهم بـ(الأعراف)، وغلب عليهم في حوران في العهد الأخير لقب (آل معروف)^(٤)، أو (بني معروف)^(٥).

نشأتهم:

هذه الطائفة انبثقت من الإسماعيلية، وظهرت في عهد الحاكم العبيدي الحاكم بأمره الذي

-
- (١) قرأ هذا المبحث (الدرّوز) أحد المهتدين إلى الإسلام والسنة من الدرّوز، وهو الأخ شهاب فضل الله الشاطر، وزودني بملاحظات قيمة من واقع حياة الدرّوز. وكتابهم المقدس. وقد أفدت منها في هذه الدراسة الموجزة.
- (٢) انظر: ميثاق ولي الزمان (١/ ٤٧-٤٨) ضمن (رسائل الحكمة).
- (٣) يرى الزبيدي أن الصواب في ضبط الدرّوزي -محركة- نسبة إلى أولاد دَرَزَة، وهم السفلة (انظر: تاج العروس ٨/ ٦٦).
- (٤) انظر: خطط الشام، كرد علي (٦/ ٢٦٤).
- (٥) وأصله من بذل المعروف - كما يدعون-.

ادعى طائفة فيه الألوهية، واتبعه محمد بن إسماعيل الدرزي الملقب بـ(نشستين)، «وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم، وساعده على ادعاء الربوبية... فنَفَقَ على الحاكم، وقربَه وفَوَّضَ الأمور إليه»^(١)، وقال بألوهيته، وذهب إلى بلاد الشام يدعو إلى تأليه الحاكم، فتبعه كثير، وكان معه في الدعوة إلى تأليه الحاكم رجل فارسي يدعى حمزة بن علي الزوزني المتوفى سنة ٤٣٣هـ، وهو يعد المؤسس الحقيقي لمذهبهم، فقد أرسله الحاكم داعياً إلى تأليهه في بلاد الشام، وقال له بعد أن جهزه بالمال: «أخرج إلى الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد»، فخرج إلى الشام، ودعا أهلها، واستألمهم إلى ألوهية الحاكم، وأعطاهم المال، وأباح لهم شرب الخمر والزنا، وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه^(٢).

مصادره:

الدروز طائفة باطنية تستر على عقائدها، ولهم مصادر لا يطلع عليها سوى طبقة مشايخهم وخواصهم الملقين بـ(العُقَال)، وقد أقر أحد زعمائهم المعاصرين بأنهم اعتنقوا الإسلام في مرحلة من مراحل عقيدتهم، ثم تحوّلوا عنه إلى دين آخر، وهو الدين الدرزي^(٣).
وأهم مصادرهم (رسائل الحكمة)، وهو يعد كتابهم المقدس، وهو عبارة عن رسائل ألفها مؤسسو المذهب في بداية القرن الخامس الهجري، وُجِّعت بعد هلاكهم تحت مسمى (رسائل الحكمة)، وعدد هذه الرسائل (١١١) رسالة كتبها: حمزة بن علي، وإسماعيل بن محمد بن حامد التميمي، وعلي بن أحمد الطائي السموقي، وهناك بعض الرسائل -وهي قليلة- مجهولة المؤلف.

وكان هذا الكتاب المقدس عندهم سري التداول، ومحجوباً عن غيرهم، وخصوصاً

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٤ / ١٨٤).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٤ / ١٨٤).

(٣) من مقابلة لمصطفى الشكعة. مع كمال جنبلاط نشرها في كتابه: إسلام بلا مذاهب (ص: ٣١٣).

المسلمين، ومما جاء في هذا قول حمزة في الرسالة الثالثة والثلاثين (رسالة التحذير والتنبيه):
«وصونوا الحكمة عن غير أهلها ولا تمنعوها لمستحقها؛ فإن من منع الحكمة عن أهلها فقد
دنس أمانته ودينه، ومن سلمها إلى غير أهلها فقد تغير في اتباع الحق يقينه، فعليكم بحفظها
وصيانتها عن غير أهلها، والاستتار بالمألوف عند أهله».

وكذلك قام الدرور في العصر الحاضر بطباعة ما يسمى (مصحف الدرور) أو (المنفرد
بذاته)، ويقال: إنه من وضع كمال جنبلاط، ولكن ورد في (رسائل الحكمة) كلام لحمزة ابن
علي يفيد أنه ألف كتاباً اسمه (المنفرد بذاته)، فإن كان هو فربما زاد عليه كمال جنبلاط أو غيره،
وهذه الزيادة ظاهرة في الأساليب العصرية الركيكة، وفي ترديد لعقائدهم الواردة في (رسائل
الحكمة)، وأهمها: تأليه الحاكم، ومحاوّل كاتبه محاكاة القرآن، بل صرح أحد شيوخهم بقوله
عن مصحفهم: تكاد تفوق القرآن بلاغة، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا
كَذِبًا﴾ [الكهف] (١).

عقائدهم:

قامت عقيدتهم على مبادئ الإسماعيلية نفسها، فعقائد الإسماعيلية هي الأساس الأول
لعقائد الدرور (٢)، وزادت عليها بعض العقائد التي ميزتهم، ومنها:
١- القول بالوهمية الحاكم بأمر الله، جاء في رسائل الحكمة: «سبحان مولانا الحاكم على
الحكام، المنزه عن جميع صفات الأنام» (٣)، وقال حمزة بن علي في الرسالة الخامسة وهي بعنوان
(الميثاق) أي: الميثاق الذي يؤخذ على كل من أراد الدخول في المذهب: «توكلتُ على مولانا
الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد، أقرَّ فلان بن فلان إقراراً أوجبته على
نفسه وأشهد به على روجه في صحبة من عقله وبدنه وجواز أمر طائعا غير مكره ولا مجبر أنه

(١) انظر: عقيدة الدرور، د. محمد الخطيب (ص: ١٨١-١٨٢)، إسلام بلا مذاهب (ص: ٢٧٠-٢٧٦).

(٢) انظر: طائفة الدرور، محمد كامل حسين (ص: ٨٦).

(٣) رسائل الحكمة (ص: ٣١٢).

قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضي أو حَصَر أو يُتَنَطَّر، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جلّ ذكره، ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير مُعْتَرِضٍ ولا مُنْكَرٍ لشيءٍ من أفعاله، ساءه ذلك أم سرّه، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جلّ ذكره الذي كتبه على نفسه وأشهد به على روحه أو أشار به إلى غيره، أو خالف شيئاً من أوامره كان بريئاً من البارّ المعبود، واحترَمَ الإفادة من جميع الحدود، واستحق العقوبة من البار العليّ جلّ ذكره، ومن أقر أن ليس له في السماء إلهٌ معبودٌ ولا في الأرض إمامٌ موجودٌ إلا مولانا الحاكم جلّ ذكره كان من الموحدين الفائزين^(١).

٢- يعتقدون أن الله تعالى يظهر لعباده في صورة ناسوتية، قال بهاء الدين السموقي في الرسالة السابعة والستون وهي بعنوان (من دون قائم الزمان): «فنعوذ بالمولى أن ننسبه أنه احتجب بهذه الحجة ثم كلفنا مع ذلك عبادته ومعرفته، بل قد ظهر تعالى بهذه الصورة الناسوتية التي تشاكلنا، هذا من حيث المجانسة والمقابلة، فهذا نفس العدل^(٢)».

٣- التقمص: ويعنون به أن الإنسان إذا مات تتقمص روحه جسداً آخر من البشر^(٣)، فهم يقولون: إن البشر خلُقوا دفعة واحدة وأن عددهم ثابت لا يتغير^(٤)، قال علي بن أحمد السموقي في الرسالة السابعة والستين، وهي بعنوان (من دون قائم الزمان): «أليس قد صح

(١) رسائل الحكمة (ميثاق ولي الزمان).

(٢) رسائل الحكمة (ص: ٣٠٦).

(٣) عبروا بكلمة (التقمص) لأن الدرور يتكرون اعتقاد التصيرية بالتناسخ، ويعتقدون أن انتقال النفس إلى جسم حيوان أو جماد ظلم لها، ويقولون بانتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر، باعتبار أن النفس لا تموت، بل يموت قميصها وهو الجسم، وتنتقل منه إلى قميص آخر. انظر: الحركات الباطنية، د. أحمد الخطيب (ص: ٢٣٩).

(٤) انظر: مذهب الدرور والتوحيد. عبد الله النجار (ص: ٥٦-٥٧).

عند كل ذي عقل ومعرفة بالحقيقة وفضل أن هذه الأشخاص أعني السواد الأعظم لم يتناقصوا ولم يتزايدوا؟!»، إلى أن قال: «أليس لو زاد العالم في كل ألف سنة شخصًا واحدًا لضاقت بهم الأرض؟! ثم إنه لو نقص في كل ألف سنة شخص واحد لم يبق منهم أحد؟!»، ولذلك فهم يزعمون أن عددهم لا يزيد ولا ينقص؛ لأن التكمص عملية دائمة متواصلة بين أرواحهم^(١).

٤- ينكرون شريعة الإسلام جميعها ويعتقدون أن دينهم نسخها: جاء في الرسالة السابعة وهي بعنوان: (الرسالة الموسومة ببدو التوحيد لدعوة الحق): «ومولانا الحاكم البار العلام [يقصدون الحاكم بأمر الله] قد نسخ شريعة محمد بالكمال»^(٢).

٥- يستحلون دماء أهل السنة ويجوزون الكذب عليهم ويعتبرونهم ألد أعدائهم، ويعتقدون أنهم سيقنصون منهم يوم القيامة، وسيقومون بهدم الكعبة، جاء في الرسالة السابعة والثلاثون (الموسومة برسالة الزناد): «يوم يناديهم الهادي فيقول لهم: أين شركائي الذين زعمتم أنهم فيكم شفعاء؟ لقد انقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون، يعني يوم قيام القائم صاحب القيامة بالسيف فيناديهم: أين شركائي؟ يعني رؤساء أهل الظاهر وشياطينهم الذين أضلوهم بغير علم، وأحلوه دار البوار التي هي الشريعة، وما ألقوه من التكليف الشرعية التي هي من حيث العقل النار بالفعل، وما تمسكوا به من زخاريف أهل الجهل وأباطيلهم، فلم يستطيعوا جوابًا إلا أن يقولوا: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا طاغين، فيحل بهم حينئذ العذاب من قتل رجالهم وسبي أولادهم ونسائهم، وأخذ الجزية على من

(١) رسائل الحكمة (ص: ٣١٤).

(٢) من كلام الزعيم الدرزي كمال جنبلاط نشره د. مصطفى الشكعة في كتابه: إسلام بلا مذاهب (ص: ٢٨٨)، وانظر:

الحركات الباطنية، د. أحمد الخطيب (ص: ٢٤٠).

(٣) رسائل الحكمة (ص: ٥٦).

تبقى منهم، وتخلص من السيف، ويلزموا بالجزية وهم صاغرون»^(١).

أما هدم الكعبة فقد قال علي السموقي في (رسالة اليمن وهداية النفوس الطاهرات ولم الشمل وجمع الشتات) وهو يتكلم عن أشراط الساعة الدرزية: «وهتف بأهل النكث والارتداد طوفان السيف وهلاك مقطرة الكفر وهدمها، أعني مكة».

طبقاتهم:

ينقسم المجتمع الدرزي إلى طبقتين:

أ - عقال أو أجاويد: وهم الخاصة الملتزمون بتعاليمهم، الذين يسمح لهم بحضور الخلوات ودخول أماكن العبادة.

ب - الجهال: وهم عامة الطائفة، ولا يسمح لهم بحضور الخلوات، وسماع شيء من الكتب المقدسة إلا يوم العيد، ويمكن لهم أن يتحولوا إلى طبقة العقال بعد امتحان عسير^(٢).

مواطنهم:

استوطن الدرروز لبنان، ومرتفعات جبل حوران، الذي سمي باسم (جبل الدرروز)^(٣)، كما لهم وجود في فلسطين المحتلة^(٤).

الحكم عليهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم؛ بل ولا يقرون بالجزية؛ فإنهم مرتدون عن دين الإسلام، ليسوا

(١) رسائل الحكمة (ص: ٣٤٤-٣٤٥).

(٢) انظر: طائفة الدرروز (ص: ٣١-٣٢).

(٣) انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ٢٧٩)، الموسوعة الميسرة (١/ ٤٠١).

(٤) تشير الإحصائيات إلى أن عدد أبناء الطائفة الدرزية في فلسطين مع نهاية عام ٢٠٠٨ وبداية عام ٢٠٠٩ بلغ ١٢٠ ألف

مسلمين؛ ولا يهود، ولا نصارى، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج؛ ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما، وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين»^(١).

وقال أيضًا: «وأما الدرزية فأتباع هشتكين الدرزي؛ وكان من موالي الحاكم أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة فدعاهم إلى إلهية الحاكم ويسمونه الباري العلام، ويحلفون به وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله ﷺ، وهم أعظم كفرًا من الغالية، يقولون بقدوم العالم وإنكار المعاد وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوسًا، وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقًا»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٦١).

(٢) أفادني الأخ المهتدي شهاب فضل الله أن الدرروز اليوم لا يظهرون التشيع، وإنما يظهرون الإسلام نفاقًا.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٦١).

ثانياً: البهرة

تعريفهم:

هي فرقة باطنية من فرق الإسماعيلية قالت بإمامة أحمد ابن المستنصر الملقب بالمستعلي، دون أخيه نزار، ومن بعده الأمر، ثم ابنه الطيب^(١). والبهرة -بضم الباء- كلمة هندية مأخوذة من اللغة الهندية القديمة، وترجمتها التاجر، قال صديق حسن خان: «وأسلافهم جديدهو الإسلام، وبيوهار في الهندية: التجارة، وبوهرة: التاجر»^(٢).

ألقابهم:

- ١- البوهرة أو البهرة؛ نسبة إلى مهنتهم وهي التجارة.
- ٢- الإسماعيلية المستعلية؛ نسبة إلى إمامهم المستعلي أحمد ابن المستنصر، الذي استولى على الحكم دون أخيه نزار^(٣).
- ٣- الطيبية؛ نسبة إلى (الطيب) لقب لغلام زعموا أنه ابنٌ للأمر بأحكام الله ابن المستعلي الذي قتلته النزارية، وادعوا أن هذا الغلام أخفاه أحد الدعاة وبعث به إلى اليمن^(٤)، مع أن الأمر ليس له ولد في قول أكثر المؤرخين^(٥).
- ٤- الإسماعيلية الغربية، تمييزاً لهم عن الإسماعيلية النزارية الشرقية التي انبثقت منها الأغاخانية^(٦).

(١) انظر: المواعظ والاعتبار، للمقرئزي (٢/ ٣١٤-٣١٥). مذاهب الإسلاميين (ص: ١٠٩٧).

(٢) أبجد العلوم (ص: ٦٩٧).

(٣) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ٤٦).

(٤) انظر: مذاهب الإسلاميين (ص: ١١٠١).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٧٠٠)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٩٩).

(٦) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ٤٥).

نشأته:

البهرة طائفة منبثقة من الإسماعيلية ظهرت بعد وفاة زعيمهم المستنصر بالله (سنة ٤٨٧هـ) أحد حكام الدولة العبيدية، حيث نشأ خلاف بين ولديه نزار وهو الأكبر، والمستعلي الذي تمكن من قتل أخيه نزار، واستولى على الحكم، ولقب أتباعه بـ(المستعلية)^(١)، ثم بالطيبية، وهم يعرفون الآن بالبهرة.

وقد لحقهم اسم البهرة؛ لأن أوائلهم كانوا من تجار اليمن يذهبون إلى الهند بقصد التجارة مع أهلها من الوثنيين وغيرهم، فقام هؤلاء الإسماعيليون بالدعوة إلى دينهم، فأجابهم بعض أهل الهند إلى ذلك، وكان معظمهم من التجار فعرفوا بالبهرة^(٢).

فرقتهم:

انقسمت طائفة البهرة في القرن العاشر - بسبب الخلاف على من يتولى مرتبة الداعي المطلق - إلى فرقتين:

- ١ - البهرة الداودية، وتنسب إلى الداعي قطب شاه داود برهان الدين، ومركزهم في الهند وباكستان، وإمامهم يقيم في بومباي.
- ٢ - البهرة السليمانية، وتنسب إلى الداعي سليمان بن حسن الذي لم يعترف بإمامة داود، ومركزهم في جنوب اليمن^(٣).

عقائدهم:

عقيدة البهرة هي في أصلها عقائد الإسماعيلية؛ لأنها متفرعة عنها، لكن تميز البهرة

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٨ / ٣٨٣-٣٨٤)، المواعظ والاعتبار (٢ / ٣١٤-٣١٥)، طائفة الإسماعيلية (ص: ٤٧، ٥٠).

(٢) انظر: البوهرية تاريخها وعقائدها، رحمة الله قمر الهدى (ص: ٢١).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية. مصطفى غالب (ص: ٣٩٢)، طائفة الإسماعيلية. د. محمد كامل حسين (ص: ٥١-٥٢).

ببعض العقائد والشعائر الخاصة بهم، منها:

- ١- القول بألوهية أئمتهم وزعمائهم، ويسجدون لهم من دون الله^(١).
- ٢- يتوجهون في صلاتهم إلى قبر الداعي الحادي والخمسين طاهر الدين المدفون في مدينة بومباي في الهند، ويطلقون عليه اسم (الروضة الطاهرة).
- ٣- لا يجوزون الصلاة في أي مكان، بل يتخذون لأنفسهم أماكن خاصة للعبادة يسمونها: (جامع خانة)، إمعاناً في ستر عقائدهم، ويقولون: إن صلاتهم للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب ابن الأمر.
- ٤- يذهبون إلى مكة للحج، ولكنهم يقولون: إن الكعبة رمز على الإمام^(٢).

مصادره:

يضع البهرة كتبهم الدينية موضع السرية والكتمان، ولم يطبع من كتبهم إلا القليل، وأهم كتبهم هو كتاب (النصيحة) لمؤلفه الداعي الحادي والخمسين طاهر سيف الدين، وهذا هو كتابهم المقدس، يتلقون منه أحكامهم وعبادتهم، وله أيضاً كتاب (ضوء نور الحق المبين)، وقد كلف أتباعه بقراءته في المجالس العامة والخاصة للبهرة.

مواطنهم:

ينتشر أتباع طائفة البهرة بنوعها السليمانية والداودية في الهند وباكستان واليمن وبعض دول الخليج ومصر^(٣).

(١) جاء في سؤال وجه إلى اللجنة الدائمة للإفتاء أن «كثير علماء بوهرة يصر على أنه يجب على أتباعه أن يقدموا له سجدة كلما يزورونه،... وحديثاً نشرت صورة لرجل بوهرى يسجد لكبير علماء بوهرة» (فتاوى اللجنة الدائمة ٢ / ٣٨٢).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ٥٣).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١ / ٣٨٨).

ثالثاً: الأغاخانية

تعريفهم:

هي فرقة انبثقت من الإسماعيلية الباطنية، ومؤسسها حسن علي شاه، وهو أحد أئمة الإسماعيلية في إيران، ويلقب هو وأبناؤه الذين خلفوه في زعامة الفرقة بـ(أغاخان)، وقد تولى الإمامة سنة ١٢٣٣هـ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى اللقب العام لزعماء الفرقة^(١).

ألقابهم:

كانوا يلقبون بالنزارية، ثم أطلق عليهم الاحتلال الإنجليزي لقب الأغاخانية^(٢).

نشأتهم:

الأغاخانية امتداد للإسماعيلية النزارية كما سبق، ونشأت بعد النزاع على الإمامة بين المستعلي وأخيه نزار، وقد نشأت الأغاخانية في إيران، في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وقد تبناها الإنجليز، وهم الذين خلعوا على زعيمها لقب أغاخان، كما مر، وقد غادر إيران ورحل إلى الهند، واتخذ بومباي مقراً له ولدعوته^(٣)، واهتم أغاخان بالتبشير بمذهبه ودعوة الناس إلى اعتناق عقائده، واستجاب لدعوته جم غفير^(٤).

عقائدهم:

عقائد الأغاخانية هي نفس عقائد الإسماعيلية، وتميزوا عنها بالقول بالوهية زعيمهم أغاخان، يذكر د. محمد كامل حسين أنه سأل أغاخان الثالث، فقال له: «لقد أدهشتني

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (ص: ٣٢١).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ١١٢).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (ص: ٣٢١).

(٤) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ١٢٠).

بثقافتك وعقليتك! فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إلهًا؟ فضحك طويلاً، وعلت قهقهاته، ودمعت عيناه من كثرة الضحك، ثم قال: هل تريد الإجابة عن هذا السؤال؟ إن القوم في الهند يعبدون البقرة، ألسنت خيراً من البقرة؟!«^(١).

وقد عرف الناس أغاخان ماجناً سيكِّيراً مقامراً منغمساً في مواطن الفساد والخنا، وأتباعه يعينونه على ذلك بدفع خمس أموالهم له، مع معرفتهم بمجونه وفجوره، ولكنهم يقولون: إن كل ما يفعله فهو لشيء في علم الله، مع أنهم يعتقدون أنه إله^(٢).

مواطنهم:

الإسماعيلية الأغاخانية يسكنون الآن نيروبي، ودار السلام، وزنجبار، ومدغشقر، والهند، وبعضهم في سوريا، ومركز القيادة الرئيسي هو مدينة كراتشي في باكستان^(٣).

الحكم عليهم:

سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء: «ما قول علماء الإسلام والفقهاء الكرام في حق فرقة الإسماعيلية الأغاخانية التي يسكن أفرادها في البلاد المختلفة خصوصاً في البلاد الشمالية من باكستان، نذكر بعض معتقداتهم وأقوالهم التي تدل على عقائدهم هنا.

(١) الكلمة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن أمير المؤمنين علي الله، هذه كلمتهم مقام كلمة الإسلام كلمة التوحيد والشهادة ويسمونها بـ(الكلمة الإسلامية الحقيقية).

(٢) الإمام: وهم يعتقدون أن أغاخان شاه كريم هو إمامهم، وهو مالك كل شيء من الأرض والسماء وما فيها وما بينهما بالخير والشر، ويعتقدون أنه هو الحاكم في العالم بقضه

(١) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ١٢٦).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (ص: ١٢١).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٣٨٨).

وقضيضه.

(٣) الشريعة: هم لا يرون اتباع الشريعة الإسلامية، بل يعتقدون أن أغاخان هو القرآن الناطق والقرآن الحقيقي الأصلي، وهو الكعبة وهو البيت المعمور، وهو المتبوع المتبع، ولا يكون شيء سواه يجب اتباعه، وفي كتبهم أن ما ذكر في القرآن الظاهري من لفظ الله مصداقه الإمام أغاخان.

(٤) الصلاة: هم لا يعتقدون وجوب الصلوات الخمس، ويقولون بوجوب الدعوات الثلاثة مكانها.

(٥) المسجد: هم يتخذون معبداً آخر مكان المسجد ويسمونه بـ: جماعت خانة.

(٦) الزكاة: هم يجحدون الزكاة الشرعية ويؤدون مكانها من جميع أصناف المال عشرينها للأغاخان ويسمونه بهال الواجبات (دوشوند).

(٧) الصوم: ينكرون فرضية صوم رمضان.

(٨) لا يقولون بفرضية حج البيت يعتقدون أن الأصل أغاخان هو الحج.

(٩) السلام: لهم تحية مخصوصة مكان السلام عليكم يقولون عند اللقاء: (علي مدد) أي أعانك علي، ويقولون في جوابه: (مولي علي مدد) مكان، وعليكم السلام.

هذه نبذة من أقوالهم وعقائدهم، فالآن نسأل عن عدة أمور:

(١) هل هذه الفرقة من فرق الإسلامية أم من فرق الكفرية.

(٢) هل يجوز أن يصلى على موتاهم صلاة الجنائز؟

(٣) هل يجوز أن يدفنوا في مقابر المسلمين؟

(٤) هل تجوز منكاحتهم؟

(٥) هل تحل ذبيحتهم؟

(٦) هل يعامل معهم معاملة المسلمين؟

نسأل منكم باسم الله العظيم أن تصدروا جواب الاستفتاء، وتزجوا الشبهات عن قلوب

المسلمين؛ لأن هؤلاء الناس يبتنون عقائدهم إلى الآن، ولذا سهاهم المتقدمون من المشائخ بالباطنية، والآن هم أظهروا عقائدهم ويدعون الناس إليها جهراً؛ ابتغاء إزاغة المسلمين في عقائدهم ولوجوه آخر لا نعلمها.

وكان الجواب:

«أولاً: اعتقاد أن الله حل في علي أو غيره كفر محض مخرج من ملة الإسلام، وكذلك اعتقاد أن هناك أحدا يتصرف في السماء والأرض غير الله سبحانه كفر أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف].

ثانياً: من اعتقد أن هناك أحدا يسعه الخروج عن اتباع شريعة محمد ﷺ فهو كافر كفرا يخرج من ملة الإسلام، وشريعته هي القرآن الذي أوحاه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنُنَزِّلُ لَكَ نَزِيلًا ۝١٦﴾ [الإسراء]، ومن الشريعة: السنة النبوية التي هي تبيين وتفصيل للقرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل].

ثالثاً: من أنكروا وجدد شيئاً من أركان الإسلام أو من واجبات الدين المعلومة بالضرورة فهو كافر ومارق من دين الإسلام.

رابعاً: إذا كان واقع هذه الطائفة هو ما ذكرته في السؤال فلا يجوز الصلاة على موتى من ذكر ولا دفنهم في مقابر المسلمين، ولا تجوز مناكتهم ولا تحل ذبيحتهم ولا معاملتهم معاملة المسلمين^(١).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٩٢-٣٩٤).

المبحث التاسع فرق كلامية

أولاً: القدرية

تعريفهم:

أقدم تعريف للقدرية ما جاء في صحيح مسلم من حديث يحيى بن يعمر^(١)، وفيه: أنهم الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، أي: مستأنف، لم يسبق به علم ولا تقدير من الله جل وعلا وإنما يعلمه - سبحانه - بعد وقوعه، وبهذا عرفهم الإمام مالك، فقال: «الذين يقولون: إن الله لا يعلم الشيء قبل كونه»^(٢).

وكذلك الإمام الشافعي - كما روى المزي عن - قال: قلت للشافعي: من القدرية؟ فقال: «هم الذين زعموا أن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون»^(٣).

وكذلك عرفهم أحمد بهذا التعريف، فقال: «القدرية: الذي يقول: إن الله لم يعلم الشيء

(١) جعلنا هذا المبحث خاصاً بأهم الفرق الكلامية تمييزاً له عما سبق من الفرق، وهي الخوارج، والفرق المنتسبة إلى التشيع، والتي غالبها باطنية رافضية، وإن كانت هذه الفرق لديها لوائح كلامية.

(٢) صحيح مسلم (ح ٨)، ونص الحديث: عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة: معبد الجهني، فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؛ فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي؛ أهدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن. إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنّي بري منهم، وأنهم برآء منّي. والذي يخلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٧٦).

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٠٤).

حتى يكون، وهذا كافر»^(١).

وقد انقضت هذه الطائفة من قديم فلم يعد لها وجود. قال الإمام النووي: «قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل»^(٢)، وقال ابن حجر: «وقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائف من القدرية إنكار كون الباري عالماً بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها. قال القرطبي وغيره: قد انقضض هذا المذهب ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين»^(٣).

ثم خلفهم طائفة تسمى بالقدرية المتوسطة، أو القدرية المعتزلة - وهم جمهور القدرية - ، حتى صار لقب القدرية إذا أطلق لا ينصرف إلا إليهم. وهم الذين يقولون: إن العبد يخلق فعله، وينكرون أن الله خالق أفعال العباد، لكنهم يشبّون علم الله الأزلي وقدره السابق، وهذا التعريف هو الذي استفاض لدى أهل العلم في تعريفهم.

قال يحيى بن أبي كثير: «القدرية هم الذين يقولون: إن الله لم يقدر الشر»^(٤).

وقال الإمام مالك: «القدرية الذين يقولون: إن الله لم يخلق المعاصي»^(٥).

وقال الجرجاني: «القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر

والمعاصي بتقدير الله تعالى»^(٦).

وقال ابن حجر: «القدرية من يزعم أن الشر فعل العبد وحده»^(٧).

(١) السنة، لأبي بكر بن الحلال (٣/ ٥٢٩).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي (١/ ١٥٤).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١١٩).

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٣٩٢).

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٧٦).

(٦) التعريفات، للجرجاني (ص: ٢٢٢).

(٧) فتح الباري (١/ ٤٥٩).

وقال علي القاري: «القدرية - بفتح الدال وتسكّن - : هم المنكرون للقدر، القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم ودواعيهم لا بقدره الله وإرادته»^(١).

كما يطلق لفظ القدرية على الجبرية، وهم الذين غلّوا في إثبات القدر، وقالوا: إن العبد مجبور على فعله، لا إرادة له ولا اختيار^(٢)، قال ابن أبي العز الحنفي: «وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب»^(٣). وقال المقرئ: «الفرقة الثالثة القدرية: الغلاة في إثبات القدرة للعبد في إثبات الخلق والإيجاد، وأنه لا يحتاج في ذلك إلى معاونة من جهة الله تعالى»^(٤).

وقد اختفى اسم الجبرية، ولكن بقي اعتقادهم لدى بعض الطوائف المعاصرة، كالصوفية، وغيرهم، كما اختفى اسم القدرية، وبقيت عقيدة القدرية المتوسطة لدى المعتزلة والزيدية والاثني عشرية.

سبب التسمية:

قال الإمام النووي: «وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر»^(٥).
وقال ابن أبي العز: «القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنتيجه إياه ... وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلّوا في إثبات القدر»^(٦).
وقال علي القاري: «وإنما نسبت هذه الطائفة إلى القدر؛ لأنهم يبحثون في القدر كثيرًا»^(٧).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٨٠).

(٢) وهذا هو القول بالجبر، وهو أحد مقالات جهم بن صفوان الأربع التي سيأتي الحديث عنها في مبحث (الجهمية).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٧٩).

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٧٦).

(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٧).

(٧) مرقاة المفاتيح (١/ ١٨٠).

قلت: يعني البحث في القدر بالباطل، وإلا فإن البحث في القدر بالحق مشروع. ومجمل القول في تعريفهم: أن القدرية هم نفاة القدر، أو الغلاة في إثباته، وسموا قدرية لنفيهم القدر، أو الغلو فيه، أو لخوضهم فيه بالباطل.

نشأتهم:

١- زمانُ النشأة:

نشأت القدرية الأولى في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، في حدود سنة (٧٠هـ)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا القول» أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر خلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية^(١)، في أواخر عصر عبد الله بن عمر^(٢)، وعبد الله بن عباس^(٣)، وغيرهما من الصحابة... ثم كثر خوض الناس في القدر، فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق، لكن ينكرون عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته^(٤).

٢- مكانُ النشأة:

نشأت هذه البدعة في البصرة، كما جاء في صحيح مسلم: عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة: معبد الجهني^(٥). وقيل: إنها نشأت في الحجاز حين احترقت الكعبة، فقال قائل: «كان هذا من قضاء الله،

(١) يعني: نفي القدر.

(٢) توفي معاوية رضي الله عنه سنة ٦٠هـ، وقتل ابن الزبير سنة ٧٣هـ، وبين هاتين السنتين كانت الفتنة.

(٣) توفي ابن عمر رضي الله عنهما سنة ٧٣هـ، وقيل: ٧٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٧).

(٤) توفي ابن عباس رضي الله عنهما سنة ٦٨هـ.

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

(٦) صحيح مسلم (ح ٨).

أن احترقت الكعبة، فقال آخر: ما كان هذا من قضاء الله»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد روي أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له: سيسويه من أبناء المجوس، وتلقاه عنه معبد الجهني، ويقال: أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة، فقال رجل: احترقت بقدر الله تعالى. فقال آخر: لم يقدر الله هذا... وكان أكثره بالبصرة والشام، وقليل منه بالحجاز؛ فأكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية»^(٢).

٣- المؤسس:

أول من قال بالقدر يونس الأسواري، ويلقب بـ(سيسويه)، وقيل: (سوسن). قال الأوزاعي: «أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، وكان نصرانياً فأسلم، ثم تنصّر فأخذ عنه معبد الجهني»^(٣)، وأخذ غيلان عن معبد»^(٤).

وقال ابن قتيبة: «غيلان الدمشقي كان قبلياً قدرياً، لم يتكلم أحد في القدر قبله، ودعا

إليه إلا معبد الجهني»^(٥).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٨٢٤-٨٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٣) وقد وهم بعضهم فظن أنه معبد بن خالد الجهني الصحابي، وهو باطل كما حرره الحافظ ابن حجر؛ حيث قال: فإن القدرى وافق هذا الصحابي في اسم أبيه ونسبه، واختلف في اسم أبيه، فتبيل: خالد، مثل الصحابي، وقيل: عبد الله بن عويم. وقيل: عبد الله بن عكيم، وقال الحافظ ابن حجر عن معبد القدرى: كان في عصر الصحابة ولا صحبة له (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٣٠، ٦/ ٢٨٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) الشريعة، للأجري (٢/ ٩٥٩)، الإبانة الكبرى، لابن بطة (٤/ ٢٩٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكاني (٢/ ٨٢٧).

(٥) المعارف، لابن قتيبة (١/ ٤٨٤).

جذورهم:

القول بنفي القدر يرجع إلى أصول نصرانية ومجوسية، وبيان وجه ذلك فيما يلي:

أولاً: الأصل النصراني:

أول من تكلم بالقدر - فيما يقول أهل العلم - هو سيسويه وكان رجلاً نصرانياً، أسلم ثم تنصّر، وكذا غيلان الدمشقي أحد دعاة القدرية الأوائل كان قبطياً، وهذا يشير إلى الأصل النصراني لهذه البدعة. ويشهد لذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب بالجابية فتشهد، ثم قال: «من يضل الله فلا هادي له»، وكان الجاثليق رضي الله عنه بين يديه، ثم قال: لا، إن الله لا يضل أحداً، فقال عمر: ما يقول؟ فكرهوا أن يخبروه، ثم عاد فقال: من يضل الله فلا هادي له، فنفض الجاثليق ثوبه، ينكر ما يقول عمر. قال: إن الله لا يضل أحداً، مرتين أو ثلاثاً، فقال عمر: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، يزعم أن الله لا يضل أحداً، فقال عمر: كذبت يا عدو الله! بل الله خلقك، والله يضلك، ثم يميئك، فيدخلك النار - إن شاء الله -، أما والله لولا وُلْتُ عهدٍ لك لضربت عنقك، إن الله خلق الخلق، وقال حين خلق آدم: نثر ذريته في يده، وكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وكتب أهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء هذه، وهؤلاء لهذه. فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان»^(١).

ويؤكد هذا أن اعتقاد القدرية موافق لما أورده يوحنا الدمشقي النصراني في كتابه (الإيمان الصحيح)، وكان يوحنا الدمشقي رئيس الطائفة النصرانية في دمشق، وكان بينه وبين علماء المسلمين مناظرات، وكان معاصراً لمعبد الجهني وغيلان الدمشقي، ويقطن ثلاثتهم في دمشق

(١) الجاثليق - بفتح الثاء - : هو رئيس النصراني في بلاد الإسلام (تاج العروس ١٣ / ٥٩).

(٢) الوُلْتُ: بقیة العهد (انظر: تهذيب اللغة ١٥ / ٩٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤ / ٧٣٠)

في وقت واحد^(١).

ثانياً: الأصل المجوسي:

ويتجلى هذا الأثر من وجهين:

الأول: ذكر بعض أهل العلم أن مؤسس هذه البدعة كان من أبناء المجوس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد روي أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له: سيسويه من أبناء المجوس، وتلقاه عنه معبد الجهني^(٢)».

الثاني: وجود التشابه بين مذهب القدرية ومذهب المجوس في ذلك، ولذا يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «القدرية مجوس هذه الأمة»^(٣).

أما وجه مشابهتهم للمجوس فيبين الخطابي ذلك بقوله: «إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله ﷻ، والشر إلى غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، وخلقه الشر شراً في الحكمة كخلقه الخير خيراً، فالأمران معاً مضافان إليه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لها من عباده فعلاً واكتساباً»^(٤).

وقال القاضي عياض -تعليقاً على الحديث السابق-: «القدرية التي وسمهم القدرية بما

(١) انظر: مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي (١/ ١١٧-١١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه عن ابن عمر مرفوعاً (٤٦٩٣ ح). ونص الحديث: القدرية مجوس هذه الأمة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم. وإن ماتوا فلا تشهدوهم. قال ابن أبي العز: كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها (شرح الطحاوية ٢/ ٣٥٨). وقال في موضع آخر: وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة (شرح الطحاوية ٢/ ٧٩٧).

(٤) معالم السنن (٤/ ٣١٧).

وسمهم، وأنهم مجوس هذه الأمة، هم معتزلة هذا الوقت وقدريته؛ لأنهم جعلوا أفعال العباد بين فاعلين، وأن الخير من الله والشر من عبده، فأدخلوا مع الله شركاء في قدرته، وضاهوا المجوس والثنوية في كفرهم، والقدرية الأولى داخلون في هذه الرذيلة، زائدون عليهم بتلك الأشنوعة»^(١).

فرقهم:

قال عبد الله بن المبارك: «وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة»^(٢). لكنه لم يذكر أسماها ولا مقالاتها.

وأكثر علماء المقالات يقولون: القدرية ثلاث فرق، وهي: القدرية الأولى الغلاة في النفي، والقدرية الثانية المتوسطة وهم المعتزلة، والقدرية الغلاة في الإثبات وهم الجبرية. ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم بحسب اعتقادهم ثلاث فرق، فقال: «أهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

فالمجوسية، الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، وهي القدرية الأولى التي انقضت، ومقتصدتهم أنكروا عموم مشيئة الله وخلقته وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية: المشركية، الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعي الحقيقة

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٧٩).

من المتصوفة^(١).

والفرقة الثالثة: الإبليسية، وهم الذين أقروا بالأمرين، لكن جعلوا هذا تناقضاً من الرب سبحانه وتعالى، وطعنوا في حكمته وعدله، كما يُذكر مثل ذلك عن إبليس مقدمهم، كما نقله أهل المقالات، ونقل عن أهل الكتاب^(٢). وهؤلاء هم الزنادقة.

وقال ابن تيمية في موضع آخر: «وأما أهل الإيمان: فيؤمنون بالقضاء والقدر والأمر والنهي ويفعلون المأمور ويتركون المحذور ويصبرون على المقدور»^(٣). فقد هداهم الله إلى الحق، فكانوا في باب القدر وسطاً بين القدرية النفاة، وبين الجبرية الغلاة، فقالوا: إن للعبد إرادة واختياراً ومشية، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير]، فأثبت للعبد مشية، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير]، فأثبت مشية الله العامة، كما أن إثبات المشية للعبد لا تنفي القول بأن الأعمال مخلوقة لله تعالى. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات]^(٤).

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-: «القدرية المجبرة غلوا في إثبات القدر حتى قالوا: ليس للعبد إرادة ولا مشية، وقد أخطأوا في ذلك، وأصابوا في الإيمان بالقدر، أما القدرية النفاة، فغلوا في نفي القدر وأفراطوا في ذلك وأخطأوا في هذا غاية الخطأ، ولكنهم أصابوا في إثبات المشية والاختيار للعبد، وأخطأوا في جعله مستقلاً بذلك، فأهل السنة والجماعة أخذوا ما عند الطائفتين من الحق وتركوا ما عندهما من الباطل»^(٥).

(١) وهؤلاء هم الجبرية.

(٢) التدمرية (ص: ٢٠٧-٢٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠٠-٣٠٣).

(٤) راجع: التنبهات السنية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز الرشيد (ص: ١٨٤) وما بعدها.

(٥) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٣/ ٣٦).

عقائدهم:

يختلف اعتقاد القدرية باختلاف فرقهم، فالمتقدمون من القدرية، وهم الذين يسمون بالقدرية الأولى، أو القدرية الغلاة، يختلفون عن المتأخرين منهم.

١ - اعتقاد القدرية الأولى:

القدرية الأولى (الغلاة في النفي) لم يثبتوا شيئاً من أركان القدر الأربعة^(١)، فهم يعتقدون أن لا قدر، وأن الأمر أُنْف [أي: مستأنف] لم يسبق به علم، ولا مشيئة، ولا خلق، ولا كتابة من الله جل وعلا، فكفروا بالقدر خيره وشره، مخالفين بذلك قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [الفرق،] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان]^(٢)، ولم يعد لهؤلاء وجود بعد إنكار الصحابة عليهم، فانقرضوا.

٢ - اعتقاد القدرية المتوسطة (المعتزلة):

قالوا: إن العبد يخلق فعله، «فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم، لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد، وإرادة الكائنات»^(٣).

يقول شيخ القدرية المعتزلة القاضي عبد الجبار: «اتفق كل أهل العدل^(٤) على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله ﷻ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها، فقد عظم خطؤه، وأحالوا حدوث فعلٍ من فاعلين»^(٥). وقال أيضاً: «أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم

(١) وهي: العلم، والكتابة، والمشيئة، وخلق أفعال العباد.

(٢) راجع: لوامع الأنوار البهية (١ / ٣٠٠)، شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤ / ٧٧٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٢٨٨-٢٨٩).

(٤) المعتزلة يلقبون أنفسهم بأهل العدل؛ لأن العدل هو الأصل الثاني من أصولهم الخمسة، ويضمّنونه إنكار القدر.

(٥) المغني في التوحيد والعدل (٨ / ٣).

المحدثون لها»^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقدرية متفقون على أن العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة، والله عندهم ما أحدث لا هذا ولا هذا؛ بل أمر بهذا ونهى عن هذا. وليس عندهم لله نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين إلا وقد أنعم بمثلها على الكفار فعندهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام وأبا لهب مستويان في نعمة الله الدينية؛ إذ كل منهما أرسل إليه الرسول وأقدر على الفعل وأزيجت علته لكن هذا فعل الإيثار بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لأجلها»^(٢).

٣- اعتقاد القدرية الجبرية:

وأما القدرية المشركية (الجبرية) فيخالفون أهل السنة في طريقة إثباتهم للقدر، فهم يثبتون أن الله علم ما يكون من الخلق، وكتبه، وشاءه وخلقه، لكنهم يقولون بأن الله لم يجعل لهم اختياراً ولا مشيئة، فشابهوا المشركين، كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

الحكم عليهم:

لقد دلت نصوص الشريعة على وجوب الإيثار بالقدر، وخطورة المخالفة فيه، بل علقت صحة الإيثار بتحقيق الإيثار بالقدر، فلا يكون الإنسان مؤمناً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

روى أبو داود وغيره عن ابن الديلمى أنه قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت له: وقع في

(١) شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١١٦).

نفسى شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهب من قلبي. قال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار. قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك»^(١).

فأما القدرية الأولى أصحاب معبد وغيلان القائلون بإنكار العلم المتقدم وأن الأمر أنف، أي مستأنف فقد حكموا عليهم بالكفر، وقد سبق قول ابن عمر فيهم: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنْتُمْ بُرَاءٌ مِنِّي»^(٢).

وقال وكيع: «القدرية يقولون: الأمر مستقبل، إن الله لم يقدر المصائب والأعمال، والمرجئة يقولون: القول يجزئ من العمل، والجهمية يقولون: المعرفة تجزئ من القول والعمل»، قال وكيع: «وهو كله كفر»^(٣).

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عن قال بالقدر، يكون كافراً؟ فقال أبي: «إذا جحد العلم، إذا قال الله جل وعز لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم، فجحد علم الله ﷻ كافراً»^(٤).

وقال الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (ح ٤٦٩٩)، ورواه ابن حبان في صحيحه (ح ٧٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٢٠٤)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح مسلم (ح ٨).

(٣) الإبانة الكبرى، لابن بطّة (٢ / ٩٠٣).

(٤) السنة، لأبي بكر بن الخلال (٣ / ٥٢٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٣ / ٣٤٩).

ولذا قال ابن تيمية: «وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم»^(١).

وأما جمهور القدرية المثبتون للعلم والكتاب المتقدم (المعتزلة)، فقد حكم عليهم السلف بأنهم مبتدعة ضالون، ولم يحكموا بكفرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما جمهور القدرية فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم، لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات، وتعارضهم القدرية المجبرة الذين يقولون: ليس للعبد قدرة ولا إرادة حقيقية ولا هو فاعل حقيقة، وكل هؤلاء مبتدعة ضلال»^(٢).

وقال ابن تيمية أيضًا: «وأما القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال»^(٣).

وقال أيضًا: «لما اشتهر الكلام في القدر، ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق، وعن عمرو بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم روايتان، وقول أولئك كفرهم عليه مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون، لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك، وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم»^(٤).

وأما موقف السلف من الجبرية، فسيأتي -إن شاء الله- عند الكلام عن الجهمية.

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٢٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٨ / ٢٨٨-٢٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٧ / ٣٨٥).

ثانياً: المرجئة

تعريفهم:

قال ابن فارس: «الراء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان، يدل أحدهما على الأمل، والآخر... المهموز فإنه يدل على التأخير»^(١).

فالإرجاء في اللغة يطلق على معنيين^(٢):

الأول: التأخير: يقال: أرجأت الأمر وأرجيته إرجاءً إذا أخرته. ومنه قوله تعالى ﴿قَالُوا

أَرْجِيهِ وَأَخَاهُ﴾ [الاعراف: ١١١]؛ أي: أمهله وأخره^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وقرئ: ﴿مُرْجُونَ﴾ أي: مؤخرون حتى يُنزلَ الله فيهم ما يريد، ومنه سميت المرجئة^(٤). وفي حديث توبة كعب بن مالك: «وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا»^(٥)؛ أي أخره^(٦).

الثاني: الرجاء بمعنى إعطاء الرجاء، أي: الأمل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، أي تأملون منه سبحانه ما لا يرجون^(٧).

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فقال:

«قيل: إنه [أي المرجئة] من الرجاء، أي يجعلون الناس راجين، فهم مرجية، لا مخيفة»^(٨).

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ١٢٤، ١٢٣)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٣-٤٩٥)، تاج العروس (١/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٠/ ٣٤٢).

(٤) انظر: الصحاح (١/ ٥٢).

(٥) رواه البخاري (ح ٤٤١٨)، ومسلم (ح ٢٧٦٩).

(٦) انظر: تاج العروس (١/ ٢٤٠).

(٧) انظر: روح المعاني (٥/ ١٥٧).

(٨) جامع الرسائل، تحقيق/ محمد رشاد سالم (١/ ١١٢)، وانظر: الملل والنحل (١/ ١٣٩)، المواعظ والاعتبار (٤/ ١٧٧).

وأما اصطلاحاً فقد عرفهم سفيان الثوري بقوله: «المرجئة قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل»^(١).

وقيل للإمام أحمد المرجئة، من هم؟ قال: «من زعم أن الإيمان قول»^(٢).
وقول الإمام أحمد -رحمه الله- يشمل جميع فرق المرجئة؛ لأن الإيمان عندهم إما قول القلب أو قول اللسان أو هما معاً.

وقال عبد الله بن المبارك: «من قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله، أو له وآخره»^(٣).

قال الطبري: «الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب المختلفين في الديانات في دهرنا هذا، هذا الاسم»^(٤)، فيمن كان من قوله: الإيمان قول بلا عمل، وفيمن كان من مذهبه أن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوده»^(٥).

وقال الحافظ ابن حجر: «المرجئة هم طائفة من المبتدعة تقول: لا يضر مع الإيمان معصية»^(٦). وهذا القول الذي نسبه ابن حجر إلى المرجئة بإطلاق يناسب مقالة المرجئة الغلاة، لا مرجئة الفقهاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإن قالوا [أي: المرجئة]: إنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح، وبعض الناس يحكي هذا عنهم، وأنهم يقولون: إن الله فرض على العباد فرائض، ولم يُردّ منهم أن يعملوها، ولا يضرهم تركها، وهذا قد يكون قول الغالية

(١) سير أعلام النبلاء (١١/١٦٢).

(٢) السنة، الخلال (٣/٥٦٥).

(٣) شرح السنة، البرهاري (ص: ١٢٩).

(٤) قال محقق الكتاب الشيخ محمود شاكر: «السياق (الأغلب من استعمال أهل المعرفة ... هذا الاسم) مفعولاً منصوباً بالمصدر (استعمال)».

(٥) تهذيب الآثار (٢/٦٦١).

(٦) فتح الباري (١/١٨٧).

الذين يقولون: لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد، لكن ما علمت معيناً أحكي عنه هذا القول، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله، وقد يكون قول من لا خلاق له؛ فإن كثيراً من الفساق والمنافقين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد، وبعض كلام الراديين على المرجئة وصفهم بهذا^(١).

التعريف المختار:

أرى أن تعريف المرجئة والإرجاء اصطلاحاً يختلف باختلاف طوائفها. فمرجئة الجهمية: هم الذين يقولون: بأن الإيمان هو معرفة الله^(٢). ومرجئة الرافضة: هم الذين يقولون: الإيمان معرفة الإمام. ومرجئة الجهمية ومرجئة الرافضة لا تعدُّ مقالاتها ضمن مقالات المسلمين. ومرجئة الكرامية: هم الذين يقولون: الإيمان قول اللسان فقط. ومرجئة الفقهاء: هم الذين يقولون: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان. قال الفضيل بن عياض: «إن أهل الإرجاء يقولون: إن الإيمان قول بلا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل^(٣)».

وقال وكيع بن الجراح: «المرجئة يقولون: الإيمان قول، والجهمية يقولون: الإيمان

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٢)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٧).

(٣) قال الحافظ ابن رجب: «وقد كان طائفة من المرجئة يقولون: الإيمان قول وعمل - موافقة لأهل الحديث -، ثم يفسرون العمل بالقول ويقولون: هو عمل اللسان. وقد ذكر الإمام أحمد هذا القول عن شيبان بن سوار وأنكره عليه وقال: هو أخبث قول ما سمعت أن أحداً قال به ولا بلغني، يعني أنه بدعة لم يقله أحد من سلف» (فتح الباري ١/ ١٢٢).

(٤) السنة، لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٠٥).

المعرفة»^(١).

نشأتهم:

أول من تكلم فيه الحسن بن محمد ابن الحنفية، قال أيوب السختياني: «أول من تكلم في الإرجاء رجل يقال له: الحسن بن محمد»^(٢).

لكن هذا النوع من الإرجاء لا علاقة له بالإيمان، وقد بين الإمام الذهبي حقيقة هذا الإرجاء بقوله: «وقالت المرجئة الأولى: تتولى الشيخين ورجى عثمان وعليًا، فلا تتولاها ولا نتبرأ منها»^(٣).

ويذكر الحافظ ابن حجر وقوفه على كتاب للحسن يبين فيه حقيقة الإرجاء الذي تكلم فيه، فيقول: «المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعنيه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور أخرج ابن أبي عمر العدني في كتاب الإيمان له، في آخره، قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن، قال: كان الحسن بن محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب على الناس: أما بعد، فإننا نوصيكم بتقوى الله، فذكر كلامًا كثيرًا في الموعظة والوصية لكتاب الله واتباع ما فيه، وذكر اعتقاده، ثم قال في آخره: ونوالي أبا بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- ونجاهد فيهما؛ لأنهما لم تقتل عليهما الأمة، ولم تشك في أمرهما، ورجى من بعدهما ممن دخل في الفتنة، فنكّل أمرهم إلى الله، إلى آخر الكلام. فمعنى الذي تكلم فيه الحسن؛ أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتلتين في الفتنة بكونه مخطئًا أو مصيبًا، وكان يرى أنه يرجى الأمر فيهما، وأما الإرجاء الذي تعلق بالإيمان، فلم يعرّج عليه، فلا يلحقه بذلك عاب، والله أعلم»^(٤).

(١) الشريعة، للأجري (٢/ ٦٤٠).

(٢) انظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة (٢/ ٩٠٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠٧٥).

(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٣٣).

(٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢١).

لكن الحديث هنا عن نشأة الإرجاء المتعلق بالإيمان، وهو الذي سنبينه فيما يلي.

١- زمانُ النشأة:

نشأة المرجئة تختلف باختلاف طوائفهم، فمنه إرجاء الجهمية، وهو متعلق بنشأة الجهمية، ومنه إرجاء الرافضة، وهو متعلق بنشأة الرافضة، ومنه إرجاء الكرامية، وهو متعلق بنشأتهم ومؤسس بدعتهم، وهو محمد ابن كرام (ت ٢٥٥هـ)، ومنه إرجاء الفقهاء، وهو أول ما حدث من الإرجاء، وهو المقصود بالحديث هنا. قال قتادة: «إنما أحدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث»^(١) وكانت هزيمة ابن الأشعث سنة [٨٣هـ].

وعند أبي داود الطيالسي، قال زبيد: «لما ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل، فذكرت ذلك له...» الحديث^(٢). قال الحافظ ابن حجر: «فظهر من هذا أن سؤاله كان عن معتقدهم، وأن ذلك كان حين ظهورهم، وكانت وفاة أبي وائل سنة تسع وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وثمانين، ففي ذلك دليل على أن بدعة الإرجاء قديمة»^(٣).

ولذا قال شيخ الإسلام: «في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريباً من ذلك»^(٤).

٢- مكانُ النشأة:

كان أكثر المرجئة من أهل الكوفة^(٥). قال ابن تيمية: «فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها»^(٦). وقال أيضاً: «الإرجاء في أهل الكوفة كان أولاً فيهم

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٨٩)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠٧٤).

(٢) المسند لأبي داود الطيالسي (٢٤٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٠١-٣٠٢).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١٣/ ٣٨).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٠١).

أكثر، وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان^(١).

٣- أول من قال بالإرجاء:

قيل: هو أبو عمر ذر بن عبدالله المُرهبى الهَمْداني (توفي قبل المائة)، قال الإمام أحمد: «هو أول من تكلم في الإرجاء»^(٢).

وقال الإمام الأوزاعي: «أول من تكلم في الإرجاء رجلٌ من أهل الكوفة يقال له: قيس الماصر»^(٣). لكن الموجود في كتب الرجال: عمر، وقيل: عمرو بن قيس الماصر (ت ١٢١هـ)، وكان ممن خرج على الحجاج في فتنة ابن الأشعث (٨٠ - ٨٣هـ)^(٤).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن أول من قال: إن الإيمان قول من الفقهاء هو حماد بن أبي سليمان (ت ١٢٠هـ)^(٥).

وما يدل على ذلك قول معمر: «قلت لحماد: كنتَ رأسًا، وكنت إمامًا في أصحابك، فخالفتهم، فصرت تابعًا! قال: إني أن أكون تابعًا في الحق، خير من أن أكون رأسًا في الباطل»^(٦). وعقَّب الإمام الذهبي بقوله: «قلت: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئًا إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي - إن شاء الله - وإنما غلُّوا الإرجاء من قال: لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض، نسأل الله العافية»^(٧).

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٣١١).

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ٣١). وانظر: مسائل ابن هانئ (ص: ٤٢٩). إكمال تهذيب الكمال (٤ / ٢٩١). الإبانة الكبرى (٢ / ٨٩٢).

(٣) تهذيب الكمال (٢١ / ٤٨٦).

(٤) انظر: تاريخ أصبهان (٢ / ٣٢٤)، تاريخ دمشق (١٢ / ١٨٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧ / ٢٩٧، ٣١١).

(٦) سير أعلام النبلاء (٥ / ٥٢٩).

(٧) المصدر نفسه.

والظاهر أن هؤلاء الثلاثة ابتدأوا جميعًا القول بالإرجاء، لكن حماد هو الذي شهره ونشره وأذاعه ودعا إليه، وهم جميعًا من مرجئة الفقهاء فقد اشتركوا جميعًا في فتنة ابن الأشعث التي ظهر فيها هذا القول، ولم يكن قد حدث بعد الإرجاء الغالي الذي ظهر على يد الجهم بن صفوان، كما سيأتي بيانه عند الحديث عن الجهمية.

٤- سبب النشأة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإرجاء إنما أحدثه قومٌ قصدهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفارًا، قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرفٍ آخر»^(١).

فرقهم:

اختلف أهل العلم في عدد فرق المرجئة، يرى الإمام أبو الحسن الأشعري أن فرق المرجئة اثنتا عشرة فرقة^(٢)، ومثله أبو الحسين الملقبي^(٣).

وقال عبد القاهر البغدادي: «المرجئة ثلاثة أصناف»^(٤).

وتابعه على هذا التقسيم أبو المظفر الإسفراييني^(٥)، والمقريري^(٦).

وقسمهم ابن حزم من حيث الحكم عليهم إلى غلاة وغير غلاة، وذكر أن الغلاة طائفتان، فقال: «غلاة المرجئة طائفتان:

أحدهما: الطائفة القائلة بأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٤٦)، وانظر: شرح الطحاوية (٢ / ٧٩٩).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٢).

(٣) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٤٦).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ١٩٠).

(٥) انظر: التبصير في الدين (ص: ٩٧).

(٦) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤ / ١٧٧).

الله ﷻ وليُّ له ﷻ من أهل الجنة، وهذا قول محمد بن كَرَّام السجستاني وأصحابه، وهو بخراسان وبيت المقدس.

والثانية: الطائفة القائلة: إن الإيمان عَقْدٌ بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعَبَد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعَبَد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله ﷻ وليُّ الله ﷻ من أهل الجنة، وهذا قول أبي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريح التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان، وقول أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي اليسر الأشعري البصري وأصحابها^(١)، فأما الجهمية فبخراسان، وأما الأشعرية فكانوا ببغداد والبصرة، ثم قامت له سوق بصقلية والقيروان وبالأندلس، ثم رَقَّ أمرهم، والحمد لله رب العالمين^(٢).

وأما غير الغلاة عند ابن حزم فهم مرجئة الفقهاء، ولذا قال: «أقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب أي حنيفة الفقيه إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معاً، وأن الأعمال إنما هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط، وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان، والأشعري، ومحمد بن كَرَّام السجستاني؛ فإن جهماً والأشعري يقولون: إن الإيمان عَقْدٌ بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعَبَد الصليب في دار الإسلام بلا تقية، ومحمد بن كَرَّام يقول: هو القول باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه^(٣)».

لكن الذي استقر عليه قول أبي الحسن الأشعري في الإيمان موافقة السلف - من حيث الجملة -، وأن الإيمان قول وعمل، كما نص عليه في (مقالات الإسلاميين)، وسيأتي.

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٩٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٨٨-٨٩).

وقال الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي: «الإرجاء يطلق على قسمين: أحدهما: الإرجاء الذي هو ضلال.

وثانيهما: الإرجاء الذي ليس بضلال، ولا يكون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجًا، ولهذا ذكروا أن المرجئة فرقان: مرجئة الضلالة، ومرجئة أهل السنة، وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيرهم من الرواة الأثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة، لا من مرجئة الضلالة»^(١).

وقسم الشهرستاني المرجئة إلى أربعة أصناف: «مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة»، ثم قال: «ونحن إننا نعدُّ مقالات المرجئة الخالصة منهم»، ثم قسم المرجئة الخالصة إلى ست فرق^(٢).

وقسمهم نشوان الحميري إلى صنفين^(٣).

وقسمهم الرازي إلى خمس فرق^(٤).

ويرى ابن تيمية أن المرجئة ثلاث طوائف، فيقول: «المرجئة ثلاثة أصناف:

الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة ... ومنهم من لا يدخلها في الإيمان، كجهنم ومن اتبعه كالصالحين، وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

(١) الرفع والتكميل (ص: ٣٦٠) بتصرف يسير.

(٢) الملل والنحل (١/ ١٣٩) وما بعدها.

(٣) انظر: الحور العين (ص: ٢٠٣-٢٠٤).

(٤) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٠).

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة

منهم»^(١).

فالمرجئة على هذا القول ثلاث فرق:

الأولى: مرجئة الفقهاء، كحماد بن أبي سليمان.

الثانية: مرجئة الجهمية، أتباع جهم بن صفوان.

الثالثة: مرجئة الكرامية، أتباع محمد بن كرام السجستاني.

الفرقة الرابعة: غلاة الغلاة:

هناك صنف رابع من غلاة المرجئة لم تذكره كتب المقالات وهم مرجئة الرافضة، والتي تُسمى في عصرنا بالشيعة؛ فإنها أشد فرق المرجئة ضلالاً وغلواً؛ لأن قولهم في الإيمان أغلظ وأشنع من قول مرجئة الجهمية الغلاة القائلين بأن الإيمان معرفة الله، الذين كفرهم السلف بهذه المقالة؛ لأن حقيقة الإيمان عند الرافضة هو معرفة الأئمة، حتى أصبحت معرفة الأئمة عندهم كافيةً في حصول الإيمان ودخول الجنان، ومع معرفة الإمام لا يضر عندهم أي ذنب، وسبق أن نقلنا عن أهم مصدر لهم وهو (الكافي) الذي أسس لهذا المعتقد أنه عقد باباً بعنوان: «باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة»^(٢)، وذكر فيه ستة أحاديث منها قولهم: «الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل»^(٣).

وحين ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضرُّ معها سيئة^(٤)، رد عليه بعض شيوخهم المعاصرين، فقال: «ما نسبه إلى كثير

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٥).

(٢) أصول الكافي (٢/ ٤٦٣).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٦٤).

(٤) انظر: منهاج السنة (١/ ١٠٦).

من الشيعة من القول بأن حب عليٍّ حسنة ليس يضر معه سيئته، فإنه بهتان منه؛ فإنهم جميعًا متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب^(١).

فالإيمان حسب اعتقادهم هو معرفة الأئمة والإقرار بإمامتهم، وعلى هذا التقدير سقط الإيمان بالله ورسوله، وجميع العقائد الدينية، وجميع التكليفات والأحكام الشرعية، ولم يبق في شريعة الإسلام غير الإقرار بإمامة الاثني عشر^(٢).

وإذا ثبت من خلال هذه النصوص وغيرها أن أشد طوائف المرجئة غلوًا هم الرافضة، فإن من تلبس الروافض ومكرهم أنهم يطلقون لقب المرجئة - الذين هم أحق به - على جميع المسلمين؛ لأنهم في اعتقادهم أخروا عليًا عليه السلام في الخلافة، وقدموا عليه أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، قال شيخهم المازندراني: «يطلق المرجئة على فرقة مقابلة للشيعة؛ لأنهم يؤخرون عليًا عليه السلام عن مرتبته^(٣)». وقال المجلسي: «المرجئة ... قد يطلق على جميع العامة؛ لتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن درجته إلى الرابع^(٤)». وقال بدر الدين العاملي: «المراد بالمرجئة هنا: من قال بإمامة المشايخ الثلاثة على العموم؛ فإنهم - صلوات الله عليهم - يعبرون عنهم تارة بالجزيرية، وتارة بالحشوية، وتارة بالقدرية، وتارة بالمرجئة^(٥)».

ولذلك فإنهم يلعبون الأمة بكل طوائفها، ويلقبونها بهذه الألقاب جميعًا، ففي الكافي عن أبي مسروق قال: سألتني أبو عبد الله عليه السلام عن أهل البصرة، فقال لي: ما هم؟ قلت: مرجئة وقدرية وحرورية، فقال: «لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شيء^(٦)».

(١) منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية، محمد مهدي الكاظمي (١/٩٨).

(٢) لمزيد من التفصيل انظر ما تقدم في مبحث الشيعة الاثني عشرية.

(٣) شرح أصول الكافي (٢/٢٣١).

(٤) بحار الأنوار (٢٣/١٨).

(٥) اخاشية على أصول الكافي للعاملي (ص: ٦٣).

(٦) الكافي (٢/٣٨٧).

عقائدهم:

المرجئة - كما يقول ابن حزم - «عمدتهم التي يتمسكون بها الكلام في الإيمان والكفر، ما هما؟ والتسمية بهما والوعيد، واختلفوا فيما عدا ذلك، كما اختلف غيرهم»^(١).

ذلك أن الناس اختلفوا كثيرًا فيما يقع عليه اسم الإيمان.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان:

- إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه السلف.

- أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذهب إليه مرجئة الفقهاء، وذكره الطحاوي

عن أبي حنيفة وأصحابه -رحمهم الله-.

- أو باللسان وحده، كما قالت الكرامية.

- أو بالقلب وحده وهو المعرفة، كما قاله الجهم.

- أو بالتصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي والأشعري في أحد قوليه»^(٢).

ومن هنا يتبين أن عقائد المرجئة تختلف باختلاف فرقهم، وتفصيل ذلك كما

يلي:

١ - مرجئة الفقهاء:

قالوا: إن الإيمان هو تصديق بالقلب وقول باللسان، وأخرجوا العمل عن مسمى

الإيمان، وزعموا أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى منه. مع قولهم: إن

مرتكب الكبيرة معرض للوعيد، وهو تحت المشيئة، كما هو الحال عند أهل السنة والجماعة^(٣).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٨٩).

(٢) شرح الطحاوية (٢ / ٤٦٢) بتصرف.

(٣) انظر: منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر (ص: ٢٥٠-٢٥٣).

٢- مرجئة الجهمية:

قالوا: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وإن الكفر هو الجهل به فقط، وإن قول اللسان وعمل القلب والجوارح ليس من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان شيء واحد لا يتفاضل ولا يستثنى منه^(١). وهذا أفسد ما قيل في الإيمان^(٢)، ولهذا فقد كفر الإمام أحمد ووكيع وغيرهما من قال بذلك^(٣).

٣- مرجئة الرافضة:

والإيمان عندهم - كما سبق - : معرفة الإمام.

٤- مرجئة الكرامية:

قالوا: إن الإيمان قول باللسان فقط، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان، وقالوا: إن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى فيه^(٤).

قال الإمام الأشعري: «أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان^(٥)».

وقال ابن منده: «وقالت طائفة منهم: الإيمان فعل اللسان دون القلب، وهم أهل الغلو في

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤).

(٢) وأفسد منه مقالة الرافضة كما مر.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٧).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٤١).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ١٤١).

الإرجاء»^(١).

وقال ابن حزم: «وذهب قوم إلى أن الإيثار هو إقرار باللسان بالله تعالى، وإن اعتقد الكفر بقلبه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة، وهذا قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه»^(٢).

وقد وهم ابن حزم في القول بأن الكرامة يحكمون بنجاة المنافقين في الآخرة، ولذلك يقول ابن تيمية: «الكرامة توافق المرجئة والجهمية في أن إيثار الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيثار؛ بل يقولون: هو مؤمن حقاً لمن أظهر الإيثار وإذا كان منافقاً فهو مخلد في النار عندهم؛ فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطناً وظاهراً، ومن حكى عنهم أنهم يقولون: المنافق يدخل الجنة، فقد كذب عليهم»^(٣).

والفرق بين قول الكرامة وقول جهم ما ذكره شيخ الإسلام بقوله: «وقول ابن كرام فيه مخالفة في الاسم دون الحكم، فإنه - وإن سمي المنافقين مؤمنين - يقول: إنهم مخلدون في النار فيخالف الجماعة في الاسم دون الحكم، وأتباع جهم يخالفون في الاسم والحكم جميعاً»^(٤).

٥ - مرجئة الماتريديّة:

قالوا: إن الإيثار هو التصديق، أي: تصديق القلب. والكفر هو التكذيب، وقالوا: إن قول اللسان شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، وقالوا: إن الإيثار لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى منه»^(٥).

٦ - مرجئة الأشاعرة:

اشتهر عند أبي الحسن الأشعري قولان: قول وافق فيه السلف، وقول وافق فيه الجمهور.

(١) الإيثار، لابن منده (١/ ٣٣١).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ١٤١).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠).

(٥) انظر: التوحيد، للماتريدي (ص: ٣٣٢)، التمهيد، للنسفي (٣٧٧، ٣٨٤).

فقوله الذي وافق السلف هو أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص^(١). وهو آخر ما استقر عليه قوله -رحمه الله-، كما مرَّ.

والقول المعتمد عند الأشاعرة، وما استقر عليه المذهب الأشعري: أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وأن قول اللسان شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، وأن عمل الجوارح شرط كمال في الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص^(٢).

والفرق بين التصديق عند الأشاعرة، والمعرفة عند جهم: أن الجهمية لا يثبتون عمل القلب، أما الأشاعرة فيثبتون عمل القلب كالإذعان والانقياد والقبول والرضى، لكنهم جعلوا الإذعان والقبول والرضى والانقياد نفس التصديق، قال الشيخ البيجوري في تعريف التصديق عندهم: «المراد بتصديق النبي ﷺ في ذلك [أي: في كل ما جاء به وعُلم من الدين بالضرورة] الإذعان لما جاء به والقبول له، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ»^(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما جهم فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به، وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها؛ بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول، ولكن هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه؛ ولكن قالوا مع ذلك: إن كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره، واستدللنا بتكفير الشارع له على خلوه قلبه من المعرفة»^(٤).

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٩٣-٢٩٤).

(٢) انظر: أبحاث الأفكار، للامدي (٧ / ٥) وما بعدها، شرح المقاصد في علم الكلام، للفتنازاني (٢ / ٢٤٧) وما بعدها.

(٣) تحفة المرید علی جوهره التوحید (ص: ٤٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣ / ٤٧).

وما عدا هذا الباب (باب الإيوان) من مسائل الاعتقاد فلم ينفرد فيه المرجئة - على اختلاف أصنافهم - بقول يميزهم عن غيرهم، كاختلافهم في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة على مقالتين: منهم من أنكرها، ومنهم من أثبتها، واختلافهم في القرآن، منهم من قال: مخلوق، ومنهم من قال: غير مخلوق، ومنهم من توقف، وكذلك في القدر منهم من قال بقول المعتزلة، ومنهم من أثبت القدر ... إلخ. وهذه المسائل هم فيها مقلدة لغيرهم لا يختصون بها^(١).

الحكم عليهم:

قال إبراهيم النخعي: «لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة»^(٢).
وقال محمد بن مسلم الزهري: «ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من هذه»^(٣)
يعني بدعة الإرجاء.

وقال الأوزاعي: «كان يحيى بن أبي كثير، وقتادة يقولان: ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على هذه الأمة من الإرجاء»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيوان، عَلِمَ بالاضطرار أنه مخالف للرسول، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيوان، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً، ويعلم أنه لو قُدِّرَ أن قوما قالوا للنبي ﷺ نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألستنا بالشهادتين، إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلي، ولا نصوم، ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة، ولا نفي بالعهد، ولا نصل الرحم، ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به،

(١) راجع: مقالات الإسلاميين (ص: ١٢٦ - ١٢٩).

(٢) السنة، لعبدالله بن أحمد (١/ ٣١٣).

(٣) الشريعة، للأجري (٢/ ٦٧٦).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٦٤).

ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم، بل نقتلك أيضًا ونقاتلك مع أعدائك، هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملو الإيثار، وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم ألا يدخل أحد منكم النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك»^(١).

ومن المعلوم أن هذه الأقوال في الموقف من المرجئة لا تتناول ما يسمى بمرجئة الفقهاء، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين، ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدًا من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد؛ فإن كثيرًا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعةً إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببًا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء»^(٢).

وقال الإمام الذهبي: «الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء، لا ينبغي التحامل على قائله»^(٣).

وقال الإمام ابن أبي العز: «والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل السنة اختلاف صوري»^(٤)؛ فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءًا من

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٩٩)، وانظر كلام الذهبي في التعقيب على كلام معمر في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٢٩).

(٤) في كثير منه، لا في جميعه، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في النص السابق، وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٧)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٩٧).

الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه نزاعٌ لفظيٌّ، لا يترتب عليه فساد اعتقاد^(١).

ومجمل القول في الحكم عليهم:

أن الإرجاء منه ما هو كفر؛ كمقالة الجهمية بأن الإيمان هو المعرفة، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية. قال الحميدي: «سمعت وكيعاً يقول: أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون: الإيمان قول. والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة وفي رواية أخرى عنه: وهذا كفر^(٢)». وقال محمد بن عمر الكلبي: «سمعت وكيعاً يقول: الجهمية شر من القدرية قال: وقال وكيع: المرجئة: الذين يقولون: الإقرار يجزئ عن العمل؛ ومن قال هذا فقد هلك؛ ومن قال: النية تجزئ عن العمل فهو كفر وهو قول جهم وكذلك قال أحمد بن حنبل^(٣)». وأعظم منه في الكفر مقالة الرافضة، فإن الإيمان عندهم هو معرفة الإمام، وحب عليٍّ حسنةٌ لا يضرُّ معها سيئة^(٤)، كما سبق.

أما مقالة الكرامية بأن الإيمان هو قول اللسان فلا ريب بأن من قال: إن الإيمان هو قول اللسان، وإن اعتقد ما هو كفر، كالاقتقاد بأن الله شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسماؤه وصفاته، أو أن الله ولدًا، أو فعل ما هو كفر كالسجود للصنم، أو ترك ما هو ركن في الإيمان كاعتقاد وحدانية الله ﷻ فهو كافر.

أما من قال: الإيمان قول باللسان والعبد مطالب بالاعتقاد والعمل، لكن هذا لا يسمى إيماناً كحال مرجئة الفقهاء، فقولهم بدعة لفظية في الغالب، والله أعلم.

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٢).

(٢) الشريعة للأجري (٢/ ٦٣٩)، مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٧).

(٤) منهاج السنة (١/ ١٠٦).

ثالثاً: الجهمية

لا يوجد اليوم طائفة تسمى الجهمية، فقد اختفى اسمها - كفرقة-، ولكن بقيت عقائدها، وتوزعت على فرق أخرى جاءت بعدها^(١).

تعريفهم:

يتفق أصحاب المقالات على تعريف الجهمية بأنهم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي الراسبي^(٢)، وقد سمو بهذا الاسم نسبة إليه^(٣).

يقول عبد القاهر البغدادي: «الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز»^(٤).

فذكر عبد القاهر في تعريفه ثلاثاً من بدع جهم، وهي: الجبر، والإرجاء، والقول بفناء الجنة والنار، وبقيت بدعته الرابعة، وهي: التعطيل، وهي ما أشار إليها ابن حجر في تعريفه

(١) ولا سيما مقالة التعطيل التي ورثتها الزيدية والاثنا عشرية والإباضية، ومقالة الجبر التي ورثتها الصوفية، ومقالة الإرجاء الغالي التي ورثتها الرافضة، كما سبق بيانه عند الحديث عن (فرق المرجئة).

(٢) كان الجهم من الموالي، فقد ذكرت المصادر أنه مولى لبني راسب. قال الذهبي: الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولا هم السمرقندي. وقال ابن كثير: الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بأبي محرز، وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية. تاريخ الإسلام (٦٥/٨)، البداية والنهاية (٢٩/١٠).

(٣) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٩٩)، والفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)، والملل والنحل (١/ ٨٦)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٦٨). والأنساب للسمعاني (٣/ ٤٣٧)، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٧٦)، والتبصير في الدين (ص: ١٠٧).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩).

للجهمية، حيث يقول: «الجهمية من ينفي صفات الله تعالى التي أثبتها الكتاب والسنة، ويقول: إن القرآن مخلوق»^(١). ولعله يعني جهمية المعتزلة؛ لأن الجهمية المحضة ينفون الأسماء والصفات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتحقيق: أن التجهم المحض؛ وهو نفي الأسماء والصفات؛ كما يُحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممن نفى أسماء الله الحسنى كفرٌ بَيِّنٌ، مخالفٌ لما علم بالاضطرار من دين الرسول»^(٢).

سبب التسمية:

سميت الجهمية بهذا الاسم؛ نسبة إلى جهم بن صفوان، وإنما نسبت مقالة التعطيل إلى الجهم -مع أن شيخه الجعد سبقه إليها- لسببين:
الأول: مبالغة جهم في النفي والتعطيل زيادة على شيخه الجعد.
الثاني: اهتمامه بالدعوة إلى مذهبه ونشر مقالته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن جهماً أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات، وبالغ في نفي ذلك، فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي، والابتداء بكثرة إظهار ذلك، والدعوة إليه، وإن كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك؛ فإن الجعد بن درهم أول من أحدث ذلك في الإسلام»^(٣).

درجات التجهم:

توسع السلف في استعمال مصطلح الجهمية بإطلاقه على من شاركهم في شيء من تعطيل الصفات، قال ابن تيمية: «السلف يسمون من قال بخلقه [أي القرآن]، ونفى الصفات

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٥٩).

(٢) النبوات، ابن تيمية (١/ ٥٧٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٩).

والرؤية جهميًا^(١)، بل ربما أطلقوا هذا المصطلح على من كان عنده شيء من التعطيل^(٢). وقد أثرت أقوال الجهمية في باب الأسماء والصفات على عدد من فرق المسلمين، فظهر التجهّم بنسب متفاوتة فيها، ويمكن تقسيم التجهّم بهذا الاعتبار إلى ثلاث درجات:

١- الجهمية الغالية: وهم الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنی، قالوا: هي مجاز، وهي شرها.

٢- جهمية المعتزلة ونحوهم: وهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنی في الجملة، لكن ينفون صفاته، وهم -أيضًا- لا يقرون بأسماء الله الحسنی كلها على الحقيقة، بل يحملون كثيرًا منها على المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون.

٣- جهمية الصفاتية: وهم المثبتون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهّم، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، أو غير الخبرية، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث، كما عليه كثير من أهل الكلام والفقهاء وطائفة من أهل الحديث، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار -أيضًا- في الجملة، لكن مع نفي لبعض ما ثبت بالنصوص وبالعقول، وذلك كأبي محمد بن كُلاب ومن اتبعه، وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة، فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعًا عظيمًا فيما يثبتونه من الصفات وأعظم من منازعتهم سائر أهل الإثبات فيما ينفون^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٢١).

(٢) كما قال الإمام أحمد في حديث الصورة: «من قال: إن الله تعالى خلق آدم على صورة آدم، فهو جهمي، وأي صورة كانت لأدم قبل أن يخلقه؟!» (الإبانة الكبرى، ابن بطة ٧ / ٢٦٦).

(٣) انظر: التسمينية (١ / ٢٦٥-٢٧١) بتصرف يسير.

نشاتهم:

١- زمانُ النشأة:

ظهرت مقالة جهم بن صفوان في أواخر دولة بني أمية، بعد موت الخليفة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله-، وبعد حدوث القدرية، وتحديدًا في خلافة هشام بن عبد الملك^(١)، وكانت خلافة هشام من سنة ١٠٥ هـ حتى سنة ١٢٥ هـ.

٢- مكانُ النشأة:

ظهرت الجهمية في ترمذ من بلاد خراسان. قال الإمام أحمد: «وكان مما بلغنا من أمر الجهم أنه كان من أهل خراسان»^(٢)، من أهل ترمذ^(٣). وقال شيخ الإسلام: «ظهر جهم من ناحية المشرق من ترمذ، ومنها ظهر رأي جهم؛ ولهذا كان علماء السنة بالمشرق أكثر كلامًا في رد مذهبهم من أهل الحجاز والشام والعراق، مثل: إبراهيم بن طهمان، وخارجة بن مصعب، ومثل عبد الله بن المبارك، وأمثالهم، وقد تكلم في ذمهم مالك وابن الماجشون وغيرهما، وكذلك الأوزاعي، وحمام بن زيد وغيرهم، وإنما اشتهرت مقالاتهم من حين محنة الإمام أحمد وغيره، من علماء السنة»^(٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨ / ٤٦٠)، (٢٠ / ٣٠٢).

(٢) خراسان: بلاد واسعة في المشرق، أول حدودها ما يلي العراق، وآخر حدودها ما يلي الهند، وفيها مدن كثيرة، منها: ترمذ. انظر: معجم البلدان (٢ / ٢٦)، (٢ / ٣٥٠)، والروض المعطار في خبر الأقطار (ص: ١٣٢).

(٣) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن في خراسان على الضفة الشرقية من جيحون. قال المقدسي: أكثر أهل ترمذ جهمية، وأهل الرقة شيعة، وأهل كندر قدرية. انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص: ٢٣٧)، ومعجم البلدان (٢ / ٢٦)، والروض المعطار في خبر الأقطار (ص: ١٣٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٨ / ٢٢٩).

٣- أسباب ظهور مقالة جههم:

السبب الأول: مناظرته لبعض الملاحدة السمنية^(١).

قال شيخ الإسلام: «مبدأ حدوث هذا [أي التعطيل] في الإسلام هو مناظرة الجهمية للدهرية»^(٢). وقال أيضًا: «ومبدأ التجهم كان من الزنادقة المنافقين»^(٣).

السبب الثاني: مقابلة بدعة التجسيم بها يضادها؛ وذلك أن جهماً كان معاصرًا لمقاتل بن سليمان، وكانا بخراسان؛ فأما مقاتل، فكان مسرفًا في الإثبات والتجسيم، فنشأت بينهما مناظرات وجدل. قال ابن حزم: «وكان مقاتل هذا مع جههم بخراسان في وقت واحد، وكان يخالفه في التجسيم. كان جههم يقول: ليس الله تعالى شيئًا، ولا هو أيضًا لا شيء؛ لأنه تعالى خالق كل شيء، فلا شيء إلا مخلوق، وكان مقاتل يقول: إن الله جسم ولحم ودم على صورة الإنسان»^(٤).

السبب الثالث: جهله بالسنة واشتغاله بعلم الكلام، وتركه مجالسة أهل العلم، قال أبو معاذ البلخي: «كان جهم على معبر ترمذ، وكان رجلًا كوفي الأصل، فصيح اللسان، لم يكن له

(١) ذكر الإمام أحمد - رحمه الله - مناظرة الجههم بن صفوان لطائفة من الملاحدة يقال لهم: السمنية، في كتابه: (الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ٩٣-٩٨)، حيث طلبوا منه أن يثبت لهم وجود الله من خلال الحس، فأصابه الشك في هذه المناظرة، وقد علق شيخ الإسلام على هذه المناظرة بقوله: فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جههم إمام هؤلاء المتكلمين النفاة بين ما ذكرته، فإنه لما ناظر من ناظره من المشركين السمنية من الهند، وجحدوا الإله، لكون الجههم لم يدركه شيء من حواسه، لا ببصره، ولا بسمعه، ولا بشممه، ولا بذوقه، ولا بحسه، كان مضمون هذا الكلام: أن كل ما لا يحسه الإنسان بحواسه الخمس، فإنه ينكره ولا يقرُّ به، فأجابهم الجههم: إنه قد يكون في الموجود ما لا يمكن إحساسه بشيء من هذه الحواس. وهي الروح التي في العبد، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة، وهذا الذي قاله هو قول الصابئة والفلاسفة المشائين (التسعينية ١ / ٢٤٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١ / ٤٣٧).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣ / ٥١٢).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٥٥). وانظر: تاريخ الإسلام (٨ / ٦٦)، والبداية والنهاية (٩ / ٣٥٠).

علم، ولا مجالسة لأهل العلم، كان تكلم كلام المتكلمين، وكلمه السمنية، فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبه، فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا، قال: ثم خرج عليهم بعد أيام، فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء، قال أبو معاذ: كذب عدو الله، إن الله في السماء على عرشه، وكما وصف نفسه^(١).

وقال الذهبي: «ما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً»^(٢).

السبب الرابع: تلقيه عن الجعد بن درهم، قال قتبية بن سعيد: «بلغني أن جهماً كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم»^(٣).

وقال ابن عساكر: «سئل أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الغسيلي: ممن أخذ ابن أبي دؤاد؟ فقال: من بشر المريسي، وبشر المريسي أخذه من جهم بن صفوان، وأخذه جهم من الجعد بن درهم»^(٤).

قال ابن كثير: «قال غير واحد من الأئمة: كان الجعد بن درهم من أهل الشام، وهو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي؛ نسبة إليه، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجلٍ يقال له: بيان بن سمعان، وأخذه بيان، عن طالوت ابن أخت ليبيد بن أعصم، عن خاله ليبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ»^(٥).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦).

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٣٠).

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٧٢/ ٩٩).

(٥) البداية والنهاية (١٣/ ١٩٩).

وكان لقاء الجهم بشيخه الجعد في الكوفة وقت هروبه من بني أمية. قال ابن كثير: «وأما الجعد - لعنه الله - فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم، فسكن الكوفة فلقبه بها الجهم بن صفوان، فتقلد هذا القول - لعنهما الله - ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى بالكوفة..»^(١).

٤ - الأتباع:

وأما أتباع الجهم فقد قال ابن القيم: «الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا ... قليلين أولاً، مسموعين مذمومين عند الأئمة»^(٢). وذكر ابن كلاب في كتاب (الصفات) مما نقله عنه أبو بكر بن فورك أن أتباع الجهم بلغوا خمسين^(٣).

واستمر وجود الجهمية بعد الجهم بن صفوان، فقد ذكر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) أن أتباع الجهم كانوا موجودين في زمانه، حيث قال: «وأتباعه اليوم بنهاوند، وخرج إليهم في زماننا إسماعيل بن إبراهيم بن كبوس الشيرازي الديلي، فدعاهم إلى مذهب شيخنا أبي الحسن الأشعري، فأجابه قوم منهم وصاروا مع أهل السنة يداً واحدة، والحمد لله على ذلك»^(٤). ثم انقرضت الجهمية اسماً، وورثت بعض الفرق مقالاتها، وبقيت إلى يومنا هذا، كما سبق.

(١) البداية والنهاية (١٣ / ١٤٨).

وكذا تلميذه: الجهم بن صفوان مات مقتولاً سنة ١٢٨هـ، وذلك أنه كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، وقتله. انظر: تاريخ الطبري (٧ / ٢٦٧)، والكامل في التاريخ (٤ / ٣٤٧)، والبداية والنهاية (١٣ / ٢٢١)، ولسان الميزان، تحقيق أبي غدة (٢ / ٥٠١).

(٢) الصواعق المرسله (٣ / ١٠٧٠).

(٣) نقله عنه ابن تيمية في درء التعارض (٦ / ١٩٤).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ٢٠٠).

جذورهم:

١- الأصل اليهودي:

يقول ابن تيمية: «أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركون وضلال الصابئين^(١)؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم، اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ^(٢)».

٢- الأصل الفلسفي:

قال ابن تيمية أيضاً: «الجهم بن صفوان أخذ مذهبه عن الجعد بن درهم، وكان الجعد هذا من أهل حران، وإليه ينسب مروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان بحران أئمة الفلاسفة الصابئة القائلين بقدوم العالم وتعطيل الصفات، وعنهم أخذ تحقيق ذلك أبو نصر الفارابي لما دخل حران، وكان الجعد فيما يقال أخذ تعطيل الصفات عنهم؛ ولهذا أنكر كلام الله ومحبة الله، فلا يكون له كليم ولا خليل^(٣)».

(١) قال ابن تيمية: الصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالصَّنِيعِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠] فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين (الرد على المنطقيين ص: ٢٨٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٩/ ١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠). ويراجع: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٦/ ١٤٩)، وشرح العيون، لابن نباتة (ص: ٢٩٣).

(٣) الصفدية (٢/ ١٦٦).

٣- الصابئة المشركون:

كما تأثر جهم أيضًا بالصابئة المشركين، قال ابن تيمية: «فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين، وإما من المشركين»^(١).

عقائدهم:

١- الإيمان هو المعرفة:

زعمت الجهمية أن الإيمان هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، والكفر هو الجهل به فقط. قال الأشعري: «وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده، وأن الإيمان لا يتبعَّض ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح»^(٢).

وقد خالفت الجهمية بقولها هذا إجماع المسلمين، حتى كفرهم السلف رحمهم الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قول جهم في الإيمان قولٌ خارج عن إجماع المسلمين قبله، بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان»^(٣).

٢- نفي الأسماء والصفات:

قال ابن تيمية: «جهم كان ينكر أسماء الله تعالى، فلا يسميه شيئاً^(٤) ولا حيّاً، ولا غير ذلك

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٤١)، مجموع الفتاوى (٥ / ٢٢).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٢)، وانظر: الإيمان للقاسم بن سلام (ص: ٥٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ /

١٠٥)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)، الملل والنحل (١ / ٨٨)، مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ١٤١).

(٤) قد يصف الجهمية الله أنه شيء، لكنهم يقولون: لا كالأشياء، فتكون المحصلة نفي الذات بالكلية، قال الإمام أحمد: وقلنا: هو شيء. فقالوا: هو شيء لا كالأشياء. فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء. فعند ذلك تبين

إلا على سبيل المجاز، قال: لأنه إذا سُمِّي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهاً^(١). «وقال الجهمية: من قال: إن الله عليم قدير عزيز حكيم، فهو مشبّه ليس بموحد»^(٢).
وقال: «.. وحقيقة قولهم: إن الله لا يتكلم ولا يُرى؛ ولا يباين الخلق؛ ولا له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا حياة، بل القرآن مخلوق، وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار، وأمثال هذه المقالات»^(٣).

وقال السمعاني: «كان يزعم أن الله ﷻ لا يوصف بأنه شيء، ولا بأنه حي عالم، ولا يوصف بما يجوز إطلاق بعضه على غيره، وزعم أن تسميته شيئاً، وتسمية غيره شيئاً توجب التشبيه بينه وبين غيره، وكذلك تسميته حياً وعالمًا، وتسمية غيره بذلك توجب التشبيه بينه وبين من سمي بذلك من المخلوقين، وأطلق عليه اسم القادر؛ لأنه لا يسمى أحدًا من المخلوقين قادرًا من أجل نفيه استطاعة العباد واكتسابهم، وفي هذا القول إبطال أكثر ما ورد به القرآن من أسماء الله تعالى؛ كالعليم، والحَي، والبصير، والسميع، ونحو ذلك»^(٤).

٣- القول بخلق القرآن:

ذكر الأشعري أن الجهم كان «يقول بخلق القرآن»^(٥).

قال الآجري: «لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى، فلما جاء جهم بن صفوان

للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية. الرد على الجهمية والزندقة (ص: ٩٩).

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١١). وانظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٤٣)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٥)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٨).

(٢) التدمرية (ص: ١٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢).

(٤) الأنساب (٣/ ٤٣٧-٤٣٨).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٠).

فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك ولا توقف فيه، فمن لم يقل: غير مخلوق، سمي واقفياً شاكاً في دينه^(١).
قال ابن تيمية: «كان أول من أظهر إنكار التكليم والمخالفة الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية.. وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان، فأنكر أن يكون الله يتكلم، ثم نافق المسلمين فأقر بلفظ الكلام، وقال: كلامه يخلق في محل كالهواء وورق الشجر، ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين متابعة للجعد والجهم^(٢)».

٤- القول بالحلول:

قال ابن تيمية: «الحلول نوعان: قوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص، وقوم يقولون بحلوله في كل شيء، وهم الجهمية الذين يقولون: إن ذات الله في كل مكان^(٣)».

٥- نفي رؤية الله في الآخرة:

قال ابن حزم: «ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يرى في الآخرة^(٤)».
وقال ابن تيمية: «والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال ... والقول الثاني: قول نفاة الجهمية: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة^(٥)».

٦- القول بالجبر:

زعمت الجهمية أن الإنسان مجبور في أفعاله، وأنه لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار،

(١) الشريعة للأجري (١ / ٥٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٦-٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٩).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٣٦-٣٣٧).

وأنه لا فعل لأحدٍ في الحقيقة إلا الله وحده^(١).

قال الشهرستاني: «ومنها قوله [أي: الجهم] في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله؛ لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازًا، كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيّمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت، إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر. قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا^(٢)».

٧- إنكار عذاب القبر:

قال الملقطى: «وأنكر جهم عذاب القبر ومنكرًا وكبيرًا^(٣)».

٨- إنكار الميزان والصراط والحوض:

قال الملقطى: «ومنهم صنف أنكروا الميزان؛ أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق أعمالهم، وأنكروا الصراط؛ أن يكون الله ﷻ يميز على الصراط أحدًا^(٤)».

ونسب عبد القاهر البغدادي إنكار الحوض إلى الجهمية^(٥).

(١) راجع: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٩)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ١٤)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)،

الملل والنحل (١ / ٨٧)، مجموع الفتاوى (١٢ / ٣١١)، شرح الطحاوية (٢ / ٧٩٧).

(٢) الملل والنحل (١ / ٨٧). وانظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٠)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ١٤)، والفرق

بين الفرق (ص: ١٩٩)، ومجموع الفتاوى (١٢ / ٣١١)، وشرح الطحاوية (٢ / ٧٩٧).

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٢٤).

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٩٨).

(٥) انظر: أصول الدين (ص: ٢٤٥).

٩- إنكار الشفاعة:

قال المَلْطِي: «وأنكر جهنم الشفاعة وأن قومًا يخرجون من النار»^(١).
وقال عن الجهمية: «وأنكروا الشفاعة؛ أن يشفع رسول الله ﷺ لأحدٍ من أمته، وأن يُخرج
الناس من النار بعدما دخلوها»^(٢).

١٠- نفي وجود الجنة والنار الآن:

أنكر الجهمية أن تكون الجنة والنار موجودتين الآن، قال المَلْطِي: «وأنكر جهنم أن الله
جل اسمه خلق الجنة والنار»^(٣).

١١- فناء الجنة والنار:

تفرد الجهم عن سائر الأمة بالقول بفناء الجنة والنار، وزعم أنها تفتيان بعد خلقهما، وأن
حركات أهلها تنقطع؛ إذ لا تتصور حركات لا تتناهى آخرًا، كما لا تتصور حركات لا تتناهى
أولاً، وإن أهل الجنة إذ دخلوها لبثوا فيها دهرًا طويلاً، فتبيد الجنة وأهلها، ويبيد نعيمها،
وتهلك النار، ويبيد عذابها وأهلها كما يفنى سائر الأشياء»^(٤).
وقد أنكر عليه هذا القول عامة أهل السنة، وكفروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار
الأرض»^(٥).

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٣٤).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٩٩).

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٣٧).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٩-٢٨٠)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ١٤٠)، الفرق بين الفرق
(ص: ١٩٩)، والملل والنحل (١/ ٨٧)، الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص: ٤٢)، التبصير في الدين (ص: ١٠٨).

(٥) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٢١)، فيض القدير (٦/ ٢٤١).

١٢- الخروج على ولاة الأمور:

كان جهمٌ ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن يضمنه الخروج على ولاة الأمر، فكان يحمل السلاح ويقاتل السلطان، وقد رافق سريج بن الحارث في وقائعه، وخرج على نصر بن سيار حتى قتله سلّم بن أحوز المازني في آخر أيام مروانية^(١).

الحكم عليهم:

اشتد نكير أهل السنة على الجهمية، والتحذير منهم ومن بدعهم، وهذه بعض عباراتهم: قال عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ): «إنه ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى والله ألا يناكحوا ولا يوارثوا»^(٢).

وقال يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ): «لعن الله الجهم ومن قال بقوله؛ كان كافراً جاحداً، ترك الصلاة أربعين يوماً، يزعم أنه يرتاد ديناً، وذلك أنه شك في الإسلام» قال يزيد: «قتله سلم بن أحوز على هذا القول»^(٣).

وقال الإمام البخاري: «نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضلّ في كفرهم منهم [يعني: الجهمية]، وإني لأستجهل من لا يكفرهم، إلا من لا يعرف كفرهم»^(٤). وقال الإمام الذهبي في ترجمة الجهم بن صفوان: «المتكلم الضالُّ، رأس الجهمية، وأساس البدعة»^(٥).

وقال ابن السبكي: «وأما جهم فلا ندري ما مذهبه، ونحن على قطع بأنه رجل مبتدع

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٩)، والفرق بين الفرق (ص: ٢٠٠)، التبصير في الدين (ص: ١٠٨).

(٢) السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ١٥٧).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٦٧).

(٤) خلق أفعال العباد (ص: ٣٣).

(٥) تاريخ الإسلام (٨/ ٦٦).

... وهو عندنا من شر المبتدعة»^(١).

وقال ابن تيمية: «وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة، لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقوله، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاية الأمور يقولون بقول الجهمية: إن القرآن مخلوق، وإن الله ﷻ لا يرى في الآخرة وغير ذلك، ويدعون الناس إلى ذلك، ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم ويكفرون من لم يجيبهم، حتى إنهم كانوا إذا افتكوا الأسير لا يطلقونه حتى يقرّ بقول الجهمية: إن القرآن مخلوق، وغير ذلك، ولا يولون متولياً، ولا يعطون رزقاً من بيت المال إلا لمن يقول ذلك، ومع هذا فالإمام أحمد - رضي الله تعالى عنه - ترحم عليهم، واستغفر لهم؛ لعلمه بأنهم لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال ذلك لهم»^(٢). ويعني ابن تيمية هنا: جهمية المعتزلة.

وقد نقل الإمام اللالكائي القول بكفرهم عن خمسمائة من علماء الأمة، وأشار إلى ذلك

ابن القيم بقوله:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عند هم بل حكاه قبله الطبراني^(٣)

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١ / ٩١).

(٢) المسائل الماردينية (ص: ١٥٧-١٥٨).

(٣) انظر: نونية ابن القيم (ص: ٤٢).

رابعاً: المعتزلة^(١)

لا توجد اليوم طائفة تسمى بالمعتزلة^(٢)، ولكن الحقيقة أنها وإن اختفى اسمها، فقد بقيت عقائدها في طائفة من الفرق كالزيدية التي تحولت إلى معتزلة تماماً في اعتقادها في أصول الدين، قال الشهرستاني في سياق حديثه عن الزيدية: «وأما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة»^(٣).

ومثل الزيدية الإباضية حيث قال أبو القاسم البلخي: «حكى أصحابنا أن عبد الله ابن إباض لم يمت حتى ترك قوله أجمع، ورجع إلى الاعتزال»^(٤).

وكذلك الرافضة تأثروا بالمعتزلة خاصة في أصلي التوحيد والعدل، حيث قال الأشعري: «وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه»^(٥)، وقال الذهبي: «ومن حدود سبعين وثلاثمائة إلى زماننا هذا، تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا»^(٦).

تعريفهم:

قال ابن فارس: «العين والزاء واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة، تقول: عزل

(١) لم يدرج بعض علماء الفرق والمقالات المعتزلة ضمن أصول الفرق، ولعلّ السبب في ذلك؛ إما لأنها لم تستقل بمذهب، فهي قدرية في باب القدر، وجهمية في باب الصفات، ووعيدية في باب الأسماء والأحكام، أو لأنها امتداد للقدرية؛ لأن من ألقاب المعتزلة القدرية - كما مر - لكن أفردناها بالذكر؛ لأنها جمعت مع القدر بقية الأصول الأربعة.

(٢) انظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين (٣/ ٢٠٧)، المعتزلة، زهدي جار الله (ص: ٢١٨، ٢٢١).

(٣) الملل والنحل (١/ ١٦٢).

(٤) الحور العين (ص: ١٧٣).

(٥) مقالات الإسلاميين (١/ ٤٦).

(٦) ميزان الاعتدال (٣/ ١٤٩).

الإنسان الشيء يعزله، إذا نحاه في جانب، وهو بمعزل، وفي معزلٍ من أصحابه، أي في ناحية عنهم^(١)، وقال الأزهري: «اعتزلت القوم، أي فارقتهم وتنحيت عنهم»^(٢).

وأما اصطلاحًا فيقول المعتزلي أبو الحسين الخياط: «وليس يستحق أحدًا... اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي»^(٣).

وقال ابن حزم - رحمه الله - : «ومن خالف المعتزلة في خلق القرآن والرؤية والتشبيه، والقدر، وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لكن فاسق، فليس منهم، ومن وافقهم فيما ذكرنا فهو منهم، وإن خالفهم فيما سوى ذلك مما اختلف فيه المسلمون»^(٤).

ويقول أبو القاسم البلخي: «والاعتزال - رحمك الله - وإن كان سنذكر سببه، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين»^(٥)، فقد صار في يومنا هذا سمة لمن قال بالتوحيد والعدل^(٦)... وزال عمن خالف التوحيد والعدل، وإن قال بالمنزلة بين المنزلتين»^(٧).

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٠٧). انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٦٤-٥٦٥).

(٢) تهذيب اللغة (٢/ ٨٠)، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٢٤).

(٣) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (ص: ١٢٦-١٢٧). وانظر: مروج الذهب (٣/ ١٦١).

(٤) الفصل (٢/ ٢٧٠).

(٥) وهم يعنون بها: أن صاحب الكبيرة لا يسمى مسلمًا ولا كافرًا، فهو في منزلة بين المنزلتين، وهذا قول باطل مخالف للقرآن والسنة والذي عليه سلف الأمة وأئمتها؛ فإن صاحب الكبيرة يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان. أو مؤمنًا بإيمانه فاسق بكبيرته، وهذا من حيث العموم. أما المعين فلا يحكم عليه بالفسق إلا بعد ثبوت شروط وانتفاء موانع.

(٦) والتوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات، كما أن العدل عندهم يتضمن إنكار أن الله خالق أفعال العباد.

(٧) ذكر المعتزلة، لأبي القاسم البلخي (ص: ٧٥) ضمن (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة).

سبب التسمية:

وقد اختلف في سبب تسميتهم بالمعتزلة:

١- قيل: إنها سموا معتزلة؛ لاعتزالهم مجلس الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان الذي اعتزله عمرو بن عبيد وأصحابه^(١).

٢- وقيل: إن الذي سماهم معتزلة قتادة بن دعامة السدوسي، وذلك حين «دخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن عبيد ونفرٍ معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلّقوا وارتفعت أصواتهم، فأمّهم وهو يظن أنها حلقة الحسن، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي، فقال: إنها هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمذ يومئذ سموا المعتزلة»^(٢).

٣- وقيل سموا معتزلة؛ لاعتزالهم الجماعة في مسألة اسم صاحب الكبيرة وحكمه. يقول نشوان الحميري: «وسميت المعتزلة: معتزلة؛ لقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، وذلك أن المسلمين اختلفوا في أهل الكبائر من أهل الصلاة. فقالت الخوارج: هم كفار مشركون. وقال بعض المرجية: إنهم مؤمنون لإقرارهم بالله ورسوله وبكتابه، وبما جاء به رسوله، وإن لم يعملوا به. وقالت المعتزلة: لا نسبهم بالكفر ولا بالإيمان؛ ولا يقولون: إنهم مشركون ولا مؤمنون، ولكن يقولون: إنهم فساق؛ فاعتزلوا القولين جميعاً، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فسموا: المعتزلة»^(٣).

٤- وقيل: سموا بذلك تشبيهاً لهم بفرقة من اليهود، قال المقرئ: «كان من جملة فرقهم [أي: اليهود] إذ ذاك طائفة يقال لهم: الفروشيم، ومعناه المعتزلة، ومن مذهبهم القول بما في

(١) انظر: المعارف، لابن قتيبة (ص: ٤٨٣)، الحور العين (ص: ٢٠٤-٢٠٥)، مروج الذهب، للمسعودي (٢٢/٤).

(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٨٥).

(٣) الحور العين (ص: ٢٠٤-٢٠٥).

التوراة^(١) على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم^(٢). ومال إلى هذا الشيخ محمد أبو زهرة، حيث يقول: «إن التشابه كبير بين معتزلة اليهود ومعتزلة الإسلام؛ إذ الجميع يفسرون دينهم على مقتضى منطق الفلاسفة^(٣)، وهو بعيد.

ألقابهم:

١- المعتزلة: وهذا أشهر ألقابهم، وهم يمتدحون أنفسهم بهذا الاسم.

قال ابن المرتضى: «سمي [أي: واصل] وأصحابه معتزلة؛ لاعتزالهم كل الأقوال المحدثثة^(٤)».

وقال أبو هلال العسكري: «المعتزليُّ راضٍ باسم الاعتزال غيرُ نافرٍ منه، ولا كارِهٍ له، ولا مستبدلٍ به؛ لما رضى له سلفه^(٥)».

بل زعم القاضي عبد الجبار أن كل ما ورد في القرآن من لفظ الاعتزال، فإن المراد به الاعتزال عن الباطل، وأن اسم الاعتزال مدح، وقد ردَّ الفخر الرازي هذا بقوله: «وهو فاسد؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّوا لِي﴾ [الدخان: ٣١]؛ فإن المراد من هذا الاعتزال هو الكفر في الآية^(٦)».

٢- أهل التوحيد أو (الموحَّدة): قال الشهرستاني: «ويسمون أصحاب العدل والتوحيد^(٧)»، وقال ابن

(١) ليس هذا في التوراة المنزلة، ولكنه في توراتهم المحرفة ووفق تأويلات أو تحريفات أحبارهم ورهبانهم.

(٢) المواعظ والاعتبار (٤/ ٣٨١).

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية (ص: ١٢٥).

(٤) طبقات المعتزلة (ص: ٥).

(٥) الأوائل (ص: ٣٧٤).

(٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ١١٢).

(٧) الملل والنحل (١/ ٤٣).

المرتضى: «هم يسمّون... الموحدّة؛ لقولهم: لا قديم^(١) مع الله^(٢)».

٣- أهل العدل (العدلية): قال الشهرستاني: «ويلقبون بالقدريّة، والعدلية^(٣)»، وقال ابن

المرتضى: «هم يسمّون... العدلية؛ لقولهم بعدل الله وحكمته^(٤)».

٤- الوعيدية: وقد لقبهم به أحد المرجئة^(٥).

٥- المنزهة (أهل التنزيه): وقد ذكره القبلي من أسمائهم^(٦).

٦- القدرية: يقول الإمام عبد القاهر البغدادي: «وقد زعموا [أي: المعتزلة] أن الناس

هم الذين يقدرّون على أكسابهم، وأنه ليس لله ﷻ في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات

صنع وتقدير، ولأجل هذا القول ساهم المسلمون قدريّة^(٧)»، وقال أبو حاتم الرازي^(٨):

«وللقدرية لقب يقال لهم: المعتزلة، وهم إلى هذا اللقب أميل به وأرضى^(٩)».

٧- الجهمية: ولقبوا بذلك لما سبق أن ذكرناه من أن المعتزلة أخذوا عن الجهمية القول بنفي

(١) القديم عند المعتزلة والفلاسفة هو الذي لا أول له. أما في لغة العرب فإن القديم هو المتقدم على غيره، ولا يقتضي الأولية المطلقة، ولذلك جاء الشرع باسمه الأول، وهو أفضل من القديم؛ لأنه يدل على الأولية المطلقة، كما يدل على أن كل شيء راجع إليه، ولهذا ليس من أسماء الله القديم، ولا يستعمل إلا على سبيل الإخبار بعد تصحيح معناه، فيقال: قديم بلا ابتداء، أو قديم أزلي.

(٢) طبقات المعتزلة (ص: ٢).

(٣) الملل والنحل (١/ ٤٣).

(٤) طبقات المعتزلة (ص: ٢).

(٥) قال عبد القاهر البغدادي في (الفرق بين الفرق، ص: ١٧٧): وكان أبو هاشم [الجبائي] مع إفراطه في الوعيد أفسق أهل زمانه، وكان مصرّاً على شرب الخمر، وقيل: إنه مات في سكره، حتى قال فيه بعض المرجئة:

يعيب القول بالإرجاء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوي الإرجاء جرماً وعيدتي أصرّ على الكيائر

(٦) انظر: العلم الشامخ (ص: ٣٠٠).

(٧) الفرق بين الفرق (ص: ١٣١-١٣٢).

(٨) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحد الورداسمي الليثي من زعماء الإسماعيلية وكتّابهم. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١١٩).

(٩) كتاب الزينة (٢/ ٤٩).

الصفات، ونفي رؤية الله في الآخرة، والقول بخلق القرآن. يقول ابن تيمية: «فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزلياً؛ لأن جهماً أشد تعطيلاً لفيه الأسماء والصفات»^(١).

٨- الثنوية: قال المقرئزي: «وللمعتزلة أسامٍ منها: الثنوية، سموا بذلك؛ لقولهم: الخير من الله والشر من العبد»^(٢).

٩- أهل الحق والفرقة الناجية: قال المقبلي: «وتسمي المعتزلة نفسها ... أهل الحق والفرقة الناجية»^(٣).

نشاتهم:

١- زمان نشأة:

نشأت المعتزلة في أول القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. قال الشهرستاني: «والقدرية ابتدؤوا بدعتهم في زمان الحسن، واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول منه بالمنزلة بين المنزلتين، فسمي هو وأصحابه معتزلة»^(٤). والحسن البصري توفي سنة ١١٠ هـ.

٢- مكان نشأة:

نشأت المعتزلة في البصرة، قال عبد القاهر البغدادي: «لما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز، واختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب ... خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة، وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٦٠٤).

(٢) المواعظ والاعتبار (٤/١٧٥).

(٣) العلم الشامخ (ص: ٣٠٠).

(٤) الملل والنحل (١/٢٨-٢٩).

بين منزلي الكفر والإيمان، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه التي خالف بها أقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة، وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد، فقال الناس يومئذ فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والبصرة خرج منها القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها»^(٢).

جذورهم:

١- بطلتهم بالخوارج:

يقول عبد القاهر البغدادي: «ثم إن واصلًا وعمرًا وافقا الخوارج في تأييد عقاب صاحب الكبيرة في النار^(٣)، مع قولها بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر^(٤)، وهو قولهم بأنه في منزلة بين المنزلتين.

وأخذت المعتزلة من الخوارج -أيضًا- وجوب الخروج على أئمة الجور بالسيف، لكنهم سموه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشرطوه بالإمكان والقدرة، يقول الإمام أبو الحسن

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٩٨).

(٢) أما المعتزلة فيزعمون: أن نشأتهم كانت في الصدر الأول على يد رسول الله ﷺ، وأن المعتزلة الأول هم أصحاب رسول الله ﷺ. طبقات المعتزلة (ص: ٧).

وذهب بعض أصحاب المقالات: أن المعتزلة نشأت في حروب علي وأصحاب الجمل. وفي حروب علي ومعاوية، وقد أطلق هذا الاسم على من اعتزل الفريقين ولم يقاتل مع أحد منهما. فرق الشيعة (ص: ٥).

ومنهم من قال: إنها نشأت في قوم من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأوا تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه فاعتزلوا الناس، واشتغلوا بالعلم والعبادة. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٣٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٣٠١).

(٤) يعني: القول بخلود صاحب الكبيرة في النار إذا مات من غير توبة.

(٥) الفرق بين الفرق (ص: ١٣٥).

الأشعري: «أجمعت المعتزلة إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة، باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك»^(١).
ويقول ابن أبي العز الحنفي: «ومن أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمَّوه وجوب الخروج على ولاة الجور»^(٢).

٢- صلتهم بالقدرية:

يقول الشهرستاني: «وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ويونس الأسواري في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى الله، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزالي، وكان تلميذ الحسن البصري، وتلمذ له عمرو بن عبيد، وزاد عليه في مسائل القدر»^(٣).

ويقول عبد القاهر البغدادي: «ثم إنهما [أي: واصلًا وعمراً] أظهرتا بدعتهما في المنزلة بين المنزلتين، وضما إليها دعوة الناس إلى قول القدرية على رأي معبد الجهني، فقال الناس يومئذ لو اصل: إنه مع كفره قدري»^(٤).

قلت: ولم تكن المعتزلة على مقالة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في الغلو في نفي القدر، وإنما كان قولهم في باب القدر إن العبد يخلق فعله كما سبق.

٣- صلتهم بالجهمية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجههم ... غلا في نفي الأسماء والصفات ... ووافقه

(١) مقالات الإسلاميين (١/٣٣٧)، وانظر: (٢/١٥٧).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/٤٠٣، ٧٩٣).

(٣) الملل والنحل (١/٣٠).

(٤) الفرق بين الفرق (ص: ١٣٥).

المعتزلة في نفي الصفات دون الأسماء»^(١).

فرقهم:

قال عبد القاهر البغدادي: «وأما القدرية المعتزلة عن الحق؛ فقد افرقت عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرهما»^(٢).

وبمثل ذلك قال أبو المظفر الإسفراييني^(٣)، والمقرئزي^(٤)، وغيرهما. بينما يرى الشهرستاني أنهم اثنتا عشرة فرقة^(٥).

ويرى الرازي أنهم سبع عشرة فرقة^(٦)، لكنه لم يذكر عند التفصيل سوى خمس عشرة فرقة.

وهذه الفرق على اختلافهم في تعدادها وأسماؤها يجمعها طائفتان هما: معتزلة البصرة^(٧)، ومعتزلة بغداد^(٨).

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ١٩٥)، وانظر: الملل والنحل (١ / ٨٦، ٨٨)

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ١٨).

(٣) انظر: التبصير في الدين (ص: ٢٣)، ذكر أنها عشرون فرقة، وعند التفصيل لم يذكر سوى ثمان عشرة فرقة.

(٤) انظر: المواعظ والاعتبار (٤ / ١٧٠).

(٥) انظر: الملل والنحل (١ / ٤٦) وما بعدها.

(٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين (ص: ٤٠). ذكر أنها سبع عشرة فرقة، وعند التفصيل لم يذكر سوى خمس عشرة فرقة.

(٧) ومن أعلام هذه المدرسة: واصل بن عطاء الغزال (١٣١هـ) وهو مؤسسها، عمرو بن عبيد (١٤٣هـ)، أبو الهذيل العلاف

(٢٤٥هـ)، علي الأسواري (٢٤٠هـ)، معمر بن عباد السلمي (٢١٥هـ)، إبراهيم بن سيّار النّظام (٢٣١هـ)، عمرو بن بحر

الجاحظ (٢٥٦هـ)، أبو علي الجبّائي (٣٠٣هـ)، وابنه أبو هاشم الجبّائي (٣٢١هـ)، وأبو الحسين البصري (٤٣٦هـ)،

والقاضي عبد الجبار الهمداني (٤١٥هـ).

(٨) ومن أعلام هذه المدرسة: بشر بن معتمر (٢١٠هـ) وهو مؤسسها، تلقى الاعتزال في البصرة، ثم هاجر إلى بغداد في أواخر

القرن الثاني، وأسس مدرسة بغداد، ثامة بن الأشرس (٢٣٤هـ)، جعفر بن مبشّر (٢٣٤هـ)، جعفر بن حرب (٢٣٦هـ)،

أحمد بن أبي دؤاد (٢٤٠هـ)، أبو الحسين الخياط (٣١١هـ)، وأبو القاسم البلخي الكعبي (٣١٧هـ).

وقد ذكر شيخ الإسلام أن معتزلة بغداد أغلظ بدعةً من معتزلة البصرة^(١). فمعتزلة بغداد كانوا أقرب إلى الشيعة من معتزلة البصرة، ولذا عدّهم أبو الحسين الملقب من الزيدية، حيث يقول: «الفرقة الرابعة من الزيدية هم معتزلة بغداد، يقولون بقول الجعفرية، جعفر بن مبشر الثقفي وجعفر بن حرب الهمداني ومحمد بن عبد الله الإسكافي، وهؤلاء أئمة معتزلة بغداد وهم زيدية، يقولون بإمامة المفضول على الفاضل، ويقولون: إن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يسبقه بالفضل أحد من الأمة، وزعموا أن إمامة المفضول على الفاضل جائزة»^(٢).

في حين يذكر الشهرستاني أن من شيوخ معتزلة بغداد من يميل إلى الرافضة، ومنهم من يميل إلى الخوارج، فقال: «وأما كلام جميع المعتزلة البغداديين في النبوة والإمامة فيخالف كلام البصريين؛ فإن من شيوخهم من يميل إلى الروافض، ومنهم من يميل إلى الخوارج»^(٣).

عقائدهم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «إن المعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا»^(٤).

ثم وضع لهم أبو الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ) الأصول الخمسة، قال ابن أبي العز الحنفي: «إن واصل ابن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين، وبين

(١) انظر: الفتاوى الكبرى (٦ / ٥٥٣).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٣٤).

(٣) الملل والنحل (١ / ٨٤).

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١١١)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٦٤-١٦٥)، الملل والنحل (١ / ٤٦).

مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولَبَسُوا فيها الحق بالباطل؛ إذ شأن البدع هذا، اشتغالها على حق وباطل^(١). وهذا ما قرره المعتزلي أبو الحسين الخياط كما سلف.

ويقول الإمام المَلْطِي: «وهذه الأصول الخمسة ملجؤهم، وأصل مذهبهم مع اختلافهم في الفروع، وهم يتوالون عليها، ويعادون عليها، ويردون الفروع بها، وهم معتزلة بغداد، ومعتزلة البصرة»^(٢).

قال أبو المعين النسفي: «لما كان في زمن هارون الرشيد خرج أبو الهذيل فصنف لهم كتابين، وبين مذهبهم، وجمع علومهم، وسمى ذلك: (أصول الخمسة)، وكلما رأوا رجلاً قالوا له خفية: هل قرأت (أصول الخمسة)؟ فإن قال: نعم، عرفوا أنه على مذهبهم»^(٣).

ويقول القاضي عبد الجبار: «لا خلاف أن المخالف لنا لا يعدو أحد هذه الأصول، ألا ترى أن خلاف الملحدة، والمعطلة، والدهرية، والمشبهة قد دخل في التوحيد، وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل، وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد، وخلاف الخوارج دخل تحت المنزلة بين المنزلتين، وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٤).

وهذا بيان الأصول الخمسة التي أجمعت المعتزلة عليها:

الأصل الأول: التوحيد:

وهو أهم أصولهم، ومعناه عندهم: العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٢).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٣٨).

(٣) بحر الكلام، للنسفي (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص: ١٢٤).

يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به^(١)، وقد أدخلوا تحت هذا الأصل نفى الصفات، والقول بخلق القرآن، ونفي الرؤية.

ومن أهم المسائل التي تتعلق بهذا الأصل ما يلي:

١- أول واجب على المكلف هو النظر:

يقول القاضي عبد الجبار: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى»، ثم ذكر الدليل على أن النظر هو الطريق الوحيد الموصل إلى معرفة الله، فقال: «لأنه تعالى لا يعرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر»^(٢).

٢- نفى الصفات:

يقول القاضي عبد الجبار: «فلو كان الله تعالى يستحق هذه الصفات لمعانٍ قديمة، فذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلاً لله تعالى، حتى إذا كان القديم تعالى عالماً لذاته قادراً لذاته، وجب في هذه المعاني مثله، ولو جب أن يكون الله تعالى مثلاً لهذه المعاني - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -»^(٣).

قال ابن أبي العز: «فإن نفاة الصفات أدخلوا نفى الصفات في مسمى التوحيد كالجهم بن صفوان ومن وافقه، فإنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب، وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل. وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١٢٨).

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٩).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص: ١٩٥-١٩٦) بتصرف.

بالحللول أو الاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات»^(١).

٣- نفي رؤية الله تعالى:

قال الأشعري: «أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار»^(٢)، واستدلوا بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. قال الزمخشري: «المعنى: أن الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه؛ لأنه متعالٍ أن يكون مبصراً في ذاته»^(٣).

الأصل الثاني: العدل:

ومعناه عندهم: أن الله عدل حكيم، لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يخل بها هو واجب، وأفعاله كلها حسنة^(٤). ومن أهم المسائل التي تتعلق بهذا الأصل ما يلي:

١- التحسين والتقيح العقليان:

يقول القاضي عبد الجبار: «قد ذكرنا أن وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرران في العقل، إلا أننا لما لم يمكننا أن نعلم عقلاً أن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة، بعث الله إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال، فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما قد ركب الله تعالى في

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٤، ٢٥).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ١٥٧).

(٣) ويرد عليه: بأن هذه الآية على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها فالمعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰمَا الْجَبْمَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢] فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية. (شرح الطحاوية ١/ ٢١٤-٢١٥).

(٤) الكشف (٢/ ٣٨٣).

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٠١).

عقولنا، وتفصيل ما قد تقرر فيها»^(١).

٢- نفي خلق الله لأفعال العباد:

يقول أبو القاسم البلخي: «وأجمعوا أن الله لا يحب الفساد، ولا يخلق أعمال العباد، بل العباد يفعلون ما أمروا به وكفُّوا عنه، بالقدرة التي خلقها الله لهم وركبها فيهم»^(٢).

٣- الإيجاب على الله تعالى:

ومما أوجبه على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح، والالطف، حيث قاسوا في ذلك الخالق على المخلوق؛ ولذا يلقبون بمشبهة الأفعال، فيقولون: إن ما يحسن من المخلوق يحسن من الله ﷻ، وما يقبح من المخلوق يقبح من الخالق، فعليه قالوا بإيجاب أشياء على الله لم يوجبها على نفسه ومنعوا أشياء عليه، وقالوا فعلها قبيح والله لا يفعلها»^(٣).

الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

والمراد به عندهم: وجوب إثابة المطيع، وعقاب العاصي على الله تعالى؛ لأنه لا يجوز عليه الخُلف والكذب»^(٤). وقد أدخلوا تحت هذا الأصل الحكم على صاحب الكبيرة بالخلود في النار؛ إذا مات من غير توبة. وبنوا على هذا القول ثلاثة أمور:

الأول: القول بالإحباط، أي: أن المعصية الواحدة من الكبائر تحبط جميع الطاعات، وفيه

خلاف عندهم»^(٥).

(١) شرح الأصول الخمسة (ص: ٥٦٥).

(٢) ذكر المعتزلة (ص: ٦٣) ضمن (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/١٨).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ١٣٥-١٣٦).

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ٦٢٤).

والثاني: إنكار الشفاعة لأهل الكبائر^(١).

قال الأشعري: «اختلفوا في شفاعة رسول الله ﷺ: هل هي لأهل الكبائر؟ فأنكرت المعتزلة ذلك، وقالت بإبطاله»^(٢).

والثالث: أن أهل الكبائر مخلدون في النار.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

قال القاضي عبد الجبار: «صاحب الكبيرة له منزلة تتجاوزها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر، ولا منزلة المؤمن»^(٣).

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والمعروف عندهم: ما حسنه العقل، والمنكر: ما قبحه العقل^(٤)، وبنوا على هذا الأصل: أن عقائدهم هي المعروف، والمنكر ما خالفها، وهذا الأصل الذي سموه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمنوه وجوب الخروج على أئمة الجور ومقاتلتهم بالسيف^(٥).

قال الأشعري: «وأجمعت المعتزلة إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك»^(٦).

ومجمل هذه العقائد، أو ما يسمونه بالأصول الخمسة يلخصها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «أصولهم خمسة يسمونها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ... ومعنى العدل

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص: ٦٩٠).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٤٧٤).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص: ٦٩٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ١٤١).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٥٧).

(٦) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٨).

عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على شيء، ومنهم من ينكر تقدم العلم والكتاب... وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، كما لا يسمى كافراً، فنزله بين منزلتين، وإنفاذ الوعيد عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف^(١).

منهجهم في الاستدلال:

١- تقديم العقل على النقل:

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي في بيان أدلتهم وترتيبها: «أولها: العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبح؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع، وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس الأمر كذلك؛ لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل»^(٢).

٢- رد خبر الأحاد:

قال القاضي عبد الجبار: «خبر الواحد مما لا يقتضي العلم، ومسألتنا»^(٣) طريقها القطع والثبات»^(٤).

وقال في رد حديث الشفاعة: «هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً، ولو صح فإنه منقول

(١) كذا بالأصل!

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٨٦-٣٨٧).

(٣) فضل الاعتزال (ص: ١٣٩).

(٤) أي: رؤية الله بالأبصار في الآخرة.

(٥) شرح الأصول الخمسة (ص: ٢٦٩).

بطريق الأحاد عن النبي ﷺ، ومسألتنا طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به»^(١).
قال ابن حزم: «المعتزلة لا يقولون بخبر الواحد؛ تعللاً على إبطال السنن»^(٢).

الحكم عليهم:

موقف السلف من المعتزلة هو موقفهم من القدرية النفاة القائلين بأن العبد يخلق فعله؛ لأن المعتزلة قدرية في باب القدر - كما سبق -.

وهو نفس الموقف من المعطلة النفاة للصفات؛ لأن المعتزلة أيضاً جهمية معطلة في باب الصفات، ولذا يلقب الإمام أحمد وغيره المعتزلة بالجهمية، وكذلك فإن المعتزلة وعيدية في باب الأسماء والأحكام؛ لأنهم يتفقون مع الخوارج في حكم صاحب الكبيرة، وإن اختلفوا في الاسم.

وقد سبق بيان موقف السلف من هذه المقالات وأصحابها، حتى حكموا على المعطلة النفاة القائلين بخلق القرآن بالكفر، لكنهم وإن حكموا على المقالة، فإن سلف الأمة وأئمتها لا يكفرون أعيانهم كما هو منهج أهل السنة في التفريق في الحكم بين المقالة والقائل، والعين والنوع، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطناً وظاهراً، فهؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب»^(٣).
وقد ذهب إلى عدم تكفيرهم جماهير العلماء^(٤).

(١) شرح الأصول الخمسة (ص: ٦٩٠).

(٢) المحلى بالآثار (١ / ٣٨٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٤٨).

(٤) انظر: المجموع، للنووي (٤ / ٢٥٤)، إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد (٢ / ٢١٠)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (١ / ٨٨)، البيان والتحصيل، لابن رشد (١٧ / ٢٠١)، طبقات الحنابلة (١ / ٣٤٣).

المبحث العاشر الصوفية

هل الصوفية فرقة؟

لم يذكر أكثر علماء الفرق والمقالات الصوفية ضمن الفرق، ربما لأنهم يرون أنها لا تختص بعقائد تميزها عن غيرها، وإنما قامت على المبالغة في الزهد، لا الانحراف في المعتقد، فهي مذهب سلوكي لا عقدي.

لكن التصوف تطور وأصبح يحمل في طياته كثيرًا من العقائد الأجنبية الدخيلة، ولم يعد مقتصرًا على الزهد وتصفية النفس وتهذيبها، ولذلك قال ابن الجوزي: «التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف»^(١).

وقد أدرج بعض علماء المقالات الصوفية ضمن الفرق الإسلامية كالإمام أبي الحسن الأشعري، وسهام «النسك»^(٢)، وذكر بعض أقوال غلاتهم الإمام ابن حزم تحت ترجمة بعنوان: «ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم»^(٣)، وبعضهم انتقد من أغفل ذكرها، كالرازي الذي يقول: «اعلم أن أكثر من قصّ فرق الأمة لم يذكر الصوفية، وذلك خطأ»^(٤)، وكذلك أدرجهم السكسكي في كتابه (البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان)^(٥).

(١) تلييس إبليس (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٨).

(٣) الفصل (٤) / ١٧٠.

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٢).

(٥) انظر: البرهان (ص: ١٠١).

وعلى الضد من ذلك؛ فقد بالغ ابن السبكي وأدخل الصوفية بإطلاق ضمن فرق أهل السنة والجماعة، فذكر أن أهل السنة ثلاث طوائف: الأولى: أهل الحديث، والثانية: أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية، وهم الأشعرية والماتريدية، والثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم أهل الصوفية، وقال: «ومبادؤهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية»^(١).

ولعل سبب هذا الاختلاف؛ أن الصوفية من حيث التطرف والاعتدال أقسام، كما سيأتي.

أصل اشتقاق لفظ (التصوف):

ذهب البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ) إلى أنه مصطلح أجنبي، وأنه منسوب إلى الكلمة اليونانية (السوفية) وهم الحكماء، فإن معنى (سوف) باليونانية: الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قومٌ إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم^(٢).

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره إلى أنه لفظ عربي، وأنه من أسماء النسب؛ كالقرشي، والمدني، وأمثال ذلك، ثم يذكر أنهم «تنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي:

١ - ف قيل: إنه نسبة إلى أهل الصُّفَّة^(٣)، وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك ل قيل: صُفِّي.

٢ - وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله^(٤)، وهو أيضًا غلط؛ فإنه لو كان كذلك

لقيل: صَفِّي.

(١) إتحاف السادة المتقين الزبيدي (٢/ ٦-٧).

(٢) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (ص: ٢٧).

(٣) انظر: الرسالة (ص: ٤٦٤).

(٤) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٢١).

٣- وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله، وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك ل قيل:

صفوي^(١).

٤- وقيل: نسبة إلى صوفة بن مر بن أد بن طابخة، قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة

من الزمن القديم ينسب إليهم النساك، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضاً؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك؛ ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى؛ ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام.

٥- وقيل - وهو المعروف - : إنه نسبة إلى لبس الصوف^(٢).

وإضافة إلى ما ذكره شيخ الإسلام من أقوال فقد قيل أيضاً:

٦- إنه مشتق من الصوفانة، وهي بقلّة رعاء قصيرة، فنسبوا إليها لاجترائهم بنبات

الصحراء، وهذا أيضاً غلط؛ لأنه لو نسبوا إليها ل قيل: صوفاني^(٣).

٧- وقيل: هو منسوب إلى صوفة القفا، وهي الشعرات النابتة في مؤخره؛ ونسب إليها؛

للينها، فالصوفي هينٌ لِينٌ كهي^(٤).

٨- وقيل: ليس له اشتقاق، قال القشيري: «وليس يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة

العربية ولا قياس، والأظهر فيه أنه كاللقب»، ثم قال: «إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في

(١) انظر: الرسالة (ص: ٤٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٦).

(٣) انظر: تلبس إبليس (ص: ١٤٦).

(٤) انظر: قواعد التصوف، لأحمد زروق (ص: ٢٤).

تعينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق^(١)، وقال الهجويري: «اشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى؛ لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس يشق منه»^(٢).

سبب الاختلاف:

ولعل السر في هذا الاختلاف حول المعنى الذي أضيف إليه التصوف أنه اسم مخترع محدث لم يرد به الشرع، ولم يسم الله بها عباده، ولا رسوله ﷺ، والله سبحانه بالمسلمين، قال تعالى: ﴿مَلَّةَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه لقي ركبًا بالروحاء، فقال: «من القوم؟» قالوا: المسلمون^(٣).

«فمقامات الدين هي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وعباده: المسلمون، المؤمنون، المحسنون، المتقون، وهكذا، فالإسلام دين التوحيد: عقيدة، وسلوكًا، وشعارًا، وعنوانًا، فالنسبة إلى اسم معين لم يرد به الشرع: عنوان للفرقة، والتحزب، وضرب الأمة بعضها ببعض، وتشيت جمعها فرقا وأحزابًا، ينتج إيجاد سدود منيعة تمنع وحدة المسلمين»^(٤).

ولذا قال ابن الجوزي: «كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام، فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقةً تفردوا بها، وأخلاقًا تخلقوا بها»^(٥)، يشير بذلك إلى الصوفية.

(١) انظر: الرسالة (ص: ٤٦٤).

(٢) كشف المحجوب (١/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح: ١٣٣٦).

(٤) معجم المناهي اللفظية (ص: ١٨٨).

(٥) تلييس إبليس (ص: ١٤٥).

القول المختار:

رجح شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن خلدون وغيرهما أن لفظ (الصوفية) نسبة إلى اللباس الظاهر المسمى بالصوف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واسم (الصوفية) هو نسبة إلى لباس الصوف؛ هذا هو الصحيح»^(١)، وقال ابن خلدون: «والأظهر - إن قيل بالاشتقاق - أنه من الصوف، وهم في الغالب يختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف»^(٢).

وصحح السهروردي - وهو من أعلام الصوفية - القول بنسبة الصوفية إلى الصوف، وذكر أدلة زعم أن فيها دلالة على فضل لبس الصوف، ومدح الصوفية لاختيارهم هذا الاسم^(٣)، وقد رد ذلك القشيري بقوله: «لكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف»^(٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك، ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه؛ لكونه ظاهر الحال»^(٥).

تعريفهم:

اختلفت وكثرت عبارات الصوفية في بيان حقيقة التصوف وحدّه^(٦)، حتى بلغت عند

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ١٩٥).

(٢) مقدمة ابن خلدون (٢ / ٢٦١).

(٣) انظر: عوارف المعارف (ص: ٥٩-٦١).

(٤) الرسالة القشيرية (ص: ٤٦٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١١ / ١٦).

(٦) راجع: التصوف، المنشأ والمصدر (ص: ٣٩).

القشيري أكثر من خمسين تعريفاً^(١)، وعند المستشرق نيكلسون ثمانية وسبعين تعريفاً^(٢)، وذكر السراج أنها تزيد على المائة^(٣)، بينما قال السهروردي: «وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول»^(٤)، ومن أمثلة ذلك:

قال أبو محمد الجريفي في تعريف التصوف: الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دنيّ.

فالتصوف على هذا التعريف يعني: التخلق بالأخلاق الفاضلة.

وقال محمد بن علي القصاب: التصوف: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام. وهذا التعريف كسابقه.

وسئل سمنون عن التصوف فقال: أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء.

وسئل رويم بن أحمد البغدادي عن التصوف فقال: استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد.

وهو تعريف مجمل للتصوف، فقد يراد به حق، وهو طاعة الله واتباع أمره ونهيه، وقد يراد به باطل، وهو ما عليه غلاة الصوفية من القول بالجبر.

وسئل الجنيد عن التصوف فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

وهذا تعريف مجمل أيضاً قد يراد به حق، وهو ألا يجعل بينه وبين الله واسطة في عبادته،

وهو حقيقة التوحيد، وقد يراد به باطل، وهو تفسيره بمعنى الحلول أو الاتحاد.

(١) انظر: الرسالة القشيرية (٢/ ٤٦٤-٤٦٩).

(٢) انظر: التصوف الإسلامي وتاريخه (ص: ٢٨).

(٣) انظر: اللمع، للطوسي (ص: ٤٧).

(٤) عوارف المعارف (ص: ٥٧).

وقال رويم بن أحمد البغدادي: التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار إلى الله، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار.

وقوله: «ترك التعرض والاختيار» أيضًا مجمل، فقد يراد بهما حق وهو الاتباع والتسليم للشرع، وقد يراد بهما باطل، وهو الجبر والتواكل كما عليه كثير من غلاة الصوفية.

وقال معروف الكرخي: التصوف: الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق^(١).

وهذا التعريف مبني على تقسيمهم الدين إلى حقيقة وشرعية.

وهكذا اختلفت عباراتهم بحسب أحوالهم، ولذا قال القشيري - بعد سياق تعريفاتهم للتصوف -: «كلُّ عبَّرَ بها وقع له»^(٢).

وأما تعريف الصوفي، فاختلقت أيضًا فيه عباراتهم.

قال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله.

وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله تعالى كرامته.

وقيل لبعضهم: من الصوفي؟ قال: الذي لا يملك ولا يُملك. يعني لا يسترقه الطمع.

وقال آخر: هو الذي لا يملك شيئًا، وإن ملكه بذله^(٣).

وهي عند التأمل ليست بتعاريف اصطلاحية، بل هي عبارات تتضمن مدح الصوفية والتصوف، وصادرة من أرباب التصوف، وفيها ألفاظ مجملة تحتمل معاني صحيحة وأخرى باطلة، كما مر.

(١) انظر هذه التعريفات وغيرها في: الرسالة (ص: ٤٦٥-٤٦٦).

(٢) انظر: الرسالة (ص: ٤٦٤).

(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٢١).

أما تعريفه غير الصوفية للتصوف، فمنها:

تعريف ابن الجوزي الذي قال: «التصوف طريقة كان ابتداءؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المتسبون إليها بالسمع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب»^(١). وهذا التعريف يشير إلى أن التصوف بدايته زهد ونهايته بدعة، أما أهل الحلول والاتحاد فليس لهم في اسم التصوف نصيب.

وقال ابن القيم: «التصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتركية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه»^(٢).
فابن القيم يرى أن التصوف في حقيقته نوع من تربية النفس يستعد به للرحيل إلى الدار الآخرة.

وقال ابن خلدون في تعريف التصوف: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة»^(٣).

وهذا تعريف للتصوف في أصل منشئه وابتدائه، ولا ريب أنه دخل فيه من البدع والانحراف شيء كثير خاصة عند المتأخرين منهم.

قال الشاطبي: «وحاصل ما يرجع إليه لفظ التصوف عندهم معنيان:

أحدهما: أنه التخلق بكل خلق سني، والتجرد عن كل خلق دني.

والآخر: أنه الفناء عن نفسه، والبقاء بربه.

(١) تلييس إبليس (ص: ١٤٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٢).

(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٢٦١).

وهما في التحقيق يرجعان إلى معنى واحد، إلا أن أحدهما يصلح التعبير به عن البداية، والآخر يصلح التعبير به عن النهاية»^(١).

أما المعنى الأول فهو حق، وأما الثاني وهو الفناء، فإنه لفظ مجمل قد يراد به حق، وقد يراد به باطل، وسيأتي بيان ذلك.

التعريف المختار:

وأرى أنه لا يمكن تعريف التصوف بتعريف واحد يجمعهم؛ لأن التصوف يختلف بحسب المراحل التاريخية والتطورات العقدية التي مر بها:

- فالتصوف في مراحله الأولى عبارة عن المبالغة في الزهد في الدنيا والانقطاع لعبادة الله تعالى.

- ثم انحرف التصوف إلى الرهبانية والتعلق بالبدع والمنكرات، وبدأت انحرافات الطرق الصوفية.

- ثم خرج التصوف من البدعة إلى الزندقة والإلحاد والشطحات والضلالات في الأعمال والعقائد، كعقيدة الحلول والاتحاد، فخرجوا بذلك عن الإسلام.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد صار لفظ الصوفية لفظاً مجملاً يدخل فيه من هو صدِّيق، ومن هو زنديق»^(٢).

ومن المعلوم أن لفظ (التصوف) لم يرد به الشرع - كما مر-، والكلام إنما هو فيما يندرج تحت لفظ التصوف من معانٍ.

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٥٢).

(٢) الرد على الشافعي (ص: ٧٤).

ألقابهم:

- ١- الصوفية: وهو أشهر الأسماء لهذه الطائفة؛ فإذا أطلق لا ينصرف إلا إليهم.
- ٢- أرباب الحقائق: لأنهم يقسمون الدين إلى حقيقة وشريعة، ويزعمون أنهم اختصوا بعلم الحقيقة، وأن غيرهم اختصوا بعلم الشريعة، وسيأتي تفصيل ذلك.
- ٣- الفقراء: وقد زعم السهروردي الصوفي أن الله هو الذي ساهم به حيث قال: «وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون: قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، هذا وصف الصوفية، والله تعالى ساهم فقراء»^(١). وقد أشار ابن تيمية إلى إطلاق هذا اللقب عليهم، وذكر أن اسم الفقير وإن ورد في القرآن فليس مرادًا به هذا المعنى، فقال: «وأما اسم الفقير فإنه موجود في كتاب الله وستة رسوله ﷺ، لكن المراد به في الكتاب والسنة: الفقير المضاد للغني»^(٢).
- ٤- الشكفية: ويسمون به في خراسان نسبة إلى الغار، قال السهروردي عن الصوفية في خراسان: «كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات، ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفية؛ لأن (شكفت) اسم الغار؛ ينسبونهم إلى المأوى والمستقر»^(٣).
- ٥- الجوعية: قال السهروردي: «وأهل الشام يسمونهم جوعية»^(٤).
- ٦- الملامية أو الملامتية: قال ابن الجوزي: «وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب، وقالوا: مقصودنا أن نسقط عن أعين الناس فنسلم من الجاه»، ثم قال معلقًا على هذا

(١) انظر: عوارف المعارف (ص: ٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٠).

(٣) عوارف المعارف (ص: ٤٨).

(٤) المصدر السابق.

الزعم الباطل: «وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع»^(١).

وقد قسم ابن تيمية الملامية إلى قسمين: ملامية يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وهؤلاء هم أهل الملام المحمود، وملامية يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصرون على الملام في ذلك والصبر عليه، وهؤلاء هم أهل الملام المذموم، قال: «وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك»^(٢).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أسماهم تختلف باختلاف البلدان، فقال: «كان للزهاد عدة أسماء: يسمون بالشام الجوعية، ويسمون بالبصرة الفقرية والفكرية، ويسمون بخراسان المغاربة، ويسمون أيضًا الصوفية والفقراء»^(٣).

نشأته:

كان ابتداء التصوف بالمبالغة والغلو في الزهد، ثم تطور عبر مراحل التاريخ، فدخل فيه كثير من الشطحات، بل كثير من البدع والخرافات، يقول ابن الجوزي: «التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب»، ثم قال: «وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن

(١) تلبيس إبليس (ص: ٣٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٦٨).

من المتأخرين غاية التمكن»^(١).

١- زماج النشأة:

لم يكن للتصوف ذكرٌ إلا في القرن الثاني الهجري، ولذلك قال السراج الطوسي - وهو من أعلام التصوف -: «لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العباد والزهاد والسيّاحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: صوفي»^(٢)، وقال الهجويري: «هذا الاسم لم يكن موجودًا وقت الصحابة والسلف»^(٣)، ويقول المنوفي: «ولم تطلق كلمة صوفية على جماعة بعينها إلا في القرن الثاني للهجرة»^(٤)، ولم يشتهر لفظ التصوف إلا بعد القرون الثلاثة^(٥)، قال ابن تيمية: «أما لفظ (الصوفية) فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ، كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن

(١) تلييس إبليس (ص: ١٤٥، ١٤٧).

(٢) اللمع (ص: ٤٢).

(٣) كشف المحجوب (ص: ٢٣٩).

(٤) جهرة الأولياء (١/ ٢٦٩)، وانظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل، لابن خلدون (ص: ٤٤)، الرسالة القشيرية (١/ ٣٤).

(٥) وأما من نسب التصوف إلى الصحابة ﷺ فحاشا أصحاب رسول الله ﷺ أن يختاروا لهم اسمًا أو نسبة غير الإسلام، إلا إن أريد بذلك المعنى الحق للتصوف، وهو الزهد في الدنيا والعكوف على العبادة على المنهج الشرعي، كما قال الإمام الذهبي: إنها التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بأداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبير، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٠)، وقال أيضًا: «فما أحل تصوف الصحابة والتابعين! ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس، بل عبدوا الله، وذلوا له وتوكلوا عليه، وهم من خشيته مشفقون، ولأعدائه مجاهدون، وفي الطاعة مسارعون، وعن اللغو معرضون» (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥١٠).

البصري»^(١).

ويقول آدم متز: «كان أول ظهور طوائف الصوفية حوالي عام ٢٠٠هـ، وذلك في مصر مهد الرهبنة النصرانية»^(٢)، واستند في ذلك إلى ما جاء في كتاب الولاة للكندي أنه في عام ٢٠٠هـ ظهرت طائفة في الإسكندرية يسمون بالصوفية، يأمرون بالمعروف فيما زعموا ويعارضون السلطان في أمره، فترأس عليهم رجل منهم، يقال له: أبو عبد الرحمن الصوفي^(٣).

٢- مكان نشأة:

أول مكان ظهر فيه التصوف هو البصرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ... وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية ... ولهذا غالب ما يحكى من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عبّاد أهل البصرة»^(٤).

جذورهم:

يحمل التصوف الغالي في تكوينه معتقدات أجنبية، وآراء دخيلة على الإسلام تتأنى مع أصوله وقواعده، ومن ذلك:

١- الأهل النصراني:

ويتجلى ذلك في عدة مظاهر ابتداء من لباس الصوف الذي هو من عادة النصارى، قال أبو العالية: إنها هذه ثياب الرهبان، إلى اتخاذهم الزوايا والتكايا للعبادة، ولم يعرف المسلمون

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٥).

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٢ / ٢٢).

(٣) كتاب الولاة، الكندي (ص: ١٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٦-٧)، وانظر: (١٠ / ٣٥٨-٣٥٩).

دورًا للعبادة إلا المساجد، ويقال: إن هذا من تقليد النصارى، فقد ذكر الجامي أن أول خانقاه بنيت للصوفية هي التي بناها أمير مسيحي في الرملة من بلاد الشام^(١)، ويقول ابن الجوزي عن أربطة الصوفية وزواياها: «إنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة»^(٢)، إلى عزوفهم عن النكاح كحال رجال الدين النصارى، حتى قال السهروردي: «التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص، ورجوع من التروُّح إلى النغص، وتقيد بالأولاد والأزواج، ودوران حول مظانِّ الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة»^(٣).

كما تأثر غلاة الصوفية بعقيدة النصارى التي تقول بحلول اللاهوت في الناسوت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرج به، كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء [يعني غلاة الرافضة وغلاة الصوفية] حققوا كفر النصارى، بسبب مخالطتهم للمسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون؛ وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الأمة، كغالبية الرافضة الذين يقولون: إنه حلَّ بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالبية النِّسَّاك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون في الولاية أو في بعضهم»^(٤).

وقد اعترف الصوفية بالتأثير النصراني وتلقيهم عن الرهبان، قال إبراهيم بن أدهم: «تعلمت المعرفة من راهب يقال له: سمعان»^(٥).

٢- الأصل الهندي:

تناول عدد من الباحثين أوجه التشابه بين العقائد السائدة في الديانات الهندية وبين

(١) نفحات الأنس، الجامي (ص: ٣١-٣٢) الطبعة الفارسية، نقلًا عن: التصوف المنشأ والمصادر (ص: ٤١).

(٢) تلبيس إبليس (ص: ١٥٧).

(٣) عوارف المعارف (ص: ١٦٤-١٦٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٧١).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٣٤).

عقائد غلاة الصوفية، كالفناء والحلول ووحدة الوجود وتعذيب النفس بالرياضات الشاقة وغيرها^(١).

ولعل أول من تحدث بتوسع عن تأثير التصوف الغالي بالمعتقدات والديانات الهندية القديمة هو أبو الريحان البيروني، ومن مظاهر هذا التأثير أن الديانات الهندية تتفق -في الغالب- على أصل واحد يجمعها، وهو أن الطريق لتحقيق السعادة هو تعذيب الجسد بالجوع وأنواع الرياضات، وقرر البيروني أن الديانات الهندية تذهب إلى أن المعرفة لا تحصل للنفس البشرية إلا بعد أن تتهاون بالبدن، وتريد مفارقتها بالعزلة والانفراد، وتتعود تعذيب النفس بالتقشف^(٢)، قال: «وإلى مثل هذا إشارات الصوفية في العارف إذا وصل إلى مقام المعرفة؛ فإنهم يزعمون أنه يحصل له روحان: قديمة لا يجري عليها تغير واختلاف، بها يعلم الغيب ويفعل المعجز، وأخرى بشرية للتغير والتكوين؛ ولا يبعد عن مثله أقاويل النصارى»^(٣).

كما أكد هذه الحقيقة الباحث الهندي المعاصر محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ومعلوماته مهمة باعتبار أنه كان هندوسياً وهداه الله إلى الإسلام، وقد ربط بين عقيدة النرفانا الموجودة في الديانات الهندية والتي تعني الاتحاد بالخالق، وبين القول بوحدة الوجود عند غلاة الصوفية، فيقول: «الهدف الأسمى للحياة عند الهندوس هو التحرر من رق الأهواء والشهوات، فإن الروح إذا خرجت من جسم تنتقل إلى جسم آخر، وهكذا تنتقل من جسم إلى جسم حتى يحصل لها (النرفانا)، وهو العودة إلى أصلها الذي صدرت عنه، والاتحاد والاتصال به وهو

(١) انظر: العقيدة والشريعة، جولد زهير (ص: ١٥٩) وما بعدها، مدخل إلى التصوف، أبو الوفا التفتازاني (ص: ٣٠)، التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير (ص: ٩٧) وما بعدها، البوذية وعلاقة الصوفية بها، مصطفى نومسوك (ص: ٣٦٩) وما بعدها.

(٢) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٥٣-٥٥).

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٥٢).

(برهما)، وفي تعبير المتصوفين (الفناء)^(١).

٣- الأصل الفلسفي:

يقول د. أبو الوفا التفتازاني -شيخ مشايخ الطرق الصوفية سابقاً-: «نحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي، فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة، والأفلاطونية المحدثة خاصة إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل، أو الاختلاط مع رهبان النصارى»^(٢). حتى أن بعض الباحثين يرجع اسم الصوفية إلى أصل يوناني باعتبارها مأخوذة من كلمة (سوفيا) كما مر.

ويقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءاً من أبي اليزيد البسطامي، وسهل التستري، والترمذي الملقب بالحكيم، وابن عطاء الله السكندري، وابن سبعين، وابن الفارض، والحلاج، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي، والرومي، والجيلي، والعراقي، والجامي، والسهروردي المقتول، وبايزيد الأنصاري وغيرهم، وأن هؤلاء أخذوا نظرية الفيض والمحبة والمعرفة والإشراق مع الآراء الأخرى التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية المحدثة»^(٣).

٤- الأصل الباطني:

هناك تشابه بين التصوف والتشيع الباطني في أصول عديدة^(٤)، كالتشابه بين عقيدة الإمامة عند الشيعة والولاية عند الصوفية، والقول بعصمة الأئمة عند الشيعة وعقيدة حفظ

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٣١).

(٢) مدخل إلى التصوف (ص: ٣٣).

(٣) التصوف المنشأ والمصدر (ص: ١٢١).

(٤) وقد صنف في ذلك بعض الدراسات، منها: الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل مصطفى الشيبني، العلاقة بين التشيع والتصوف، فلاح بن إسماعيل.

الولي عند الصوفية، والاشترك في بعض المظاهر الشركية كعبادة القبور والاستغاثة بها من دون الله، وكذلك في منهج التأويل الباطني للنصوص، فلدى الشيعة التأويل الباطني، ولدى الصوفية التفسير الإشاري الذي يتحول أحياناً إلى تأويل باطني.

ويكشف ابن خلدون عن الصلة بين غلاة الصوفية والباطنية^(١)، فيقول: «ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، وملأوا الصحف منه ... وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة، مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم»^(٢).

هذه جذور التصوف بإيجاز، لكن لا بد هنا من التفريق بين التصوف الفلسفي الغالي الذي يقوم على عقائد الحلول والاتحاد، وبين التصوف المبني على المبالغة في الزهد والعبادة، فالأول لا صلة له بالإسلام، بل نشأ من تأثير معتقدات أجنبية دخيلة (هندية وفارسية ونصرانية ويونانية)، والمحققون من أهل التصوف لا يعدون هؤلاء من الصوفية^(٣). بخلاف التصوف الذي حقيقته الغلو في الزهد والمبالغة في العبادة، والذي يمثل ردة فعل للتوسع في الدنيا وزينتها، ولكن لم يبق من هؤلاء إلا القلة القليلة، وأكثر صوفية هذا الزمان من أصحاب التصوف المبتدع الغالي.

ولهذا لما سئل شيخ الصوفية في زمنه أبو الحسن البوشنجي (ت ٣٤٨هـ) عن التصوف،

(١) وقد بينت في دراستي للخمينية - وهي الوجه المعاصر للثنائي عشرية - أن الخميني يعتقد مذهب غلاة الصوفية من القول بالحلول والاتحاد، وأن النبوة مكتسبة، وغيرها (انظر: أصول مذهب الشيعة ٣ / ١١٤٤).

(٢) مقدمة ابن خلدون (٢ / ٢٧٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١ / ١٨).

قال: «اسم ولا حقيقة، وقد كان قبل حقيقةً ولا اسم»^(١). فكيف الحال اليوم؟! يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلاً؛ فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية)، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخ بغداد)»^(٢).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا: ينبوع الأول: هو انصرافُ بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا، والانقطاع للعبادة.

الينبوع الثاني: هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين؛ إحداهما: فلسفية، والأخرى: من الديانات القديمة، وهما:

الفكرة الأولى: فكرة الإشراقيين من الفلاسفة، وهم الذين يرون أنَّ المعرفة تُقَدَّف في النفس بالرياضة الروحية، والتهذيب النفسي.

الفكرة الثانية: فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية، أو حلول اللاهوت في الناسوت»^(٣).

أقسامهم:

اختلف العلماء في تقسيم الصوفية وبيان مراتبهم، فيرى ابن تيمية أنهم - من حيث تحقق وصف الزهد فيهم - «ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم».

(١) طبقات الصوفية، للسلمي (ص: ٣٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ١٨).

(٣) ابن تيمية.. حياته وعصره، محمد أبو زهرة (ص: ١٦٥-١٦٦) بتصرف.

ثم قال: «فأما صوفية الحقائق: فهم الذين وصفناهم (يعني الزهاد)»^(١)، وأما صوفية الأرزاق: فهم الذين وقفت عليهم الوقوف، وأما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك، فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم»^(٢).

والحقيقة أن هذا التقسيم الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية لم يعد له وجود الآن، وأصبحت السمة العامة الغالبة من الصوفية هم من النوع الثالث (صوفية الرسم).

وقسمهم ابن تيمية تقسيماً آخر بحسب عقائدهم إلى ثلاثة أصناف: صوفية أهل الحديث، وصوفية أهل الكلام، وصوفية الفلاسفة، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث، وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين^(٣).

وقسمهم الهجويري الصوفي إلى ثلاثة أقسام: الصوفي، والمتصوف، والمستصوف. ثم شرح ذلك بقوله: «فالصوفي هو الفاني عن نفسه، والباقي بالحق، فقد تحرر من قبضة الطباع، واتصل بحقيقة الحقائق»^(٤).

والمتصوف: هو من يطلب هذه الدرجة بالمجاهدة، ويقوم نفسه في الطلب على معاملاتهم.

(١) جاء في وصفه - رحمه الله - لهم: أنهم قوم سلكوا طريق العبادة والزهد واجتهدوا في ذلك، والصوفي عندهم: من صفا من الكدر وامتلا من الفكر. واستوى عنده الذهب والحجر، وهم يسرون بالصوفي إلى معنى الصديق. (انظر: مجموع الفتاوى ١٦ / ١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ١٨ - ٢٠) مختصراً.

(٣) انظر: الصفدية (١ / ٢٦٧).

(٤) وهو كلام مجمل معناه يحتمل حقاً وباطلاً، كما سيأتي في تعريف مصطلح (الفناء) عندهم.

والمستصوف: هو من تشبه بهم من أجل المال والجاه وحظ الدنيا، وهو غافل عن هذين، وعن كل معنى^(١).

ويقسم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المتصوفة إلى قسمين، فيقول: «المتصوفة على قسمين: متصوفة سنين، ومتصوفة بدعيين، ومقتصدوهم ليس فيهم إلا القليل من البدعة، وبعضهم عنده الشيء الكثير، وجعلوا التصوف نافذة إلى وحدة الوجود^(٢)». ويعرف التصوف السني بما كان متقيداً بالكتاب والسنة، والبدعي خلافاً^(٣).

مصادره في التلقي^(٤):

أهل التصوف - كما هو قول المحققين من أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره- ليسوا على درجة واحدة وإنما هم درجات من حيث التطرف والاعتدال. فمنهم من يعتمد في التلقي على الكتاب والسنة في الجملة، كما قال الجنيد: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة^(٥)». ومنهم من جعل عمدته ما يسمونه بالمكاشفات^(٦)، ومنهم من قيد كشفه بموافقة الكتاب والسنة^(٧).

(١) كشف المحجوب (ص: ٢٣١).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١ / ٢٦١).

(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (٨ / ٣٤١).

(٤) كل اعتقاد يبنى على مصادر تلقيه، فهي أساسه، وهي الأصل الذي يبنى عليه صلاح المعتقد أو ضلاله.

(٥) الرسالة القشيرية (١ / ٧٩).

(٦) حتى إن بعضهم قد يقدم الكشف على صريح النقل، كما نقل ذلك ابن تيمية عن التلمساني الصوفي. انظر: الجواب

الصحيح (٣ / ١٨٦-١٨٧).

(٧) قال الصوفي أبو الحسن الشاذلي: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل

لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة»

(طبقات الشعراني ص: ٢٩١).

ومن الباحثين من حصر مصادر التلقي عند الصوفية في ثلاثة مصادر، وهي: الكشف، والوجد، والذوق^(١).

ومنهم من قسمها إلى قسمين: خارجي؛ كالتأثر بالنصرانية، والفلسفة اليونانية، والديانات الهندية؛ وداخلي، كدعواهم رؤية النبي ﷺ يقظة والتلقي عنه مباشرة، ورؤية الخضر والأخذ عنه، وأمثالها^(٢).

وبالرجوع إلى مصادرهم نجد ابن عربي - شيخ الصوفية - يحصر مصادر العلم عندهم في جملة واحدة فيقول: «لا علم إلا ما كان عن كشف وشهود»^(٣). وقال: «إن العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم، وهو نور إلهي يختص الله به من يشاء من عباده: من ملك، ورسول، ونبي، وولي، ومؤمن، ومن لا كشف له، لا علم له»^(٤).

وقبل ذلك قال الغزالي: «من أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد»^(٥).

ويرتب ابن خلدون مراتب العلم عندهم فيقول: «مبدؤه المحاضرة»^(٦)، وهي آخر مراتب الحجاب، وأول مراتب الكشف، ثم بعدها المكاشفة، ثم بعدها المشاهدة»^(٧).

والكشف بحسب ما جاء في أقدم مصادر الصوفية وأهمها: «هو بيان ما يستتر عن الفهم

(١) انظر: مصادر التلقي عند الصوفية، سليم صادق (ص: ١٠٦) وما بعدها.

(٢) انظر: مصادر التلقي عند الصوفية، د. عبد الله العتري.

(٣) الطبقات الكبرى، الشعراي (ص: ١١).

(٤) الفتوحات المكية (٣/ ٣٣٥).

(٥) المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي (ص: ١٧٨)، وانظر: رسائل ابن عربي (ص: ٥٣٥)، الرسالة القشيرية (ص: ٧٥ -

٧٦)، التعرف لمذهب التصوف (ص: ٩٧).

(٦) وهي: حضور القلب (الرسالة القشيرية ص: ٧٥).

(٧) شفاء السائل وتهذيب المسائل، لعبد الرحمن بن خلدون (ص: ٦٩).

فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين»^(١).

وقال الغزالي: «فنعني بعلم المكاشفة: أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتصاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه»^(٢).

وقال الجرجاني: «هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية، وجوداً وشهوداً»^(٣).

أما كيف يرتفع الغطاء والحجاب، وتتجلى المعاني الغيبية؟ فلهم في هذا الباب دعماوي، منها:

١- الإلهام:

«وهو ما يلقي في الرّوع بطريق الفيض»^(٤)، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة»^(٥).

ويدعي الغزالي أن الإلهام يحصل بواسطة الملائكة، وأنه كالوحي للأنبياء بواسطة الملك، ولا فرق بينها إلا في المشاهدة، فيقول: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم؛ فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة»^(٦).

وهم بهذا الإلهام المزعوم يستغنون عن التعلم ويعرضون عن طلب العلم، ولذلك يقول

(١) اللمع للطوسي (ص: ٤٢٢).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٠)، وانظر تعريف القشيري للمكاشفة في: الرسالة القشيرية (ص: ٧٥).

(٣) التعريفات (ص: ٢٣٧)، وانظر: معجم مصطلحات الصوفية، دكتور عبد المنعم الحفني (ص: ٢٢٥).

(٤) المقصود بالفيض: أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد، أو جوهر واحد، من دون أن يكون في فعل هذا المبدأ أو الجوهر تراخ أو انقطاع، ولذلك كان القول بفيض العالم عن الله مقابلاً للقول بخلقه من العدم. انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ١٧٢).

(٥) انظر: معجم مصطلحات الصوفية، للحفني (ص: ٢٣).

(٦) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩).

الغزالي: «إذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة»، والطريق عندهم لتحصيل العلم اللدني أو الإلهام هو «تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى .. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له»^(١).

وقد يترقى الصوفي - كما يزعمون - في إلهامه حتى يتلقى عن الله تعالى مباشرة، كما ورد عن بعض مشايخهم أنه قال: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»^(٢).

وقال ابن عربي: «فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه، كيف ينتهي كلامه أبداً؟! فستان بين مؤلف يقول: حدثني فلان - رحمه الله - عن فلان - رحمه الله -، وبين من يقول: حدثني قلبي عن ربي»^(٣)، وإن كان هذا الأخير رفيع القدر، فستان بينه وبين من يقول: حدثني ربي عن ربي، أي حدثني ربي عن نفسه»^(٤). يشير بقوله: «حدثني ربي عن ربي» إلى عقيدة الحلول

(١) إحياء علوم الدين (٣ / ١٩).

(٢) الفتوحات المكية (١ / ١٣٩)، ونسب إلى أبي يزيد البسطامي.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي، عن ربي، فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عن من؟ عن شيطانه؟ أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي. كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب. ومُحَدَّث الأمة لم يكن يقول ذلك، ولا تفوه به يوماً من الدهر، وقد أعاده الله من أن يقول ذلك؛ بل كتب كاتبه يوماً: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقال: لا، امحه، واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه بريء، وقال في الكلاله: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان. المستدرك على مجموع الفتاوى (١ / ١١٢).

(٤) الفتوحات المكية (١ / ٢٥٧).

والاتحاد التي يعتقد غلاتهم أنها المرتبة العليا في الفناء.

قال أبو المواهب الشاذلي في الرد على من أنكروا عليهم ذلك: «لا إنكار؛ لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي عن طريق الإلهام؛ الذي هو وحي الأولياء، وهو دون وحي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام-»^(١).

وقال الصوفي إبراهيم الدسوقي: «إن الله تعالى يقذف في سرِّ خواص عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا بدل^(٢)، ولا صديق، ولا ولي^(٣)». وهذا مسلك خطير فتح باب الوضع في الشريعة والابتداع في الدين، حتى صار كل «من تكلم في حقائق الإيمان والسلوك، و باب الأسماء والصفات بما يسبح له، ويلقيه شيطانه في قلبه يزعم أن علمه لدي^(٤)».

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن الإلهام على نوعين: محمود، ومذموم، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشعر،] وذكر أن «الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة؛ فإن كان مما ألقى في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دل على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم، وهذا الفرق مطرد لا ينتقض»^(٥).

(١) طبقات الشعراي (ص: ٣٧٨).

(٢) البدل: هي مرتبة يترقى إليها الولي الصوفي فيما يعتقدون؛ فمن سافر عن موضعه وترك جسداً على صورته، حياً بحياته، ظاهراً بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير. والأبدال سبعة رجال، وقيل: أربعون. انظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص: ٣٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن تقسيم الصوفية الأولياء إلى نجباء ونقباء وأبدال وأقطاب وأوتاد وغوث: هذا كله باطل، لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم (مجموع الفتاوى ٢٧ / ٩٧).

(٣) طبقات الشعراي (ص: ٢٤٥).

(٤) مدارج السالكين (٣ / ٣٩٩-٤٠٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧ / ٥٢٩).

٢- التلقي عن النبي ﷺ في المنام:

يكثُر الصوفية من دعاوى رؤية النبي ﷺ في المنام، ولم تقتصر الدعوى على مجرد الرؤيا؛ فإن منها ما هو حق، بل تجاوزوا ذلك إلى اعتماد هذه الرؤى كمصدر من مصادر التلقي عندهم^(١)؛ حيث يدعي مشايخ التصوف أنهم يستفيدون من هذه الرؤى في أمور دينهم، سواء في تصحيح العقائد، أو في معرفة ما أشكل عليهم في التفسير، أو في التعرف على صحة ما أشكل عليهم من السنة وغير ذلك، قال ابن عربي: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥] ما هذه الشجرة؟ فقال: كُنِّي عن نفسه سبحانه؛ ولذلك نفى عنها الجهات؛ فإنه لا يتقيد بالجهات. والغرب والشرق: كناية عن الفرع، والأصل: فهو الله خالق المواد وأصلها»^(٢).

وقال أبو الحسن الشاذلي: «سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»^(٣)، فأشكل عليّ معناه، فرأيت رسول الله ﷺ، وهو يقول: يا مبارك؛ ذلك غين الأنوار، لا غين الأغيار»^(٤).

ويقول محمد الرفاعي الصيادي: «وفي ليلة الجمعة رأيت أيضاً رسول الله ﷺ، فقال لي: طب قلباً سيظهر الله لك ولدوك، وللطريقة الرفاعية بهذه البلدة شأنًا عظيمًا. فقلت: يا رسول الله - عليك الصلاة والسلام - إني أرى عنايتك بالطريقة الرفاعية أكثر من عنايتك

(١) انظر مثلاً: كتاب سعادة الدارين ليوسف بن إسحاق النهاني، فقد ذكر في كتابه كثيراً من حكايات رؤيا الصوفية للنبي ﷺ لا سيما الباب التاسع. بل ذكر رؤى لمشايخ الصوفية والتلقي عنهم كما في الباب الرابع من الكتاب، وانظر: الرسالة القشيرية (ص: ٣٦٨-٣٧٧)، التعرف على مذهب أهل التصوف (ص: ١٥٣-١٥٥).

(٢) رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، لابن عربي (٣/ ٢٢)، وانظر: سعادة الدارين، للنهباني (ص: ٤٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (ح: ٢٧٠٢).

(٤) لطائف المنن (ص: ٨٦-٨٧).

بغيرها! فقال ﷺ: هي طريقتي الخاصة، من الطريق الخاص، في السلوك الأخص، على الوجه المخصوص، وأنا أحب السيد أحمد الرفاعي ومن أحبه^(١).

وقال الشعراني: «وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي يقول: لا تكمل عبادة فقير [يعني: صوفي] حتى يصير يشاهد الشرع في كل عبادة عملها، يعني: يعملها بحضرة على الكشف والمشاهدة لا على الإيمان والحجاب، ثم قال: فإن قال قائل: ما دليلك على ذلك؟ قلنا له: قد رأيت النبي ﷺ في واقعة من الوقائع، فقلت له: يا رسول الله، ما حقيقة متابعتك في العمل على موافقة شريعتك؟ فقال: هي أن تعمل العمل مع شهودك للشرع حال العمل وبعد العمل^(٢).

٣- التلقي عن النبي ﷺ يقظة:

يدعي كثير من مشايخ الصوفية رؤية النبي ﷺ يقظة والتلقي عنه، بل زعم بعضهم أنه لا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ويكلمه مشافهة. يقول الشعراني: «سمعت علياً الخواص -رحمه الله- يقول: لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة^(٣).

وقال الدباغ: «فإذا صفا نظره وتم نور بصيرته ورحمه الله الرحمة التي لا شقاء بعدها رزقه الله سبحانه رؤية سيد الأولين والآخرين -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم-، فيراه عياناً ويشاهده يقظة، ويمده الله تعالى بها لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٤).

ويقول التجاني -شيخ الطريقة التجانية-: «أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناماً. قال لي: أنت من الآمنين، وكل من رآك من الآمنين؛ إن مات على الإيمان، وكل من أحسن إليك

(١) بوارق الحقائق، للرفاعي الصيادي (ص: ٢١٥).

(٢) لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، عبد الوهاب الشعراني (ص: ١٥).

(٣) لوائح الأنوار القدسية (ص: ١٦).

(٤) الإبريز (ص: ٣١٢).

بخدمة أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب»^(١).
 ويعتقد أهل التصوف أن من أعظم الأسباب التي تساعد الصوفي للوصول إلى هذا
 المقام هو الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ. قال النهائي: «إن من أعظم فوائد الصلاة على
 النبي ﷺ رؤياه في المنام، ويطرق الأمر للمكثرين منها إلى رؤيته يقظة ﷺ»^(٢).
 ولذا فقد ادعى كثير من شيوخ الطرق الصوفية تلقي أورادهم المتدعة عن النبي ﷺ
 مباشرة في اليقظة»^(٣).

وقد لبست الشياطين عليهم، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «الشياطين كثيرًا ما
 يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام»^(٤)، وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو
 العالم فلان .. وربما أتى في اليقظة دون المنام وقال: أنا المسيح؛ أنا موسى؛ أنا محمد؛ وقد جرى
 مثل ذلك أنواع أعرفها، وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثم شيوخ
 لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون بمثل هذا!. ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر
 نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه»^(٥).

قال ابن عبد البر لمن ظن أنه حين يأتي إلى قبر النبي ﷺ يخرج من قبره في صورته فيكلمه،
 وظن هذا من كراماته!: «ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأمان (١ / ٧٨).

(٢) سعادة الدارين (ص: ٤٠٩).

(٣) من ذلك ما ذكره النهائي في (سعادة الدارين) أن الشيخ أحمد بن إدريس شيخ الطريقة الإدريسية - التي هي فرع من
 الطريقة الشاذلية - تلقى أحزابه وصلواته من إملاء النبي ﷺ يقظة. (انظر: سعادة الدارين ص: ٤٥٧).

(٤) وعلامة أنه شيطان أن يقرأ بصدق وإيمان آية الكرسي، فإن الشيطان لا يقربه، كما في الحديث: إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية
 الكرسي؛ لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح رواه البخاري في صحيحه (ح ٣١٠١) من حديث
 أبي هريرة.

(٥) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٠٦ - ٤٠٧)، وانظر: الجواب الصحيح (٣ / ١٥)، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب
 الجحيم (٢ / ٢٦٨).

والأنصار؟! فهل في هؤلاء من سأل النبي ﷺ بعد الموت وأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم؟! وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألتها فأجابها؟!^(١).

٤- التلقي عن الخضر عليه السلام:

تؤمن الصوفية بحياة الخضر، وأنه باق إلى الآن، ومنهم من يزعم لقاءه والتلقي عنه، ومن نظر في كتب الصوفية يجد الكثير من القصص التي تذكر لقياهم للخضر. قال ابن عطاء الله السكندري: «واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاءه والأخذ عنه، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر إلى حد التواتر الذي لا يمكن جحده، والحكايات في ذلك كثيرة»^(٢). ويقول الصوفي أبو العباس المراسي: «وأما الخضر فهو حي، وقد صافحته بكفي هذا.. فلو جاءني الآن ألف فقيه يجادلونني في ذلك ويقولون بموت الخضر ما رجعت إليهم»^(٣).

وقال إبراهيم الخواص: «لقيني الخضر عليه السلام فطلب مني الصحبة فخشيت أن يفسد عليّ توكلني بسكوني إليه، ففارقت»^(٤).

ويروون عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال: «رأيت الخضر عليه السلام في برية عيذاب»^(٥)، فقال لي: يا أبا الحسن! أصحبك الله اللطيف الجميل، وكان لك صاحبًا في الإقامة والرحيل»^(٦).

(١) عن: مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٠٧).

(٢) لطائف المنن (ص: ٨٢).

(٣) جامع كرامات الأولياء (١ / ٥٢١)، وانظر: لطائف المنن (ص: ٨٢).

(٤) الرسالة القشيرية (ص: ١٦٦).

(٥) عيذاب: مدينة على ضفة البحر الأحمر من جهة مصر. انظر: معجم البلدان (٤ / ١٧١)، والروض المعطار في خبر الأقطار (ص: ٥٨).

(٦) طبقات الشعراني (ص: ٢٩١)، ولطائف المنن (ص: ٨٢).

وورد في ترجمة الصوفي أحمد بن إدريس أن الخضر علمه أورد الطريقة الشاذلية^(١)،
وحكاياتهم في هذا الباب كثيرة^(٢).

هكذا يدعون؛ مع أن الصواب أن الخضر قد مات، ولم يدرك الإسلام، وإلا لجا إلى
النبي ﷺ والتقى به وآمن به وصدقته، ولشاع أمره وحفظ ذكره بالتواتر؛ فكيف يصح بعد هذا
أن يكون حيًّا فيمتنع من النبي محمد ﷺ، ويلتقي بهؤلاء؟! قال شيخ الإسلام: «الصواب
الذي عليه المحققون أنه ميت^(٣)، وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ
لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في
مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به
من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفيتهم! ولم يكن مختلفًا عن خير أمة أخرجت للناس،
وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة؛ لا في
دينهم، ولا في دنياهم، فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي ﷺ الذي علمهم الكتاب
والحكمة^(٤)».

وقد حاول بعض هؤلاء الغلاة وضع أحاديث لا أصل لها لإثبات حياة الخضر.

قال ابن القيم: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في
حياته حديث واحد^(٥)».

وما يقطع بموته قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِإِنسَانٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ

(١) انظر: المتقى النفيس (ص: ٥٢). نقلًا عن: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص: ١٦٦).

(٢) انظر الزيد من حكاياتهم: كشف المحجوب للهجويري (ص: ١٦٩ - ١٧٠)، والرسالة القشيرية (ص: ٣٩٢، ٤٠٥)،
طبقات الصوفية (ص: ٣٠-٣١).

(٣) قال أبو حيان في تفسيره: والجمهور على أنه مات (البحر المحيط / ٦ / ١٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٠٠-١٠١).

(٥) المنار المنيف (ص: ٦٧).

الْحَلْدُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنبياء]، وقوله ﷺ: «إن على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض، ممن هو عليها أحد»^(١).

وأما بالنسبة لدعوى الصوفية لقاءهم بالخضر عليه السلام، فلا يبعد أن يكون جنياً تمثل لهم على صورة رجل صالح قال: إنه الخضر، قال شيخ الإسلام: «وقد يُرى الخضر على صور مختلفة، وعلى صورة هائلة، وأمثال ذلك؛ وذلك لأن هذا الذي قال: إنه خضر، هو جنى، بل هو شيطان يظهر لمن يرى أنه يضل»^(٢).

٥- التلقي من اللوح المحفوظ:

قال ابن عربي: «يرتقي العبد ... إلى عالم الغيب، فيشاهد اليمين ماسكة قلمها، وهي تخطُّ العالم في لوح الوجود المحفوظ حرفاً حرفاً، مشكولاً منقوفاً»^(٣).

ويقول إبراهيم الدسوقي: «إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة، وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني، ففهم رموزها وعرف كنوزها، وفك طلسماتها، وعلم اسمها ورسمها وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط، ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول»^(٤).

ودعاوى غلاة التصوف في هذا الباب كثيرة^(٥).

مؤلفاتهم:

أقدم كتب الصوفية التي وصلت إلينا هي مصنفات الحارث بن أسد المحاسبي

(١) أخرجه البخاري (ح ٢٥٣٧).

(٢) منهاج السنة النبوية (١ / ١٠٤).

(٣) مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، ابن عربي (ص: ٨٨).

(٤) الطبقات الكبرى، للشعراني (ص: ٢٤٠).

(٥) للتوسع انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم صادق، مصادر التلقي عند الصوفية، د. عبد الله العنتري.

(ت ٢٤٣هـ)^(١)، ومنها: الرعاية لحقوق الله، وآداب النفوس، ورسالة المسترشدين، والتوهم في وصف أحوال الآخرة، وماهية العقل، وفهم القرآن.

وقد خرجت كتب التصوف في الأصل من البصرة، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-^(٢). وبدأ أهل التصوف يتلقون عنها علمهم.

ويحكي الغزالي عن طريقته في تحصيل العلم الصوفي بقوله: «فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي، وأبي يزيد البسطامي وغيرهم من المشايخ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية..»^(٣).

وقد تتبع ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تاريخ التأليف عند الصوفية وما شابه من غلو وابتداع بسبب تفريطهم في العلم، فقال: «أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم... فتخبطوا في الظلمات... ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات، وصنفوا في ذلك مثل: الحارث المحاسبي، وجاء آخرون فهدبوا مذهب التصوف، وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماح والوجد والرقص والتصفيق... وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً، وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم»^(٤)... وصنف

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متر (٢ / ٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٦٠).

(٣) المنقذ من الضلال (ص: ٦٠).

(٤) وقال ابن الجوزي في موضع آخر: «وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن - من كلامهم الذي أكثره هذيان لا يحل - نحو مجلدين سهاها حقائق التفسير، فقال في فاتحة الكتاب عنهم: أنهم قالوا: إنها سميت فاتحة الكتاب، لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا، فإن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعد» (تلبيس إبليس ص: ٣٣٢).

لهن أبو نصر السراج كتاباً سماه: (لمع الصوفية) ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول...، وصنف لهم أبو طالب المكي (قوت القلوب)، فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل؛ من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد، وردد فيه قول: (قال بعض المكاشفين)، وهذا كلام فارغ. وذكر فيه عن بعض الصوفية: إن الله ﷻ يتجلى في الدنيا لأولياته^(١)...، وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة...، والقشيري ألف كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسكر والذوق والشرب والمحو والإثبات والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوائع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحیی العاقل من ذكرها.. وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب (الإحياء) على طريقة القوم وملاءه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه^(٢)، وقال: إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله ﷻ ولم يرد هذه المعروفات، وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال: إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد، ثم

(١) قال الخطيب البغدادي: «وصف أبو طالب المكي كتاباً سماه (قوت القلوب) على لسان الصوفية، وذكر فيه أشياء منكرة مستنعة في الصفات» (تاريخ بغداد ٤ / ١٥١).

(٢) قال ابن الجوزي: «وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء)، وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بـ(تلييس إبليس)؛ مثل ما ذكر في كتاب النكاح: أن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: أنت الذي تزعم أنك رسول الله! وهذا محال، وإنما كان سبب إعراضه فيها وضعه عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية.. وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوععة وما لا يصح غير قليل، وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف، وإنما نقل نقل حاطب ليل». (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧ / ١٢٥).

يرتقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق». ثم قال ابن الجوزي: «وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار، وإقبالهم على ما استحسّنوه من طريقة القوم...، وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن»^(١).

واستمر التأليف عند الصوفية بعد ابن الجوزي، بمدارسه المختلفة، وطرقه المتعددة، فأخرجت المكتبة الصوفية العشرات من الكتب، وظهرت - في عصرنا - لبعض الطرق مواقع وفضائيات ومجلات ساهمت في الترويج لبدعهم وضلالاتهم، كما أن للاستعمار عناية بدعمهم، ونشر كتبهم^(٢).

وقد ذكر بعض المعاصرين أن الطرق الصوفية عمدتها كتابان، هما: قوت القلوب؛ لأبي طالب المكي، وإحياء علوم الدين؛ لأبي حامد الغزالي، وأن الثاني منقول عن الأول^(٣). وذكر بعض الباحثين المعاصرين أن الكتب المعتمدة لدى ما سبهاهم صوفية الخليج هي:

(١) تلبس إبليس (ص: ١٦٥-١٦٨) مختصراً.

(٢) عليم المستعمر - منذ زمن بعيد - بإمكانية الاستفادة من الصوفية في مخططاته ضد المسلمين. فأرسل من أبنائه من يدرس هذه الفرقة دراسة مستفيضة في عقرب دارها، ومن خلال تراثها وواقعا السلوكي، فظهر عدد من المستشرقين الذين عنوا بهذا غاية العناية؛ كالمستشرق الفرنسي الشهير ماسينيون، الذي تخصص في دراسة الصوفية، ولا سيما أهل الغلو منهم كالخلاج حتى لقب بعاشق الخلاج، وفي الزمن القريب ظهر اهتمام الغرب - وعلى رأسهم أمريكا - بالصوفية والتصوف، والتأكيد على ضرورة دعم هذا التيار باعتباره الإسلام الوسطي المعتدل - بزعمهم - الذي يجب أن يُمكن في بلاد المسلمين للقضاء على التطرف والإرهاب الذي ألقى بالمسلمين ظلماً وعدواناً، وقد بدأت بوادر هذا الدعم جلية في بلاد المسلمين لاسيما في وسائل الإعلام المختلفة. للاطلاع والاستزادة، انظر: عندما يكون العم سام ناسكاً، للدكتور صالح الغامدي (ص: ٣٣١، وما بعدها)، ومقال بعنوان: العبور الأمريكي عبر الزاوية الصوفية، مجلة البيان، العدد ٣١٣، ومقال بعنوان: الشيعة المتصوفة، للمؤلف، مجلة البيان، العدد ٣٢٠.

(٣) انظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها، للدكتور: عبد الله السهلي (ص: ٧١).

مصنفات الغزالي ولا سيما كتابه (إحياء علوم الدين)، وكذلك كتب ابن عربي والقشيري ولا سيما كتابه (الرسالة)^(١).

ومن يراجع المكتبة الصوفية يجد عددًا كبيرًا من الكتب والرسائل من مصنفات أهل التصوف، وقد رجع شيخ الإسلام ابن تيمية في دراسته للتصوف في عصره إلى ثلاثة وأربعين كتابًا^(٢)، وقد اتسع التأليف وزادت مصنفات الصوفية من بعده حتى يومنا هذا.

عقائدهم:

ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى القول بأن المتصوفة كلهم غلاة، ولا يوجد فيهم معتدل^(٣)، والحق أن تعميم الحكم بالغلو على جميع الصوفية فيه نظر، والعدل أنهم ليسوا على درجة واحدة؛ فمنهم من هو من أهل السنة والحديث، كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، ومنهم من هو من أهل الكلام، كالحارث المحاسبي والقشيري والغزالي، ومنهم من هو من الفلاسفة الزنادقة أهل الحلول والاتحاد، كالحلاج (ت ٣٠٩هـ)، وابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، وابن سبعين (ت ٦٦٩هـ)، والعفيف التلمساني (ت ٦٩٠هـ)، وغيرهم^(٤).

وفيما يلي جملة من عقائد الخلاة المنتسبين للتصوف.

(١) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي، د. عبد العزيز البداح (ص: ٢٣١).

(٢) وذلك بحسب استقراء وتنوع الدكتور محمد العريفي في كتابه: موقف ابن تيمية من التصوف (١٠٦/١).

(٣) يقول إحسان إلهي ظهير: «كنت أظن أول الأمر أن بعض الغلاة هم الذين أساؤوا إلى التصوف والصوفية، وأن الغلو والتطرف هو الذي جلب عليهم الطعن وأوقعهم في التشابه مع الشيع والشيعة، ولكنني وجدت كلما تعمقت في الموضوع، وتأملت في القوم ورسائلهم، وتوغلت في جماعتهم وطرقهم، وحققت في سيرهم وتراجهم أنه لا اعتدال عندهم، كالشيعة تمامًا، فإن الاعتدال عندهم كالعنقاء في الطيور، والشيعة لا يكون شيعيًا إلا حين يكون مغاليًا متطرفًا، وكذلك الصوفي تمامًا، فمن لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق، لا يمكن أن يكون صوفيًا ووليًا من أولياء الله». (التصوف المنشأ والمصدر ص: ٦، وانظر: الفكر الصوفي ص: ٣٤، وما بعدها).

(٤) انظر: الصفدية (١/٢٦٧)، والاتجاهات العقدية عند الصوفية، للدكتور عبد الله بن دجين السهلي (ص: ١٧).

١ - القول بالحلول^(١):

اشتهر عن بعض أعلام التصوف عبارات تفيد هذا المعتقد، كالذي يروى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: «سبحاني ما أعظم شاني!»^(٢).

ويقول أبو يزيد أيضًا: «رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدايتك، وألبسني أنايتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رأني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك»^(٣).

وجاء في اللمع أن أبا حمزة الصوفي (ت ٢٦٩هـ) دخل دار الحارث المحاسبي، وكان للحارث دار حسن وثياب نظاف، وفي داره شاء مرغ^(٤)، فصاح الشاء مرغياً، فشهب أبو حمزة شهقة وقال: لبيك يا سيدي! فغضب الحارث وعمد إلى سكين، وقال له: إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك^(٥). وهو دليل على أنه معتقد دخيل على أهل التصوف، وإلا لما أنكره الحارث المحاسبي.

ويرى الفخر الرازي أن هذا اعتقاد فرقة من المنتسبين للتصوف تُدعى الحلولية؛ حيث يقول: «وهم طائفة يرون في أنفسهم أحوالاً عجيبة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر، فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد، فيدعون دعاوى عظيمة، وأول من أظهر

(١) عرف الجرجاني الحلول بقوله: «الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً، والمسرّي فيه محلاً» (التعريفات، للجرجاني ص: ١٢٥).

(٢) قال شيخ الإسلام: لكن بعض ذوي الأحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوى، والسكر وجد بلا تمييز؛ فقد يقول في تلك الحال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي، أو غيره من الأصحاء. وكلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدي؛ إذا لم يكن سكره بسبب محذور من عبادة أو وجه منهي عنه. فأما إذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً (مجموع الفتاوى ٢ / ٤٦١).

(٣) اللمع، للطوسي (ص: ٤٦١).

(٤) المرغ: المخاط، وقيل: لعاب الشاء. انظر: لسان العرب (٨ / ٤٤٩).

(٥) انظر: اللمع، للطوسي (ص: ٤٩٥).

هذه المقالة في الإسلام الروافض؛ فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم^(١).
وقد زعمت هذه الطائفة أن الحق -تبارك وتعالى- اصطفى أجسامًا حلَّ فيها بمعاني
الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية^(٢).

٢- القول بوحدة الوجود:

يعتقد غلاة الصوفية أن الحق عين الخلق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله -
تعالى- ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة، أي: «أن الله تعالى والعالم شيء واحد»^(٣).
قال الحلاج:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من أنت؟ قال أنت^(٤)

وقال أيضًا: «أنا الحق، وما في الجبّة إلا الله»^(٥).

قال القاضي عياض: «وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر ... على قتل الحلاج وصلبه،
لدعواه الألوهية والقول بالحلول، وقوله: (أنا الحق)، مع تمسكه في الظاهر بالشرعية، ولم
يقبلوا توبته»^(٦).

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٣).

(٢) انظر: معجم مصطلحات الصوفية، للحفني (ص: ٨٢).

(٣) عقيدة الصوفية وحدة الوجود الحفية (ص: ٢٨).

(٤) انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأمان (٢/ ١٨٩).

(٥) انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأمان (٢/ ١٨٨-١٨٩).

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى مع حاشية الشمني (٢/ ٢٩٨).

وقال ابن الجوزي: «وبعث الحلاج كتابًا عنوانه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان، فوجه إلى بغداد، فأحضر وعرض عليه فقال: هذا خطي وأنا كتبتة، فقالوا: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية؟ فقال: ما أدعي الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكتاب إلا الله تعالى واليد فيه آله؟!»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما اتحاد ذات العبد بذات الرب، بل اتحاد ذات عبد بذات عبد، أو حلول حقيقة في حقيقة كحلول الماء في الوعاء، فهذا باطل قطعًا، بل ذلك باطل في العبد مع العبد؛ فإنه لا تتحد ذاته بذاته، ولا تحل ذات أحدهما في ذات الآخر، وهذا هو الذي وقعت فيه الاتحادية والحلولية؛ من النصارى وغيرهم من غالبية هذه الأمة وغيرها، وهو اتحاد متجدد بين ذاتين كانتا متميزتين فصارتا متحدتين، أو حلول إحداها في الأخرى فهذا بيّن البطلان»^(٢).

وقال أيضًا: «وأما ما جاء به هؤلاء [غلاة الصوفية] من الاتحاد العام، فما علمت أحدًا سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلَق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غني وما سواه فقير»^(٣).

ومما يترتب على القول بوحدة الوجود تجويز عبادة كل شيء موجود في هذا الكون، وأن كل الذين يعبدون غير الله من الأوثان والأصنام والأحجار والأشجار مؤمنون حقًا.

قال ابن أبي العز الحنفي: «ومن فروع هذا التوحيد [يعني: توحيد الاتحادية]: أن فرعون

(١) تلبس إبليس (ص: ١٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٦٦).

وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة، ومن فروعه: أن عبَاد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره، ومن فروعه: أنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، والكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا^(١).

وقد رد هذه المقالة أهل التصوف المعتدل، فقد نقل السيوطي عن عبد الله بن محمد النوري، قال: «الدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال، فإن رجلين مثلاً لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما في ذاتيهما كما هو معلوم، فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم، فإذا أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً باجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية، وإنما قاله طائفة غلاة لقلّة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: اتحد ناسوته بلاهوته، وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه»^(٢).

٣ - الشرك بالله:

غلاة الصوفية يجعلون دعاء الموتى أفضل من دعاء الله، روى السراج الطوسي عن جاكير الكردي^(٣) أنه استأذنه رجل واسطي في ركوب بحر الهند بتجارة، فقال: «إذا وقعت في شدة فناد باسمي»^(٤).

(١) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١ / ٢٥).

(٢) الحاوي للفتاوي، للسيوطي (٢ / ١٢٦). وانظر: الردود العلمية في دحض أباطيل الصوفية (ص: ٢٩٤).

(٣) مما قاله الشعراني عنه: «من أكابر المشايخ، وأحد أركان الطريقة» (انظر: الطبقات الكبرى ص: ٢١٢).

(٤) انظر: جامع كرامات الأولياء (٣ / ٢).

ونسب غلاة التصوف إلى عبد القادر الجيلاني أنه كان يقول لمريديه: «من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني باسمي في شدة فرّجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له، ومن صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدى عشر مرة، ثم يصلي على رسول الله ﷺ بعد السلام ويسلم عليه ويذكرني، ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشر خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته، فإنها تقضى بإذن الله»^(١).

وأشار شيخ الإسلام بأن كثيراً من المتصوفة يستغيثون بمشائخهم عند الكربات فيجيبهم الجن والشياطين فيزدادون فتنة^(٢).

بل إن غلاة الصوفية من القائلين بالحلل والاتحاد «يجوزون الشرك وعبادة الأصنام مطلقاً على وجه الإطلاق والعموم»^(٣).

بل مقتضى مذهبهم أنهم لا يرون شركاً على ظهر الأرض، لأن الجميع عين واحدة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سواوا الله بكل موجود، وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود؛ إذ جعلوه هو وجود المخلوقات، وهذا من أعظم الكفر والإلحاد برب العباد، وهؤلاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عباد لا

(١) انظر: بهجة الأسرار (١٠٢)، نقلاً عن: دراسات في التصوف (ص: ٢٩٠).

(٢) قال شيخ الإسلام: «فتارة يتمثل الجنّي في صورة الإنسي فإذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن أنه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به: يا سيدي فلان، فينقل الجنّي ذلك الكلام إلى الشيخ بمثل صوت الإنسي حتى يظن الشيخ أنه صوت الإنسي بعينه ثم إن الشيخ يقول: نعم ويشير إشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتي الجنّي بمثل ذلك الصوت والفعل فيظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أحابه وهو الذي فعل ذلك حتى أن تابع الشيخ قد يكون يده في إناء يأكل فيضع الجنّي يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام؛ فيظن ذلك التابع أنه شيخه حاضر معه والجنّي يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الإناء؛ فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ أن يده في ذلك الإناء، فإذا حضر المريد ذكر له الشيخ أن يدي كانت في الإناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل، ولكن الجنّي مثل للشيخ ومثل للمريد حتى ظن كل منهما أن أحدهما عند الآخر، وإنما كان عنده ما مثله الجنّي وخيله» (مجموع الفتاوى ١٣ / ٨٤ - ٨٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢ / ٢٩٦).

بمعنى أنهم معبدون ولا بمعنى أنهم عابدون؛ إذ يشهدون أنفسهم هي الحق، كما صرح بذلك طواغيتهم كابن عربي صاحب الفصوص، وأمثاله من الملحدن المقتزين، كابن سبعين وأمثاله^(١).

وهؤلاء أعظم كفرًا من المشركين؛ لأن المشركين عبدوا الأصنام لتقريبهم إلى الله زلفى، لكن هؤلاء يعبدونها لأنها عندهم هي الله^(٢).

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من أعيان الشيوخ من يأمر المرید أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل، وآخرون يحجون إلى القبور، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ؛ وإن لم يسموا ذلك منسكًا وحنجًا فالمعنى واحد، ومن هؤلاء من يقول: وحق النبي الذي تحج إليه المطايا؛ فيجعل الحج إلى القبر لا إلى بيت الله ﷺ، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت^(٣)، ويقول شاعرهم:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر^(٤)

فتأمل! الله يأمر بإعداد القوة، وهؤلاء القبورية يأمرن باللجوء إلى الموتى!!

ويحكى عن صوفية بغداد أنهم كانوا يستشفون بقبر معروف الكرخي، ويتبركون بزيارته حتى قال بعضهم: «قبر معروف الترياق المجرَّب»^(٥).

وهذه المظاهر الشركية ترجع إلى الرافضة الباطنية، فهم أول من أحدث المشاهد على

القبور^(٦).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٦٢-١٦٣). وانظر: موقف ابن تيمية من الصوفية (١/ ٤٠٨-٤٠٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٢).

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ٣٠٥-٣٠٦) مختصرًا. وانظر: الرد على الأحنائي (ص: ٣٢)، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٦٧)، وموقف ابن تيمية من الصوفية (١/ ٥٩٢).

(٤) ذكره شيخ الإسلام في كتاب الاستغاثة ولم يذكر قائله. انظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ٤١٢).

(٥) انظر: الرسالة القشيرية (ص: ٢٢٧)، طبقات الصوفية (ص: ٨٥).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٧).

٤ - تعطيل الأسماء والصفات:

عطل غلاة الصوفية الله جل وعلا من أسمائه الحسنی وصفاته العليا، فحقیقة الرب جل وعلا عند ابن عربي وغيره من غلاة الصوفية هو «وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، ولا يمكن أن يرى في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له كلام قائم به ولا علم، ولا غير ذلك ولكن يرى ظاهراً في المخلوقات متجلياً في المصنوعات»^(١)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

بل «آل الأمر بملاحظة المتصوفة - كابن عربي صاحب فصوص الحكم وأمثاله - إلى أن جعلوا الوجود واحداً، وجعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق، وهذا تعطيل للخالق»^(٢).

وكلامهم في هذا يدور على قطبين:

- إما أن يجعلوا الحق لا وجود له ولا حقيقة في الخارج أصلاً، وإنما هو أمر مطلق في الأذهان.

- وإما أن يجعلوه عين وجود المخلوقات، فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها أصلاً، ولا يكون رب كل شيء ولا مليكه، وهذا حقيقة قول القوم، وإن كان بعضهم لا يشعر بذلك^(٣).

٥ - قولهم بوحدة الأديان:

يعتقد غلاة الصوفية أن الأديان كلها واحدة؛ فيجوزون أن يكون الرجل يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً يعبد الأوثان، فليس الإسلام -عندهم- واجباً، ولا التهود والتنصر والشرك محرماً، لكن قد يرجحون شريعة الإسلام على غيرها! وإذا جاء المريد إلى شيخ من شيوخهم وقال: أريد أن أسلك على يديك يقول له: على دين المسلمين؟ أو اليهود؟ أو

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٩٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٤)، وانظر: الصفدية (١/ ٢٤٥).

(٣) انظر: بغية المرئاد (ص: ٤١٠).

النصارى؟ فإذا قال له المريد: اليهود والنصارى! أما هم كفار؟ يقول: لا، ولكن المسلمون خير منهم^(١).

بل يقول الخلاج: «الكفر والإيمان يفرقان من حيث الاسم، وأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما»^(٢).

وقال قائلهم:

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه^(٣)

نقل الطوسي أن أبا يزيد البسطامي «اجتاز مقبرة لليهود، فقال: معذرون، ثم اجتاز مقبرة للمسلمين، فقال: مغرورون»^(٤).

ويقول ابن عربي: «إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير»^(٥)، ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]: «ما تَمَّ إلا الاعتقادات، والكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه»^(٦).

ويقول أيضاً: «فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم، وهو صراط الرب تعالى»^(٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان هؤلاء يعكسون دين الإسلام، فيجعلون أفضل الخلق المحقق عندهم؛ وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، بل كانوا يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقاً إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين، ويقولون لمن يختص

(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص: ٢٨٢-٢٨٣).

(٢) أخبار الخلاج، لويس ماسينيون وبول كراوس (ص: ٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٩٨).

(٤) انظر: اللمع، للطوسي (ص: ٤٧٣).

(٥) فصوص الحكم (ص: ١١٣).

(٦) فصوص الحكم (ص: ١١٤).

(٧) فصوص الحكم (ص: ١٥٨).

بهم من النصارى واليهود: إذا عرفتم التحقيق لم يضركم بقاؤكم على ملتكم، بل يقولون مثل هذا للمشركين عباد الأوثان!»^(١).

٦- الحقيقة المحمدية:

ويقصدون بالحقيقة المحمدية: أن الرسول ﷺ هو أول الموجودات.

جاء في جواهر المعاني: «أول موجود أوجده الله من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ، ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ»^(٢).

وقال عمر بن سعيد الفوتي: «والحاصل أن سيدنا محمدًا ﷺ أول الموجودات وأصلها وبركتها، وبركته وجدته، وبه استمدت»^(٣).

وهذا مخالف لما ثبت عنه ﷺ أن أول المخلوقات القلم، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره أن يكتب كل شيء يكون»^(٤)، قال الشيخ الألباني: «وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة»^(٥).

٧- قولهم: العالم مخلوق لأجل محمد ﷺ:

قال ابن عربي: «فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى دون غيره من الأسماء: أي أريد

(١) الصفدية (١/٢٦٨-٢٦٩) بتصرف يسير.

(٢) جواهر المعاني وبلوغ الأمان، لعلي حرازم (٢/٢٢٥).

(٣) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم، لعمر بن سعيد الفوتي، ملحق بكتاب جواهر المعاني وبلوغ الأمان (ص: ٥٧٣). وانظر: الطواسين، للحلاج (ص: ١٦٢)، ختم الأولياء، للحكيم الترمذي (ص: ٣٣٧-٣٣٨)، ولطائف المنن (ص: ٣٢).

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ١٤٢)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (ح ٢٣٢٩)، والحاكم في المستدرک (٢/

٥٤٠) وصححه، وصححه الشيخ الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ١٣٣).

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٥٧).

أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذي هو ملكك، فأخلق جوهره الماء»^(١).

٨ - اعتقادهم أن النبي يعلم الغيب:

يقول أحمد بن المبارك: «ثم قلت للشيخ [يعني: عبد العزيز الدباغ] رحمته الله: إن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام..)، فقال - رضي الله عنه وعن ساداتنا العلماء -: كيف يخفى أمر الخمس عليه؟! والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس»^(٢).

وهو يعني بأهل التصرف: من يسمونهم بالأقطاب والأبدال وغيرهم، الذين أعطوا - فيما تعتقد الصوفية - حق التصرف في الكون، مما تضمن ذلك علمهم بهذه المغيبات الخمس التي نص الكتاب والسنة على حصر علمها بالله سبحانه وتعالى^(٣).

قال أبو العباس التيجاني: «اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم علوم الأولين والآخرين إطلاقاً وشمولاً، ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلاً عن القرآن وحده»^(٤).

٩ - قولهم بحفظ الولي:

وهو قريب من اعتقاد الرافضة عصمة أئمتهم، إلا أن الرافضة يحصرونهم بسبعة أو اثني عشر، وهؤلاء لا يحصرونهم بعدد.

قال القشيري: «ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون

(١) الفتوحات المكية (٤٨/١).

(٢) الإبريز (ص: ٢٥١).

(٣) ذكر صلى الله عليه وسلم أشراف الساعة، ثم قال: «في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]. أخرجه البخاري (ح: ٥٠)، ومسلم (ح: ٩).

(٤) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، لعلي حراز بن العربي (١/١٢٢).

معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع»^(١).

١٠- تفضيلهم الولي على النبي:

قال ابن حزم: «ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل»^(٢).

ومن نصوصهم في ذلك قول البسطامي: «خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله»^(٣).
وقوله: «تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد؛ لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كله من النبيين»^(٤). وهذا يوافق عقيدة الرافضة كما سبق.

قال شيخ الإسلام: «وفيهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي في نفسه أنه خاتم الأولياء»^(٥).

وقال -رحمه الله-: «وابن عربي لما علم أنه لا يمكن دعوى النبوة ادعى ختم الولاية، وادعى أن خاتم الأولياء أكمل في العلم بالله من خاتم الأنبياء وأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى النبي»^(٦).

١١- دعواهم تفويض أمور الخلق إلى الأولياء:

قال التجاني: «إن الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم الحق على مملكته تفويضًا عامًا، أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون ويملكهم الله كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن

(١) الرسالة القشيرية (ص: ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧٠).

(٣) انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأمان (٢/ ١٨٨).

(٤) شطحات الصوفية (ص: ٣٠).

(٥) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٣٢).

(٦) الرد على المنطقيين (ص: ٣٠٢، ٤٨٧)، الصفدية (١/ ٢٤٧).

كان من حينه. وهذا من حيث بروزه بالصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة العظمى، فلا يستعصي عليهم شيء من الوجود»^(١).

ونقلوا عن الرفاعي قوله: «إذا أراد الله ﷻ أن يرقى العبد إلى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه أولاً، فإذا أدب نفسه واستقامت كلفه جيرانه وأهل محلته؛ فإن هو أحسن إليهم وداراهم كلفه جهة من البلاد؛ فإن هو داراهم وأحسن عشرتهم وأصلح سريرته مع الله تعالى كلفه ما بين السماء والأرض، فإن بينهما خلقاً لا يعلمهم إلا الله تعالى، ثم لا يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق تعالى، فيطلعه على غيبه، حتى لا تنبت شجرة ولا تحضر ورقة إلا بنظره، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق لأنه بحر عميق، غرق في ساحله خلق كثير وذهب به إيمان جماعة من العلماء فضلاً عن غيرهم»^(٢).

وقال التجاني: «اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً.. فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قيمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً»^(٣).

وقد أوردوا حكاية تتضمن التنافس بين قطبين في التصرف في الكون، فيقول أحدهم: «ما تقول في رجل رعى الوجود بيده يدورها كيف شاء؟ فرد بقوله: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟ فقال الأول: والله كنا نتركها لك ونذهب عنها»^(٤).

يقول شيخ الإسلام: «وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأمان (٢/ ١٩٠).

(٢) قلادة الجوهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد أبي الهدى أفندي الصيادي (ص: ١٤٧-١٤٨).

(٣) جواهر المعاني وبلوغ الأمان (٢/ ١٩٧).

(٤) الطبقات الكبرى (ص: ٤٠٨).

وقضاء الحاجات وكشف الكربات، وهذا ليس من دين المسلمين^(١). وقد أشار شيخ الإسلام قبل ذلك إلى هذا المعتقد عندهم، فذكر أنهم يقولون: «إن الولي يعطى قول: (كُن)، وقال بعضهم: إنه لا يمتنع على الولي فعل ممكن، كما لا يمتنع على الله تعالى فعل محال^(٢)».

١٢- دعوى علم الغيب:

قال الشبلي: «لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت: إني مخدوع مكمور بي^(٣)».

وقال ابن عربي: «من يكن الحق سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شيء، ومن كان الحق لسانه، كيف ينتهي كلامه؟^(٤)».

وقال الجيلي: «كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلاً عن لغات الطيور^(٥)».

١٣- عقيدتهم في القضاء والقدر:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن كثيراً من الصوفية وافقوا جهماً في مسائل الأفعال والقدر؛ وخالفوه في الصفات^(٦)، حيث قالوا بأن العبد مجبور على فعله.

يقول الحلاج: «وكما لا يملك العبد أصل فعله، كذلك لا يملك فعله^(٧)».

قال ابن القيم: «ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد فقالوا: ليس في الكون معصية

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ٣٥١). وانظر: مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٢٨)، منهاج السنة (٢ / ٦٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٦٤).

(٣) الإنسان الكامل، الجيلي (ص: ١٢٦).

(٤) التدبيرات الإلهية، ابن عربي (ص: ١٨).

(٥) الإنسان الكامل (ص: ١٢٦).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٨ / ٢٣٠-٢٣١).

(٧) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي (ص: ٣١١).

البتة إذ الفاعل مطيع للإرادة موافق للمراد كما قيل:

أصبحت منفعلًا لما يختاره مني ففعلي كله طاعات»^(١)

ولم يكتفوا بذلك حتى أحبوا ما يبغضه الله ورسوله. قال ابن القيم: «أخبرني شيخ الإسلام- قدس الله روحه- أنه لام بعض هذه الطائفة على محبة ما يبغضه الله ورسوله، فقال له الملموم: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، وجميع ما في الكون مراده؛ فأبي شيء أبغض منه؟ قال الشيخ فقلت له: إذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم، وغضب عليهم وذمهم، فواليتهم أنت وأحببتهم، وأحببت أفعالهم ورضيتها تكون مواليًا له أو معاديًا؟ قال: فهت الجبري ولم ينطق بكلمة»^(٢).

١٤- قولهم في الشريعة والحقيقة:

يعتقد غلاة الصوفية أن الدين ينقسم إلى شريعة وحقيقة، ويقولون: «إن جبريل عليه السلام نزل أولاً بالشريعة، فلما تقرر نزل ثانيًا بالحقيقة، فخصَّ بها بعضًا دون بعض»^(٣).

وهذه المقالة في تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة هي كمقالة الباطنية الرافضة في تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، بل إنهم يستخدمون أحيانًا نفس المصطلح. جاء في كتاب (اللمع): «إن العلم ظاهر وباطن.. ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]؛ فالمستنبط هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوف؛ لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك.. فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر

(١) شفاء العليل (٢/ ٣-٤).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٤).

(٣) إيقاظ الهمم، ابن عجيبة (ص: ١٨-١٩).

وباطن، والإسلام ظاهر وباطن»^(١).

وقالوا بأن من لم يعلم الحقيقة فهو زنديق، ونسبوا إلى مالك بن أنس أنه قال: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق»^(٢)، وهذه المقالة من الكذب المفترى على الإمام مالك -رحمه الله-^(٣).

وجعلوا ما يسمونه الحقيقة أو علم الباطن هو الحاكم على الشريعة. يقول أبو طالب المكي: «علم الباطن حاكم على الظاهر»^(٤).

وواضعو هذه المقالة أرادوا من خلالها أن يضعوا في دين الله ما يوافق أهوائهم، وأن يتدعوا ويحدثوا فيه ما سولت لهم شياطينهم باسم الحقيقة التي يستوحونها مما يسمونه كشفًا أو مشاهدة.

وقد تعدى قولهم بالباطن إلى تحريف القرآن، تحت ستار التفسير الإشاري أو الباطني، كما في تفسير قوله سبحانه: ﴿مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]؛ قالوا: ما نذهب من ولي الله إلا ونأت بخير منه أو مثله^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]. قالوا: بقرة كل إنسان نفسه، والله أمركم بذبحها^(٦).

(١) اللمع، الطوسي (ص: ٤٣-٤٤).

(٢) إيقاظ الهمم، ابن عجيبة (ص: ١٨).

(٣) انظر: إلى التصوف يا عباد الله، أبو بكر الجزائري (ص: ٧٩).

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب (١/ ٢٦٢).

(٥) انظر: لطائف المنن (ص: ٣٦).

(٦) لطائف المنن (ص: ١٣٧).

١٥- دعوى سقوط التكليف:

لقد أدى الانحراف بطائفة من غلاة الصوفية إلى الزعم بأن من وصل إلى مرتبة الحقيقة فقد سقطت عنه التكليف الشرعية، وحلت له المحرمات، وأنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ.

قال الأشعري: «وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات تكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم»^(١).

ويقول ابن حزم: «ادعت طائفة من الصوفية أن... من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها؛ من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا: إننا نرى الله ونكلمه، وكلما قذف في نفوسنا فهو حق»^(٢).

قال الصوفي أحمد بن عطاء: «العارف لا تكليف عليه»^(٣).

ويقولون: «ما عندنا حرام؛ ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم. فما عندهم أمر ولا نهي كما قال القاضي-الذي هو تلميذ صاحب الفصوص- فيما أنشدنيه الشاهد ابن عمد الملقب بعريه:

ما فيه من حمد ولا ذم	ما الأمر إلا نسق واحد
والطبع والشارع بالحكم	وإنها العادة قد خصصت

وحينئذٍ فما يبقى للأقوال والأفعال إلا مجرد القدرة؛ ولهذا هم يمشون مع الكون دائماً فأى شيء وجد وكان: كان عندهم حقاً؛ فالحلال ما وجدته وحل بيدك والحرام ما حرمته.

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٩).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧٠).

(٣) الطبقات الكبرى (ص: ١٣٨).

والحق ما قلته كائنًا ما كان، والباطل ما لم يقله أحد؛ وهؤلاء شر من المباحية الملاحدة الذين يجرون مع محض القدر؛ فإن أولئك يعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب وهؤلاء عطلوا أيضًا الصانع والرسالة والحقائق كلها وجعلوا الحقائق بحسب ما يكشف للإنسان^(١).

وينقل لنا الشعراني بعض الوقائع الجارية في محيط التصوف، والمبينة على هذا المعتقد، فيقول: «منهم سيدي الشريف المجذوب -رضي الله تعالى عنه ورحمه-، كان ﷺ ساكنًا تجاه المجانين بالمارستان المنصوري، وكان له كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان ﷺ يأكل في نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يُعطيهِ^(٢) في الحال»^(٣).

وقيل لبعض الصوفية: قم إلى الصلاة! فقال:

يُطالب بالأوراد من كان غافلًا كيف بقلب كل أوقاته وردُّ؟!^(٤)

ويروى عن أبي يزيد أنه أخرج من كُفِّه رغيفًا وأخذ في أكله - وكان هذا في شهر رمضان - فرجع الناس جميعًا عنه وتركوه وحده^(٥).

وقد اعترف السهروردي بهذه المعضلة التي برزت في أيامه لدى فرقة من الصوفية

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٩٩-١٠٠).

(٢) لعل المعنى: يؤذيه.

(٣) الطبقات الكبرى، الشعراني (ص: ٤٨٩). والحقيقة: أن موقف الصوفية من قضية إسقاط التكليف لم يكن واحدًا. حيث إنهم انقسموا فيها إلى طائفتين: قلَّةٌ منهم قالت بسقوط التكليف عن الصوفي الواصل، أما جمهور الصوفية فقد وقفت من هذه القضية موقف الراض لها. (انظر: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، سارة بنت عبد المحسن آل سعود ص: ٣١١)، وقد بينت في مطلع هذا البحث أن الحديث هنا مخصوص بالغلاة.

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٠٧).

(٥) كشف المحجوب (ص: ٢٦٢).

تسمى نفسها الملامتية^(١). فقال: «فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية، ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا بها إلى الصوفية، وما هم من الصوفية بشيء، بل هم في غرور وغلط. يتسترون بلبسة الصوفية توقيتاً^(٢) تارة، ودعوى أخرى، ويتتهجون مناهج أهل الإباحة، ويزعمون أن ضمايرهم خلصت إلى الله تعالى، ويقولون: هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة... وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد، فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية، والحقيقة هي حقيقة العبودية»^(٣).

ويشكو أبو القاسم القشيري ما آل إليه حال كثير من الصوفية في زمانه، وأنهم «استخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، ومضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوق والنساء وذوي السلطان.

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا عن رِق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صرّفوا»^(٤).

وهذا الاعتقاد مما أدخله الزنادقة على الصوفية حتى فشا بين غلاتهم، وقد سئل أبو علي

(١) أول من سلك طريق الملامة هو أبو صالح حمدون بن أحمد القصار (ت ٢٧١هـ). ومنه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور. وكان يفضل أن يكون مظهره مظهر المذنبين على أن يصرفه تعظيم الناس له عن الله. انظر: الحضارة الإسلامية في القرن

الربيع الهجري، آدم متر (٢/ ٢٦).

(٢) كذا بالأصل، ولعل الصواب: (توقية) من التقية، والله أعلم.

(٣) عوارف المعارف (ص: ٧٨).

(٤) الرسالة القشيرية (١/ ١٦-١٧).

الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول: هي لي حلال؛ لأنني وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال، فقال: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر^(١).

وقال الغزالي: «ما يدعيه بعض من يدعي التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى إلى حيث أسقطت عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان فهذا مما لا شك في وجوب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر، وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر^(٢)، إذ ضرره في الدين أعظم من ضرر الكفر، ويفتح به باب من الإباحة لا ينسد، وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالإباحة مطلقاً، فإنه يمنع عن الإصغاء إليه لظهور كفره. وأما هذا فإنه يهدم الشرع من الشرع، ويزعم أنه لم يرتكب فيه إلا تخصيص عموم، إذ خصص عموم التكاليف بمن ليس له مثل درجته في الدين، وربما يزعم أنه يلبس الدنيا ويقارف المعاصي بظاهره، وهو بباطنه بريء عنها ويتداعى هذا إلى أن يدعي كل فاسق مثل حاله، وينحل به عصام الدين^(٣)».

وسمى الرازي هذه الطائفة من غلاة الصوفية بـ(المباحية)، وقال عنها: «المباحية: وهم قوم يحفظون طامات لا أصل لها وتليسات في الحقيقة، وهم يدعون محبة الله تعالى، وليس لهم نصيب من شيء من الحقائق، بل يخالفون الشريعة ويقولون: إن الحبيب رفع عنه التكليف، وهؤلاء شر الطوائف، وهم على الحقيقة على دين مزدك^(٤)».

مصطلحاتهم:

لكل أهل فنِّ مصطلحات خاصة بهم، والصوفية - لا سيما الباطنية منهم - انفردوا

(١) الرسالة القشيرية (١ / ١١٩).

(٢) أي قتله بأمر الحاكم أو القاضي، ولا يعني استحلال دمه من آحاد الناس.

(٣) فيصل التفرقة بين الإسلام (ص: ٦٤-٦٥). وانظر: مدارج السالكين (٣ / ١١٦)، الاعتصام (١ / ١٢٥).

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٤).

بمصطلحات خاصة موغلة في الغموض والرمزية، قصدوا بها تعمية حقائقها وإخفاء معانيها عن غيرهم، وقد اعترفوا بذلك في مصنفاتهم.

قال بعض المتكلمين لأبي العباس ابن عطاء الله السكندري: «ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتقتم ألفاظاً أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد!! هل هذا إلا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب؟! فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا؛ كيلا يشر بها غير طائفتنا»^(١).

ويقول ابن عربي: «اصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم، وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم، كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات، ليفهم بعضهم من بعض، فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح، وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها، فلا يعرف الأجنبي الجليس ما هم فيه، ولا ما يقولون»^(٢).

وقال القشيري: «وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقته؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمّة على الأجانب؛ غير أنّهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها»^(٣).

وقال ابن خلدون: «ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم؛ إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف، اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه، فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه»^(٤).

(١) التعرف للمذهب أهل التصوف (ص: ٨٨-٨٩).

(٢) الفتوحات المكية (٤/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٣) الرسالة القشيرية (١/ ١٥٠).

(٤) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٢٦٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعاتٍ لهم، ومرموزاتٍ وإشاراتٍ تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه، رجع عنهم خاسئًا وهو حسير»^(١).

وقال: «وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم على معاني آخر مخالفة لمعانيهم، ثم ينطقون بتلك الألفاظ مرادين بها ما يعنونه هم، ويقولون: إنا موافقون للأنبياء، وهذا موجود في كلام كثير من الملاحدة المتفلسفة، والإسماعيلية ومن ضاهاهم من ملاحدة المتكلمة والمتصوفة»^(٢).

وقال ابن القيم: «اعلم أن في لسان القوم من الاستعارات، وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم، ولهذا يقولون: نحن أصحاب إشارة، لا أصحاب عبارة، والإشارة لنا والعبارة لغيرنا، وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد، ويريدون بها معنى لا فساد فيه، وصار هذا سببًا لفتنة طائفتين: طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم، فبدعوهم وضللوهم، وطائفة نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم، فصوبوا تلك العبارات، وصحَّحوا تلك الإشارات، فطالب الحق يقبله ممن كان، ويرد ما خالفه على من كان»^(٣).

وقال أيضًا: «فإيَّاك ثم إيَّاك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها؛ فإنها أصل البلاء، وهي مورد الصديق والزنديق، فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ: (اتصال، وانفصال، ومسامرة، ومكالمة، وأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجود الله، وأن وجود الكائنات خيال ووهم، وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره) فاسمع منه ما يملأ

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٤٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٣).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٩).

الآذان من حلول واتحاد وشطحات، والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها، وأرادوا بها معاني صحيحة في أنفسها، فغلط الغالطون في فهم ما أرادوه، ونسبوههم إلى إلحادهم وكفرهم، واتخذوا كلماتهم المتشابهة ترسًا له وجُنَّةً^(١).

وكان أول من تكلم في اصطلاحات الصوفية من صفاء الذكر وجمع الهمة والمحبة والعشق والقرب والأنس أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي البغدادي (ت ٢٦٩هـ)، ولم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد^(٢).

وقد وضعت مصنفات خاصة في تفسير مصطلحاتهم لم تزد لها - في الغالب - إلا خفاء وغموضًا^(٣).

وهذا بيان أشهر مصطلحاتهم التي تدور على ألسنتهم وفي مصنفاتهم:

١ - الغيبة: قال الكلاباذي: «هي أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها، وهي - أعني الحظوظ - قائمة معه موجودة فيه، غير أنه غائب عنها بشهودٍ ما للحق»^(٤).

ويقول الهجويري: «المراد من الغيبة غيبة القلب عما دون الحق إلى حد أن يغيب عن

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (٦/ ٤٦٢). الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز (٢/ ٢٥).

(٣) من هذه المصنفات ما يلي:

- اصطلاح الصوفية، تأليف: ابن عربي.
- عبارات الصوفية، تأليف: عبد الكريم القشيري.
- اصطلاحات الصوفية، تأليف: عبد الرزاق الكاشاني.
- معجم الكلمات الصوفية، تأليف: أحمد النقشبندي الخالدي.
- المعجم الصوفي، تأليف: سعاد الحكيم.
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، تأليف: رفيق العجم.
- معجم ألفاظ الصوفية، تأليف: حسن الشراوي.
- معجم مصطلحات الصوفية، تأليف: عبد المنعم الحفني.
- (٤) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١١٨).

نفسه، حتى أنه بغيبته عن نفسه لا يرى نفسه»^(١).

ويقول القشيري: «الغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكير عقاب»^(٢).

قال ابن القيم: «ونحن لا ننكر ما ذكرتم من غيبة الشاهد بمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، وبمحبوبه عن حبه - لكن ننكر كون هذا أكمل حالاً من صاحب البقاء والتميز، وشهود الحقائق على ما هي عليه، فلا يحتاج أن يشهد حاله زوراً؛ لأنه لم يحصل له ما حصل لصاحب السكر والاصطلام»^(٣) من الزور، فهو أكمل منه حقيقة وشرعاً»^(٤).

٢- السكر:

قال الكلاباذي: «هو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، وهو أن لا يميز بين مرافقة ملاذه وبين أضدادها في مرافقة الحق»^(٥).

ويفرق القشيري بين الغيبة والسكر بقوله: «السكر: غيبة بوارد قوي، والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفياً في سكره، وقد يسقط أخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر الذي لم يستوفه الوارد فيكون للإحساس فيه مساع، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فربما يكون صاحب

(١) كشف المحجوب (ص: ٤٨٩).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ١٧٣).

(٣) الاصطلام عند الصوفية: غلبة ترد على العقول فيستلبها بقوة سلطانه وقهره. انظر: عبارات الصوفية، للقشيري (ص:

٧٢)، ضمن (أربع رسائل في التصوف).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١١٦).

السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرغبة ومقتضيات الخوف والرجاء، والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد، فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر^(١).

وعرفه ابن القيم بقوله: «السكر يجمع معنيين: وجود لذة، وعدم تمييز، وقاصد السكر قد يقصدهما جميعاً، وقد يقصد أحدهما»^(٢).

قال ابن القيم: «هذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن ولا في السنة، ولا العارفون من السلف بالسكر أصلاً، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين، وهو بشئ الاصطلاح؛ فإن لفظ السكر والمسكر من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً، وعامة ما يستعمل في السكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله... ونحن لا ننكر المعنى المشار إليه بهذا الاسم، وإنما المنكر تسميته بهذا الاسم»^(٣).

٣- الصحو:

عرفه ابن عربي بقوله: «رجوع الإحساس بعد الغيبة بوارِد قوي»^(٤).
وعرفه الكلاباذي بقوله: «الصحو الذي هو عقيب السكر: هو أن يميز فيعرف المؤلم من الملد فيختار المؤلم في موافقة الحق ولا يشهد الألم بل يجد لذة في المؤلم»^(٥).
ويشرح ابن القيم هذا المعنى بقوله: «وهذا كلام يحتاج إلى شرح وبيان وعبرة وأفية، فنقول والله المستعان: المحب له حالتان:

(١) الرسالة القشيرية (١/ ١٧٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٨٧)، وانظر: الاستقامة (٢/ ١٤٤).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٤) اصطلاح الصوفية، ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٢).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١١٧).

حالة استغراق في محبة محبوبه، كاستغراق صاحب السكر في سكره، وذلك عند استغراقه في شهود جماله وكماله، فلا يبقى فيه متسع لسواه، ولا فضل لغيره، فإذا رآه من لم يعرف حاله ظنه سكرًا، فهذا استغراق في محبوبه وصفاته ونعوته.

الحالة الثانية: حالة صحو، يفيق فيها على عبوديته والقيام بمرضاته، كالمسارعة إلى محابه، فهو في هذا الحال به؛ أي: متصرف في أوامره ومحابه به، ليس غائبًا عنه بأوامره، ولا غائبًا به عن أوامره، فلا يشغله واجب أو أمر وحقوقه عن واجب محبته، والإنابة إليه، والرضا به، ولا يشغله واجب حبه عن أوامره، بل هو مقتد بإمام الحنفاء إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، فإنه كان في أعلى مقامات المحبة وهي الخلة ولم يشغله ذلك عن القيام بخصال الفطرة من الختان، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، فضلًا عما هو فوق ذلك، فوفى المقامين حقهما، ولهذا أثنى الله عليه بذلك، فقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿النجم﴾^(١).

٤ - الجمع:

قال ابن عربي: «الجمع: إشارة إلى حق بلا خلق»^(٢). يعني أنه غاب بالله عن الخلق، وفني بمشهوده عن شهوده، وضد الجمع الفرق، ولذا عرف الفرق بقوله: «إشارة إلى خلق بلا حق»^(٣).

وزاد الكلاباذي هذا التعريف بيانًا بقوله: «أول الجمع: جمع الهمة وهو أن تكون الهموم كلها هما واحدًا... والجمع الذي يعنيه أهله هو أن يصير ذلك حالًا له، وهو أن لا تتفرق همومه فيجمعها تكلف العبد، بل تجتمع الهموم فتصير بشهود الجامع لها همًّا واحدًا، ويحصل

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٩٨).

(٢) اصطلاح الصوفية ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٢).

(٣) اصطلاح الصوفية ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٨٧).

الجمع إذ كان بالله وحده دون غيره»^(١).

وقال القشيري: «الجمع شهود الأغيار بالله»^(٢)، يعني فناء عن شهود سوى الله. وقال ابن القيم: «الجمع ينقسم إلى صحيح وباطل، والتفرقة تنقسم إلى محمود ومذموم، وكل منهما لا يحمد مطلقاً، ولا يذم مطلقاً، فيراد بالجمع: جمع الوجود، وهو جمع الملاحظة القائلين بوحدة الوجود، ويريدون بالتفرقة: الفرق بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق، وأصحابه يقولون: الجمع ما أسقط هذه التفرقة، ويقولون عن أنفسهم: إنهم أصحاب جمع الوجود، ولهذا صرح بما ذكرنا محققو الملاحظة، فقالوا: التفرقة اعتبار الفرق بين وجود ووجود، فإذا زال الفرق في نظر المحقق حصل له حقيقة الجمع.

ويراد بالجمع: الجمع بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وبالتفرقة: تفرقة الهمة والإرادة، وهذا هو الجمع الصحيح، والتفرقة المذمومة، فحد الجمع الصحيح: ما أزال هذه التفرقة، وأما جمع يزيل التفرقة بين الرب والعبد، والخالق والمخلوق، والقديم والمحدث فأبطل الباطل، وتلك التفرقة هي الحق، وأهل هذه التفرقة هم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، كما أن أهل ذلك الجمع هم أهل الإلحاد والكفر والوثنية... فإذا عرف هذا، فالجمع الصحيح: ما أسقط التفرقة الطبيعية النفسية، وهي التفرقة المذمومة، وأما التفرقة الأمرية الشرعية - بين المأمور والمحظور، والمحجوب والمكروه - فلا يجمع أسقطها، بل يذم كل الذم، وبمثل هذه المجملات دخل على أصحاب السلوك والإرادة ما دخل»^(٣).

٥- جمع الجمع:

عرفه ابن عربي بقوله: «الاستهلاك بالكلية في الله»^(٤).

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١١٩).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ١٦٨).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٦).

(٤) اصطلاح الصوفية، ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٢).

وقال القشيري: «جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله ﷻ عند غلبات الحقيقة»^(١).

وقال ابن القيم: «الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب:

أعلاها: جمع الهمم على الله، إرادة ومحبة وإنابة، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب إليه بما يحبه ويرضاه، دون رسوم الناس وعوائدهم، فهذا جمع خواص المقربين وساداتهم.

والثاني: الاستغراق في الفناء في شهود الربوبية، وتفرد الرب سبحانه بالأزلية والدوام، وأن الوجود الحقيقي له وحده، وهذا الجمع دون الجمع الأول بمراتب كثيرة.

والثالث: جمع الملاحظة الاتحادية، وعين جمعهم هو جمع الشهود في وحدة الوجود، فعليك بتمييز المراتب؛ لتسلم من المعاطب»^(٢).

٦ - الفناء:

قال الكلاباذي: «الفناء هو أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز فناءً عن الأشياء كلها شغلا بما فني به، كما قال عامر بن عبد الله: ما أبالي امرأة رأيت أم حائطاً»^(٣).

وقال ابن عربي: «الفناء: رؤية العبد للعلة بقيام الله على ذلك»^(٤).

وقال القشيري: «أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة»^(٥).

(١) الرسالة القشيرية (١/ ١٦٨).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١٢٣).

(٤) اصطلاح الصوفية، ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٢).

(٥) الرسالة القشيرية (١/ ١٧٠).

وقال ابن القيم: «القوم اصطلاحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية، والغيبة عن شهود الكائنات»^(١).

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية الموقف من الفناء الصوفي بقوله: «الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية يفسر بثلاثة أمور:

أحدها: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد.

الأمر الثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله، فهذا حال ناقص، قد يعرض لبعض السالكين، وليس هو من لوازم طريق الله، ولهذا لم يعرض مثل هذا للنبي ﷺ والسابقين الأولين، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضالٌّ ضالًّا مبيئًا.

الثالث: فناء عن وجود السوى، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره، وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات وأنه لا وجود لغيره»^(٢).

٧- المرید:

قال ابن عربي: «المرید هو المتجرّد عن إرادته»^(٣).

وقال القشيري: «وأما المرید فالذي صحت إرادته لمراده ابتداءً، وشهدت بصحة إرادته

قلوب العارفين»^(٤).

(١) مدارج السالكين (١ / ١٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٣٧-٣٤٣) بتصرف واختصار.

(٣) اصطلاح الصوفية ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٢٩).

(٤) عبارات الصوفية، ضمن (أربع رسائل في التصوف) للقشيري (ص: ٧٠).

وقال ابن القيم: «والمريد هو الذي خرج من وطن طبعه ونفسه، وأخذ في السفر إلى الله، والدار الآخرة»^(١)، وقال أيضًا: «عادة الناس غالبًا التعرّيج على أوطان الغفلة، وإجابة داعي الشهوة، والإخلاق إلى أرض الطبيعة، والمريد منسلخ عن ذلك، فصار خروجه عنه أمانة ودلالة على صحة الإرادة، فسمي انسلاخه وتركه إرادة»^(٢).

٨- العارف:

سئل الجنيد: من العارف؟ فقال: «من نطق عن سرِّك وأنت ساكت»^(٣). وهذه دعوى معرفته بأسرار القلوب، ولا يعلم ذلك إلا علّام الغيوب.

وسئل أبو يزيد البسطامي عن العارف؟ فقال: «لا يرى في نومه غير الله تعالى، ولا في يقظته غير الله تعالى، ولا يوافق غير الله تعالى، ولا يطالع غير الله تعالى»^(٤).

وقال الكلاباذي: «العارف: هو الذي بذل مجهوده فيما لله، وتحقق معرفته بما من الله، وصح رجوعه من الأشياء إلى الله»^(٥).

وقال عبدالرزاق الكاشاني: «العارف: من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث عن شهود»^(٦).

وقال ابن عربي: «العارف والمعرفة: من أشهده الرب نفسه، فظهرت عليه الأحوال والمعرفة حاله»^(٧).

(١) مدارج السالكين (٧ / ٢).

(٢) مدارج السالكين (٣٤٥ / ٢).

(٣) الرسالة القشيرية (٧٨ / ١).

(٤) الرسالة القشيرية (٤٨١ / ٢).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١٣٨).

(٦) اصطلاحات الصوفية (ص: ١٢٢).

(٧) اصطلاح الصوفية. ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٩).

وقال القشيري: «المعرفة على لسان العلماء هو العلم، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف، وكل عارف عالم، وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله تعالى في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعو به إلى غيره»^(١).

قال ابن القيم: «الفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن: أن المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالماً بالله، وبالطريق الموصل إلى الله، وبآفاتها وقواطعها، وله حال مع الله تشهد له بالمعرفة، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق الله في معاملته، ثم أخلص له في قصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبنياته، ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ما جاء به الرسول - عليه من الله أفضل صلواته -، فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة، إذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة»^(٢).

٩ - المقامات:

جاء في أقدم مصادر الصوفية تعريف المقام بأنه «مقام العبد بين يدي الله ﷻ فيما يقام فيه من العبادات، والمجاهدات، والرياضات، والانقطاع إلى الله»^(٣).

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٧٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣١٦).

(٣) اللّمع لأبي سراج الطوسي (ص: ٦٥).

وقال ابن عربي: «المقام: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام»^(١).

وقال القشيري: «المقام: ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب بما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له»^(٢).

١٠- الأحوال:

قال ابن عربي: «الحال: هو ما يرد على القلب من غير تعملٍ ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل بعد المثل إلى أن يصفو»^(٣).

وقال القشيري: «الحال عند القوم: معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم»^(٤).

قال ابن القيم: «لأرباب السلوك اختلافٌ كثيرٌ في عدد المقامات وترتيبها، كل يصف منازل سيره، وحال سلوكه، ولهم اختلاف في بعض منازل السير هل هي من قسم الأحوال؟ والفرق بينها: أن المقامات كسبية، والأحوال وهبية، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملاً كان أعلى مقاماً، وكل من كان أعلى مقاماً كان أعظم حالاً»^(٥).

وقال أيضاً: «الفرق بين المقامات والأحوال: أن المقامات عندهم من المكاسب، والأحوال مجرد المواهب»^(٦).

(١) اصطلاح الصوفية. ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٠).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ١٥٣).

(٣) اصطلاح الصوفية، ضمن (رسائل ابن عربي) (ص: ٥٣٠).

(٤) الرسالة القشيرية (١/ ١٥٤).

(٥) مدارج السالكين (١/ ١٥٤-١٥٥).

(٦) مدارج السالكين (٢/ ١٧٠).

الطرق الصوفية:

١- تعريف الطريقة الصوفية:

يعرفها الجرجاني بقوله: «السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات»^(١). ومرادهم بالمقامات: مقام العبد بين يدي الله ﷻ فيما يقام فيه من العبادات، والمجاهدات، والرياضات، والانقطاع إلى الله^(٢).

ولكل شيخ طريقة في الذكر والتعبد يربط أتباعه ومريديه بها، ولذا يقول الشيخ أبو بكر الجزائري في تعريف الطريقة: «اتصال المرید بالشيخ وارتباطه به حياً وميتاً، وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المرید بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ»^(٣).

ويقول د. أبو الوفا التفتازاني -شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر سابقاً-: «أصبحت لفظ (طريقة) عند الصوفية المتأخرين تطلق على مجموعة أفراد من الصوفية ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية في الزوايا والربط والخانقاوات، أو يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام»^(٤).

٢- أركان الطريقة:

أركانها ثلاثة وهي: الشيخ، والمرید، العهد.

أولاً: الشيخ: لا بد أن يتخذ المرید شيخاً معيناً ينتسب إليه ويتلقى عنه. يقول

(١) التعريفات (ص: ١٨٣).

(٢) اللّمع (ص: ٦٥).

(٣) إلى التصوف يا عباد الله (ص: ٢٣).

(٤) مدخل إلى التصوف (ص: ٢٣٥، ٢٣٦).

السهروردي: «إنه لابد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق يرشده ويلقنه الذكر ويلقي في روعه النور، فإن تلقين الشيخ يلقي باطن المريد ويسري فيه كأنها يلقي من سراج، فعلى المريد اختيار الشيخ الصالح المشهود له بالعلم والمعارف وافتاء المحرمات»^(١).

فأصبح اتخذ المريد شيخاً بانتسابه إلى طريقة صوفية ركناً لدى الصوفية المتأخرين، يقول شيخهم أبو علي الدقاق: «المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نَفْسًا نَفْسًا، فهو عابد هواه»^(٢)، ويقول ابن عطاء الله السكندري: «من لم يكن له شيخ يوصله إلى سلسلة المتابعة فهو في الطريق لقيط لا أب له، وفي المعرفة دعي لا نسب له»^(٣).

فالشيخ أشبه ما يكون برئيس الجماعة، والجماعة تلتف حول الشيخ، والشيخ يتابع مريديه، فإذا مرض مريده بسبب شبهة في علم التوحيد داواه، وإذا تحير في مسألة من مسائل الفقه أفتاه^(٤)، وواجب الشيخ أن يتعرف على أحوال مريديه، ويتفقدهم ويتابع ظروفهم^(٥).

ثانياً: المريد: للمريد الحرية في اختيار الشيخ الذي يريد ويسلك طريقته، وإذا اختار شيخه فالواجب على المريد طاعته.

يقول أبو الحسن الشاذلي: «عليك أيها المريد بالعكوف على أعتاب شيخك، فإنك لو علمت ما انطوى عليه الشيخ ما برحت عن أبوابهم ولأنتيتهم سعيًا على الوجه»^(٦). وقد بلغ بهم الحال أن يأمر المريد بطاعة شيخه طاعة مطلقة، وأن يكون معه كالميت

(١) انظر: عوارف المعارف (ص: ٨٣، ٩٦)، أقطاب التصوف.. السيد البدوي، عبدالحليم محمود (ص: ٢٣)، الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٤).

(٢) الرسالة القشيرية (ص: ٤٢٦).

(٣) الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٥).

(٤) الطريق الصوفية في مصر (ص: ٢٥).

(٥) انظر: عوارف المعارف (ص: ٤١٨)، الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٥).

(٦) انظر: الأنوار القدسية (٢/ ٢١)، الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٦).

بين يدي غاسله، قال بعضهم:

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلِّبه كيف يشاء وهو مطاوع^(١)

ولا ريب أن هذا من الغلو، فإنه لا تجب الطاعة المطلقة إلا لله ورسوله، وأما الشيخ فإنما يُطاع بالمعروف كما قال رسول الله ﷺ: «إنما الطاعة بالمعروف»^(٢).

كما أن هذا المنهج الصوفي يلغي شخصية المرید ويسلب منه إرادته واختياره، ويخلق منه شخصاً ضعيفاً، وإمعة تابعاً، وفي الحديث: «لا يكون أحدكم إمعة»^(٣).

ثالثاً: العهد: هو الرابط بين الشيخ والمرید، وهو كالبيعة.

وصيغته: أن الشيخ يأمر المرید بالتطهر من الحدث والخبث، ثم يضع يده اليمنى على يده اليمنى، ثم يقول له: «قل: اللهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وأنبياك ورسلك وأولياءك أني قد قبلته شيخاً في الله ومرشداً وداعياً، ثم يقول الشيخ: اللهم إني أشهدك أني قد قبلته ولداً في الله تعالى، فاقبله وأقبل عليه، وكن له ولا تكن عليه، وانظر غايتك إليه»^(٤).

وشعاره: لبس الخرقة الصوفية: يقول السهروردي: «لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المرید، وتحكيم من المرید للشيخ في نفسه... فيلبسه الخرقة؛ إظهاراً للتصرف فيه، فيكون لبس الخرقة؛ علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله، وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله ﷺ»^(٥).

ولإضفاء القدسية على الخرقة؛ فإن جميع الطرق الصوفية يربطونها بسند ينتهي إلى علي

(١) انظر: منحة الأصحاب لمن أراد سلوك طريق الأصفياء والأحباب (ص: ٦٥-٦٧)، ضمن الرسائل الميرغنية.

(٢) رواه البخاري (ج١٤٥)، ومسلم (ج١٨٤٠).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج٨٧٦٥)، وابن بطة في الإبانة (١/١٩٣)، وفي رواية: «لا تكونوا إمعة»، رواه الترمذي

(ج٢٠٠٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وقد حكم عليه الألباني بالضعف

(انظر: ضعيف سنن الترمذي ص: ٢٢٦).

(٤) ظهور الحقائق، للعطاس (ص: ٣٠)، نقلاً عن: الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٩).

(٥) عوارف المعارف (ص: ٩٥).

بن أبي طالب عليه السلام، فيدعون «أنهم أخذوا الخرقه من فلان عن فلان في سلسلة عنعنة طويلة تنتهي إلى الإمام علي^(١)».

٣- خصائص الطريقة:

من أهمها ما يلي:

(أ) الذكر^(٢): يقول القشيري: «الذكر هو العمدة في طريق القوم»^(٣). حيث «يُعلم الشيخُ المريدَ كيفية الذكر نطقًا وبدءًا في مرحلته الأولى، ويتجدد التلقين كلما قطع المريد مرحلة من مراحل القرب - كما يدعون - من الله تعالى»^(٤).

ومن شطحاتهم في هذا الباب؛ ما حكوا عن الشبلي أنه قيل له: لم تقول الله؟ ولا تقول لا إله إلا الله؟ فقال: أستحي أن أوجه إثباتًا بعد نفي، أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار^(٥). يعني أنه يخاف - بزعمه - أن يموت بين النفي والإثبات. ويقولون: أن ذكر العامة: (لا إله إلا الله)، وأن ذكر الخاصة: (الله الله)، وذكر خاصة الخاصة: (هو هو)^(٦).

قال شيخ الإسلام: «إن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلامًا تامًا مفيدًا مثل: (لا إله إلا الله)، ومثل: (الله أكبر)، ومثل: (سبحان الله والحمد لله)، ومثل: (لا حول ولا قوة

(١) الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٩).

(٢) الذكر من حيث الأصل مستحب، لكنهم ابتدعوا أذكارًا لم ترد في الكتاب والسنة، ووضعوا لها فضائل ليس لها أصل، وقدّموها بحركاتٍ هلوانية مصطنعة، وبأصوات مرتفعة عالية - لا تتجاوز حناجرهم -، وفي جلسات مختلطة، وأوضاع منكرة.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية (٢/ ٣٧٤).

(٤) انظر: أقطاب التصوف، عبدالحليم محمود (ص: ٢٥)، الطرق الصوفية في مصر (ص: ٢٦).

(٥) انظر: الكواكب الدرية (٢/ ٩٣)، شطحات الصوفية، د. عبدالرحمن بدوي (ص: ٤٤).

(٦) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٩٦).

إلا بالله)، ومثل: ﴿ تَبَارَكَ أَمُّ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١]، ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ١]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [الفرقان: ١]. فأما الاسم المفرد مُظْهِرًا مثل: (الله الله)، أو مضمراً مثل: (هو هو)، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين^(١)»^(٢).

(ب) السماع: قال ابن عجيبة: «والسماع: هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى»^(٣). وربما عدوا هذا السماع من لوازم التصوف، حتى سُئل الصوفي أبو الحسن النوري عن الصوفي فقال: «الصوفي الذي سَمِعَ السماع»^(٤).

ونسبوا للجنيد أنه قال: الرحمة تنزل على الفقير - يعني الصوفي - في ثلاثة مواضع ومنها: عند السماع؛ فإنه لا يسمع إلا عن وجد^(٥).

ويتواجدون عند السماع، وربما سقط أحدهم ميتاً عند سماعه لها، يقول الياضي: «وقد مات بالسماع من الفقراء [يعني الصوفية] خلق كثير»^(٦)»^(٧) مما قد يكشف أنها مجالس شيطانية أو أعمال سحرية.

(١) للتوسع في الموضوع انظر ما نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه دراسات في التصوف (ص: ٢٢٠ - ٢٤٥) من أذكار بدعية، وأدعية بالطلاسم، أشبه ما يكون بالرقى السحرية، وكيفية تلقين الذكر، وأدابه، وشروطه، وطلاسمه، وبدعه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).

(٣) الفتوحات الإلهية، لابن عجيبة (ص: ١٨٣).

(٤) اللمع، لأبي نصر الطوسي (ص: ٣٤٣). الرسالة القشيرية (٢/٥١٠).

(٥) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص: ١٢٧)، قوت القلوب، لأبي طالب المكي (٢/١٠١). إحياء علوم الدين، للغزالي (٢/٢٧٠)، عوارف المعارف (ص: ١٧٦)، وجاء في اللمع (ص: ٣٤٣)، والرسالة القشيرية (٢/٥٠٩)، والأنوار القدسية، للشعراني (٢/١٨٠) لا يسمع إلا عن حق.

(٦) نشر المحاسن الغالية (٢/٢٠٤). نقلاً عن: دراسات في التصوف (ص: ١٩٧).

(٧) انظر: الرسالة القشيرية (ص: ٣٤٩، ٣٥٠). الأنوار القدسية (٢/١٨٥).

وإذا نظرت إلى السماع الصوفي تجد فيه أشعارًا غزلية هابطة^(١) تُؤدى بالمعازف، وربما تؤديها نساء يمتهن هذه المهنة.

فقد كان لابن الفارض - كما يذكر الشعراني - جوار يغنين له، فيقوم ويتواجد، وكان يتغالى في شرائهن؛ لأجل حسن أصواتهن^(٢).

ويتخذون من هذا السماع المبتدع عبادة، ولذلك قالوا: «من آداب الصوفية في السماع: أن يصلوا قبل الحضور في مجلس السماع، ويسألوا البركة من الرب..»^(٣).

وقال عبدالسلام الأسمر: «تأدبوا معها - أي حضرة السماع - وأحسنوها، واخشعوا فيها كما تخشعون في الصلاة»^(٤).

ولذلك اعتنوا في كتبهم بالسماع وآدابه؛ كالهجويري الذي عقد بابًا في ذكر آداب السماع، والقشيري كتب في رسالته عن آداب السماع، كما تحدثوا عن آثار السماع، وهو ما يسمونه بالوجد والتواجد^(٥)، وهي خرافات واستخفاف بالعقول.

وقد بالغ الغزالي في ذكر هذه الآثار التي يسمونها الوجد والتواجد، حتى ذكر أنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة^(٦).

وفي القرن الخامس الهجري زاد الرقص إلى جانب الغناء، حتى ذكر الهجويري أنه لقي طائفة من العوام يظنون أن مذهب التصوف ليس إلا الرقص^(٧).

(١) وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير جملة منها في كتابه: دراسات في التصوف (ص: ١٧٨) فما بعدها.

(٢) انظر: الأنوار القدسية (١٨٦/٢)، دراسات في التصوف (ص: ١٨٦).

(٣) أوراد الأحياء (فارسي) (ص: ٢٠٢)، نقلًا عن: دراسات في التصوف (ص: ١٨٧).

(٤) الوصية الكبرى، عبدالسلام الأسمر (ص: ٥٠)، دراسات في التصوف (ص: ١٨٧-١٨٨).

(٥) انظر: دراسات في التصوف (ص: ١٩٢).

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٩٣).

(٧) انظر: كشف المحجوب (٢/٦٦٤).

(ج) إقامة الموالد: من خصائص الطرق الصوفية ظهور وانتشار الموالد المتعددة للاحتفال بذكرى شيوخ الطرق الصوفية ومن يسمونهم بالأولياء، حتى تعود أتباع الطرق الصوفية على إقامة الموالد الفخمة لمشايخهم، ومما ساعد على تعدد الموالد انتشار تلك الأضرحة المشيدة على قبور مشايخهم^(١).

(د) دعاوى الكرامات: يدعي أتباع كل طريقة لشيخهم أنواعاً من الكرامات، وحققتها في الغالب خرافات، قال ابن بدران: «إن نقل الكرامات أصبح أمراً عسيراً؛ لأن أصحاب الرجل يستعملون الغلو دائماً، والأخبار تحمل الصدق والكذب، وكثيراً ما أرى كرامة لرجل قد نسبها له المتأخرون، ثم أراها بعينها في ترجمة من قبله ومن قبله، وتارة ينقل المترجم الكرامة ولا يتفطن لمناقضتها الشرع والعقل»^(٢)، وهذه الكرامات المزعومة تضيء أحياناً على شيخ الطريقة بعض صفات رب العالمين، كادعاء أنه يجيي ويميت، ويعلم ما في الصدور، وأمثال ذلك مما يأتي ذكر بعضه.

٤- أصول الطرق:

معظم الطرق الصوفية منسوبة إلى أربعة: عبد القادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وأحمد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، ثم تفرعت عنها طرق وتعددت بتعدد من أخذها عنهم مباشرة أو بواسطة، وهناك طرق أخرى غير منسوبة لهؤلاء الأربعة؛ كالشاذلية المنسوبة لأبي الحسن الشاذلي، والطريقة الخلوتية المنسوبة لمحمد بن أحمد الخلوتي، والميرغنية المنسوبة لمحمد بن عثمان الميرغني^(٣).

(١) انظر: الطرق الصوفية في مصر (ص: ٤٧).

(٢) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص: ٣١٤).

(٣) انظر: الطرق الصوفية في مصر (ص: ٦٠-٦١).

٥- مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الطرق الصوفية :

أولاً: مظاهر الاتفاق: تتفق الطرق في الغالب على الأمور التالية^(١):

- الاحتفال بدخول المرید في الطريقة بطقوس دقيقة مرسومة.
- التزبي بزى خاص.
- اختبار المرید بتكاليف شاقة من الخلوة والرياضات.
- الإكثار من الذكر والسماع مع الاستعانة بالموسيقى، والحركات البدنية التي تساعد على الوجد كما يسمونه.
- احترام المرید لشيخ الطريقة إلى درجة التقديس.

ثانياً: مظاهر الاختلاف: تختلف كل طريقة عن الأخرى بلباسها وأعلامها، فمثلاً علم البدوية ولباسهم أحمر، والدسوقية أخضر، والجيلانية [القادرية] والرفاعية أسمر، وأما الشاذلية فمختلفة الألوان، كما تختلف فيما بينها بالأوراد والأحزاب التي يرددها الأتباع في الطرق الصوفية فلكل طريقة أوراد وأحزاب^(٢).

يقول أبو الوفا التفتازاني: «واختلفت أسماء الطرق في العالم الإسلامي؛ باختلاف أسماء مؤسسيها، وهي في حقيقة الأمر تهدف إلى غاية واحدة، والخلافات التي كانت ولا تزال بين الطرق في الرسوم العملية فقط؛ كالزبي، والأوراد، والأحزاب التي يرددها الأتباع، وما إلى ذلك، فهي أشبه شيء بمدارس تتحد غايتها في التعليم الروحي، وتختلف وسائلها العملية فيه؛ باختلاف المعلم الذي يجتهد في أن يضع لتلاميذه قواعد ورسوماً خاصة يرى أنها أفعل في تعليمهم»^(٣).

(١) انظر: الطرق الصوفية في مصر (ص: ٦١).

(٢) انظر: الطرق الصوفية في مصر (ص: ٦١).

(٣) مدخل إلى التصوف الإسلامي (ص: ٢٣٦)، وانظر: الطرق الصوفية في مصر (ص: ٦١).

وقال توفيق الطويل: «والظاهر أن أكبر ما يميز الطوائف؛ وردها.. فلكل طائفة ورد أو حزب أنشأه شيخها، وحرص عليه أتباعه في حياته وبعد مماته، يرددونه في الأوقات التي حددها لهم، ويتلونه جماعة دون أن يغيب عن تلاوته أحد منهم»^(١).

ويقول الصوفي أحمد سري دده بابا -شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية-: «إن الطرق إلى الحق بعدد أنفاس الخلق، وجميعها واحدة لا خلاف في مبناها وغاياتها، وإنما تعددت أسماؤها من جهة نسبتها إلى الشيوخ الكرام، والمرشدين العظام، الذين وصلت إلينا تعاليمهم القدسية، وآدابهم الصوفية، وإرشاداتهم الدينية، بطريق التلقين والمبايعة والعهد، شيخًا بعد شيخ، ومرشدًا بعد مرشد، حتى زماننا هذا، وعلى ذلك نشأت الطرق الصوفية المتعددة في مشارق الأرض ومغاربها»^(٢). فهذه الطرق معتقدها واحد، وإنما تختلف أسماؤها ورسومها وأورادها وزياها.

٦- نشأة الطرق الصوفية:

يقال: إن أول من وضع نظم الطرق الصوفية هو الصوفي الإيراني محمد أحمد الميهمي المتوفى سنة ٤٣٠هـ، والمعروف بأبي سعيد فقد أقام في بلده نظامًا للدررايش، وبنى خانًا بجوار منزله للصوفية، وجعل نظام تسلسل الطرق عن طريق الوراثة، وغالبًا ما تسمى الطريقة باسم مؤسسها، ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث انتشرت من إيران إلى المشرق الإسلامي^(٣).

ومن أبرز أعلام هذه الحقبة محيي الدين عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، وإليه تُنسب الطريقة القادرية، ومن مشاهير هذا الطور أيضًا أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت ٥٧٨هـ) من بني رفاعه، وسكن بأرض البطائح، وإليه تُنسب الطائفة الرفاعية البطائحية، ثم ظهرت في القرن الذي

(١) انظر: التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص: ٨٠)، الطرق الصوفية في مصر (ص: ٦١).

(٢) المذكرة التفسيرية لشرح الطريقة العلية البكتاشية (ص: ٥).

(٣) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٤٩).

يليه الشاذلية على يد مؤسسها أبي الحسن علي بن عبدالله بن عبد الجبار الشاذلي (ت ٦٥٦هـ)، نسبة إلى شاذلة على القرب من تونس، وانتشرت طريقته في مصر واليمن، ومراكش وغرب الجزائر. وكذلك ظهر في هذه الفترة أحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ)، وتُنسب إليه الطريقة البدوية، وإبراهيم الدسوقي (ت ٦٧٦هـ)، وإليه تُنسب الطريقة البرهامية.

ومن أشهر الطرق الصوفية وأهمها ما يلي:

أولاً: الطريقة الرفاعية:

التعريف وسبب التسمية: هم المنتسبون إلى أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت ٥٧٨هـ)^(١)، وسموا بهذا الاسم نسبة إليه، كما تسمى بالأحمدية نسبة إلى اسمه الأول أحمد، وتسمى أيضًا بالبطائحية نسبة للمكان الذي سكن فيه ونشأ وهي أرض البطائح^(٢). مواطنهم: تنتشر هذه الطريقة في العراق وبلاد الشام، ولهم انتشار ملحوظ في غرب آسيا^(٣). دعاواهم: نسج بعض أتباع الرفاعي حول شخصيته حكايات وخرافات كثيرة، وذكر شيخ الإسلام أن هذه البدع التي انتشرت في هذه الطريقة لم تأت من الشيخ أحمد ابن الرفاعي، وإنما ابتدعه طائفة انتسبت إليه بعد موته بمدة طويلة فخالفوا طريق المسلمين، وخرجوا عن

-
- (١) وقد مات الرفاعي من غير عقب يخلفه على مشيخة الرفاعية، فمات سنة ٥٧٠هـ على قول الشعرازي في طبقاته (ص: ٢٠٦)، وقيل: مات سنة ٥٧٨هـ على قول الأكثر (شذرات الذهب (٦/٤٢٧)، دراسات في التصوف (ص: ٢٦٢)، وقد تعاقب على الطريقة عدد من شيوخهم، وقد ذكروهم أبو الهدى الرفاعي في كتابه قلادة الجواهر (ص: ٣٢٣) فما بعدها.
- (٢) وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. (معجم البلدان ١/٤٥٠).
- (٣) انظر: إرشاد المسلمين، لأحمد عز الدين الرفاعي (ص: ٧٥) فما بعدها، الطبقات الكبرى، للشعرازي (ص: ٢٠٠)، قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأصحابه الأكابر (ص: ٢٨).
- (٤) انظر: دراسات في التصوف (ص: ٢٤٦)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/٢٦٦).

حقائق الدين وفارقوا طريق عباد الله الصالحين^(١)، ومما حكى عنه ونسب إليه:

- ١ - دعواهم أن النبي ﷺ بَشَّرَ بولادته حيث قال: أبشرك^(٢) بولد يكون اسمه أحمد الرفاعي، مثل ما أنا رأس الأنبياء، كذلك هو رأس الأولياء^(٣)، ثم قال: «فإن الأمر يصير إليه، وحكم الخلق كلهم بيديه، ويكون هو الشيخ المعول عليه^(٤)».
- ٢ - زعموا أنه كان يتكلم في المهد صبيًا، بل تكلم يوم ولاته.
- ٣ - قالوا: إنه لما كبر كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السموات السبع في رجله كالخلخال^(٥).
- ٤ - ختم الله به الولاية - حسب زعمهم - كما ختم بمحمد النبوة^(٦).
- ٥ - كان إذا وعظ يسمع صوته البعيد والأصم^(٧).
- ٦ - كان يكلم الحيوان، ويكلمه الحيوان بلسان عربي مبين^(٨).
- ٧ - حكوا أنه دارت محاورة بينه وبين خادمه تضمنت دعاوى عريضة، منها قوله: إنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلا بنظره ويعلم بها، فقال له الخادم: يا سيدي هذه صفات رب العالمين، فقال: يا يعقوب (اسم الخادم) استغفر الله تعالى، فإن الله تعالى إذا أحب عبدًا صرّفه في جميع مملكته، وأطلعته على ما شاء من علوم الغيب^(٩).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٤٩٤).

(٢) وُجّهت البشارة لمنصور البطانحي خال أحمد الرفاعي، كما يدل عليه سياق النص.

(٣) قلادة الجواهر (ص: ٢٩).

(٤) قلادة الجواهر (ص: ٣٤).

(٥) انظر: طبقات الشعراني (ص: ٢٠٣) فما بعدها، قلادة الجواهر (ص: ٤٢)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٣).

(٦) والولاية لا تختتم ما دام في الدنيا مؤمن تقي.

(٧) انظر: طبقات الأولياء، لابن الملتنن (ص: ٦٩)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٣).

(٨) انظر: قلادة الجواهر (ص: ٨٣).

(٩) انظر: قلادة الجواهر (ص: ٦٨)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٤).

- ٨- ومن خرافاتهم زعمهم أنه كان ينظر إلى الأوز من الطير في السماء فتسقط مشوية إليه، ثم يأخذ حجرين فيتحولا رغيفين، ثم يقول لعظام الأوز بعد أكلها: اذهبي باسم الله، فتذهب سوية ثم تطير^(١)، وحين رأى أسدًا يفترس شابًا، التفت نحو الأسد بنظر الغضب والجلال، فسقط الأسد ميتًا، ثم أخذ ذراع الشاب، ومسح عليه، فعاد كما كان أولًا بل أشد وأقوى^(٢).
- ٩- يزعمون أنه يملك العتق من النار، حتى أن بعض أصحابه تمنى عتقًا من النار ينزل من السماء، فسقط منها ورقة بيضاء، فقال الشيخ: «الحمد لله الذي أراني عتق أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: هذه بيضاء، فقال: أي أولادي، يد القدرة لا تكتب بالسواد، وهذه مكتوبة بالنور»^(٣).
- ١٠- كان يبيع قصور الجنة، فقد باع على أحد مريديه قصرًا في الجنة تجمعه حدود أربعة: الأولى: إلى جنة عدن، والثانية: إلى جنة المأوى، والثالث: إلى جنة الخلد، والرابع: إلى جنة الفردوس، بجميع صورته وولدانه، وفرشه، وستره، وأنهاره، وأشجاره عوض بستانه في الدنيا^(٤).
- ١١- قال أحد أصحابه: إنه «يعرض عليه كل يوم عند غروب الشمس ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته، فما يجد من سيئة يمحوها ويكتب عوضها بلا معارضة. قال السيد إبراهيم الأعزب: فأخذتني الغيرة من ذلك، فالتفت إلى السيد أحمد الرفاعي، وقال:

(١) انظر: طبقات الأولياء، لابن الملقن (ص: ٩٩).

(٢) انظر: قلادة الجواهر (ص: ٩٢، ٩٣)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٥).

(٣) انظر: جامع كرامات الأولياء، للنهائي (١/٢٩٨)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٦).

(٤) انظر: قلادة الجواهر (ص: ٧١)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٦).

أي إبراهيم: لا يكون الرجل ممكَّنًا في أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء، ويثبت فيها ما يشاء»^(١).

١٢- كان يقول: «كل شيخ لم يحضر تلميذه عند الموت، فليس هو عندنا برجل، وكل شيخ ينكشف تلميذه خلف القاف في ظلمة الليل، ولا يمدّ يده يغطيه، فما هو عندنا برجل، وكل شيخ لا يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيدًا فما هو عندنا برجل، وكل شيخ لا يراعي تلميذه في القرب والبعد في حال حياته وبعد مماته فليس هو عندنا برجل»^(٢).

١٣- يقولون بأنه جاء إلى المدينة فسلم على الرسول ﷺ فأجابه: «وعليك السلام يا ولدي» سمع ذلك كل من في المسجد النبوي، ثم مد له الرسول ﷺ يده من قبره، فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون اليد الشريفة»^(٣).

١٤- لم يكتف أتباعه بهذا الغلو والتقديس المبني على خرافات لا أصل لها، بل إنهم يكفرون كل من لم يصدق بخرافاتهم، فقالوا تعقيبًا على الخرافة السابقة: «وإنكار هذه الكرامة كفر»^(٤).

١٥- وحين اعترض أحدهم على ذكر مناقب الشيخ، نظر إليه الشيخ مغضبًا، فسقط ميتًا»^(٥).

(١) انظر: قلادة الجواهر (ص: ١٩٣)، دراسات في التصوف (ص: ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) انظر: قلادة الجواهر (ص: ٩٤). دراسات في التصوف (٢٥٨).

(٣) انظر: قلادة الجواهر (ص: ١٠٨).

(٤) انظر: قلادة الجواهر (ص: ١٠٤)، دراسات في التصوف (ص: ٢٦٠).

(٥) انظر: طبقات الأولياء لابن الملتن (ص: ١٠٠). دراسات في التصوف (ص: ٢٥٥، ٢٥٦).

المليئة بالرفاعيين في بيت أحد السادة الأشراف مثلما حدث لشيخ الإسلام، بعدما كان سؤالي لأحد زعمائهم في تلك المدينة: إن كان السلاح والرماح والسكاكين لا تؤثر فيكم فلما لا تذهبون إلى جبهات القتال؟ والعراق في أشد الحاجة وأمسها إلى أمثال هؤلاء الذين لا يؤثر فيهم الرصاص وغيرها من الأشياء، كما نازلته وتحديته بأنه لو أعطى المسدس في يدي وأطلق الرصاص بنفسني، فأنذاك أرى بأنه يؤثر أو لا يؤثر، فلم يسعه إلا الفرار والإنكار، وذلك القول الذي قالوه أمام شيخ الإسلام بأن هذه الكرامات لا تظهر أمام المنكرين^(١).

ثانياً: الطريقة الشاذلية:

التعريف وسبب التسمية: هي الطريقة المنتسبة إلى أبي الحسن بن عبدالله المولود [بغمارة] من قرى سبتة سنة ٥٩١هـ^(٢). سميت بهذا الاسم نسبة إلى موطن ظهور هذه الطريقة، وهي شاذلة^(٣).

مواطنهم: ذكر ابن عطاء الله السكندري أن مبدأ ظهوره بشاذلة، بلدة على القرب من تونس، وإليها نسب، وأما منشؤه فبالغرب الأقصى^(٤)، ثم امتدت إلى مواطن أخرى كمصر، والجزائر^(٥).

(١) دراسات في التصوف (ص: ٢٦٤).

(٢) هو: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، ولد في بلاد (غمارة) بريف المغرب، وكان ضريراً. نشأ في بني زرويل (قرب شفشاون)، وتفقّه وتصوف بتونس، رحل إلى بلاد المشرق فحجّ ودخل بالعرق، ثم سكن الإسكندرية، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة ٦٥٦هـ. (انظر: الطبقات للشعراني ص: ٢٩٠، النسخة العلية في أورداد الشاذلية ص: ٢٢٦-٢٢٩، الأعلام، للزركلي ٤/٣٠٥).

(٣) شاذلة: بلدة بالقرب من تونس. (انظر: الطبقات، للشعراني ص: ٢٩٠)، النسخة العلية في أورداد الشاذلية ص: ٢٢٧، الأعلام للزركلي ٤/٣٠٥).

(٤) انظر: لطائف المنن (ص: ٧٥).

(٥) انظر: دراسات في التصوف (ص: ٢٧٢، ٢٧٨).

دعاواهم:

- ١- يقولون: إن الله كلمه على جبل زغوان - الجبل الذي اعتكف الشاذلي فيه، وتعبّد وتحنّث - فقال له: يا علي اهبط إلى الناس ينتفعوا بك^(١).
- ٢- ادعوا لقاءه بالرسول ﷺ وتكليمه له، وأنه جاء لزيارة رسول الله ﷺ، وظل واقفاً على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس، حافي القدمين، يستأذن على رسول الله ﷺ، فسمع النداء - كما يزعمون - من داخل الروضة الشريفة: يا علي ادخل^(٢). ونسبوا إليه أنه قال: «والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفه عين ما عدت نفسي من المسلمين»^(٣).
- ٣- يزعمون أنه يعلم الغيب، وأنه قال: «لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكن في غد وبعد غد إلى يوم القيامة»^(٤).
- ٤- يقولون: إنه أعتق أتباعه من النار، وأنه قال: «أعطيت سجلاً مد البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار»^(٥).
- ٥- ونسبوا إليه أنه يزعم صحبة الخضر واللقاء معه^(٦).
- وكل هذه الدعاوى إما أن تكون محض كذب، أو هي نوع من وسواس الشياطين، أو ضرب من هذيان المجانين .

(١) قضية التصوف .. المدرسة الشاذلية (ص: ٣٠).

(٢) انظر: قضية التصوف .. المدرسة الشاذلية (ص: ٧٠)، دراسات في التصوف (ص: ٢٧٣، ٢٧٤).

(٣) لطائف المنن (ص: ٩٢)، دراسات في التصوف (ص: ٢٧٨).

(٤) النفحة العلية (ص: ٢٢٨)، دراسات في التصوف (ص: ٢٧٤).

(٥) النفحة العلية (ص: ٢٢٨)، دراسات في التصوف (ص: ٢٧٤).

(٦) لطائف المنن (ص: ٨٢). الطبقات للشعراني (ص: ٢٩١). دراسات في التصوف (ص: ٢٧٧).

ثالثاً: الطريقة القادرية:

التعريف وسبب التسمية: إحدى الطرق الصوفية المنتسبة إلى عبدالقادر الجيلاني أو الجيلي^(١)، المتوفى سنة ٥٦١هـ، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه. مواطنها: تنتشر في إفريقيا، وشبه القارة الهندية، وبعض الدول العربية؛ كمصر، والمغرب، واليمن، والصومال والسودان^(٢).

دعاواهم:

- ١- يزعمون أن شيخهم عبدالقادر رأى النبي ﷺ في الهواء، فعانقه وألبسه خلعة كانت عليه، وقال هذه خلعة القطبية على الرجال والأبدال، ثم تفل في فمه ثلاثاً، وردّه إلى المنبر^(٣).
- ٢- نسبوا إليه معرفته بعلم الغيب، وما يختلج في الصدور، فقالوا: لما اشتهر أمره في الآفاق، اجتمع مائة فقيه من أذكىء بغداد؛ يمتحنونه في العلم، فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه. فلما استقر به المجلس، أطرق الشيخ، فظهرت من صدره بارقة من نور، فمرت على صدور المائة، فمحت ما في قلوبهم، فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة، ومزقوا ثيابهم، وكشفوا رؤوسهم، ثم صعد الكرسي، وأجاب الجميع عما كان عندهم؛ فاعترفوا بفضله^(٤).
- ٣- ينسبون إليه أنه ضمن لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت أحدٌ منهم إلا على توبة، وأن مريديه ومريدي مريديه إلى الجنة^(٥).
- ٤- زعموا أنه كان يقول: «من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني باسمي في

(١) نسبة إلى جيل وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها: جيلان وكيلان. انظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٣١).

(٢) انظر: دراسات في التصوف (ص: ٢٨١).

(٣) انظر: فلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر، محمد بن يحيى التاذفي (ص: ٢٢)، دراسات في التصوف (ص: ٢٨٨).

(٤) انظر: طبقات الشعرا (ص: ١٨٣)، دراسات في التصوف (ص: ٢٨٨).

(٥) انظر: بهجة الأسرار (ص: ٣٣٥)، فلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر (ص: ١٥)، دراسات في التصوف (ص: ٢٨٩).

شدة فَرَجَتْ عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له، ومن صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدى عشر مرة، ثم يصلي على رسول الله ﷺ بعد السلام ويسلم عليه ويذكرني، ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشر خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته، فإنها تقضى بإذن الله^(١)، كما سبق.

٥ - نسبوا إليه عبارات تدل على القول بوحدة الوجود، وأقوالاً وكراماتٍ مزعومةً تصل إلى الشرك في الربوبية والألوهية^(٢).

وهذه الدعاوى وأمثالها هي من صنيع أتباعه، ولذلك يقول شيخ الإسلام: «ولا يُظَنُّ أن مثل الشيخ عبد القادر يتكلم بمثل ما حكوا عنه»^(٣)، وقال الذهبي: «الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعود، وبعض ذلك مكذوب عليه»^(٤).

رابعاً: التجانية:

التعريف وسبب التسمية: هي إحدى طرق التصوف المنتسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التجاني المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه^(٥).

مواطنهم:

ولدت التجانية في قرية أبي سمغون بالجزائر، حيث أنشأ التجاني هذه الطريقة سنة

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص: ١٠٢)، نقلًا عن: دراسات في التصوف (ص: ٢٩٠)، ومضى ذكره.

(٢) انظر: الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية (ص: ٤٣ - ٤٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٢٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥ / ١٨٦).

(٥) انظر: كشف الحجاب لأحمد بن العياش سكيرج (ص: ١٠)، جواهر المعاني لعلي حزام الفاسي (١ / ٢٣) فما بعدها، الدرر السنية في شروط وأحكام أوراد الطريقة التيجانية، لمحمد سعد الرباطي التيجاني (ص: ٢٦) الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها (ص: ٩٦، ٩٦).

١١٩٦هـ، ثم انتشرت في عدة بلدان في العالم الإسلامي، وهي الآن توجد في السنغال، ونيجيريا، وموريتانيا، والمغرب، ومصر، والسودان وغيرها^(١).

دعاواهم:

- ١- زعم التجاني أنه «رأى بعيني رأسه وجه سيد الأكوان يقظة لا في المنام... فصرح له -عليه الصلاة والسلام- بأنه شيخه ومربيه وكافله، وأنه لا منة لمخلوق عليه سوى سيد الأنام، وأمره بترك جميع ما أخذه من مشايخ الطرق والسادة الصوفية»^(٢).
- ٢- يزعم أنه يرى النبي ﷺ يقظة دائماً أبداً، بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، وأنه يسأله عن كل أمر، ويشاوره في كل شيء دقاً أو جللاً^(٣).
- ٣- ادعى أنه يُدخل أصحابه الجنة: حتى قال: «وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا، إلا أنا وحدي»^(٤).
- ٤- زعم أن النظر إليه يدخل الجنة: يقول: من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين؛ يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب^(٥).
- ٥- قال بأن النظر إلى حلته يدخل الجنة: قال أحد مريديه ويدعى عمر الفوطي بأنه قال

(١) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص: ١٦٨).

(٢) انظر: النفحة القدسية (ص: ١٣١)، ضمن كتاب الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني، لمحمد بن عبدالله التجاني، دراسات في التصوف (ص: ٢٩٦).

(٣) انظر: الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني (ص: ٦٨)، دراسات في التصوف (ص: ٣٠١).

(٤) انظر: رماح حزب الرحيم (٢/ ٥٨٧) ضمن كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأمان، دراسات في التصوف (ص: ٢٩٨).

(٥) انظر: الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني (ص: ٦٨)، دراسات في التصوف (ص: ٢٩٩).

له: «من رأى هذه الحلة دخل الجنة، ثم ألبسني إياها»^(١).

٦- بنى زاوية له بمكان يسمى البليدة سنة ١٢١٥هـ، وزعم بأن الصلاة فيها مقبولة قطعاً^(٢).

٧- اخترع ذكراً أسماه «صلاة الفاتح لما أغلق»^(٣)، وبالغ في ذكر فضائله حتى قال: إن من قرأه مرة واحدة ضمن سعادة الدارين، وأن المرة الواحدة منه تعدل من القرآن ستة آلاف مرة^(٤).

وهذا يكشف حقيقة أمثال هذه الطرق، وأن من أهدافها صرف أتباعهم عن القرآن وذكر الله وإفراده بالعبودية، والاشتغال بمبتدعاتهم وشركياتهم.

الطرق الباطنية المتسترة بالتصوف:

هناك طرق أخرى جمعت مع ضلال غلاة الصوفية وبدعها ضلال الرافضة وزندقتهما،

فهي صوفية اسماً، رافضية باطنية حقيقة ومعتقداً ومنهجاً، وهذا بيانها بإيجاز:

١- الطريقة العزمية: تنسب إلى محمد ماضي أبو العزائم، ولهم نشاط ملحوظ في الترويج

(١) انظر: رماح حزب الرحيم (١/ ٤٤٥)، ضمن كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني، دراسات في التصوف (ص: ٣٠٠).

(٢) الفتح الرباني (ص: ٧٠)، نقلا عن: دراسات في التصوف (ص: ٣٠١-٣٠٢).

(٣) ونصه: اللهم بجاه الفاتح لما أغلق افتح لي من كل باب خير فتحته على سيدنا رسول الله ﷺ. وبجاه الخاتم لما سبق اختتم لي بخاتمة الناجين الراجين الذين قيل لهم: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ١٥٣)، وبجاه ناصر الحق بالحق انصرتني على جميع الأعداء نصر الذي قيل له أنتخذنا هزواً قال: أعوذ بالله، وبجاه الهادي إلى صراطك المستقيم اهتدي صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله (الدرر السننية من الأذكار النبوية وأوراد الطريقة التجانية، جمع: أحمد بن محمد التجاني ص: ١٣٣).

(٤) انظر: جواهر المعاني (١/ ٨١) فما بعدها، الدرر السننية من الأذكار النبوية وأوراد الطريقة التجانية (ص: ١٣٣). دراسات في التصوف (ص: ٣٠٢-٣٠٤).

لدين الرافضة ونشر شبهاتهم، فقد كتبوا عدة مؤلفات باسم: (شبهات حول الشيعة) من إعداد لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، وفيها محاولة للدفاع عن الشيعة في: الإمامة، وأن ابن سبأ أسطورة لا وجود لها، وجواز العمل بالتقية، والطعن في عدالة الصحابة، والقول بعصمة الأئمة، والمتعة، والبداء، والانتظار، والرجعة^(١).

٢- الطريقة الختمية: تنسب إلى محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني، ويلقب (بالختم) إشارة إلى أنه خاتم الأولياء^(٢)، ويربط مشايخ هذه الطريقة نسبهم بأئمة الشيعة الاثني عشرية، ويعتبرون أنفسهم من سلالتهم، ويعتقدون نفس اعتقادهم في الإمامة، ويطعنون في بعض الصحابة بزعم أنهم كتموا الأحاديث الدالة على ولاية علي عليه السلام^(٣).

٣- الطريقة البكتاشية: تنسب إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني، وانتشرت هذه الطريقة في تركيا وكردستان وآسيا وألبانيا، ثم انتقلت إلى مصر^(٤)، ولها صلة قوية بالشيعة الرافضة، فهم يدينون بإمامة الأئمة الاثني عشر، وبالمهدي، حتى عدّها بعض الباحثين من فرق الشيعة^(٥).

(١) انظر: (شبهات حول الشيعة) من إعداد لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية (١/ ١١٠-١١٢)، (٢/ ١٧، ٩٤)، (٣/ ١٣)، (٣/ ٧٠)، (٤/ ٤٥، ٩٩)، (٥/ ٨٩-٩٠)، (٦/ ٥١-٥٢)، (٦/ ٨٤)، (٦/ ١١٦).

(٢) انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٢٦٢).

(٣) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، الشيبني (ص: ٤٤٥)، الموسوعة الميسرة (١/ ٢٩٥).

(٤) انظر: الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية (ص: ٦)، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٣٣)، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها (ص: ٩٤).

(٥) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص: ١٠، ٤٤٥-٤٤٧)، والطريقة الصوفية البكتاشية في ألبانيا، بليدار حجي، رسالة ماجستير بجامعة القصيم.

الحكم عليهم:

الإمام الشافعي (٢٠٤هـ):

عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: «لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحق»، وعنه أيضاً أنه قال: «ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً»^(١).

الإمام ابن حزم (٤٥٦هـ):

قال ابن حزم: «ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا: إننا نرى الله ونكلمه، وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق»، ثم ذكر أشياء عن بعض غلاتهم، ثم قال: «فاعلموا - رحمكم الله - أن هذه كلها كفرات صلع وأقوال قوم يكيدون الإسلام»^(٢).

الإمام أبو الوفاء ابن عقيل (٥١٣هـ):

نقل ابن الجوزي عن ابن عقيل من خطه، أنه قال: «وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها، منها: أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد، فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء... ثم يقبلون الطعام والنفقات

(١) تلييس إبليس (ص: ٣٢٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧٠).

من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال ... ويستصحبون المردان في السماعات يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقه^(١).

وقال أيضًا: «فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفراغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال، مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء المملحة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة.

فأول ما وضعوا أسماء، وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع، وإن سمعوا أحدا يروي حديثًا قالوا: مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فمن قال: حدثني أبي عن جدي قلت: حدثني قلبي عن ربي، فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار^(٢).

الإمام القرطبي (٦٧١هـ):

قال القرطبي: «وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذته جهال المتصوفة عادة في سماعهم، وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم، فيرى الواحد منهم إذا أخذه الحال بزعمه يسجد للأقدام؛ لجهله سواء أكان للقبلة أم غيرها جهالة منه، ضل سعيهم وخاب عملهم^(٣).

وقال أيضًا: «لما أمر الله تعالى بالكتب والإشهاد وأخذ الرهان كان ذلك نصًا قاطعًا على

(١) تلبس إبليس (ص: ٣٢٨).

(٢) تلبس إبليس (ص: ٣٢٩).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٤).

مراعاة حفظ الأموال وتنميتها، وردًا على الجهلة المتصوفة ورعاعها الذين لا يرون ذلك، فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم، ثم إذا احتاج وافتقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم، أو أن يأخذ من أرباب الدنيا وظلمتهم، وهذا الفعل مذموم منهبي عنه^(١).

شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ):

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم.

والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه^(٢).

وقال أيضًا: «وقد ذم طريقهم طائفة من أهل العلم، ومن العباد أيضًا من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة وأهل الحديث والعباد، ومدحه آخرون.

والتحقيق فيه: أنه مشتمل على المدوح والمذموم كغيره من الطريق، وأن المذموم منه قد يكون اجتهاديًا وقد لا يكون، وأنهم في ذلك بمنزلة الفقهاء في الرأي، فإنه قد ذم الرأي من

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٤١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٧-١٨).

العلماء والعباد طوائف كثيرة، والقاعدة التي قدمتها تجمع ذلك كله، وفي المتسمين بذلك من أولياء الله وصفوته وخيار عباده ما لا يحصى عدده، كما في أهل الرأي من أهل العلم والإيمان من لا يحصى عدده إلا الله»^(١).

ثم ذكر أن من انتسب إليهم من أهل الوحدة والاتحاد ليسوا منهم، فقال: «وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم، كالحلاج مثلاً؛ فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق، مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره»^(٢).

اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء:

قال علماء اللجنة الدائمة - في جواب سؤالٍ وجّه إليهم عن: الصوفية والصوفيين، وما هي الصوفية؟ وما هي عقيدتهم؟ وما رأي أهل السنة والجماعة فيهم؟ - : «الصوفية نسبة إلى الصوف؛ لأنه كان شعاراً لهم في اللباس، وهذا أقرب إلى اللغة وإلى واقعهم، أما ما قيل: إن الصوفية نسبة إلى الصفة لشبههم بقراء الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يأوون إلى صُفّة بالمسجد النبوي، أو نسبة إلى صُفوة لصفاء قلوبهم وأعمالهم، فكل ذلك خطأ وليس بصحيح؛ لأن النسبة على صُفّة صُفِّيٌّ بتشديد الفاء والياء، والنسبة إلى صُفوة صَفَوِيٌّ، ولأن هذين المعنيين لا ينطبقان على صفاتهم، لما يغلب عليهم من فساد العقيدة وكثرة البدع عندهم.

والطرق الصوفية جميعها أو ما يسمى بالتصوف الآن يغلب عليها العمل بالبدع الشركية والذرائع الموصلة إليها والمعتقدات الفاسدة ومخالفة الكتاب والسنة، كالاستغاثة بالأموات والأقطاب بقولهم: مدد يا سيدي، مدد يا سيدة زينب، مدد يا بدوي أو يا دسوقي، ونحو ذلك

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ١٨).

من الاستغائة بالمشائخ والأقطاب واعتقادهم أنهم جواسيس القلوب يعلمون الغيب، وما تكنه القلوب وأن لهم أسرارًا يتصرفون بها وراء الأسباب العادية، وكتسمية الله بما لم يسم به نفسه، مثل: هو هو، وآه آه آه.

والصوفية لهم أوراد مبتدعة وأدعية غير مشروعة، فهم يأخذون العهد على مريديهم بأن يذكروا الله في نسكهم وعبادتهم بأسماء مفردة معينة من أسماء الله بشكل جماعي، كالله وحي وقيوم، يرددونه كل يوم وليلة ولا يجاوزونه إلى غيره من الأسماء إلا بإذن مشايخهم، وإلا كان عاصياً يخاف عليه من خدم الأسماء، كل ذلك مع الترنح والركوع والرفع منه والرقص والنشيد والتصفيق وغير ذلك مما لا أصل له ولا يعرف في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، فيجب على كل مسلم أن لا يجلس في مجالسهم، وأن يتعد عن مخالطتهم؛ حتى لا يتأثر بمعتقداتهم الفاسدة ويقع فيما وقعوا فيه من الشرك والبدع، وأن يقوم بمناصحتهم وبيان الحق لهم لعل الله أن يهديهم على يديه، مع إقرارهم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة، ونكر عليهم ما خالفوا فيها مع لزوم منهج أهل السنة والجماعة ليسلم له دينه، ومن أراد معرفة أحوال الصوفية ومعتقداتهم بالتفصيل فليقرأ كتاب (مدارج السالكين) لابن قيم الجوزية، وكتاب (هذه هي الصوفية) لعبد الرحمن الوكيل.

الرئيس	نائب رئيس اللجنة	عضو	عضو
عبد العزيز بن باز ^(١)	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان	عبد الله بن قعود

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة.....
٩	مقدمات في الفرق.....
١٠	المبحث الأول تعريف علم مقالات الفرق.....
١٤	المبحث الثاني تعريف الافتراق، وضابطه، ونشأته.....
١٤	تعريف الافتراق لغة واصطلاحًا:.....
١٥	ليس كل اختلاف فُرقة:.....
١٧	ضابط التفرق:.....
١٨	نشأة الافتراق:.....
٢٠	أول مسألة عقديّة وقع فيها الافتراق:.....
٢٢	المبحث الثالث حديث الافتراق رواية ودراية.....
٢٢	حديث الافتراق رواية:.....
٢٤	حديث الافتراق دراية:.....
٢٧	المبحث الرابع أسباب الافتراق.....
٢٧	أولاً: الأسباب الداخلية:.....
٣٠	ثانيًا: الأسباب الخارجية، ومن أهمها:.....
٣٢	المبحث الخامس آثار الافتراق.....
٣٢	آثار الافتراق على المسلم:.....
٣٧	آثار الافتراق على الأمة:.....

- المبحث السادس الفرق باعتبار بقائها وانقراضها..... ٣٩
- المبحث السابع أصول الفرق..... ٤٢
- المبحث الثامن أصول شبهات الفرق..... ٤٥
- أولاً: أصل شبهة الخوارج:..... ٤٥
- ثانياً: أصل شبهة المرجئة:..... ٤٦
- ثالثاً: أصل شبهة الرافضة:..... ٤٨
- رابعاً: أصل شبهة القدرية:..... ٤٩
- المبحث التاسع أصول المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الفرق..... ٥٢
- المبحث العاشر الحكم على الفرق..... ٥٤
- المبحث الحادي عشر منهج أهل السنة في التعامل مع أهل الفرق..... ٥٩
- المبحث الثاني عشر مصادر الفرق..... ٦٤
- طريقة علماء المقالات في ترتيب الفرق:..... ٦٤
- طريقة علماء المقالات في دراسة الفرق:..... ٦٥
- أهم المصادر العامة في الفرق:..... ٦٥
- المصادر الخاصة ببعض الفرق:..... ٧٧
- مصادر المعتزلة:..... ٧٧
- مصادر الاثني عشرية:..... ٧٨
- مصادر الإسماعيلية:..... ٨٠
- مصادر الزيدية:..... ٨٠
- مقالات الفرق..... ٨١
- المبحث الأول الخوارج..... ٨٢

- ٨٣ تعريفهم:
- ٨٦ ألقابهم:
- ٨٦ نشأتهم:
- ٨٩ صفاتهم:
- ٩٣ مصادرهم:
- ٩٣ عقائدهم:
- ١٠١ فرقهم:
- ١١٣ الحكم على الخوارج:
- ١١٩ المبحث الثاني مدخل في تعريف الشيعة ونشأتهم وفرقهم.
- ١١٩ تعريفهم:
- ١٢٣ نشأتهم:
- ١٢٤ فرقهم:
- ١٢٧ المبحث الثالث الزيدية.
- ١٢٧ تعريفهم:
- ١٢٧ نشأتهم:
- ١٢٧ فرقهم:
- ١٣١ عقائدهم:
- ١٣٤ الحكم عليهم:
- ١٣٥ المبحث الرابع الحوثية.
- ١٣٥ تعريفهم:
- ١٣٥ نشأتهم:

- ١٣٧ عقائدهم:
- ١٣٨ الحكم عليهم:
- ١٣٩ المبحث الخامس الشيعة الإمامية الاثنا عشرية
- ١٣٩ تعريفهم:
- ١٤٠ نشأتهم:
- ١٤٥ جذورهم:
- ١٤٩ ألقابهم:
- ١٤٩ ١- الشيعة:
- ١٤٩ ٢- الإمامية:
- ١٥٠ ٣- أصحاب الانتظار:
- ١٥٠ ٤- الخاصة:
- ١٥١ ٥- الجعفرية:
- ١٥١ ٦- الرافضة:
- ١٥٢ فرقهم:
- ١٥٣ ١- الشيخية أو الأحمدية:
- ١٥٣ ٢- الكشفية:
- ١٥٣ ٣- الركنية:
- ١٥٣ ٤- الأخباريون:
- ١٥٤ ٥- الأصوليون أو المجتهدون:
- ١٥٤ عقائد الاثني عشرية:
- ١٥٤ ١- اعتقادهم في القرآن الكريم:

- ٢- اعتقادهم في السنة النبوية: ١٦٣
- ٣- اعتقادهم في إجماع الأمة: ١٧١
- ٤- اعتقادهم في الإيمان وأركانه: ١٧٣
- عقائد انفردوا بها: ١٩٧
- ١- الإمامة: ١٩٧
- ٢- العصمة: ٢١٠
- ٣- الرجعة: ٢١٤
- ٤- الظهور: ٢١٩
- ٥- التقية: ٢٢٢
- ٦- البداء: ٢٢٩
- ٧- الطينة: ٢٣٣
- ٨- المهدي والغيبة: ٢٣٦
- ٩- ولاية الفقيه: ٢٤٣
- الحكم عليهم: ٢٤٨
- المبحث السادس فرق تفرعت من الاثني عشرية. ٢٥٣
- أولاً: التصيرية. ٢٥٣
- تعريفهم: ٢٥٣
- نشأتهم: ٢٥٣
- ألقابهم: ٢٥٤
- طوائفهم: ٢٥٤
- عقائدهم: ٢٥٥

- ٢٥٧ تأمرهم مع الأعداء:
- ٢٥٨ علاقتهم بالاثني عشرية:
- ٢٥٩ مواطنهم:
- ٢٥٩ الحكم عليهم:
- ٢٦٠ ثانيًا: البايية:
- ٢٦٠ تعريفهم:
- ٢٦٠ نشأتهم:
- ٢٦٠ مؤسس البايية:
- ٢٦١ مزاعمه وأوهامه:
- ٢٦١ أتباعه:
- ٢٦٢ مؤتمر بدشت وإعلان كفرهم فيه:
- ٢٦٢ كتاب الديانة البايية:
- ٢٦٤ ثالثًا: البهائية:
- ٢٦٤ تعريفهم:
- ٢٦٤ نشأتهم:
- ٢٦٥ مزاعم البهء وشيء من ضلالتة:
- ٢٦٦ كتاب البهائية:
- ٢٦٨ البهائية بعد وفاة البهء:
- ٢٦٩ الحكم على البايية والبهائية:
- ٢٧١ المبحث السابع الشيعة الإسماعيلية:
- ٢٧١ تعريفهم:

- ٢٧١ نشأتهم:
- ٢٧٤ جذورهم:
- ٢٧٦ ألقابهم:
- ٢٧٨ سرية مصادرهم:
- ٢٧٩ عقائدهم:
- ٢٨٩ مراتب دعوتهم:
- ٢٩٤ مواطنهم:
- ٢٩٤ فرقهم:
- ٢٩٥ دولهم:
- ٢٩٥ الحكم عليهم:
- ٣٠٠ المبحث الثامن فرق تفرعت من الإسماعيلية
- ٣٠٠ أولاً: الدروز
- ٣٠٠ تعريفهم:
- ٣٠٠ ألقابهم:
- ٣٠٠ نشأتهم:
- ٣٠١ مصادرهم:
- ٣٠٢ عقائدهم:
- ٣٠٥ طبقاتهم:
- ٣٠٥ مواطنهم:
- ٣٠٥ الحكم عليهم:
- ٣٠٧ ثانيًا: البهرة

- ٣٠٧ تعريفهم:
- ٣٠٧ ألقابهم:
- ٣٠٨ نشأتهم:
- ٣٠٨ فرقهم:
- ٣٠٨ عقائدهم:
- ٣٠٩ مصادرهم:
- ٣٠٩ مواطنهم:
- ٣١٠ الحكم عليهم:
- ٣١١ ثالثاً: الأغاخانية
- ٣١١ تعريفهم:
- ٣١١ ألقابهم:
- ٣١١ نشأتهم:
- ٣١١ عقائدهم:
- ٣١٢ مواطنهم:
- ٣١٢ الحكم عليهم:
- ٣١٥ المبحث التاسع فرق كلامية
- ٣١٥ أولاً: القَدْرِيَّة
- ٣١٥ تعريفهم:
- ٣١٧ سبب التسمية:
- ٣١٨ نشأتهم:
- ٣٢٠ جذورهم:

- ٣٢٢ فرقهم:
- ٣٢٤ عقائدهم:
- ٣٢٥ الحكم عليهم:
- ٣٢٨ ثانيًا: المرجئة.
- ٣٢٨ تعريفهم:
- ٣٣١ نشأتهم:
- ٣٣٤ فرقهم:
- ٣٣٩ عقائدهم:
- ٣٤٣ الحكم عليهم:
- ٣٤٦ ثالثًا: الجهمية
- ٣٤٦ تعريفهم:
- ٣٤٧ سبب التسمية:
- ٣٤٧ درجات التجهم:
- ٣٤٩ نشأتهم:
- ٣٥٣ جذورهم:
- ٣٥٤ عقائدهم:
- ٣٥٩ الحكم عليهم:
- ٣٦١ رابعًا: المعتزلة.
- ٣٦١ تعريفهم:
- ٣٦٣ سبب التسمية:
- ٣٦٤ ألقابهم:

- ٣٦٦ نشأتهم:
- ٣٦٧ جذورهم:
- ٣٦٩ فرقهم:
- ٣٧٠ عقائدهم:
- ٣٧٦ منهجهم في الاستدلال:
- ٣٧٧ الحكم عليهم:
- ٣٧٨ المبحث العاشر الصوفية
- ٣٧٨ هل الصوفية فرقة؟
- ٣٧٩ أصل اشتقاق لفظ (التصوف).
- ٣٨١ سبب الاختلاف:
- ٣٨٢ القول المختار:
- ٣٨٢ تعريفهم:
- ٣٨٧ ألقابهم:
- ٣٨٨ نشأتهم:
- ٣٩٠ جذورهم:
- ٣٩٥ أقسامهم:
- ٣٩٧ مصادرهم في التلقي:
- ٤٠٧ مؤلفاتهم:
- ٤١١ عقائدهم:
- ٤٣٠ مصطلحاتهم:
- ٤٤٣ الطرق الصوفية:

- ١- تعريف الطريقة الصوفية: ٤٤٣
- ٢- أركان الطريقة: ٤٤٣
- ٣- خصائص الطريقة: ٤٤٦
- ٤- أصول الطرق: ٤٤٩
- ٥- مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الطرق الصوفية: ٤٥٠
- ٦- نشأة الطرق الصوفية: ٤٥١
- من أشهر الطرق الصوفية وأهمها: ٤٥٢
- أولاً: الطريقة الرفاعية: ٤٥٢
- ثانياً: الطريقة الشاذلية: ٤٥٧
- ثالثاً: الطريقة القادرية: ٤٥٩
- رابعاً: التجانية: ٤٦٠
- الطرق الباطنية المستترة بالتصوف: ٤٦٢
- الحكم عليهم: ٤٦٤
- فهرس الموضوعات: ٤٦٩